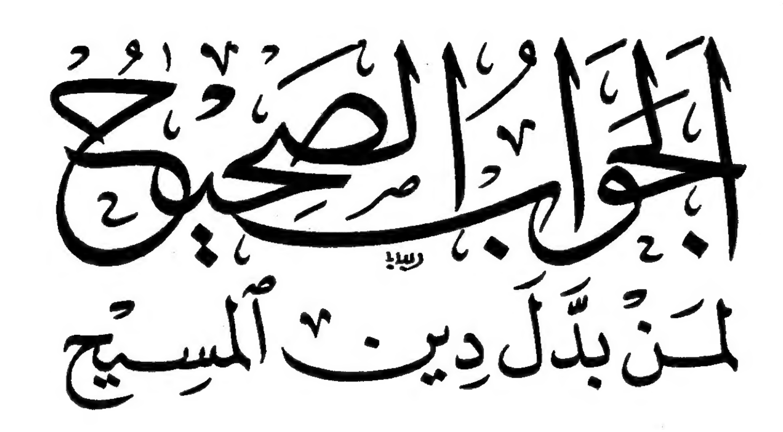
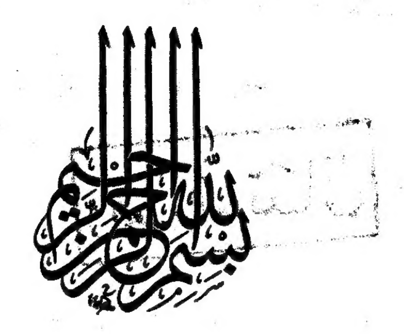


لشيخ الإسلام أبي العبّاس تقيّ الدين أحمد بن عبد الحليم
ابن تيميّة الحرّاني
المتوفّى سنة ٧٢٨ هـ

تحقيق وتعليق
د. علي بن حسن بن ناصر
د. عبد العزيز بن ابراهيم العسكر
د. حمدان بن محمد الحمدان

المجلّد الثّالث





الطّبعة الثانية
١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

دار العاصمة
المملكة العربية السعودية
الرياض - ص.ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١
هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤


الجواب الصحيح
لمن بدل دين المسيح
(٣)

فصل[1]

قياس النصارى كُتُبهم على القرآن قياس باطل

فحينئذ فقولهم[2]: إنا نعجب من هؤلاء القوم[3] على علمهم وذكائهم ومعرفتهم، كيف يحتجون علينا بمثل هذا القول[4]؟

وذلك أنا ــ أيضاً ــ إذا قلنا واحتججنا[5] عليهم بمثل هذا القول: إن الكتاب الذي[6] بأيديهم ــ يومنا هذا ــ قد غيّروه وبدلوه وكتبوا فيه ما أرادوا واشتهوا، هل كانوا يجوّزون كلامنا؟

قال الحاكي[7] عنهم: فقلت لهم: هذا ما[8] لا يجوز، ولا يمكن لأحد أن يقوله، ولا يمكن تغييره، ولا تبديل حرف واحد منه.

---

(١) هذا أول فصل من الجزء المخصص للباحث في القسم الثاني من كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية ــ حسب تقسيم الكلية (ج/٢ من طبعة المدني).

(٢) هذا الكلام للشيخ ابن تيمية يحكي قول النصارى الوارد في رسالة بولس الإنطاكي.

(٣) يقصد بهؤلاء القوم (المسلمين).

(٤) يقصد بهذا القول: التبديل والتغيير في التوراة والإنجيل التي بين أيديهم اليوم. انظر: الفصل الأخير من الجزء السابق من الجواب الصحيح.

(٥) في: س، أ، ك (واحتجينا).

(٦) يقصدون: القرآن الكريم.

(٧) يقصد بالحاكي عنهم: بولس الإنطاكي، أسقف صيدا صاحب الرسالة التي أعد الشيخ ــ رحمه الله ــ هذا الكتاب جواباً عليها. وقد سبقت الإشارة إليه في الدراسة.

(٨) في ط (مما).

فقالوا سبحان الله العظيم! إذا كان الكتاب الذي لهم، الذي هو باللسان الواحد لا يمكن تبديله، ولا تغيير حرف واحد منه، فكيف يمكن تغيير كتبنا التي هي مكتوبة باثنين وسبعين لساناً؟ وفي كل لسان منها كذا وكذا ألف نسخة[١] (وجاز عليها إلى مجيء محمد أكثر من ستمائة سنة، وصارت في أيدي الناس يقرؤونها باختلاف ألسنتهم على تشاسع بلدانهم)[٢].

فمن الذي تكلم باثنين وسبعين لساناً، ومن هو الذي حكم على الدنيا جميعها ملوكها وقساوستها[٣] وغالبها[٤] حتى حكم على جميعها في أقطار الأرض، وجمعها في أربع زوايا العالم حتى يغيرها[٥]؟

وإن كان غير بعضها، وترك بعضها، فهذا لا يمكن أن يكون، لأن كلها قول واحد، ولفظ واحد في جميع الألسن، فهذا ما لا[٦] يجوز لقائل أن يقوله أبداً[٧].

---

(١) في س، أ، ك (مصحف) بدل (نسخة).

(٢) ما بين القوسين ورد بلفظه مع تغيير يسير ـ زيادة ونقص ـ في بعض الألفاظ هكذا: «لأن كتبنا قد جاز عليها نحو ستمائة سنة وصارت في أيدي الناس يقرؤونها باختلاف ألسنتهم على تشاسع بلدانهم».
وذلك في صفحة ٨ من مخطوطة رسالة بولس الإنطاكي التي صورتها من مكتبة المتحف القبطي بماري جرجس بمصر القديمة بالقاهرة تحت رقم ٩٥ ـ ٢٠٤ لاهوت.

(٣) في س (قساسها). وفي ك، أ (قساقستها).

(٤) في أ (علمائها).

(٥) في س، أ، ك (يغيره).

(٦) في ط، أ، ك (مما).

(٧) هذا النص الذي نسبه الشيخ إلى بولس لم أجد منه في الرسالة التي بين يدي، والتي بعث بها بولس إلى صديق له في أنطاكية، إلاَّ ما أثبته بهامش (٢) أعلاه.

والجواب[1] أن يقال:

أولاً: هـذا الكلام منهم[2] يـدل على غايـة جهلهم بمـا يقـولـه[3] المسلمون في كتبهم، وتبين أنهم ـ لفرط جهلهم ـ يظنون أن المسلمين يقولون مقالة لا يخفى فسادها على من له أدنى عقل ومعرفة، والمسلمون لا[4] يشك أحد من الأمم أنهم أعظم الأمم عقولاً وأفهاماً وأتمهم معـرفة وبياناً، وأحسن قصداً وديانة، وتحرياً للصدق والعـدل، وأنهم لم يحصل في النوع الإنساني أمـة أكمل منهم، ولا نـاموس[5] أكمـل من النامـوس الـذي جـاء بـه نبيهم محمـد ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ ، وحـذاق الفلاسفة[6] معترفون لهم بـذلك وأنـه لم يقرع العـالم نامـوس أكمل من هذا الناموس.

وقـد جمـع الله للمسلمين جميـع طـرق المعـارف الإنسـانيـة، وأنواعها، فإن الناس نوعان:

(١) هذا جواب المؤلف عن كلامهم وهو أول جواب في هذا القسم.

(٢) في أ، ك (فيهم) بدلاً من (منهم).

(٣) في ط، س (تقوله) بدلاً من (يقوله).

(٤) في جميع النسخ (فلا يشكك). والأظهر هو أن الفاء زائدة ـ كما أثبته أعلاه ـ .

(٥) **الناموس**: اسم يوناني الأصل، معناه: (شريعة أو قانون).
ويطلق على ما جاء به موسى ـ عليه السلام ـ من شريعة.
انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٩٧٨.

(٦) **الفلاسفة**: هم المشتغلون بالفلسفة، وكلمة فلسفة: كلمة يونانية دخيلة على اللسـان العربـي، وهي مركبة من (فيلو) ومعناها: محبة أو إيثار أو طلب، و(سوفيا) ومعناها: الحكمة، فكلمة فلسفة إذاً تعني محبة الحكمة أو طلب الحكمة، أو إيثار الحكمة.
انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٦٩٤.
هكذا يراهـا أربابهـا، وأما نحن المسلمين فـإننا نـرى أن الفلسفة وغيـرها من العلوم اليونانية جرت على المسلمين الكثير من الويلات.

أهل كتاب، وغير أهل كتاب، كالفلاسفة والهنود[١].

والعلم ينال بالحس والعقل، وما يحصل بهما، وبوحي الله إلى أنبيائه الذي هو خارج عما يشترك فيه الناس من الحس والعقل[٢].

ولهذا قيل: الطرق العلمية: البصر، والنظر. والخبر: الحس والعقل. والوحي: الحس، والقياس، والنبوة.

فأهل الكتاب امتازوا عن غيرهم بما جاءهم من النبوة، مع مشاركتهم لغيرهم فيما يشترك فيه الناس من[٣] العلوم الحسية، والعقلية.

والمسلمون حصل لهم من العلوم النبوية والعقلية ما كان للأمم قبلهم وامتازوا عنهم بما لا تعرفه الأمم، وما اتصل إليهم من عقليات الأمم هذبوه لفظاً ومعنى حتى صار أحسن مما كان عندهم، ونفوا عنه من الباطل[٤] وضموا إليه من الحق مما امتازوا به على من سواهم.

وكذلك العلوم النبوية أعطاهم الله ما لم يعطه أمة قبلهم، وهذا ظاهر لمن تدبر القرآن، مع تدبر التوراة والإنجيل، فإنه يجد من فضل علم القرآن ما لا يخفى إلاَّ على العميان.

فكيف يظن مع هذا بالمسلمين أن يخفى عليهم فساد هذا الكلام الذي ظنه بهم هؤلاء الجهال:

---

(١) في س، أ، ك (والهند).

(٢) في ك زيادة هي (والوحي والحس والقياس والنبوة).

(٣) (من) ساقطة من ك، س.

(٤) في ط، ك، أ (الناموس). وأثبت كلمة (الباطل) من س، لدلالة السياق بعدها عليها في مقابلة (الحق).

ويقال:

ثانياً: الجواب من وجوه:

أحدها: أن المسلمين لم يدّعوا أن هذه الكتب حرفت بعد انتشارها، وكثرة النسخ بها، ولكن جميعهم متفقون على وقوع التبديل والتغيير في كثير من معانيها، وكثير من أحكامها.

وهذا مما تُسلمه النصارى جميعهم في التوراة والنبوات المتقدمة، فإنهم يسلمون أن اليهود بدّلوا كثيراً من معانيها وأحكامها.

ومما تسلمه النصارى في فرقهم، أن[1] كل فرقة تخالف الأخرى[2] فيما تفسر به الكتب المتقدمة، ومما[3] تسلمه اليهود أنهم[4] متفقون على أن النصارى تفسر التوراة والنبوات المتقدمة على الإنجيل بما يخالف معانيها، وأنها بدلت أحكام التوراة، فصار تبديل كثير من معاني الكتب المتقدمة متفقاً عليه بين المسلمين، واليهود، والنصارى.

وأما تغيير بعض ألفاظها ففيه نزاع بين المسلمين.

والصواب الذي عليه الجمهور أنه بُدِّل بعض ألفاظها، كما ذكر ذلك في مواضعه.

الوجه الثاني: أن قياسهم كتبهم على القرآن ـ وأنه كما

---

(١) في س، أ، ك: فإن.

(٢) في س، أ (للأخرى).

(٣) (ومما) ساقطة من س، أ، ك.

(٤) في س، أ، ك (فإنهم).

لا تسمع[1] دعوى التبديل فيه، فكذلك في كتبهم ـ قياس باطل في معناه ولفظه.

أما معناه: فكل ما أجمع المسلمون عليه من دينهم إجماعاً ظاهراً ـ معروفاً عندهم ـ فهو منقول عن الرسول نقلاً متواتراً، بل معلوماً بالاضطرار من دينه، فإن الصلوات الخمس، والزكاة، وصيام شهر رمضان، وحج البيت العتيق، ووجوب العدل، والصدق، وتحريم الشرك، والفواحش، والظلم، بل[2] وتحريم الخمر، والميسر، والربا، وغير ذلك منقول عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ (نقلاً متواتراً كنقل ألفاظ القرآن الدالة على ذلك.

ومن هذا الباب عموم رسالته ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ)[3]، وأنه مبعوث إلى جميع الناس: أهل الكتاب، وغير أهل الكتاب، بل إلى الثقلين: الإنس والجن، وأنه كان يكفّر اليهود والنصارى الذين لم يتبعوا ما أنزل الله عليه، كما كان يكفّر غيرهم ممن لم يؤمن بذلك، وأنه جاهدهم وأمر بجهادهم.

فالمسلمون عندهم ـ منقولاً عن نبيهم نقلاً متواتراً ـ ثلاثة أمور: لفظ القرآن، ومعانيه التي أجمع المسلمون عليها، والسنة المتواترة، وهي الحكمة التي أنزلها الله عليه غير القرآن.

كما قال ـ تعالى ـ :

---

(١) في س (يسمع).
(٢) (بل) ساقطة من أ.
(٣) ما بين القوسين ساقط من أ.

﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾[4].

وبذلك دعا الخليل[5] حيث قال لما بنى ـ هو وإسماعيل[6] ـ الكعبة[7]

---

(١) سورة البقرة: من الآية ١٥١.
سقطت من ك (ويزكيكم).

(٢) سورة النساء: من الآية ١١٣.
سقطت من س، ك لفظ الجلالة (الله).
سقطت من س، ك (الكتاب).

(٣) سورة البقرة: من الآية ٢٣١.

(٤) سورة الأحزاب: من الآية ٣٤.

(٥) سبقت ترجمته.

(٦) سبقت ترجمته.

(٧) **الكعبة**: هي بيت الله العتيق بمكة المكرمة بأرض الحجاز يقال بأن أول من بنته الملائكة، وقيل: آدم. وقيل: إبراهيم وولده أسماعيل ـ عليهما السلام ـ . قال ـ تعالى ـ : ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل﴾ [سورة البقرة: الآية ١٢٧].

=

(بأرض «فاران»[1] المذكورة في الكتاب الأول[2])[3]، قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[4].

وقال ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه)[5].

= وسمى العتيق: لعتقه من الجبارين، أي لا يتجبرون عنده بل يتذللون، وهو قبلة المسلمين إلى يوم القيامة، قال ـ تعالى ـ :
﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ [سورة البقرة: الآية ١٤٤].
انظر: تفسير ابن كثير ١٧٢/١، ٢١٥/٢؛ ومعجم البلدان ٥٢١/١.

(١) فاران: اسم عبراني وليس ألفه الأولى همزة ـ وهي جبال بني هاشم التي كان يتحنث في أحدها رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، وفيه فاتحة الوحي.
انظر: معجم البلدان ٢٢٥/٤ بيروت.

(٢) المقصود بالكتاب الأول: هو التوراة ـ وقد ورد ذكر فاران فيه لأول مرة في سفر التكوين الإصحاح الحادي والعشرون فقرة ٢١ في الحديث عن هاجر وابنها إسماعيل (وسكن في برية فاران)، وقد ذكرت فاران بعد ذلك كثيراً من أشهرها قول موسى ـ في سفر التثنية. الإصحاح الثالث والثلاثون فقرة ٢ «جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من ساعير وتلألأ من جبال فاران».
انظر: العهد القديم، ط. دار الكتاب المقدس ص ٣٣٤.

(٣) ما بين القوسين ساقط من ك.

(٤) سورة البقرة: الآيات ١٢٧ ـ ١٢٩.

(٥) الحديث بلفظه في مسند الإمام أحمد ١٣١/٤ : عن المقدام بن معد يكرب ـ رضي الله عنه ـ . =

فالمسلمون عندهم نقل متواتر عن نبيهم بألفاظ القرآن، ومعانيه المتفق عليها، وبالسنة المتواترة عنه مثل: كون[1] الظهر والعصر والعشاء أربعاً، وكون المغرب ثلاث ركعات، وكون الصبح ركعتين، ومثل الجهر[2] في العشائين والفجر، والمخافتة في الظهر والعصر، ومثل: كون الركعة فيها سجدتين، وكون الطواف بالبيت، وبين الصفا والمروة سبعاً، ورمى الجمرات كل واحدة سبع حصيات، وأمثال ذلك.

وأيضاً فالمسلمون يحفظون القرآن في صدورهم حفظاً يستغنون به عن المصاحف، كما ثبت في الصحيح الذي رواه مسلم عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: (إن ربي قال لي: إني منزل عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرأه نائماً ويقظاناً)[3].

يقول: ولو[4] غسل بالماء من المصاحف لم يغسل من القلوب، كالكتب التقدمة، فإنه لو عدمت نسخها لم يوجد من ينقلها نقلاً متواتراً محفوظة في الصدور.

والقرآن ما زال محفوظاً في الصدور نقلاً متواتراً، حتى لو أراد مريد أن يغير شيئاً من المصاحف، وعرض ذلك على صبيان المسلمين

= وكذلك في سنن أبي داود ٤/٢١٠ حديث رقم ٤٦٠٤، كتاب السنن بلفظه عن الراوي المذكور.

(١) سقطت من ك (كون).

(٢) سقطت من ك (الجهر).

(٣) هذا جزء من حديث طويل رواه عياض بن حمار ـ رضي الله عنه ـ.
صحيح مسلم ـ كتاب ٥١ صفة الجنة ونعيمها ـ باب ١٣ حديث رقم ٢٨٦٥.
ومسند الإمام أحمد بن حنبل ٤/١٦٢، آخر مسند عياض بن حمار.

(٤) سقطت من س، أ، ك (ولو).

لعرفوا أنه قد غير المصحف، لحفظهم للقرآن من غير أن يقابلوه بمصحف، وأنكروا ذلك.

وأهل الكتاب يقدر الإنسان منهم[١] أن يكتب نسخاً كثيراً من التوراة[٢] والإنجيل، ويغير بعضها، ويعرضها على كثير من علمائهم، ولا يعرفون ما غير منها إن لم يعرضوه على النسخ التي عندهم.

ولهذا لما غير من نسخ التوراة، راج ذلك على طوائف منهم ولم يعلموا التغيير.

(وأيضاً فالمسلمون لهم الأسانيد المتصلة بنقل العدول الثقات لدقيق الدين، كما نقل العامة جليله، وليس هذا لأهل الكتاب)[٣].

وأيضاً فما ذكروه من أن كتبهم مكتوبة باثنين وسبعين لساناً هو أقرب إلى التغيير من الكتاب الواحد باللغة الواحدة؛ فإن هذا مما يحفظه الخلق الكثير، فلا يقدر أحد أن يغيره.

وأما الكتب المكتوبة باثنين وسبعين لساناً، فإذا قدر أن بعض النسخ الموجودة ببعض الألسنة غير بعض ما فيها، لم يعلم ذلك سائر أهل الألسن الباقية[٤]، بل ولم يعلم بذلك سائر أهل النسخ الأخرى، فالتغيير فيها ممكن، كما يمكن في نظائر ذلك.

وما ادعوه من تعذر جمع جميع النسخ، هو حجة عليهم، فإن

---

(١) سقطت من س، أ، ك (منهم).
(٢) في س، أ، ك (بالتوراة) بدلاً من (من التوراة).
(٣) ما بين القوسين ساقط من ك.
(٤) سقطت من س (الباقية).

ذلك إذا كان متعذراً لم يمكن الجزم باتفاق جميع النسخ لواحد، حتى يشهد بأنها كلها متفقة لفظاً ومعنى، بل إمكان التغيير فيها أيسر من إمكان الشهادة باتفاقها.

ولهذا لا يمكن أحداً تغيير القرآن، مع كونه محفوظاً في القلوب منقولاً بالتواتر، مع أنّا لا نشهد لجميع المصاحف بالاتفاق، بل قد يقع في بعض نسخ المصاحف ما هو غلط يعلمه حفاظ القرآن، ولا يحتاجون إلى اعتبار ذلك بمصحف آخر.

وتلك الكتب لا يحفظ كلا منها قوم من أهل التواتر حتى تعتبر النسخ بها، ولكن لما كان الأنبياء ـ عليهم السلام ـ فيهم موجودين، كانوا هم المرجع للناس فيما يعتمدون عليه إذا غير بعض الناس شيئاً من الكتب، فلما انقطعت النبوة فيهم أسرع فيهم التغيير.

فلهذا بدل كثير من النصارى كثيراً من دين المسيح ـ عليه السلام ـ بعد رفعه بقليل من الزمان، وصاروا يبدّلون شيئاً بعد شيء، وتبقى فيهم طائفة متمسكة بدين الحق إلى أن بعث الله محمداً ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ .

وقد بقي من أولئك الذين على الدين[1] الحق طائفة قليلة، كما في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه، عن عياض[2] بن حمار المجاشعي[3]، عن النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ أنه قال:

---

(١) سقطت من ط، س، أ (الدين).
(٢) سبقت ترجمته.
(٣) في ط، ك (المشاجعي).

«إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلاَّ بقايا من أهل الكتاب»[1] ماتوا قبيل مبعثه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ .

وقد أدرك سلمان الفارسي[2] ـ وكان قد تنصر بعد أن كان مجوسياً ـ طائفة ممن كانوا متبعين لدين المسيح ـ عليه السلام ـ ، واحداً[3] بالموصل[4] وآخر بنصيبين[5] وآخر بعمورية[6] .

وكل منهم يخبره[7] بأنه لم يبقَ على دين المسيح ـ عليه

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) في ط (واحد).

(٤) الموصل: المدينة العظيمة المشهورة التي هي إحدى قواعد الإسلام رفيعة البناء فسيحة الرقعة محط رحال الركبان، استحدثها (راوند بن بيوراسف) على طرف دجلة بالجانب الغربي، بها أبنية حسنة وقصور طيبة في الجانب الشرقي منها (تل التوبة)، وهو التل الذي اجتمع عليه قوم يونس ـ عليه السلام ـ لما عاينوا العذاب وتابوا وآمنوا ـ فكشف الله ـ تعالى ـ عنهم العذاب، وأهلها أهل خير وطباع لطيفة.
انظر: آثار البلاد وأخبار العباد ص ٤٦١، ط. دار صادر، بيروت.

(٥) نصيبين: بفتح النون وكسر الصاد ـ مدينة عامرة بقرب سنجار من بلاد الجزيرة (بالعراق) على الطريق بين الموصل والشام، وقد جعل الروم حولها سوراً منيعاً ذكر أن لها ولقراها أربعين ألف بستان ـ وفتحها المسلمون صلحاً عام سبعة عشر من الهجرة النبوية.
انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٥/٢٨٨، ط. دار صادر، بيروت؛ وآثار البلاد وأخبار العباد ص ٤٦١، ط. دار صادر، بيروت.

(٦) عمورية: بفتح أوله وتشديد ثانيه، بلد في بلاد الروم غزاه المعتصم حين سمع استنجاد شراة العلوية سنة ٢٢٣هـ، وفتح أنقرة بسبب أسر العلوية في قصة طويلة، وكانت من أعظم فتوح الإسلام.
انظر: معجم البلدان ـ ص ١٥٨، ط. دار صادر، بيروت.

(٧) في ط (يخبر).

السلام ـ إلاَّ قليل، إلى أن قال له آخرهم: لم يبقَ عليه أحد، وأخبره أنه[1] يبعث نبي بدين إبراهيم من جهة الحجاز، فكان ذلك سبب هجرة سلمان إليه وإيمانه به.

فالدين الذي اجتمع عليه المسلمون اجتماعاً ظاهراً معلوماً، هو منقول عن نبيهم نقلاً متواتراً، (نقلوا القرآن، ونقلوا سنَّته)[2]، وسنَّته مفسرة للقرآن مبينة له، كما قال ـ تعالى ـ له:

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[3].

فبين ما أنزل الله لفظه ومعناه، فصار معاني القرآن التي اتفق عليها المسلمون اتفاقاً ظاهراً مما توارثته الأمة عن نبيها، كما توارثت عنه ألفاظ القرآن فلم يكن ـ ولله الحمد ـ فيما اتفقت عليه الأمة شيء محرف مبدل من المعاني، فكيف بألفاظ تلك المعاني؟

فإن نقلها والاتفاق عليها أظهر منه في الألفاظ، فكان[4] الدين الظاهر للمسلمين الذي[5] اتفقوا عليه مما نقلوه عن نبيهم، لفظه، ومعناه فلم يكن فيه تحريف ولا تبديل، لا للفظ ولا للمعنى، بخلاف التوراة والإنجيل فإن من ألفاظها ما بَدَّلَ معانيه وأحكامه اليهودُ والنصارى[6]، أو مجموعهما تبديلاً ظاهراً مشهوراً في عامتهم، كما

---

(١) في س، ك (أن).
(٢) ما بين القوسين ساقط من أ، ك.
(٣) سورة النحل: الآية ٤٤.
(٤) في س (وكان).
(٥) في ط (الذين).
(٦) في ط (أو النصارى).

بدلت اليهود ما في الكتب المتقدمة من البشارة بالمسيح ومحمد ـ صلَّى الله عليهما[1] وسلَّم ـ ، وما في التوراة من الشرائع، وأمره في[2] بعض الأخبار.

و[3]كما بدلت النصارى كثيراً مما في التوراة والنبوات من الأخبار ومن الشرائع التي لم يغيرها المسيح، فإن ما نسخه الله على لسان المسيح من التوراة يجب اتباع المسيح فيه.

وأما ما بدل بعد المسيح، مثل: استحلال لحم الخنزير، وغيره مما حرمه الله، ولم يبحه المسيح، ومثل: إسقاط الختان، ومثل: الصلاة إلى المشرق، (وزيادة الصوم ونقله من زمان إلى زمان)[4] واتخاذ الصور في الكنائس، وتعظيم الصليب، واتباع الرهبانية، فإن هذه كلها شرائع لم يشرعها نبي من الأنبياء لا المسيح ولا غيره، خالفوا بها شرع الله الذي بعث به الأنبياء من غير أن يشرعها الله على لسان نبي.

الوجه الثالث: أن القرآن قد ثبت بالنقل المتواتر، المعلوم بالضرورة ـ للموافق والمخالف ـ أن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، كان يقول: إنه كلام الله لا كلامه، وأنه مبلغ له عن الله، وكان يفرق بين القرآن، وبين ما يتكلم به من السنَّة، وإن كان ذلك مما يجب اتباعه فيه تصديقاً وعملاً.

فإن الله أنزل عليه الكتاب والحكمة، وعلم أمته الكتاب

---

(١) في س، أ، ك (عليه).

(٢) في س، ك، أ (وفي).

(٣) في أ بدون واو (كما).

(٤) ما بين القوسين ساقط من س، أ، ك.

والحكمة، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾(١).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ﴾(٢).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾(٣).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾(٤).

وقال ـ تعالى ـ عن الخليل وابنه إسماعيل:

﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾(٥).

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦٤.
في جميع النسخ (منهم) بدلاً من (من أنفسهم).

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٣١.

(٣) سورة النساء: الآية ١١٣.
في جميع النسخ سقط لفظ الجلالة (الله).
سقطت من س (عليك).

(٤) سورة الأحزاب: الآية ٣٤.

(٥) سورة البقرة: الآيتان ١٢٨، ١٢٩.

وقال[1] النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «ألا إني أوتيت الكتاب، ومثله معه»[2]، فكان يعلم أمته الكتاب وهو القرآن العزيز الذي أخبرهم أنه كلام الله، لا كلامه، وهو الذي قال عنه:

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[3].

وهو الذي شرع لأمته أن تقرأه في صلاتهم فلا تصح صلاة إلَّا به، وعلمهم مع ذلك الحكمة التي أنزلها الله عليه، وفرق بينها وبين القرآن من وجوه.

منها: أن القرآن معجز.

ومنها: أن القرآن هو الذي يقرأ في الصلاة دونها.

ومنها: أن ألفاظ القرآن العربية منزلة على ترتيب الآيات، فليس لأحد أن يغيرها باللسان العربي باتفاق المسلمين، ولكن يجوز[4] تفسيرها باللسان العربي، وترجمتها بغير العربي[5].

وأما تلاوتها بالعربي بغير لفظها، فلا يجوز باتفاق المسلمين، بخلاف ما علمهم من الحكمة، فإنه ليس حكم ألفاظها حكم ألفاظ القرآن.

---

(1) في أ (فقال).

(2) سبق الإشارة إلى هذا الحديث ٣/١٢، هامش رقم (٥).

(3) سورة الإسراء: من الآية ٨٨. في ط (قال) بدلاً من (قل).

(4) في ط، ك (جوز).

(5) المقصود بالترجمة الجائزة هنا هي: ترجمة المعاني التي أشار إليها بقوله: (ولكن يجوز تفسيرها باللسان العربي)، لأن الترجمة الحرفية لألفاظ القرآن محل نزاع والراجح عندي منعها صيانة للقرآن، والله أعلم.

ومنها: أن القرآن لا يمسّه إلاَّ طاهر[1]، ولا يقرأه الجنب، كما دلت عليه سنّته عند جماهير أمته، بخلاف ما ليس بقرآن.

والقرآن تلقته الأمة منه حفظاً في حياته، وحفظ القرآن جميعه في حياته غير واحد من أصحابه، وما من الصحابة إلاَّ من حفظ بعضه، وكان يحفظ بعضهم ما لا يحفظه الآخر، فهو جميعه منقول سماعاً منه بالنقل المتواتر، وهو يقول إنه مبلغ له عن الله، وهو كلام الله لا كلامه.

وفي القرآن ـ ما يبين أنه كلام الله ـ نصوص كثيرة، وكان الذين رأوا محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ونقلوا ما عاينوه من معجزاته، وأفعاله، وشريعته، وما سمعوه من القرآن، وحديثه، ألوفاً مؤلفة أكثر من مائة ألف رأوه وآمنوا به.

وأما الأناجيل[2] الذي[3] بأيدي النصارى، فهي أربعة أناجيل: إنجيل متى[4]، ويوحنا[5]، ــــــــــــــــــــــــــــــ

(١) في ط (لا يمسه إلاَّ المطهرون).
وقد اعتبرها الطابع آية، وهذا خلاف سائر النسخ، وهو الأظهر عندي.
(٢) في س، أ، ك (الإنجيل) بدلاً من (الأناجيل).
(٣) في سائر النسخ (الذي)، والأظهر عندي أنها (التي).
(٤) سبقت ترجمته.
(٥) هو يوحنا بن زبدي الصياد الحواري. أحد تلاميذ المسيح ـ عليه السلام ـ وصاحب الإنجيل ـ الذي ينسب إليه ـ لكن نسبة هذا الإنجيل إليه قد أثير حولها الشكوك وقد نفى في عهد الاضطهاد ثم عاد إلى أفسس وأخذ يبشر بالمسيحية، وهو أحد الثلاثة الذين اصطفاهم المسيح بطرس ويعقوب ويوحنا، وكان يسمى بالتلميذ الحبيب، وظل في دعوته للمسيحية حتى مات.
انظر: محاضرات في النصرانية لأبي زهرة ص ٥٠، ط. دار الفكر العربي ١٩٨٢م؛ وأضواء على المسيحية لمتولي شبلي ص ٤٧، ط. ٢؛ وقاموس الكتاب المقدس ص ١١٠٨.

ولوقا[1] ،ومرقس[2] ، وهم متفقون على أن لوقا ومرقس لم يريا المسيح ، وإنما رآه متى ويوحنا، وأن هذه المقالات الأربعة التي يسمونها الإنجيل، وقد يسمون كل واحد منهم[3] إنجيلاً ، إنما كتبها هؤلاء بعد أن رفع المسيح ، فلم يذكروا فيها أنها كلام الله ، ولا أن المسيح بلغها عن الله ، بل نقلوا فيها أشياء من كلام المسيح ، وأشياء من أفعاله ومعجزاته .

وذكروا أنهم لم ينقلوا كل ما سمعوه منه ورأوه، فكانت من جنس ما يرويه أهل الحديث والسير والمغازي عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، من أقواله، وأفعاله التي ليست قرآناً .

فالأناجيل التي بأيديهم شبه كتاب السيرة، وكتب الحديث، أو مثل هذه الكتب ــ وإن كان غالبها صحيحاً .

وما[4] قاله[5] ــ عليه السلام ــ فهو مبلغ له عن الله ، يجب فيه تصديق خبره، وطاعة أمره، كما قاله الرسول من السنَّة، فهو يشبه[6] ما قاله الرسول من السنَّة، فإن منها ما يذكر الرسول أنه قول الله ، كقوله : «يقول الله ــ تعالى ــ : من عادى لي ولياً فقد آذنت بالحرب»[7] ، ونحو ذلك .

---

(١) سبقت ترجمته .

(٢) سبقت ترجمته .

(٣) سقطت من س، أ، ك (منهم).

(٤) في ك (وأما).

(٥) سقطت من ك (قاله).

(٦) في ك، أ (شبيه).

(٧) هذا الحديث القدسي أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ــ باب رقم ٣٨ ــ باب التواضع ــ حديث رقم ٦٥٠٢ في فتح الباري ــ عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ بلفظه. =

ومنها ما يقوله[1] هو، ولكن هو أيضاً مما أوحاه الله إليه، فمن أطاع الرسول فقد أطاع الله، فهكذا ما ينقل في الإنجيل وهو من هذا النوع فإنه كان أمراً من المسيح فأمر المسيح أمر الله، ومن أطاع المسيح فقد أطاع الله.

وما أخبر به المسيح عن الغيب فالله أخبره به، فإنه معصوم أن يكذب[2] فيما يخبر به.

وإذا كان الإنجيل يشبه السنة المنزلة، فإنه قد يقع في بعض ألفاظها غلط، كما يقع في كتب[3] السيرة، وسنن أبي داود[4] والترمذي[5] وابن ماجه[6]، ثم هذه الكتب قد اشتهرت واستفاضت بين

= وأخرجه ابن ماجه في سننه ــ كتاب الفتن ــ باب رقم ١٦ ــ حديث رقم ٣٩٨٩، ولكن ليس بصيغة الحديث القدسي بل عن عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ عن معاذ بن جبل ــ رضي الله عنه ــ أنه قال: سمعت رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يقول: «إن يسير الرياء شرك، وإن من عادى لله ولياً فقد بارز الله بالمحاربة...» الحديث.

(١) في ط (ما يقول).

(٢) سقطت من س، أ (أن يكذب).

(٣) في سائر النسخ: (كتاب) ولعل الأصوب (كتب).

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) الترمذي: هو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي الترمذي من أهل ترمذ على نهر جيحون، ولد سنة ٢٠٩هـ، من أئمة العلماء في الحديث وحفاظه ومن شيوخه الإمام البخاري، ارتحل إلى خراسان والعراق والحجاز ثم عاد إلى وطنه الأصلي «ترمذ» وتوفي سنة ٢٧٩هـ، ومن تصانيفه الجامع الكبير في الحديث مجلدان، والشمائل النبوية، والتاريخ، والعلل في الحديث.
انظر: تذكرة الحافظ للذهبي ٦٣٣/٢، ط. ٣؛ والبداية والنهاية لابن كثير ٦٦/١١، ط. ١؛ وتهذيب التهذيب ٣٨٦/٩. طبعة مؤسسة فؤاد؛ والأعلام للزركلي ٢١٣/٧، ط. ٣.

(٦) سبقت ترجمته.

المسلمين، (فلا يمكن أحداً ـ بعد اشتهارها وكثرة النسخ بها ـ أن يبدلها كلها.

* لكن في بعض ألفاظها غلط وقع فيها قبل أن تشتهر، فإن المحدث ـ وإن كان عدلاً ـ فقد يغلط)[1]، لكن ما تلقاه المسلمون بالقبول والتصديق والعمل من الأخبار فهو مما يجزم جمهور المسلمين بصدقه عن نبيهم.

هذا مذهب السلف، وعامة الطوائف، كجمهور الطوائف الأربعة، وجمهور أهل الكلام من الكلابية[2]، والكرامية[3] والأشعرية[4] وغيرهم، لكن ظن بعض أهل الكلام أنه لا يجزم بصدقها لكون الواحد قد يغلط أو يكذب، وهذا الظن إنما يتوجه في الواحد الذي لم يعرف صدقه وضبطه.

---

(١) ما بين القوسين ساقطة من أ.

(٢) الكلابية: هم أصحاب عبد الله بن سعيد بن كلاب من أهل البصرة وكان نصرانياً فأسلم وفارق قومه كان يقول هو وفرقته: إنه ليس لله كلام مسموع وأن جبريل عليه السلام لم يسمع من الله شيئاً مما أداه إلى رسله وأن الذي أنزل على الأنبياء حكاية كلام الله.
انظر: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان للسكسكي ص ١٩.

(٣) سبق التعريف بها.

(٤) الأشعرية: هم أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتوفى سنة ٣٢٤هـ، وهو منتسب إلى أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنهما ـ ومن مذهبه أن كل موجود يصح أن يرى، فإن المصحح للرؤيا إنما هو الوجود والباري تعالى موجود فيصح أن يرى، وقد ورد السمع بأن المؤمنين يرونه في الآخرة. وقال أيضاً: الإيمان هو التصديق بالجنان وأما القول باللسان والعمل بالأركان ففروعه.
انظر: الملل والنحل للشهرستاني ١/٩٤.

أما إذا عرف صدقه وضبطه، إما بالمعجزات كالأنبياء، وإما بتصديق النبي له فيما يقول، وإما باتفاق الأمة المعصومة على صدقه، واتفاقهم عل العمل بخبره، أو اتفاقهم على قبول خبره وإقراره، وذكره من غير نكير، أو ظهور دلائل وشواهد وقرائن احتفت بخبره، ونحو ذلك من الدلائل على صدق المخبر، فهذه يجب معها الحكم بصدقه، وأنه[1] لم يكذب ولم يغلط، وإن كان خبره لو تجرد عن تلك الدلائل أمكن كذبه، أو غلطه[2]، كما أن الخبر المجرد لا يجزم بكذبه إلّا بدليل يدل على ذلك، إما قيام دليل عقلي قاطع، أو سمعي قاطع على أنه بخلاف مخبره، فيجزم ببطلان خبره[3]، وحينئذٍ فالمخبر إما كاذباً، أو غالطاً، وقد[4] يعلم أحدهما بدليل.

فالمسلمون عندهم من الأخبار عن نبيهم ما هو متواتر وما اتفقت الأمة المعصومة على تصديقه، وما قامت دلائل صدقه من غير هذه الجهة مثل: أن يخبر واحد أو اثنان أو ثلاثة بحضرة جمع كثير لا يجوز أن يتواطئوا على الكذب بخبر يقولون: إن أولئك عاينوه وشاهدوه، فيقرونهم على هذا ولا يكذب به منهم أحد، فيعلم بالعادة المطردة أنه لو كان كاذباً لامتنع اتفاق أهل التواتر على السكوت عن تكذيبه، كما يمتنع اتفاقهم على تعمد الكذب.

وإذا نقل الواحد والاثنان ما توجب العادة اشتهاره وظهوره ولم يظهر، ونقلوه مُسْتَخْفِين بنقله لم ينقلوه على رؤوس الجمهور، علم أنهم كذبوا فيه.

---

(١) في ط (بأنه).

(٢) في س، أ، ك (غلطه أو كذبه).

(٣) في ط (مخبره).

(٤) في ط (قد).

ودلائل صدق المخبر وكذبه كثيرة متنوعة ليس هذا موضع بسطها، ولكن المقصود هنا أن المسلمين تواتر عندهم[1] عن نبيهم ألفاظ القرآن ومعانيه المجمع عليها، والسنة المتواترة، وعندهم عن نبيهم أخبار كثيرة معلومة الصدق بطرق متنوعة، كتصديق الأمة المعصومة، ودلالة العادات، وغير ذلك، وهم يحفظون القرآن في صدورهم، لا يحتاجون في حفظه إلى كتاب مسطور، فلو عدمت المصاحف من الأرض لم يقدح ذلك فيما حفظوه.

بخلاف أهل الكتاب فإنه لو عدمت نسخ[2] الكتب لم يكن عندهم به نقل متواتر بألفاظها، إذ لا يحفظها ـ إن حفظها[3] ـ إلّا قليل لا يوثق بحفظهم، فلهذا كان أهل الكتاب بعد انقطاع النبوة عنهم يقع فيهم من تبديل الكتب، إما تبديل بعض أحكامها ومعانيها، وإما تبديل بعض ألفاظها ما لم يقوموا بتقويمه.

ولهذا لا يوجد فيهم الإسناد الذي للمسلمين، ولا لهم كلام في نقلة العلم، وتعديلهم وجرحهم، ومعرفة أحوال نقلة العلم ما للمسلمين، ولا قام دليل سمعي ولا عقلي على أنهم لا يجتمعون على خطأ، بل قد علم أنهم اجتمعوا على الخطأ لما كذبوا المسيح.

ثم كذّبوا محمداً ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ، فإذا كانت الكتب المنقولة عن الأنبياء من جنس الكتب المنقولة عن محمد، ولم تكن[4] متواترة عنهم ولم يكن تصديق غير المعصوم حجة، لم يكن عندهم من

---

(١) في ط (عنهم).
(٢) سقطت من أ (نسخ).
(٣) سقطت من ط (إن حفظها). وفي س (وإن).
(٤) في س، أ (وليست).

العلم بالتمييز بين الصدق والكذب ما عند المسلمين)*[1].

فهذه الأناجيل التي بأيدي النصارى من هذا الجنس فيها شيء كثير من أقوال المسيح وأفعاله ومعجزاته، وفيها ما هو غلط عليه بلا شك والذي كتبها في الأول إذا لم يكن ممن يتهم (بتعمد الكذب)[2]، فإن الواحد والإثنين والثلاثة والأربعة لا يمتنع وقوع الغلط والنسيان منهم، لا سيما ما سمعه الإنسان ورآه، ثم حدَّث به بعد سنين كثيرة، فإن الغلط في مثل هذا كثير، ولم يكن هناك أمة معصومة يكون تلقيها لها بالقبول والتصديق موجباً للعلم بها، لئلا تجتمع الأمة المعصومة على الخطأ، والحواريون كلهم اثنا عشر رجلاً[3].

وقصة الصلب مما وقع فيها الاشتباه، وقد قام الدليل على[4] أن المصلوب لم يكن هو المسيح ـ عليه السلام ـ، بل شبهه[5]، وهم ظنوا أنه المسيح، والحواريون لم يرَ أحد منهم المسيح مصلوباً، بل أخبرهم بصلبه بعض من شهد ذلك من اليهود[6].

(فبعض الناس يقولون[7]: إن أولئك تعمدوا الكذب، وأكثر الناس يقول: اشتبه عليهم، ولهذا كان جمهور المسلمين يقولون في قوله: (ولكن شبّه لهم) عن أولئك، ومن قال بالأول جعل الضمير في (شبّه

---

(١) ما بين النجمتين ساقط من ك.
(٢) في س، أ سقطت (بتعمد)، و (الكذب) كتبت (بالكذب).
(٣) الحواريون: ورد ذكرهم في العهد الجديد، إنجيل مرقص ص ٦٠، ط. القاهرة.
(٤) سقطت من س، ك (على).
(٥) في ط (بل شبه).
(٦) في أ (من الشهود).
(٧) في س (يقول).

لهم) عن السامعين لخبر أولئك[1]، فإذا جاز[2] أن يغلطوا في هذا، ولم يكونوا معصومين في نقله، جاز أن يغلطوا في بعض ما ينقلونه عنه، وليس هذا مما يقدح في رسالة المسيح، ولا فيما تواتر نقله عنه بأنه رسول الله الذي يجب اتباعه، سواء صلب أو لم يصلب، وما تواتر عنه، فإنه يجب الإيمان به، سواء صلب أو لم يصلب.

والحواريون مصدقون فيما ينقلونه عنه، لا يتهمون بتعمد الكذب عليه، لكن إذا غلط بعضهم في بعض ما ينقله لم يمنع ذلك أن[3] يكون غيره معلوماً، لا سيما إذا كان ذلك الذي غلط فيه مما تبين غلطه فيه في مواضع أخر.

وقد اختلف[4] النصارى في عامة ما وقع فيه الغلط، حتى في الصلب، فمنهم من يقول المصلوب لم يكن المسيح، بل الشبه كما يقوله[5] المسلمون، ومنهم من يقر بعبوديته لله وينكر الحلول والاتحاد[6] كالأريوسية[7]، ومنهم من ينكر الاتحاد وإن أقر بالحلول كالنسطورية[8].

---

(١) ما بين القوسين ساقط من أ ك.

(٢) سقطت من ك (جاز).

(٣) في ط (أي).

(٤) في ط (اختلفت).

(٥) في ط (يقول).

(٦) الحلول والاتحاد:

الحلول: الصوفية يشيرون به إلى الصلة بين الرب (اللاهوت) والعبد (الناسوت) كما عند النساطرة واليعاقبة والملكانية من الفرق النصرانية، ويقال إن القائلين بالحلول (الحلولية) كغلاة الشيعة والباطنية والدروز من الفرق، والحلاج من الصوفية.

انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ٧٣٤.

والاتحاد: هو عقيدة الملكانية أصحاب ملكا الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها ومعظم الروم ملكانية، قالوا: (إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته ويعنون بالكلمة أقنوم العلم، ويعنون بروح القدس: أقنوم الحياة، ولا يسمون العلم قبل تدرعه ابناً بل المسيح مع ما تدرع به ابن، فقال بعضهم: إن الكلمة مازجت جسد المسيح كما يمازج الخمر أو الماء اللبن).

انظر: الملل والنحل للشهرستاني ١/٢٢٢.

(٧) سبق التعريف بها.

(٨) سبق التعريف بها.

وأما الشرائع التي هم عليها فعلماؤهم يعلمون أن أكثرها ليس عن المسيح ـ عليه السلام ـ، فالمسيح لم يشرع لهم الصلاة إلى المشرق[1]، ولا الصيام الخمسين[2]، ولا جعله في زمن الربيع، ولا عيد الميلاد[3]، والغطاس[4]، وعيد الصليب[5]، وغير ذلك من

---

(١) لم يكن لليهود والنصارى قبلة محددة من قبل الله تعالى مثل ما للمسلمين يتجهون إليها في الصلاة، فقد جاء في الإصحاح العشرين من سفر (الخروج) (في كل الأماكن التي فيها أضع لاسمي ذكر آتي إليك وأباركك)، وبعد رجوع اليهود من أرض بابل انقسموا على أنفسهم فالسامريون يقولون: جبل جيرزيم هو القبلة، والعبرانيون يقولون: جبل صهيون هو القبلة، وهيكل سليمان كان مبنياً على جبل صهيون، وكان العبرانيون يقدسونه والمسيح ـ عليه السلام ـ كان من اليهود العبرانيين فلذلك قدس هيكل سليمان وكان يتجه إليه بالتعظيم.
انظر: تهميش د. أحمد حجازي السقا على كتاب هداية الحيارى لابن القيم ص ٢٦٤.

(٢) **صيام الخمسين**: في التقويم القبطي تعني الخماسين ـ الخمسين يوماً التالية لعيد القيامة وأولها يوم شم النسيم، ويوم شم النسيم ليس ثابتاً لأنه تابع للأشهر القبطية.
انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ٧٦٥.

(٣) **عيد الميلاد**: ذكرى مولد السيد المسيح يلي صيام أربعين يوماً وهو يوم ٢٥ ديسمبر بالتقويم الميلادي (الجريجوري) ويوم ٢٩ كهيك بالتقويم القبطي، احتفل به قبل سنة ٢٠٠م ثم انتشر وأصبح شائعاً وشعبياً في القرون الوسطى.
انظر: الموسوعة العربية المسيرة ص ١٢٤٧.

(٤) **عيد الغطاس**: عند المسيحيين احتفال ديني بتعميد السيد المسيح في نهر الأردن ـ ١٩ يناير.
انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٢٤٧.

(٥) **عيد الصليب**: لم أجد له ذكراً في قاموس الكتاب المقدس ولا في الموسوعة العربية التي تحدثت عن معظم الأعياد.
وقد ذكر ابن القيم: أن النصارى اتخذوا الوقت الذي عثرت فيه هيلانة على الصليب عيداً، وسموه عيد الصليب.
انظر: نظم الجوهر ١/١٢٧ ـ طبعة ١٩٠٥م، بيروت؛ وإغاثة اللهفان ٢/٢٩٥.

أعيادهم، بل أكثر ذلك مما ابتدعوه بعد الحواريين، مثل عيد الصليب فإنه مما ابتدعته «هيلانة الحرانية»[١]، أم قسطنطين، وفي زمن قسطنطين[٢] غيروا كثيراً من دين المسيح والعقائد والشرائع، فابتدعوا «الأمانة» التي هي عقيدة إيمانهم، وهي عقيدة لم ينطق بها شيء من كتب الأنبياء التي هي عندهم، ولا هي منقولة عن أحد الأنبياء، ولا عن أحد من الحواريين الذين صحبوا المسيح، بل ابتدعها لهم طائفة من أكابرهم قالوا: كانوا ثلاث مائة وثمانية عشر[٣].

واستندوا في ذلك إلى ألفاظ متشابهة في الكتب، وفي الكتب ألفاظ محكمة تناقض ما ذكروه، كما قد بسط في موضع آخر، وكذلك عامة شرائعهم التي وضعوها في كتاب «القانون»[٤] بعضها منقول عن الأنبياء، وبعضها منقول عن الحواريين، وكثير منها مما ابتدعوه ليست منقولة عن أحد من الأنبياء، ولا عن الحواريين، وهم يجوّزون لأكابر أهل العلم والدين أن يغيروا ما رأوه من الشرائع، ويضعوا شرعاً جديداً، فلهذا كان أكثر شرعهم مبتدعاً، لم ينزل به كتاب، ولا شرعه نبي.

• • •

(١) هيلانة: من أهل الرهاء كانت امرأة جميلة وقد تنصرت على يد أب في الرهاء، وتعلمت وقرأت الكتب فخطبها الملك قسطس من أبيها فزوجها له فولدت له ابنه الملك قسطنطين الكبير وقد عاشت ثمانين سنة.
انظر: نظم الجوهر لابن البطريق ١١٧/١، ط. ١٩٠٥ بيروت.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) يشير إلى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية.

(٤) قانون الإيمان: مجموعة العقائد المسيحية الأساسية ولها عدة ملخصات كان لها شأن كبير في تطور المسيحية وأهمها قانون نيقية، ويعتبر مراجعة للقانون الذي وضعه مجمع نيقية ٣٢٥ لا قرار المسائل التي أثارها أوريوس..
انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٣٦٤.

فصل

وأما قولهم: كيف يمكن تغيير كتبنا التي هي مكتوبة باثنين وسبعين لساناً، وفي كل لسان منها كذا وكذا[1] ألف مصحف، ومضى عليها إلى مجيء محمد أكثر من ستمائة سنة؟[2].

فيقال: أما بعد انتشارها هذا الانتشار فلم يقل المسلمون، بل ولا طائفة معروفة منهم أن ألفاظ جميع كل نسخة في العالم غيرت، لكن جمهور المسلمين الذين يقولون إن في ألفاظها ما غير، إنما يدعون تغيير بعض ألفاظها قبل المبعث، أو تغيير بعض النسخ بعد المبعث، لا تغيير جميع النسخ، فبعض الناس يقول: إن ذلك التغيير وقع (في أول الأمر)[3]، ويقول بعضهم: إن منها ما غير بعد مبعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، ولا يقولون: إنه غير كل نسخة في العالم، بل يقولون: غير بعض النسخ دون البعض، وظهر عند كثير من الناس النسخ المبدلة دون التي لم تبدل.

والنسخ التي لم تبدل هي موجودة عند بعض الناس.

ومعلوم أن هذا لا يمكن نفيه فإنه لا يمكن أحداً أن يعلم أن كل

(١) في ط (كذا كذا).

(٢) هذا القول موجود في مخطوطة رسالة بولس الأنطاكي الموجودة في المتحف القبطي ص ٨.

(٣) سقطت من ك (في أول الأمر).

نسخة في العالم بكل لسان مطابق لفظها سائر النسخ بسائر[1] الألسنة، إلاّ من أحاط علماً بذلك، وهم قد سلموا أن أحداً لا يمكنه ذلك.

وأما من ذكر أن التغيير وقع في أول الأمر، فهم يقولون: إنما أخذت الأناجيل عن أربعة: اثنان منهم لم يريا المسيح، بل إنما رآه اثنان من نقلة الإنجيل: متى ويوحنا.

ومعلوم إمكان التغيير في مثل ذلك.

وأما قولهم: أنها مكتوبة باثنين وسبعين لساناً فمعلوم باتفاق النصارى أن المسيح لم يكن يتكلم إلاّ بالعبرية كسائر أنبياء بني إسرائيل، وأنه كان مختوناً ختن بعد السابع كما يختن بنو إسرائيل، وأنه كان يصلي إلى قبلتهم، لم يكن يصلي إلى الشرق، ولا أمر بالصلاة إلى الشرق.

ومن قال: إن لسانه كان سريانياً، كما يظنه بعض الناس فهو غالط، فالكلام المنقول عنه في الأناجيل إنما تكلم به عبرياً، ثم[2] ترجم من تلك اللغة إلى غيرها.

والترجمة يقع فيها الغلط كثيراً، كما وجدنا في زماننا (من يترجم)[3] التوراة من العبرية إلى العربية، ويظهر في الترجمة من الغلط ما يشهد به الحذاق الصادقون ممن يعرف اللغتين.

والنصارى يقولون: إنما كتبت بأربع لغات: (بالعبرية،

---

(1) في ط، ك (لسائر).

(2) سقطت من س (ثم).

في أ زاد بعد (ثم) جملة (نقلة الإنجيل أن نقوله بلغته كان عبرياً فقد).

(3) في س، أ، ك (ما يترجموا).

والرومية[1]، واليونانية، والسريانية[2])[3].

وأما قولهم: إنها كتبت باثنين وسبعين لغة، فهذا إن كان صحيحاً فإنما كتبت بعد أن كتبت[4] تلك الأربعة، فإذا كان الغلط وقع في مواضع من تلك الأربعة، لم يرفعه بعد ذلك كتابتها باثنين وسبعين لغة، فإن المسلمين لا يقولون: أنها كتبت باثنين وسبعين لغة غير لفظها[5] في جميع الألسن (لاثنين وسبعين لغة في كل نسخة من ذلك)[6].

وإنما يقال[7] التغيير وقع قبل ذلك كما يقال في سائر ما ورد[8]

---

(١) في س، أ، ك (وبالرومية).

(٢) في أ، ك (وبالسريانية). وفي س (وبالسريانية) ساقطة.

(٣) هذه اللغات التي بين القوسين:

العبرية: هي اللغة التي كتب بها متى إنجيله ولم يعرف إلاَّ باليونانية وجهل المترجم، وقد اتفق جمهورهم على أنه كتب إنجيله بالعبرية أو السريانية.

انظر: محاضرات في النصرانية، لمحمد أبو زهرة ص ٤٣، ٤٤.

الرومية: هي إحدى اللغات التي كتب بها بطرس رئيس الحواريين إنجيل مرقص عن مرقص بالرومية في مدينة رومية ونسبه إلى «مرقص».

انظر: نظم الجوهر ٩٦/١.

اليونانية: هي اللغة التي كتب بها يوحنا إنجيله في جزيرة يقال لها بطمس من أرض آسيا.

انظر: نظم الجوهر ١٠٠/١ .

السريانية: هي إحدى اللغات التي قيل بأن متى كتب بها إنجيله.

انظر: محاضر في النصرانية، لمحمد أبو زهرة ص ٤٣، ٤٤.

(٤) في س، ك، أ (كتب).

(٥) في س، أ، ك (لفظه).

(٦) ما بين القوسين ساقط من س، أ، ك.

(٧) سقطت من س، أ، ك (يقال).

(٨) في ك، س (ما يرويه). في أ (ما يروونه).

عن المسيح وموسى (ومحمد ـ عليهم صلوات الله وسلامه ـ)[1] من الحديث، مثل سيرة ابن إسحاق[2]، وأحاديث السنن، والمساند المأثورة عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فإن في العالم بكل كتاب منها نسخ كثيرة، لا يمكن أن يغير منها فصل طويل، ولكن في نفس السيرة وقع غلط في مواضع وأحاديث وقعت في السنن هي غلط في الأصل، (فاشتهار النسخ بها بعد ذلك لا يمنع وقوع الغلط في الأصل)[3]، وهذه كتب التفسير والفقه والدقائق، ما من كتاب إلَّا وبه نسخ كثيرة في العالم لا يمكن تغيير فصل طويل منها، وفيها أحاديث غلط في الأصل.

والأناجيل التي بأيدي النصارى تشبه هذا، ولهذا أمروا أن يحكموا بما[4] فيها، فإن فيها أحكام الله، وعامة ما فيها من الأحكام لم يبدل لفظه، وإنما بدلت بعض ألفاظ الخبريات، وبعض معاني الأمريات، كما نؤمر نحن أن نعمل بأحاديث الأحكام المعروفة عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فإن العلماء اعتنوا بضبطها أكثر من اعتنائهم بضبط الخبريات، كأحاديث الزهد والقصص والفضائل، ونحو ذلك، إذ حاجة الأمم إلى معرفة الأمر والنهي أكثر من حاجتهم إلى معرفة التفاصيل بالخبريات التي يكتفى بالإيمان[5] المجمل بها.

وأما الأمر والنهي، فلا بد من معرفته على وجه التفصيل، إذ العمل بالمأمور لا يكون إلَّا مفصلاً، والمحظور الذي يجب اجتنابه لا بد أن يميز بينه بين غيره، كما قال ـ تعالى ـ:

---

(١) في أ (ومحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ).

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) ما بين القوسين ساقط من ط.

(٤) سقطت من ط (بما).

(٥) في أ، ك (بالآيات).

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾[1] .

والنصارى لا يحتاجون عند أنفسهم إلى هذا، فإنه لا يجب عندهم أن يتمسكوا بشرع منقول عن المسيح ـ عليه السلام ـ ، وعندهم لأكابرهم أن يشرعوا ديناً لم يشرعه المسيح ، ويقولون : ما شرعه هؤلاء فقد شرعه المسيح فلم يكن لهم عناية ولا معرفة بشرع المسيح ، كما للمسلمين عناية ومعرفة بشرع محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ .

• • •

(١) سورة التوبة : من الآية ١١٥.

فصل

وأما التوراة، فمن المعلوم عند المسلمين واليهود والنصارى أن بيت المقدس خرب الخراب الأول[1]، وجلا[2] أهله منه وسبوا، ولم يكن هناك من التوراة[3] نسخ كثيرة ظاهرة، بل إنما أخذت عن نفر قليل.

كما يقولون: إن عزيراً[4] أملاها وأنهم وجدوا نسخة أخرى فقابلوها بها. والمقابلة تحصل باثنين، وقد يغلط أحدهما، وهم يذكرون

---

(١) الخراب الأول هو تخريب بختنصر له سنة ٥٨٦ق.م، كما ذكره سعيد بن البطريق في تاريخه نظم الجوهر ١/٧١، ط. بيروت وهناك خراب آخر على يد طيطس سنة ٧٠م.
انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ٤٥٤.

(٢) في ط، أ (خلا).

(٣) في س، أ، ك (بالتوراة).

(٤) عزير: قال اليهود فيه بأنه ابن الله والشبهة التي حصلت لهم في ذلك أن العمالقة لما غلبت على بني إسرائيل فقتلوا علماءهم ويقال بأن العزير مرّ على قرية قد خربت فقال: (أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه). وقد عمرها الله أحسن مما كانت وقال عزير لقومه قد جئتكم بالتوراة، ويقال بأنه ربط على إصبع من أصابعه قلماً وكتب التوراة بأصبعه فلما تراجع الناس استخرجوا النسخ التي كانت في الجبال وقابلوه فوجدوا ما جاء به صحيحاً.
انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٣٤٨، وآثار البلاد وأخبار العباد ص ١٦٠.
وهو عند اليهود: عزرا بن سرايا أو سرايا (الكاتب) حيث أنه كتب التوراة بعد رجوع اليهود من بابل إلى بيت المقدس.
انظر: نظم الجوهر ١/٧٦، وقاموس الكتاب المقدس ص ٦٢١.

أن من الملوك من أمر اثنين وسبعين حبراً منهم بنقلها، واعتبر بعض تلك النسخ ببعض، وهذا إذا كـان صدقـاً، لا يمنع أن يكـون الغلط وقع في بعض ألفاظها قبل ذلك إلاَّ أن يثبت أنها مأخوذة عن نبـي معصوم، أو أقر جميع ألفاظها نبـي معصوم.

فما قاله المعصوم فهو حق، وما ثبت بالنقل المتواتر فهو حق.

وهؤلاء القائلون إنه وقع التغيير في بعض ألفاظها في ذلـك الزمـان يقولون: لم تؤخذ عن نبـي معصوم، ولا نقلت بالتواتر.

ومن نـازع من المسلمين وأهـل الكتـاب يقـولـون: أخـذت عن العزير، وهو نبـي معصوم، وهذا[1] مما يحتـاج المثبت فيه والنـافي إلى تحقيقه.

وإذا قالت النصارى: فالمسيح عليه السلام أقرها، قيـل: المسيح عليـه السـلام لم يمكن أن يلزمهم بمـا أوجبـه الله عليهم من الإيمـان بـه وطاعته، فكيف كان يمكنه أن يغير نسخ التوراة التي عندهم مع كثرتهـا، وهم قد طلبوا قتله وصلبه لعجزه وضعفـه، وصلبوا شبيهـه[2]، كما يقـوله المسلمـون، أو صلبوه[3] نفسـه (كما يقـولـه النصـارى)[4]، فكيف كـان يمكنه أن يصلح ما غير منها؟

وأمـا من بعـد المسيـح فليس معصـومـاً، والمسيـح غيـر بعض

---

(١) في ط (هذا) بدون (و).
(٢) في س (شبهه).
(٣) في أ، ك، ط (أو صلبوا).
(٤) ما بين القوسين كتب في س (على قولهم)، وسقط من أ، ك.

أحكامها[1] وأقر أكثرها، والأحكام إنما يدعي المسلمون فيها النسخ وتبديلها بالاعتقاد، بخلاف موجبها والعمل بذلك لا يحتاجون إلى دعوى تبديل ألفاظها كما بدلوا شريعة الرجم بغيرها، وهو مكتوب في التوراة.

بخلاف الخبريات فإن هذه يقول أكثر المسلمين: إن التغيير وقع في بعض ألفاظها.

وأما النبوات المنقولة عن الاثنين وعشرين نبياً[2]، فهذه لا تعلم منها نبوة واحدة تواترت جميع ألفاظها، بل أحسن أحوالها أن تكون بمنزلة الإنجيل، وهو بمنزلة ما ينقل من أقوال الأنبياء وسيرهم، كسيرة ابن إسحاق، أو بعض كتب المسانيد والسنن التي ينقل فيها ما ينقله الناقلون من أقوال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأفعاله، وأكثره صدق، وبعضه غلط.

ولكن هذه الأمة حفظ الله لها ما أنزله، كما قال ــ تعالى ــ:

---

(١) لعل الشيخ رحمه الله يعني بتغيير الأحكام: تغيير الأحكام التي زادها أحبار اليهود لليهود، فحرموا فيها ما أحل الله، وأحلوا ما حرم الله، فتغيير بعض الأحكام يعني به عودة اليهود إلى صحيح ما جاءهم به موسى من تشريع، ذلك لأن الذي عليه جمهور العلماء أن الإنجيل ليس ناسخاً للتوراة ولا لشيء من أحكامها، وأما قوله ــ تعالى ــ عن المسيح: ﴿... ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم...﴾ فإن معناها الذي حرمه أحباركم عليكم مما لم ينزل به شرع الله.
انظر: فتح القدير، للشوكاني ١/٣٤٣؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير ١/٣٦٥؛ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤/٩٦؛ ومفاتيح الغيب للرازي ٧/٥٩.

(٢) لا أدري ما الذي يعنيه الشيخ ــ رحمه الله ــ على وجه التحديد بالاثنين وعشرين نبياً، فإن أنبياء بني إسرائيل أكثر من هذا العدد الذي ذكره الشيخ بكثير، مع العلم أن الأنبياء أصحاب الأسفار الذين نص عليهم في العهد القديم ستة وعشرون نبياً.
انظر: فهرس العهد القديم، ط. القاهرة.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1].

فما في[2] تفسير القرآن، أو نقل الحديث أو تفسيره من غلط فإن الله يقيم له من الأمة من يبينه، ويذكر الدليل على غلط الغالط، وكذب الكاذب، فإن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة، ولا يزال فيها طائفة ظاهرة على الحق حتى تقوم الساعة، إذ كانوا آخر الأمم فلا نبي بعد نبيهم، ولا كتاب بعد كتابهم.

وكانت الأمم قبلهم إذا بدلوا وغيروا بعث الله نبياً يبين لهم ويأمرهم وينهاهم، ولم يكن بعد محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ نبي، وقد ضمن الله أنه يحفظ ما أنزله من الذكر، وأن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة، بل[3] أقام الله لهذه الأمة في كل عصر من يحفظ به دينه من أهل العلم والقرآن، وينفي به تحريف الغالين، وانتحال المضلين[4]، وتأويل الجاهلين.

● ● ●

---

(1) سورة الحجر: الآية ٩.

(2) في س (وفي).

(3) سقطت من س، أ، ك (بل).

(4) في أ (المبطلين).

فصل

وأما من قال: إنه غير بعض ألفاظها بعد مبعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، فهؤلاء يقولون: إنه كان في التوراة والإنجيل وغيرهما، ألفاظ صريحة بأمور:

منها: اسم محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، وأنه عمد بعض أهل الكتاب فغيروا بعض الألفاظ في النسخ التي كانت عندهم.

لا يقولون: إن هؤلاء غيروا كل نسخة كانت على وجه الأرض، لكن غيروا بعض ألفاظ النسخ، وكتب الناس من تلك النسخ المغيرة نسخاً كثيرة، انتشرت فصار أكثر ما يوجد عند كثير من أهل الكتاب هو من تلك النسخ المغيرة.

وفي العالم نسخ أخرى لم تغير، فذكر كثير من الناس أنه رآها وقرأها، وفي تلك النسخ ما ليس في النسخ الأخرى، ومما يدل على ذلك أنك[1] في هذا الزمان إذا أخذت نسخ التوراة الموجودة عند اليهود والنصارى والسامرة[2] وجدت بينهما اختلافاً في مواضع متعددة.

وكذلك نسخ الإنجيل، وكذلك نسخ الزبور مختلفة اختلافاً متبايناً بحيث لا يعلم العاقل أن جميع نسخ التوراة الموجودة متفقة على لفظ

---

(١) سقطت من ك، أ (أنك).

(٢) فرقة من الفرق اليهودية.

واحـد، ولا يعلم أن جميـع[1] نسـخ الإنجيـل متفقـة على لفظ واحـد، ولا يعلم أن جميع[1] نسخ الزبور متفقة على لفظ واحد، فضلاً عن سائر النبوات.

ومعلوم أنه لا يمكن أهل الكتاب إقامة حجة على أن جميع النسخ بجميع اللغات في زوايـا الأرض متفقة على لفظ واحـد في جميع مـا هو موجود من جميع النبوات. والحجـة التي احتجوا بهـا على تعذر تغييـرها كلها تدل على تعذر العلم بتساويها كلها.

فإذا قالوا: فمن هو[2] الذي تكلم باثنين وسبعين لسـاناً، ومن هـو الذي حكم على الدنيا كلها ملوكهـا وقساوستهـا[3] وعلمائهـا حتى حكم على جميـع من بـأقـطار الأرض وجمعهـا من أربـع زوايـا الأرض (حتى يغيرها؟

قيل لهم: ومن الذي يعلم اثنين وسبعين لغة؟ ومن هو الذي حكم على الدنيا ملوكها وقساوستها وعلمائها حتى حكم على جميع من بـأقطار الأرض وجمعها من أربع زوايا الأرض)[4] وأحضر كل نسخة موجودة في جميع الأرض، وقابل كل نسخة (موجـودة في جميع الأرض)[5] بجميـع النسـخ فوجـد جميع ألفـاظ جميع النسـخ التي باثنين وسبعين لسـاناً من جميع أقطار الأرض لفظاً متفقاً، لم يختلف ألفاظها؟

فإن دعوى العلم بهذا ممتنع أعظم من امتناع دعوى تغييرها، فإنـه

---

(١) سقطت من ك، أ (جميع).
(٢) سقطت من أ (هو).
(٣) في س (قساقسها)، في أ، ك (قساقستها).
(٤) سقط من ك ما بين القوسين.
(٥) ما بين القوسين ساقط من س، أ، ك

إن أمكن أحداً أن يجمع جميع النسخ كانت قدرته على تغيير بعض ألفاظها كلها أيسر عليه من مقابلة كل ما في نسخة بجميع ما في سائر النسخ.

فإنّا إذا أحضرنا بكتاب من الكتب عشر[1] نسخ كان تغيير بعض ألفاظ العشرة أيسر علينا من مقابلة كل واحد من العشرة بالتسعة الباقية إذ المقابلة يحتاج فيها إلى معرفة جميع ألفاظ كل نسخة ومساواتها للأخرى.

وأما التغيير فيكفي[2] فيه أن يغير من كل نسخة ما يغيره من الأخرى فإن كان تغيير جميع النسخ ممتنعاً في العادة فالعلم باتفاقها أشد امتناعاً، وإن كان العلم باتفاقها ممكناً، فإمكان تغيير بعض ألفاظها أيسر وأيسر.

وأما قولهم إن قيل: إنه غير بعضها وترك بعضها، فهذا لا يمكن أن يكون لأنها[3] كلها قول واحد، ولفظ واحد في جميع الألسن.

فيقال: أما إمكان هذا فظاهر لا ينازع فيه عاقل، وهو واقع فإنّا قد رأينا التوراة التي عند السامرة[4]، تخالف توراة اليهود والنصارى، (حتى في العشر الكلمات.

فذكر السامرة فيها من أمر استقبال الطور ما لا يوجد في نسخ اليهود والنصارى)[5]، وكذلك بين نسخ اليهود والنصارى اختلاف

---

(١) اتفقت جميع النسخ على (عشرة نسخ) والأظهر (عشر نسخ).

(٢) في س، أ، ك (فيكتفي).

(٣) في س، أ، ك (لأن).

(٤) في س، أ، ك (السمرة).

(٥) ما بين القوسين ساقط من أ.

معروف، ونسخ الإنجيل مختلفة، ونسخ الزبور مختلفة اختلافاً أكثر من ذلك، وبكل حال فلا يقدر عاقل أن يقول: يمتنع تغيير بعض النسخ.

ولكن إذا قالوا لم يغير شيء منها، لأن جميعها قول واحد، ولفظ واحد في جميع الألسن، كانت هذه الدعوى باطلة من وجهين:

أحدهما: أن دعوى العلم بتساوي جميع النسخ أبلغ من دعوى إمكان تغييرها، فإن كان التغيير ممتنعاً على جميعها كان علم الواحد بما في جميعها ــ وأنها متماثلة[1] الألفاظ مع اختلاف الألسن ــ أولى بالامتناع.

الثاني: أن هذا دعوى خلاف الواقع، فإن الاختلاف في نسخ التوراة والإنجيل والزبور، موجود قد رأيناه نحن بأعيننا، ورآه غيرنا، فرأيت عدة نسخ بالزبور يخالف بعضها بعضاً اختلافاً كثيراً، ورأينا بعض ألفاظ التوراة التي ينقلها هذه الطائفة، وهي مكتوبة عندهم يدعون أنها هي التوراة الصحيحة المنقولة عندهم بالتواتر تخالف بعض ألفاظ توراة الطائفة الأخرى، وكذلك الإنجيل[2].

وبالجملة قولهم: هذا لا يمكن أن يكون، لأنها[3] كلها قول واحد ولفظ واحد في جميع الألسن، تضمن شيئين:

تضمن دعوى كاذبة، وحجة باطلة، فإن قولهم: (هذا لا يمكن) مكابرة ظاهرة، فإن إمكان تغيير بعض النسخ مما لا ينازع عاقل في إمكانه، لكن قد يقول القائل: إذا غير بعض النسخ وأظهر ذلك، شاع

---

(١) في ط، ك (مماثلة).

(٢) في س، أ (بالإنجيل).

(٣) في س، أ، ك (لأن).

ذلك فرأى سائر أهل النسخ تلك النسخة مغايرة لنسخهم[1] فأنكروه، فإن الهمم والدواعي متوفرة على إنكار ذلك، كما يوجد اليوم مثل ذلك لو أراد رجل أن يغير كتاباً مشهوراً عند الناس، به نسخ متعددة، فإذا غيره فوصلت تلك النسخة إلى من يعرف ما في تلك النسخ أنكروا ذلك.

فيقال: هذا يمكن إذا كانت تلك[2] النسخة المغيرة وصلت إلى طائفة يمتنع عليهم مواطأتهم على الكذب، (فإنه كما يمتنع في الأخبار المتواترة)[3] التواطؤ على الكذب، فيمتنع التواطؤ على كتمان ما يتعذر كتمانه في العادة.

ومعلوم أنه لا يمتنع على الجماعة القليلة التواطؤ على تغيير بعض النسخ، والنسخ إنما هي موجودة عند علماء أهل الكتاب وليس عامتهم يحفظ ألفاظها كما يحفظ عوام المسلمين ألفاظ القرآن، فإذا قصد طائفة منهم تغيير نسخة أو نسخ عندهم أمكن ذلك، ثم إذا تواطأت[4] طائفة أخرى على أن لا يذكروا ذلك أمكن ذلك، ولكن إذا كانت الطوائف ممن لا يمكن تواطؤها على الكذب أو الكتمان امتنع ذلك فيهم.

وقد رأينا عند أهل الكتاب كتباً يدعون أنها عندهم من النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بخط علي بن أبي طالب[5]، فيها أمور تتعلق بأغراضهم، وقد التبس أمرها على كثير من المسلمين، وعظموا ما فيها وأعطوا أهل الكتاب ما كتب لهم فيها معتقدين أنهم ممتثلين ما فيها،

---

(١) في ط (بنسخهم).
(٢) سقطت من س، أ، ك (تلك).
(٣) ما بين القوسين مكرر في أ، س.
(٤) في س، أ، ك (تواطئوا).
(٥) سبقت ترجمته.

فلما وصلت إلى من وصلت إليه من علماء المسلمين بينوا كذبها بطرق معلومة بالتواتر مثل ذكرهم فيها: شهد بما فيها كعب بن مالك الحبر على النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، يعنون كعب الأحبار.

وكعب الأحبار إنما أسلم على عهد عمر بن الخطاب[1] لم يدرك النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، واسمه كعب بن ماتع، ولكن في الأنصار كعب بن مالك الشاعر[2] الذي أنزل الله توبته في سورة براءة، فظن هؤلاء الجهال أن هذا هو ذاك.

ومثل ذكرهم شهادة سعد بن معاذ[3] الذي اهتز لموته عرش الرحمن، ذكروا شهادته عام خيبر[4]، وقد اتفق أهل العلم أنه مات

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) هو: كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعيد بن أسد بن سارة بن زيد بن جشم بن الخزرج الأنصاري السلمي الشاعر، شهد العقبة وشهد أحد، وهو أحد الثلاثة المتخلفين في تبوك ثم تاب الله عليهم، قيل أنه مات في زمن معاوية سنة ٥٠ أو سنة ٥٣، وهو ابن سبع وسبعين سنة.

انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٣٠٢/٣؛ والاستيعاب بهامشه ٢٨٦/٣.

(٣) هو: سعد بن معاذ بن نعمان بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأوسي الأنصاري، صحابي جليل سيد الأوس وحامل لوائهم يوم بدر، شهد أحد والخندق ورمى بسهم ومات ودفن بالبقيع ــ رحمه الله ــ .

انظر: الإصابة ٣٧/٢؛ والطبقات الكبرى لابن سعد: ٤٢٠/٣.

(٤) خيبر: بلد بين المدينة ومكة معروفة الآن وبها الواقعة المشهورة والمعروفة بغزوة خيبر ــ سنة سبع من الهجرة، وتفاصيل هذه الغزوة معروفة في كتب المغازي والسير.

انظر: البداية والنهاية ١٨١/٤.

عقب غزوة الخندق(1) قبل غزوة خيبر بمدة، وأمثال ذلك.

وأما حجتهم الداحضة فقولهم(2): أن جميع كتب النبوات(3) التي في العالم من التوراة والإنجيل والزبور والنبوات موجودة باثنين وسبعين لساناً بلفظ واحد وقول واحد، فهل يقول عاقل من العقلاء أنه علم ذلك؟ وأنه علم أن كل نسخة من النبوات الأربعة وعشرين بأحد الألسنة الاثنين وسبعين موافقة لكل نسخة في سائر الألسنة، ولو ادعى مدعٍ أن كل نسخة من التوراة في العالم باللسان العربي، (أو كل نسخة من الإنجيل في العالم باللسان العربي)(4) أو كل نسخة في العالم من الزبور باللسان العربي موافقة لجميع النسخ العربية الموجودة في زوايا العالم لكان قد(5) ادعى ما لا يعلمه ولا يمكنه علمه، فمن أين له ذلك؟

وهل(6) رأى كل نسخة عربية بهذه الكتب، أو أخبره من يعلم صدقه أن جميع النسخ العربية الموجودة في العالم موافقة لهذه النسخة؟

وكذلك إذا ادعى ذلك في اللسان اليوناني، والسرياني، والرومي،

---

(1) غزوة الخندق: وقد أنزل الله تعالى فيها صدر سورة الأحزاب ـ قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم...﴾ الآية. وكانت غزوة الخندق أو الأحزاب، في شوال سنة خمس من الهجرة، وسميت (بالخندق) الذي أشار بحفره حول المدينة ـ سلمان الفارسي وهو أخدود عميق مستطيل يحفر في ميدان القتال ليتقى به الجنود ـ وحفر الخندق لم يكن من عادة العرب، ولكن من مكايد الفرس وحروبها ـ وهذه الغزوة معروفة في كتب السير والمغازي.

انظر: البداية والنهاية ٩٣/٤.

(2) في ط (بقولهم).

(3) في ط (التوراة).

(4) ما بين القوسين ساقط من أ.

(5) سقطت من أ (قد).

(6) سقطت من أ (هل).

والعبراني، والهندي، فإن كان في العالم بكل كتاب من هذه اثنان وسبعون لساناً فدعوى[1] اتفاق نسخ كل لسان من جنس دعوى اتفاق النسخ العربية، فكيف إذا ادعى اتفاق النسخ بجميع الألسنة؟

وهب أنه يمكن أن يقال ذلك في نسخ لسان نقلها[2] أهله، والناطقون به، فكيف يمكن دعواه في لسان كثر الناطقون به وانتشر أهله؟

وليس هذا كدعوى اتفاق مصاحف المسلمين بالقرآن، فإن القرآن لا يتوقف نقله على المصاحف، بل القرآن محفوظ في قلوب ألوف مؤلفة من المسلمين، لا يحصى عددهم إلاَّ الله ـ عز وجل ـ، فلو عدم كل مصحف في العالم لم يقدح ذلك في نقل لفظ من ألفاظ القرآن، بخلاف الكتب المتقدمة فإنه قل أن نجد من أهل الكتاب أحداً يحفظ كتاباً من هذه الكتب، فقل أن يوجد من اليهود من يحفظ التوراة.

وأما النصارى فلا يوجد فيهم[3] من يحفظ التوراة والإنجيل والزبور والنبوات كلها فضلاً عن أن يحفظها باثنين وسبعين لساناً، (وإن وجد ذلك فهو قليل لا يمتنع عليهم لا الكذب ولا الغلط)[4].

فتبين أن ما ذكروه من انتشار كتبهم بالألسنة المختلفة هو من أقوى الأمور في عدم العلم بتماثل ما فيها من الألفاظ، وأن القرآن إذا كان منقولاً بلغة واحدة، وذلك اللسان يحفظه خلق كثير من المسلمين فكان ذلك مما يبين أن القرآن لا يمكن أحداً أن يغير شيئاً من ألفاظه، وإن

---

(١) في ط (يدعون)، وفي ك (يدعو)، وفي س (فادعوا).

(٢) في س، أ، ك (نقل).

(٣) في س (منهم).

(٤) ما بين القوسين ساقط من ك.

أمكن تغيير بعض ألفاظ التوراة والإنجيل، عند كثير من أهل الكتاب.

والمسلمون لا يدَّعون أنه غيَّر جميع ألفاظ جميع النسخ بعد مبعث النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كما ظنه بهم هؤلاء الجهال، بل إنما ادعوا ما يسوغه العقل[1]، بل ويظهر دليل صدقه، ولكن هؤلاء الجهال[2] ادعوا العلم، بأن جميع النسخ بجميع الألسنة بجميع الكتب بلفظ واحد، فادعوا ما لا يمكن أحداً علمه، وادعوا ما يعلم بطلانه.

• • •

(١) سقطت من ك (العقل).

(٢) في ط (جهال).

فصل

ثبوت الاختلاف والتغيير في نُسخ أهل الكتاب

وقد ظهر الجواب عن قولهم فمن هو الذي تكلم باثنين وسبعين لساناً، أو من هو الذي حكم على الدنيا جميعها ملوكها وقساوستها وعلمائها حتى حكم على الدنيا[1] جميعها من أربع زوايا العالم حتى غيرها، وإن كان مما أمكنه جمعها كلها أو بعضها[2].

فهذا ما لا يمكن، إذ جميعها قول واحد ونص واحد[3] واعتقاد واحد. اهـ.

وقد ظهر الجواب عن ذلك من وجوه:

أحدها: أنا لم ندع تغييرها بعد أن صارت بهذه الألسن، وانتشرت بها النسخ، بل لا ندعي التغيير بعد انتشار النسخ فيما ليس من كتب الأنبياء[4]، مثل كتب النحو والطب والحساب والأحاديث والسنن المنقولة عن الأنبياء مما نقل في الأصل نقل آحاد، ثم صارت النسخ به كثيرة منتشرة، فإن أحداً لا يدعي أنه بعد انتشار النسخ بكتاب في مشارق الأرض ومغاربها حكم إنسان على جميع[5] المعمورة، وجمع النسخ

---

(١) سقطت من س، أ، ك (الدنيا).

(٢) في س، أ، ك (ولكن بعضها).

(٣) سقطت من ط (واحد).

(٤) يقصد الشيخ ـ رحمه الله ـ بكتب الأنبياء: الكتب التي نزلت على الأنبياء مثل: توراة موسى، وزبور داود، وإنجيل عيسى، والقرآن الذي أنزل على محمد ـ صلّى الله عليهم جميعاً وسلّم ـ.

(٥) سقطت من أ (جميع).

التي بها وغيّرها[١].

ولا ادعى أحد مثل ذلك في التوراة والإنجيل، وإنما ادعى ذلك فيها، لما كانت النسخ قليلة: إما نسخة، وإما اثنتين، وإما أربع[٢] ونحو ذلك.

أو ادعى تغيير بعض ألفاظ النسخ، فإن بعض النسخ يمكن تغييرها.

ونسخ التوراة والإنجيل والزبور موجودة اليوم وفي بعضها اختلاف، لكنه اختلاف قليل والغالب عليها الاتفاق.

وذلك يظهر **بالوجه الثاني**: أن قولهم: إن جميعها قول واحد، ونص واحد، واعتقاد واحد، ليس كما قالوه، بل نسخ التوراة مختلفة في مواضع.

وبين توراة اليهود[٣] والنصارى والسامرة اختلاف، وبين نسخ الزبور اختلاف أكثر من ذلك، وكذلك بين الأناجيل، فكيف بنسخ النبوات؟

وقد رأيت أنا من نسخ الزبور ما فيه تصريح بنبوة محمد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ باسمه، ورأيت نسخة أخرى بالزبور فلم أر

---

(١) (التي) ساقطة من ط. و(بها) كتبت في ط (به).

(٢) (أربعة) هكذا في سائر النسخ، ولعل الصواب (أربع).

(٣) **توراة اليهود**: يقصد بها الشيخ ـ رحمه الله ـ النسخة العبرية، ويعني بنسخة النصارى: التوراة الكاثوليكية، والتوراة البروتستانتية، وهذه جميعها مختلفة اختلافاً بيناً، ويكفي أن نعرف أن نسختي النصارى مختلفتان في عدد الأسفار حيث تزيد النسخة الكاثوليكية على النسخة البروتستانتية بسبعة أسفار.
انظر: دراسة الكتاب المقدس، لموريس بوكاي ص ٢٥.

ذلك فيها، وحينئذ فلا يمتنع أن يكون في بعض النسخ من صفات النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ما ليس في أخرى.

الوجه الثالث: أن التبديل في التفسير أمر لا ريب فيه، وبه يحصل المقصود في هذا المقام، فإنا نعلم قطعاً أن ذكر محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ مكتوب[1] فيما كان موجوداً في زمنه من التوراة والإنجيل، كما قال ــ تعالى ــ:

﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾[2].

ولا ريب أن نسخ التوراة والإنجيل على عهده كانت كثيرة منتشرة في مشارق الأرض ومغاربها، فلا بد من أحد الأمرين:

* إما أن يكون غُيِّر اللفظُ من بعض النسخ، وانتشرت النسخ المُغَيَّرة.

* وإما أن يكون ذكره في جميع النسخ، كما استخرجه كثير من العلماء ممن كان من أحبار اليهود والنصارى، وممن لم يكن من أحبارهم، استخرجوا ذكره والبشارة به في مواضع كثيرة متعددة من التوراة والإنجيل ونبوات الأنبياء، كما هو مبسوط في موضع آخر[3].

ومَن قال: إن ذكره موجود فيها أكثر من هذا وأصرح في بعض النسخ، لا يمكن هؤلاء دفعه بأن يقولوا: قد اطلعنا على كل نسخة في

---

(١) (مكتوب) ساقطة من ط.

(٢) سورة الأعراف: من الآية ١٥٧.

(٣) يشير إلى آخر كتابه هذا ــ الجزء الأخير من الجواب الصحيح ــ حيث فيه فصول للبحث في البشارة بالنبي محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في التوراة والإنجيل.

العالم[1] بالتوراة والإنجيل في مشارق الأرض ومغاربها، فوجدناها على لفظ واحد، فإن هذا لا يقوله إلَّا كذاب، فإنه لا يمكن بشراً أن يطلع على كل نسخة في مشارق الأرض ومغاربها، كما لا يمكنه أن يغيِّر كل نسخة في مشارق الأرض ومغاربها، فلو لم يعلم اختلاف النسخ لم يمكنه الجزم باتفاقها في اللفظ، فكيف وقد ذكر الناس المطلعون عليها من اختلاف لفظها ما تبين[2] به كذب من ادعى اتفاق لفظها؟ (وكيف يمكن اتفاق لفظها وهي بلغات مختلفة)[3].

• • •

(١) سقطت من س، أ، ك (العالم).

(٢) في ط، أ، ك (يبين).

(٣) ما بين القوسين ساقط من س، ط.

فصل

ردّ دعوى النّصارى في أنّ القرآن أقرّهم على ما هم عليه

قالوا: ثم وجدنا في هذا الكتاب، ما هو أعظم من هذا برهاناً، مثل[1]: قوله في سورة الشورى:

﴿ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾[2].

وأما لغير أهل الكتاب فيقول[3]:

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ . . . ﴾[4] (السورة كلها).

والجواب:

أما قوله:

﴿ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ﴾.

فهذه الآية مذكورة بعد قوله ـ تعالى ـ:

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا

---

(١) سقطت من أ، ك، ط (مثل).

(٢) سورة الشورى: من الآية ١٥.

(٣) في س، أ، ك (يقول).

(٤) سورة الكافرون: الآيات ١ ـ ٣.

بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ﴾[1].

فقد أخبرنا أنه شرع لنا من الدين ما وصى به نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين، ولا تتفرقوا فيه. كما قال ــ تعالى ــ في الآية الأخرى:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[2].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[3].

---

(١) سورة الشورى: الآيات ١٣ ــ ١٥.
في س، أ، ك (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب) بدلاً من (وما تفرقوا).

(٢) سورة الروم: الآيات ٣٠ ــ ٣٢.

(٣) سورة المؤمنون: الآيات ٥١ ــ ٥٣.

ثم أخبر عن تفرق الذين أوتوا الكتاب كتفرق اليهود والنصارى، وتفرق فرق اليهود[1]، وفرق النصارى كالنسطورية[2] واليعقوبية[3] والملكية[4].

ثم قال:

﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ـ أولئك المفترقين ـ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾[5].

وهكذا توجد عامة اليهود والنصارى في شك من ذلك مريب.

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾[6].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[7].

---

(١) افترق اليهود إلى خمس فرق هي السامرية، الصدوقية، العنانية، الربانية، العيسوية. انظر: الفصل لابن حزم ١/٩٨.

(٢) **النسطورية**: سبق التعريف بهم. (٣) **اليعقوبية**: سبق التعريف بها.

(٤) **الملكية**: سبق التعريف بها.

(٥) سورة الشورى: من الآية ١٤.

(٦) سورة هود: الآية ١١٠.

(٧) سورة النساء: الآيتان ١٥٧، ١٥٨.
في س (لفي شك منه مريب) بزيادة (مريب) وهو خطأ.

ثم[1] قال ـ تعالى ـ :

﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ ﴾[2] .

إلى الدين الذي شرعه لنا:

﴿ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ ﴾[2] .

وهذا[3] يتناول أهواء أهل الكتاب، كما يتناول أهواء المشركين، وقد صرح بذلك في قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[4] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[5] .

كما صرح بنهيه عن اتباع أهواء المشركين في قوله ـ تعالى ـ[6] :

---

(1) سقطت من س (ثم).

(2) سقط من س، أ، ك (واستقم كما أُمرت).

(3) في س، أ، ك (هذا) بدون واو.

(4) سورة البقرة: الآية ١٢٠.

(5) سورة البقرة: الآية ١٤٥.

(6) سقطت من س، أ، (تعالى).

﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأٓخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[1].

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍۖ ﴾[2].

حق، فإن الله أمره وجميع الخلق أن يؤمنوا بجميع ما أنـزل[3] الله وكذلك قوله:

﴿ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُۖ ﴾[4].

فإن الله أمره أن يعدل بين جميع الخلق، وقوله:

﴿ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْۖ ﴾[5].

هذه براءة منه لمن يخاطب بذلك من المشركين، وأهل الكتـاب، كقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[6].

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٥٠.

(٢) سورة الشورى: من الآية ١٥.

(٣) في جميع النسخ: ما أنزله الله.
وفي أ (ما أنزله الله إليه). بزيادة (إليه).

(٤) سورة الشورى: من الآية ١٥.

(٥) سورة الشورى: من الآية ١٥.

(٦) سورة يونس: الآية ٤١.

ومثله قوله ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴾[1].

وكذلك قوله:

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾[2].

فإن هذه الكلمة كقوله:

﴿ لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[3].

وهي[4] كلمة توجب براءته من عملهم وبراءتهم من عمله، فإن حرف «اللام» في لغة العرب يدل على الاختصاص، فقوله:

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾[5].

يدلّ[6] على أنكم مختصون بدينكم، لا أشرككم فيه، وأنا مختص بديني، لا تشركوني فيه كما قال:

﴿ لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[7].

---

(١) سورة البقرة: من الآية ١٣٩.

(٢) سورة الكافرون كلها.

(٣) سورة يونس: من الآية ٤١.

(٤) في ط، س، ك (هي) بدون واو.

(٥) سورة الكافرون: الآية ٦.

(٦) في س، أ، (يوجب) بدلاً من (يدل).

(٧) سورة يونس: الآية ٤١. في ط سقطت كلمة (عملكم) من الآية.

ولهذا قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: هي براءة من الشرك[1]، وليس في هذه الآية أنه رضي بدين المشركين، ولا[2] أهل الكتاب كما يظنه بعض الملحدين، ولا أنه نهى عن جهادهم كما ظنه[3] بعض الغالطين، وجعلوها منسوخة، بل فيها براءته من دينهم وبراءتهم من دينه، وأنه لا تضره أعمالهم، ولا يجزون بعمله ولا ينفعهم.

وهذا أمر محكم لا يقبل النسخ ولم يرض الرسول بدين المشركين، ولا أهل الكتاب طرفة عين قط، ومن زعم أنه رضي بدين الكفار، واحتج بقوله ـ تعالى ـ:

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾[4].

(فظن[5] هذا الملحد أن قوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾[6]، معناه

---

(١) وردت هذه الجملة: (هي براءة من الشرك) من حديث:
أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥/٤٥٦ عن فروة بن نوفل عن أبيه بلفظ: (فإنها براءة من الشرك).
وأخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب الأدب ٤٠/٣١٣، حديث رقم (٥٠٥٥) عن فروة بن نوفل عن أبيه باللفظ السابق.
وكذلك أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات ـ ج ٥ ـ باب ٢٢، حديث رقم (٣٤٦٣) بنفس لفظ المسند وسنن أبي داود.

(٢) في س، أ، سقطت (لا).

(٣) في أ (يظنه).

(٤) سورة الكافرون كلها.

(٥) في أ (فقال).

(٦) ما بين القوسين ساقط من ك.

أنه رضي بدين الكفار، ثم قال: هـذه الآية منسوخة، فيكـون قد رضي بـدين الكفار، وهـذا من أبين الكذب والافتـراء على محمد ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ ، فإنـه لم يرض قط إلاَّ بـدين الله الذي أرسـل به رسله، وأنزل به كتبه، ما رضي قط بدين الكفار، لا من المشركين، ولا من أهل الكتاب.

وقوله: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ لا يدل على رضاه[1] بدينهم، بل ولا على إقرارهم عليه، بل يدل على براءته من دينهم، ولهذا قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : (إن هذه السورة براءة من الشرك).

ونظير هذه الآية قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[2].

وكذلك قوله ـ تعالى ـ[3] :

﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ﴾[4].

وقـد يـظن بعض النـاس ـ أيضاً ـ أن قـولـه: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ . . . ﴾ الآية: أني لا آمر بالقتال، ولا أنهي عنه، ولا أتعرض له بنفي

---

(١) في ط (رضاه).

(٢) سورة يونس: الآية ٤١.

في ط (إن كذبوك) الواو محذوفة من أول الآية.

(٣) سقطت من أ، س (تعالى).

(٤) سورة الشورى: الآية ١٥.

ولا إثبات[1]، وإنما فيها أن دينكم لكم أنتم مختصون به، وأنا بريء منه، وديني لي وأنا مختص به، وأنتم برآء منه.

وهذا أمر محكم لا يمكن نسخه بحال، كما قال ـ تعالى ـ[2] عن الخليل:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾[3].

وقد قال ـ تعالى ـ:

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾[4].

وهو ما طار عنه من خير وشر، وقد[5] قال ـ تعالى ـ:

﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[6].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾[7].

---

(١) في أ، س (ولا معرض له ولا نفي ولا إثبات).

(٢) سقطت من أ، س (تعالى).

(٣) سورة الزخرف: الآيتان ٢٦، ٢٧.
في جميع النسخ عدا ط (إذ قال إبراهيم) بسقوط الواو من أول الآية.

(٤) سورة الإسراء: من الآية ١٣.

(٥) سقطت من جميع النسخ عدا ط (قد).

(٦) سورة الأنعام: من الآية ١٦٤.

(٧) سورة البقرة: من الآية ٢٨٦.
في س، أ تبدأ الآية من أولها (لا يكلف الله نفساً إلَّا وسعها...).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾[1] .

بل[2] قال ـ تعالى ـ لنبيِّه :

﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[3] .

فإذا كان قد برَّأه الله من معصية من عصاه من أتباعه المؤمنين، فكيف لا يبرئه من كفر الكافرين الذين هم أشد له معصية ومخالفة؟!

● ● ●

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٧.

(٢) في أ، ك، س (بل قد قال).

(٣) سورة الشعراء: الآيتان ٢١٥، ٢١٦.
في أ، س (وإن عصوك) وهو خطأ.

فصل

إلزام اليهود والنصارى بدين الإسلام

وأما قوله ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾[1].

فهو[2] أمر بالقول لجميع الكافرين من المشركين وأهل الكتاب، فإن أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بما أنزل إليه من ربه كافرون، قد شهد عليهم بالكفر، وأمر بجهادهم وكفر من لم يجعلهم كافرين، ويوجب جهادهم، قال ـ تعالى ـ :

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ[5]:

---

(١) سورة الكافرون كلها.

(٢) في أ (فهذا).

(٣) سورة البينة: الآية ١.

(٤) سورة المائدة: من الآية ٧٢، والآية ٧٣.

(٥) (وقال تعالى) ساقطة من ط.

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ﴾[1] .

وقال ــ تعالى ــ[2] :

﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾[3] .

وحرف (من) في هذه[4] المواضع لبيان الجنس، فتبين جنس المتقدم، وإن كان ما قبلها يدخل في جميع الجنس الذي بعدها، بخلاف ما إذا كان للتبعيض، كقوله[5] :

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[6] .

فإنه يدخل في الذين كفروا بعد مبعث النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ جميع المشركين، وأهل الكتاب.

وكذلك[7] دخل في الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق[8] جميع أهل الكتاب الذين بلغتهم دعوته، ولم يؤمنوا به، وكذلك قوله:

---

(١) سورة المائدة: من الآية ٧٣.
(٢) في أ، ك، س سقطت كلمة (تعالى).
(٣) سورة التوبة: من الآية ٢٩.
(٤) في س، أ (في مثل هذه) بزيادة (مثل).
(٥) في س (لقوله).
(٦) سورة البينة: من الآية ١.
(٧) في س، أ (ولذلك).
(٨) في س زيادة عبارة (من الذين أوتوا الكتاب) بين كلمتي (الحق)، و(جميع).

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[1].

وإن كان جميعهم آمنوا وعملوا الصالحات، وهذا إذا كان الجنس يتناول المذكورين وغيرهم، و[2] لكن لم يبق في الجنس إلاَّ المذكورون[3]، كما يقول: هنا رجل من بني عبد المطلب، وإن لم يكن بقي منهم غيره.

ووصفهم[4] بالشرك، وبأنهم يعبدون غير الله، كما قال ــ تعالى ــ:

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[5].

فأخبر أنهم اتخذوا من دون الله أرباباً، واتخذوا المسيح رباً، وما أمروا إلَّا ليعبدوا إلٰهاً واحداً، وهؤلاء باتخاذهم غيره أرباباً عبدوهم فأشركوا بالله ــ سبحانه وتعالى عما يشركون ــ.

وقال ــ تعالى ــ:

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ

---

(١) سورة النور: من الآية ٥٥.
في س سقطت كلمة (منكم). في س، أ، ك زيادة كلمة (منهم) بعد (الصالحات) وهو خطأ.

(٢) في س، أ، ك سقطت (الواو).

(٣) في ك، س (المذكورين على النصب).

(٤) في ط (وصفهم) بسقوط (و).

(٥) سورة التوبة: الآية ٣١.
في ط زاد كلمة (تعالى) بعد (سبحانه)، وهذا خطأ.

كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1].

فقد أخبر ــ أيضاً ــ أنه[2] من اتخذ الملائكة والنبيين أرباباً فإنه[3] كافر.

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[4].

(فقد وبَّخ أهل التثليث[5] على أنهم يعبدون ما لا يملك لهم ضراً ولا نفعاً، والله هو السميع العليم)[6]، فدخلوا في قوله:

---

(١) سورة آل عمران: الآيتان ٧٩، ٨٠.

(٢) في س، أ (أن) بدلاً من (أنه).

(٣) في س، أ (أنه) بدلاً من (فإنه). وفي ك (فهو) بدلاً من (فإنه).

(٤) سورة المائدة: الآيات ٧٣ ــ ٧٦.

(٥) يعني بأهل التثليث النصارى الذين يقولون إنه (تعالى) جوهر واحد مثلث الأقانيم، فالآب أقنوم، والابن أقنوم، والروح القدس أقنوم، ولكن جوهر الثلاثة واحد.

(٦) ما بين القوسين ساقط من أ، ك.

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾[١].

كما دخل في ذلك غيرهم من الكفار، لا سيما وقد دخل في ذلك اليهود، وهم أولى بالدخول من غيرهم، فإن قوله: (ما تعبدون) يتناول صفات المعبود، والإلٰه الذي يعبده المؤمنون هو الإلٰه الذي أنزل التوراة والأنجيل والقرآن، وأرسل موسى وعيسى ومحمداً ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ.

والإلٰه المتصف بهذه الصفات لا يعبده[٢] اليهود والنصارى، وهذا كقوله:

﴿ قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[٣].

فهذا الإلٰه الذي يعبده محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وأمته، وليس[٤] هو إلٰه المشركين الذي يعبدونه، وإن كان هو المستحق لأن يعبدوه، فإنهم يشركون بعبادته ويصفونه بما هو بريء منه فلا يخلصون له الدين، فيعبدوا معه آلهة أخرى، إن لم يستكبروا عن عبادته، وإلٰه العبد الذي يعبده بالفعل ليس حاله معه كحاله مع الذي يستحق أن يعبده، وهو لا يعبده، بل يشرك به أو يستكبر عن عبادته، فهذا هو الذي قال[٥] فيه: ﴿ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾.

والشرك غالب على النصارى، والكبر غالب على اليهود.

• • •

(١) سورة الكافرون: الآيات ١ ـ ٣.
(٢) في أ (تعبده).
(٣) سورة البقرة: من الآية ١٣٣.
(٤) في ط (ليس) بسقوط (و).
(٥) سقطت من ط (قال).

فصل

وجوب محاجة الظالمين من مشركين وأهل كتاب

وأما قوله[1]: ﴿ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ . . . ﴾[2].

الآية، فهذا ليس خطاباً للنصارى خصوصاً، بل هو خطاب للجميع، وهؤلاء النصارى ظنوا أن معنى هذا لا تحاجوا أهل الكتاب، كما ظنوا في قوله ـ تعالى ـ[3]:

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴾[4]

أن معناه: لا[5] تجادلوا أهل الكتاب ـ أي[6] النصارى ـ إلَّا بالتي هي أحسن إلَّا الذين ظلموا، أي: اليهود. اهـ .

وهذا تحريف كلم[7] الله عن مواضعه، وهو شبيه[8] بتحريفهم لما عندهم من التوراة والإنجيل والزبور، وسائر النبوات، فإنهم أعظم تسلطاً على تحريف معانيها منهم على تحريف معاني

---

(١) في س، أ قوله (تعالى).
(٢) سورة الشورى: من الآية ١٥.
(٣) سقطت من ك، س، أ (تعالى).
(٤) سورة العنكبوت: من الآية ٤٦.
سقطت من أ (منهم).
(٥) في س، أ زاد واو، فأصبحت (ولا).
(٦) (أي) ساقطة من ط، ك.
(٧) في أ (كلام).
(٨) في ط، ك (تشبيه) بدلاً من (شبيه). وفي أ (يشبه).

القرآن، إذ كان القرآن له أمة تحفظه، وتعرف معانيه، وتذب عنه من يحرف لفظه أو معناه.

وأما تلك الكتب فليس لها من يذب عن لفظها ومعناها، فلهذا عظم تحريفهم لها، وكان أعظم من تحريفهم للقرآن.

ومما يبين أن هذا[1] الخطاب ليس مختصاً بالنصارى أن هذه السورة مكية، والسور[2] المكية كانت تتناول من لا يقرأ[3] الكتاب، لا تختص بأهل الكتاب، بل كانت تعم الأمم أو تختص بالمشركين.

والسور[4] المدنية خطابها تارة لأهل[5] الكتاب، وتارة تختص بالمؤمنين وتارة تعم، وقد قال ـ تعالى ـ :

﴿... كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾[6].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾[7].

---

(1) في س، أ سقطت كلمة (هذا).

(2) في ط، أ (والسورة) بزيادة (ة).

(3) في أ، س (من لا يقرّ بالكتاب).

(4) في أ (السورة).

(5) في أ، س (تخص أهل).

(6) سورة الشورى: من الآية ١٣.

(7) سورة الشورى: الآية ١٤.

فالخطاب إما أن يعم المشركين، وأهل الكتاب، أو يخص المشركين وأهل الكتاب: اليهود، والنصارى، وبكل تقدير فلا وجه لتخصيص النصارى به.

وأما قوله ـ تعالى ـ :

﴿ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ﴾.

فهو نظير قوله ـ تعالى ـ [1]:

﴿ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾[2].

وقوله:

﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ﴾[3].

فالحجَّة[4] اسم لما يحتج به من حق وباطل، كقوله:

﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾[5].

فإن الظالمين يحتجون عليكم بحجة باطلة، كقول المشركين لما حولت القبلة إلى الكعبة قد عاد إلى قبلتكم، فسوف يعود إلى ملتكم،

---

(١) سقطت من س، أ (تعالى).

(٢) سورة البقرة: الآية ١٣٩.

(٣) سورة آل عمران: من الآية ٢٠.

(٤) في س (والحجة).

(٥) سورة البقرة: من الآية ١٥٠.
في ط سقطت كلمة (للناس) من الآية. وهو خطأ.

فهذه حجة داحضة من الظالمين.

ومما يبين ذلك بعد قوله بعد ذلك:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾[1].

فسمَّاها حجة وجعلها داحضة، وهؤلاء الذين يحاجون في الله من بعد ما أستجيب له هم الكفار من المشركين، وأهل الكتاب.

فهم يحاجون المؤمنين ليردوهم عن دينهم، وقال عن النصارى:

﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[2].

فكان[3] الكفار يحاجون المؤمنين حتى يردوهم عن دينهم، كما يؤذونهم، فهؤلاء[4] حجتهم داحضة عند ربهم، وعليهم غضب، ولهم عذاب شديد.

ومحاجتهم للمؤمنين من باب الظلم لهم، والعدوان عليهم، وقول الباطل. فأمره ــ تعالى ــ أن يقول: ﴿ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ﴾.

أي ليس لكم أن تظلمونا، وتعتدوا[5] علينا بحجتكم الداحضة،

---

(١) سورة الشورى: الآية ١٦.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٦١.

(٣) في س (وكان).

(٤) في أ (وهؤلاء).

(٥) في س، ك (تعتدون). وهو خطأ.

وليس المراد بذلك أنا نحن لا نحاجكم، وندعوكم إلى الحق بالحجج الصحيحة.

فإنه ــ تعالى ــ قال:

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[1].

فأمره ــ تعالى ــ أن يجادل أهل دعوته مطلقاً من المشركين، وأهل الكتاب بالتي هي أحسن.

وقد قال ــ تعالى ــ:

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ ﴾[2].

فإن الظالم باغ معتد مستحق للعقوبة[3]، فيجوز أن يقابل بما يستحقه من العقوبة، لا يجب الاقتصار معه على التي هي أحسن، بخلاف من لم يظلم، فإنه لا يجادل إلَّا بالتي هي أحسن.

وأهل الكتاب اسم يتناول اليهود والنصارى، كما في نظائره في القرآن، كقوله ــ تعالى ــ:

﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ . . . ﴾[4] الآية، وقوله[5]:

---

(١) سورة النحل: من الآية ١٢٥.

(٢) سورة العنكبوت: من الآية ٤٦.

(٣) في أ سقطت كلمة (للعقوبة).

(٤) سورة المائدة: من الآية ٥.

(٥) سقطت من أ (وقوله).

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ ﴾[1].

وأمثال ذلك.

والظالم يكون ظالماً بترك ما تبين له من الحق واتباع ما تبين له أنه باطل، والكلام بلا علم فإذا ظهر له الحق فَعَنِدَ عنه[2] كان ظالماً.

وذلك مثل الألد في الخصام، قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾[3].

وقال:

﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ ﴾[4].

وقال:

﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾[5].

● ● ●

(١) سورة البينة: من الآية ١.
(٢) أي: عاند في الأخذ به.
(٣) سورة البقرة: الآية ٢٠٤.
(٤) سورة الأنفال: من الآية ٦.
(٥) سورة آل عمران: من الآية ٦٦.

فصل

الإسلام هو دين الأنبياء جميعاً

وقولهم: إنه لم يقل: كونوا له مسلمين، ولكن[1] (ونحن)، أي عنه وعن العرب التابعين له، ولما أتى به وجاء في كتابه.

فيقال[2] لهم: هذا ونظائره كلام من لم يفهم القرآن، بل ولا يفهم[3] كلام سائر الناس، فإنه إذا عرف من صاحب كتاب ـ يقول إنه منزل من الله، أو يقول أنه صنفه هو ـ أنّه يدعو قوماً بالأقوال الصريحة الكثيرة، والأعمال البينة الظاهرة، كان سكوته عن دعائهم في بعض الألفاظ لا ينافي دعاءهم له.

لكن إن كان حكيماً في كلامه كان للسكوت[4] عن دعائهم في بعض المواضع حكمة تناسب ذلك، وهذا كقوله ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴾[5].

---

(١) في س، أ سقطت الواو في (ولكن) و(نحن) يشيرون لقوله تعالى: ﴿ونحن له مسلمون﴾.

(٢) في ط (فقال) وهو خطأ، لأنه جواب لهم.

(٣) في ك سقطت الواو في (ولا يفهم).

(٤) في س (السكوت).

(٥) سورة البقرة: الآية ١٣٩.

في ط، ك سقطت الواو من (ولنا أعمالنا).

أفتراه لمَّا أمر أُمَّته أن يقولوا: ﴿ونحن له مخلصون﴾، لم يكن أهل الكتاب مأمورين بالإخلاص لله، وقد ذكر أمر أهل الكتاب بالإخلاص في غير موضع، كقوله ـ تعالى ـ :

﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾[1].

وكذلك دعاهم إلى الإسلام، وتوعدهم على التولي عنه في مثل:

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝١٩ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝١٣٠ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝١٣١ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٣٢ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ

---

(١) سورة البينة: الآيتان ٤، ٥.

(٢) سورة آل عمران: الآيات ١٨ ـ ٢٠.

لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[1].

فقد بيَّن ـ سبحانه ـ أنه لا يرغب عن ملة إبراهيم إلَّا من سفه نفسه، أي سفه نفساً، أي كانت نفسه سفيهة جاهلة، هذا أصح القولين في ذلك، وهو مذهب الكوفيين من النحاة، يجوِّزون أن يكون المنصوب على التمييز معرفة، كما يكون نكرة، ثم أخبر عنه أنه:

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾[2].

وذكر أن إبراهيم وصى بها بنيه، ويعقوب[3] وصى بها بنيه أيضاً[4]، كلاهما قال لبنيه:

﴿يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[5].

ثم ذكر أن يعقوب عند موته:

﴿قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[6].

فهؤلاء إبراهيم وإسماعيل وإسحاق[7] ويعقوب كلهم على

---

(١) سورة البقرة: الآيات ١٣٠ ـ ١٣٣. وفي ط (ولقد اصطفينا) بسقوط الهاء.

(٢) سورة البقرة: من الآية ١٣١.

(٣) يعقوب: هو إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم ـ عليه السلام ـ أبو الأسباط الاثني عشر.
انظر: البداية والنهاية ١/١٩٣؛ وقاموس الكتاب المقدس ص ١٠٧٣.

(٤) سقطت من أ (أيضاً).

(٥) سورة البقرة: من الآية ١٣٢.

(٦) سورة البقرة: من الآية ١٣٣.

(٧) سبقت ترجمته.

الإسلام، وهم يأمرون بالإسلام، ثم قال بعد ذلك:

﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1].

ثم قال:

﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[2].

ثم قال:

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[3].

فقد أخبر أنهم إن تولوا عن الإيمان بمثل ما آمنتم به المتضمن قولكم: ونحن له مسلمون فإنما هم في[4] شقاق، أي: مشاقون لله ورسوله، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾[5].

---

(1) سورة البقرة: من الآية ١٣٥.
(2) سورة البقرة: من الآية ١٣٦.
(3) سورة البقرة: الآية ١٣٧.
(4) سقطت من ط (في).
(5) سورة الحشر: الآية ٢.

إلى قوله:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[1].

وقوله ــ تعالى ــ: ﴿ونحن له مسلمون﴾ في العنكبوت، فهو مثل قوله: ﴿ونحن له مسلمون﴾ في البقرة، مع دعائهم إلى الإسلام[2]، وكذلك في سورة آل عمران في قوله:

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[3].

فقد دعاهم أولاً إلى الإسلام، وهو عبادة الله وحده، لا شريك له، وأن لا يتخذ بعضهم[4] بعضاً أرباباً من دون الله، كما قال ــ تعالى ــ:

﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[5].

ثم قال ــ تعالى ــ:

---

(١) سورة الحشر: الآية ٤.
في س (يشاقق) بدلاً من (يشاق) وهو خطأ.

(٢) في س أ (دعائه لهم).

(٣) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

(٤) في س، أ (بمعضنا).

(٥) سورة التوبة: من الآية ٣١.
سقط من س كما قال تعالى: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾.

﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[1].

وهذه الآية هي[2] التي كتب بها النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى قيصر ملك الروم لما دعاه إلى الإسلام.

وقال في كتابه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم[3] يؤتك أجرك مرتين، وإن توليت فإنما[4] عليك إثم الأريسيين»[5] و:

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[6].

---

(١) سورة آل عمران: من الآية ٣١.

(٢) (هي) ساقطة من ط، ك.

(٣) (أسلم) ساقطة من أ.

(٤) في س، أ (فإن) بدلاً من (فإنما).

(٥) في ط (الأريسين) بدلاً من (الأريسيين).

(٦) سورة آل عمران: من الآية ٦٤.
في جميع النسخ و﴿يا أهل الكتاب...﴾. (وفي صحيح البخاري أيضاً).
وهكذا ساقها ابن كثير في تفسيره بدون (قل)، والواو إنما هي من كلام الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ.
وهذا نص الكتاب الذي بعث به النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى هرقل، وقد ساقه المفسرون عند كلامهم على الآية المذكورة في سورة آل عمران.
انظر: تفسير ابن كثير ٣٧١/١، طبعة الحلبي بمصر.
وهو مذكور في البخاري أيضاً ـ كتاب رقم ٥٦ ـ كتاب الجهاد والسير ـ باب ١٠٢، عن عبد الله بن عباس، عن أبي سفيان.
وكذلك كتاب ٦٥ ـ تفسير سورة آل عمران: بترتيب عبد الباقي.

فدعاه النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى الإسلام، في كتابه الذي أرسله إليه، وقال ـ أيضاً ـ في آل عمران:

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1].

فذكر التوحيد في هذه الآية، وكَفَّر من اتخذ الملائكة والنبيين أرباباً، فكيف بمن اتخذ الأحبار والرهبان أرباباً، ثم ذكر الإيمان بخاتم الرسل، فقال[2]:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[3].

---

(١) سورة آل عمران: من الآيتان ٧٩، ٨٠.

(٢) في س، أ (وقال).

(٣) سورة آل عمران: الآيات ٨١ ـ ٨٥.

فقد ذكر أنه أخذ الميثاق على النبيين وأممهم: مهما آتيتكم من كتاب وحكمة، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه.

وهذا يتناول الأمر لكل أهل الكتاب إذا جاءهم رسول ثاني أن يؤمنوا به وينصرونه، وإن كان عندهم من الكتاب والحكمة ما كان[1]، ولا يقولون نحن مستغنون بما عندنا من الكتاب والحكمة، لا نؤمن بالرسول الذي جاءنا.

ونخص الإيمان بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فإنه خاتم الرسل، وهو آخر رسول جاء مصدقاً لما بين يديه من الكتاب، فوجب على من جاءه أن يؤمن به وينصره، وإن كان عنده من الكتاب والحكمة ما كان.

وهذا الميثاق أخذه الله على الأنبياء، وأخذوه على أممهم، ثم قال: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾[2].

وهذا[3] هو دين الله[4] الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه، فمن ابتغى غيره فقد ابتغى غير دين الله، وهو دين الإسلام، (الذي قال:)[5] فيه[6]:

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[7].

---

(١) في ط (مهما كان) بدلاً من (ما كان).

(٢) سورة آل عمران: من الآية ٨٣.

في س، أ زيادة تكملة الآية بقوله تعالى: ﴿وله أسلم من في السماوات والأرض﴾.

(٣) في أ، س (فإن هذا).

(٤) في ط، ك (دين الإسلام) بدلاً من (دين الله).

(٥) ما بين القوسين ساقط من س، أ.

(٦) (فيه) ساقطة من ط.

(٧) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

فـصـل

أمر المؤمنين بقول الحق لتقوم بـه الحجّة على المخالف

وأما قوله[1] ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾[2].

فهو[3] أمر للمؤمنين أن يقولوا الحق الذي أوجبه الله عليهم، وعلى جميع الخلق ليرضوا به الله، وتقوم به الحجة على المخالفين، فـإن هذا من الجـدال بالتي هي أحسن، وهـو أن تقول كـلاماً حقـاً يلزمك، ويلزم المنازع لك أن يقوله، فإن وافقك وإلاَّ ظهر عناده وظلمه.

كما قال ـ تعالى ـ في الآية الأخرى:

﴿ قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ ﴾[4].

فإنّا مشتركون في أنه ربنا كلنا وأن عمل[5] كل عامل له لا لغيـره،

---

(١) في ط (في قوله) بزيادة (في).

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.

﴿إلاَّ الـذين ظلموا منهم﴾ سـاقطة من س، أ ـ ووضـع بدلاً منهـا (وقـولـه) وأكمـل الآية: ﴿وقولوا آمنا...﴾.

(٣) (فهو) ساقطة من ط.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٣٩.

(٥) في س، أ زيادة (في) فجاءت: ﴿وفي أن عمل...﴾.

وامتزنا نحن بأنّا مخلصون له، وأنتم لستم مخلصين له. فأوجب هـذا أن الحق معنا دونكم، وأن أعمالنا صالحة مقبولة، وأعمالكم مردودة.

ويشبه ذلك قوله ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[1].

(فأمره لهم أن يقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون)[2] يتضمن إقامة الحجة عليهم، كما كان المسيح ـ عليه السلام ـ يقول.

• • •

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

(٢) ما بين القوسين ساقط من س.

فصل

نقض دعواهم أنَّ الظلم اتَّصف به اليهود دون النصارى

ثم قالوا: فأما[1] الذين ظلموا فما يشك أحد في أنهم اليهود الذين سجدوا لرأس العجل، وكفروا بالله مراراً كثيرة ليست واحدة، وقتلوا أنبياءه ورسله وعبدوا الأصنام، وذبحوا للشياطين، ليس حيوانات غير ناطقة فقط، بل بنيهم وبناتهم حسب ما شهد الله عليهم قائلاً على لسان داود النبي ـ عليه السلام ـ في كتاب الزبور في مزمور مائة وخمسة يقول: (ذبحوا بنيهم وبناتهم للشياطين، وأراقوا دماً زكياً، دم بنيهم وبناتهم الذين ذبحوا للمنحوتات بكنعان، وقد تنجست الأرض بالدماء، وتنجست أعمالهم وزنوا بضعائنهم[2]، وسخط الرب عليهم ورذل ميراثهم)[3].

وقال أيضاً على لسان أشعيا النبي[4] ـ عليه السلام ـ يقول الله في بني إسرائيل: (لم يسمعوا وصاياي، لم يحفظوا كل ما أوصيتهم به،

---

(١) في س، أ (وأما) بدلاً من (فأما).

(٢) في ط (بضغائنهم) بدلاً من (بضعائنهم).

(٣) وجدت هذا النص ـ ولكن بلفظ مختلف ـ : (٣٧ ـ وذبحوا بنيهم وبناتهم للأوثان وأهرقوا دماً زكياً دم بنيهم وبناتهم الذين ذبحوهم لأصنام كنعان وتدنست الأرض بالدماء وتنجسوا بأعمالهم وزنوا بأفعالهم فحمى غضب الرب على شعبه وكره ميراثه).
انظر: العهد القديم ص ٩٠٨ طبعة القاهرة. المزمور مائة وستة.

(٤) سبقت ترجمته.

بـل غيروا ونقضـوا الميثاق الـذي كنت جعلته لهم إلى الأبـد، فلذلك[١] أجلستهم عليهم[٢] الحـزن، وأهلكتهم، وانقطع ممن يبقى منهم الفـرح والسرور)[٣].

هكـذا قال الله على سكـان بيت[٤] المقدس من[٥] بني إسـرائيل: (سـأبـددهم بين الأمم، وفي تلك الأيـام يـرفعـون الأمم أصـواتهم، ويسبحون الله ويمجدونه بأصوات عاليـة، ويجتمعون من أقـطار الأرض، ومن جـزائر البحـر، ومن البلدان البعيدة ويقـدسون اسم الله، ويـرجعون إلى الله إلَه إسرائيل، ويكونون شعبة. وأما بنو إسرائيل فيكـونون مبـددين في الأرض)[٦].

وقـال أشعيا النبـي ـ عليـه السلام ـ يقـول الله: (يا بني إسـرائيل نجستم جبلي المقدس، فإني سـأفنيكم بالحـرب وتموتـون، وذلك لأني

---

(١) في س، أ (فكذلك) بدلاً من (فلذلك).

(٢) في س، أ، ك (على) بدلاً من (عليهم).

(٣) في سفر أرميا ـ وليس في سفر أشعيا ـ الاصحاح التاسع: (١٣ ـ فقال الرب على تركهم شريعتي التي جعلتها أمامهم ولـم يسمعوا لصوتي ولم يسلكوا بها ـ ١٤ ـ بـل سلكوا وراء عناد قلوبهم وراء البعليم التي علمهم إياها آباؤهم ـ ١٥ ـ لـذلك هكذا قـال رب الجنود إلَـه إسرائيـل هـا أنـذا أطعم هـذا الشعب أفسنتينـا وأسقيهم العلقم وأبددهم في أمم لم يعرفوها هم ولا آباؤهم وأطلق وراءهم السيف حتى أفنيهم).
انظر: العهد القديم ص ١٠٨٨ طبعة القاهرة.

(٤) فيَ المطبوعة: (البيت) بدلاً من (بيت).

(٥) (من) ساقطة من س، أ، ك.

(٦) لم أعثـر على هذا النص في سفـر أشعيـا ولا غيـره من أسفـار العهـد القـديم ولعـل النسخة التي ذكر فيهـا هذا النص غيـر النسخة التي بـأيدينـا اليوم وهي طبعـة جمعية الكتاب المقدس بالقاهرة ـ وعلى العموم فهذا من ضمن كلام النصارى الذي يحكيه بولس الإنطاكي عنهم، والمؤلف ـ رحمه الله ـ هنا يحكيه ليجيب عنه بعد ذلك.

دعوتكم فلم تجيبوا، وكلمتكم فلم تسمعوا، وعملتم الشيء بين يدي)[1].

وقال[2] أشعيا أيضاً: (إن الله قد بغض بني إسرائيل، وأخرجهم من بيوتهم، ومن بيته، ولا يغفر لهم لأنهم لعنة، وجعلوا لعنة الناس، فلذلك أهلكهم الله، وبددهم بين الأمم، ولا يعود يرحمهم ولا ينظر إليهم برحمة[3] إلى أبد الآبدين، ولا يقربون لله قرباناً ولا ذبيحة[4] في ذلك اليوم، وذلك[5] الزمان، ولا يفرح بنو إسرائيل[6] لأنهم قد ضلوا عن الله ـ عز وجل ـ)[7].

وقال أرميا[8] النبي ـ عليه السلام ـ : (كما أن الحبشي لا يستطيع أن يكون أبيضاً، فكذلك بنو إسرائيل لا يتركون عادتهم الخبيثة[9]، ولذلك إني لا أرحم، ولا أشفق، ولا أرق على الأمة الخبيثة ولا أرثي لها)[10].

---

(١) هذا النص موجود في العهد القديم في الإصحاح الخامس والستين من سفر أشعيا، ولكنه بلفظ مخالف: (١١ ـ أما أنتم الذين تركوا الرب ونسوا جبل قدس ورتبوا للسعد الأكبر مائدة وملأوا للسعد الأصغر خمراً مزدوجة ـ ١٣ ـ فإني أعينكم للسيف وتجثون كلكم للذبح دعوت فلم تجيبوا تكلمت فلم تسمعوا بل عملتم الشر في عيني واخترتم ما لم أسر به) انظر: العهد القديم ص ١٠٧٠.

(٢) في ط (قال) بسقوط الواو.

(٣) في س، أ (برحمته) بدلاً من (برحمة).

(٤) في ط، ك سقطت كلمة (ولا ذبيحة).

(٥) (اليوم، وذلك) ساقطة من أ.

(٦) (بنوا إسرائيل) ساقطة من أ.

(٧) لم أعثر على هذا النص في سفر أشعيا.

(٨) أرميا: انظر ٣/٣٥٣.

(٩) (الخبيثة) ساقطة من أ.

(١٠) لم أعثر على هذا النص ولا ما يقاربه في نسخة العهد القديم التي بين يدي بالرغم من البحث في الفهرس المطبوع لذلك طبعة مكتبة المشعل بيروت، فلا أعلم من =

وقال حزقيل[1] النبي ـ عليه السلام ـ : (قال الله: إنما رفعت يدي عن بني إسرائيل وبددتهم بين الأمم، لأنهم لم يعملوا بوصاياي، ولم يطيعوا أمري، وخالفوني فيها، فيما قلت لهم، ولم يسمعوا لي)[2].

ومثل هذا القول في التوراة، وكتب الأنبياء، وزبور داود شيء كثير يقرونها[3] اليهود في كنائسهم، ويقرأونها، ولا ينكرون منها حرفاً واحداً، ومثل ما هو عندهم، وكذلك عندنا في جميع الألسن[4]. اهـ.

والجواب أن يقال: أما كون اليهود ظالمين كافرين معتدين مستحقين لعذاب الله وعقابه، فهذا معلوم بالاضطرار من دين محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ منقول بالتواتر، كما علم بالاضطرار والنقل المتواتر عنه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن النصارى ـ أيضاً ـ ظالمون معتدون كافرون مستحقون لعذاب الله وعقابه، وفي اليهود من الكفر ما ليس في النصارى، وفي النصارى ما ليس في اليهود، فإن اليهود بدلوا شريعة التوراة، قبل أن يأتيهم المسيح ابن مريم، فلما أتاهم كفروا به

= أي النسخ جاء به بولس الإنطاكي والنصارى الذين حكى كلامهم في رسالته أما المؤلف فالمسؤولية مرتفعة عنه بحكم أنه يحكي ما ورد في رسالة بولس المشار إليها في أول الكتاب.

(1) حزقيل: انظر ٤/١٢١.

(2) النص موجود في العهد القديم في الإصحاح العشرين حزقيل بغير لفظه (٢٣ ـ ورفعت أيضاً يدي لهم في البرية لأفرقهم في الأمم وأذريهم في الأرض ـ ٢٤ ـ لأنهم لم يصنعوا أحكامي بل رفضوا فرائضي ونجسوا سبوتي وكانت عيونهم وراء أصنام آبائهم).

انظر: العهد القديم ص ١٢٠٥.

(3) في ط (يقرأها) بدلاً من (يقرونها).

(4) انتهى ما ساقه المؤلف من كلام النصارى وحججهم في رسالة بولس، ويبدأ بعد ذلك في الرد.

وكذبوه، فلما بعث محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ كذبوه، فباءوا بغضب على غضب.

كما قال ــ تعالى ــ عنهم :

﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1].

(١) سورة البقرة: من الآيات ٨٥ ــ ٩٣.

فغضب عليهم أولاً بتكذيب المسيح، وثانياً بتكذيب محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ .

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[1] .

وقال ــ تعالى ــ :

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[2] .

* وقال ــ تعالى ــ :

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾[3] .

فتبين أن اليهود لعنهم الله وأنهم عبدوا الطاغوت، وأنه جعل منهم القردة والخنازير *[4]، ومثل هذا في القرآن كثير. لكن قول القائل أنهم

---

(١) سورة آل عمران: من الآية ١١٢.

(٢) سورة المائدة: الآيتين ٧٨ ــ ٧٩.

[وقوله تعالى: (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)] ساقط من س، ط.

كما خلط فيهما الآية السابقة بهذه الآية.

(٣) سورة المائدة: من الآية ٦.

(٤) ما بين النجمتين ساقط من أ.

المرادون بقوله ـ تعالى ـ[1] :

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴾[2] .

في قوله :

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴾[3] .

غلط بيِّن، ولهذا كان باطلاً باتفاق المسلمين .

فإن قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ .

نهى عن مجادلة أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلاَّ بالتي هي أحسن .

وقوله :

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ .

من الطائفتين جميعاً[4] .

ولهذا كان الواجب على المسلمين، إذا جادلهم اليهودي والنصراني أن يجادلوه بالتي هي أحسن، إلاَّ من ظلم من الطائفتين، فإنه يعاقب باللسان تارة وباليد أخرى، كما أمر الله ورسوله بجهاد الظالمين من هؤلاء، فجاهد النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ اليهود الذين كانوا

---

(١) (تعالى) ساقطة من س، أ.

(٢) في س، أ، (إلَّا الذين ظلموا) بسقوط (منهم).

(٣) سورة العنكبوت: من الآية ٤٦ .

(٤) في س، أ، (معنا) بدلاً من (جميعاً).

بالمدينة النبوية وحولها وقريباً منها، كما جاهد بني قينقاع[1]، والنضير[2]، وقريظة[3]، وأهل خيبر[4]، وأهل وادي القرى[5]، وغيرهم.

---

(١) **بنو قينقاع**: فريق من يهود المدينة وكان لهم حلف مع الخزرج، وحصل أن جاءت امرأة من العرب إلى سوقهم بحلي لها فباعته وجلست إلى صائغ هناك فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها فلما قامت انكشفت عورتها فضحكوا منها فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، فحمل اليهود على المسلم فقتلوه، فحاصرهم رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في شوال سنة ٢هـ ونزلوا على حكمه فأجلاهم عن المدينة.
انظر: البداية والنهاية ٤/٣.

(٢) **بنو النضير**: فريق آخر من يهود المدينة كانوا على عهد مع المسلمين ونقضوا عهدهم مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ حينما جاءهم يستعينهم في دية قتيلين من بني عامر، فحاولوا إلقاء صخرة على الرسول وقتله لكن الله أعلمه فقام ورجع إلى المدينة وبعث إليهم محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج، فرفضوا لأن المنافقين وعدوهم بالنصر والإعانة فحاصرهم الرسول ــ عليه السلام ــ وأحرق نخيلهم فأصابهم الرعب فنزلوا على حكمه، وكان ذلك في شوال سنة ٣هـ.
انظر: البداية والنهاية ٤/٧٤.

(٣) **بنو قريظة**: فريق ثالث من يهود المدينة كانوا حلفاء للأوس فنقضوا عهدهم مع المسلمين، عندما حاصر الأحزاب المدينة فلما رد الله الأحزاب أُمِرَ الرسول ــ عليه السلام ــ بقتال بني قريظة فحاصرهم ونزلوا على حكم سعد بن معاذ فقتل رجالهم وسبيت نساؤهم.
انظر: البداية والنهاية ٢/١١٦.

(٤) **أهل خيبر**: طائفة من اليهود يقطنون بلدة خيبر المعروفة شمال المدينة المنورة وقد غزاهم النبي ــ عليه السلام ــ في سنة ٧هـ وحاصرهم حتى هزمهم وصالحهم على شطر نخيلهم وثمارها.
انظر: البداية والنهاية ٤/١٨١.

(٥) **أهل وادي القرى**: قسم من اليهود يسكنون وادي القرى بين المدينة والشام في شمال الجزيرة العربية، خرج إليهم الرسول ــ عليه السلام ــ سنة ٧هـ بعد أن فرغ من أهل خيبر فدعاهم إلى الإسلام فأبوا عليه فقاتلهم وفتحها عنوة وترك الأرض =

وكما جاهـد النصارى عام تبـوك غزاهم بـالشام عـربهم ورومهم، وأغزاهم[1] قبل ذلك نوابه: زيد بن حارثة[2]، وجعفر بن أبـي طالب[3]، وعبد الله بن رواحة[4]، وأمر بغزوهم فغزاهم بعده خلفاؤه الراشدون.

والنبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ لمَّـا قـدم وفـد نـجـران النصـارى[5]، جادَلهم ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ في مسجده بـالتي هي أحسن، ثم أمره الله سبحانه[6] أن يدعوهم إلى المباهلة[7]، فامتنعوا عن مباهلته، وأقروا بأداء الجزية عن يد وهم صاغرون، كما تقـدم ذكر ذلـك مفصلاً فجادل بعضهم بالتي هي أحسن، والظالم منهم عـاقبه وجـاهده، كما عاقب الظالم من اليهود.

ومن أعجب الأشياء قولهم: وأما الذين ظلمـوا، فلا يشـك أحد[8] أنهم اليهود، فإن هذا من جنس قولهم: ثم وجدنا في الكتـاب ما هـو[9] أعظم من هذا برهاناً.

= والنخيل بأيدي اليهود وعاملهم عليها.
انظر: البداية والنهاية ٤/٢١٨.

(١) في ط (وأغزهم) بدلاً من (وأغزاهم).
(٢) سبقت ترجمته.
(٣) سبقت ترجمته.
(٤) سبقت ترجمته.
(٥) (النصارى) ساقطة من ط، ك.
(٦) (سبحانه) ساقطة من س، أ، ك.
(٧) المقصود بالمباهلة الابتهال وهـو ما ورد في قـوله تعـالى: ﴿فقل تعـالوا نـدع أبناءنـا وأبنـاءكم ونسـاءنـا ونسـاءكم وأنفسنـا وأنفسكم ثم نبتهـل فنجعـل لعنة الله على الكاذبين﴾.
(٨) (أحد) ساقطة من ط.
(٩) (ما هو) ساقطة من ط.

وهو قوله[1] في سورة الشورى:

﴿ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍۢ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ ﴾[2]، كما تقدم.

وهي[3] من جنس قولهم في قوله:

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[4].

أنه عني بالكتاب: الإنجيل، والذين يؤمنون بالغيب: النصارى، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك: هم المسلمون، وزعمهم أن قولهم هذا بين ظاهر[5].

وتفاسير النصارى للكتب الإلٓهية فيها من التحريف لكلمات الله، والإلحاد في أسماء الله وآياته ما يطول وصفه، ولا ينقضي التعجب منه، لكن[6] إقدامهم علىٰ تفسير القرآن بالإلحاد والتحريف أعجب وأعجب، كقولهم [إن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ذكر أنه لم يرسل إليهم، وأنه أثنى على الدين الذي هم عليه بعد النسخ والتبديل، بعد مبعثه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، وأن

---

(١) في أ (قولهم قوله) بزيادة (قولهم).

(٢) سورة الشورى: من الآية ١٥.
(الله) ساقطة من ط وكتب (لأعد) بدلاً من (لأعدل) وهو خطأ.

(٣) (هي) ساقطة من س، أ، ك.

(٤) سورة البقرة: الآيتان ٢، ٣.

(٥) في س، أ (ظاهرتين) بدلاً من (ظاهر).

(٦) في ط (ولكن) بزيادة واو.

قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾[1]. أراد به النصارى..

وقوله: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا﴾[2] أراد به الحواريين..

وقوله: (وأنزلنا معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس)[3].

أراد به الإنجيل][4]، فإن في[5] هذا من الكذب الظاهر، والافتراء على محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، بأنه أراد هذه الأمور، ما هو من جنس افترائهم على الأنبياء، فإنهم أخبروا أن المسيح هو خالق السماوات والأرض، وأن التوراة والزبور وغيرهما من الكتب أخبرت بذلك، ثم يأتون إلى ما يعلم كل عاقل أن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم يرده، فيقولون: إنه لا يشك فيه أحد[6]، وأنه قول ظاهر بين، وكل من عرف حال محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وما جاء به من القرآن والدين يعلم علماً يقينياً ضرورياً أن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم يكن يجعل النصارى مؤمنين دون اليهود، بل كان يكفر الطائفتين، ويأمر بجهادهم، ويكفر من لم ير جهادهم واجباً عليه.

وهذا مما اتفق عليه المسلمون، وهو منقول عندهم عن نبيهم نقلاً متواتراً، بل هذا يعلمه من حاله الموافق والمخالف، إلَّا من هو مفرط في الجهل بحاله، أو من هو معاند عناداً ظاهراً.

● ● ●

---

(١) سورة الفاتحة: من الآية ٧.

(٢) سورة الحديد: من الآية ٢٥.

(٣) في ط زيادة (بالحق ليحكم بين الناس) وهي ليست في الآية ٢٥ من سورة الحديد.

(٤) ما بين القوسين ساقه المؤلف عن النصارى، على ما فيه من الخلط.

(٥) (في) ساقطة من ط.

(٦) في ط (واحد) بدلاً من (أحد).

فصل

المسلمون يوافقون النصارى فيما كفروا به اليهود

وأما ما نقلوه عن الأنبياء مما يدل على كفر اليهود، فهذا لا[1] ننازعهم فيه، ولا حاجة بنا إلى الاستدلال بما نقلوه، وإن كان فيما يثبت عن الأنبياء ما يبين كفرهم لما بدلوا دين موسى ـ عليه السلام ـ[2] كما كفر النصارى لما بدلوا دين المسيح، فهذا حق موافق لما أخبر به خاتم الرسل ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فإنا قد علمنا كفرهم من جهة لا نشك في صدقها.

وما أخبرونا به عن الأنبياء إن علمنا صدقهم فيه صدقناهم فيه، وإن علمنا كذبهم فيه كذبناهم فيه، وإن لم نعلم صدقه ولا كذبه لم نصدقه ولم نكذبه، بل نقول:

﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[3].

فإن الإيمان بجميع ما أوتي النبيون حق واجب، لكن وجوب التصديق في النبي المعين الذي لم نعلمه من غيرهم يقف على مقدمتين:

١ ـ أن[4] يكون اللفظ قد قاله النبي.

---

(١) في ك (فلا ننازعهم) بدلا من (فهذا لا ننازعهم).

(٢) (عليه السلام) ساقطة من أ، س.

(٣) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.

(٤) في أ، س زيادة كلمة (على) فجاءت (على أن يكون).

٢ ـ وأن يكون المعنى الذي فسروه به مراداً للنبي الذي تكلم بذلك القول، فلا بد من ثبوت[١] الإسناد ودلالة المتن.

وهاتان المقدمتان، (لا بدَّ منهما في جميع المنقول عن الأنبياء.

وقد يحتاج إلى مقدمة ثالثة في حق من لم يعرف اللغة العبرية، فإن موسى وداود والمسيح وغيرهم إنما تكلموا باللغة العبرية، فمن لم يعرف بها، وإنما يعرف بالعربية أو الرومية، لا بدَّ أن يعرف أن المترجم من تلك اللغة إلى هذه[٢] قد ترجم ترجمة مطابقة)[٣].

• • •

---

(١) (ثبوت) ساقطة من ط.

(٢) في ط (هذا) وهو خطأ.

(٣) ما بين القوسين ساقط من أ.

فصل

غُلوّ النَّصارى في عيسى عبد الله ورسوله

وأما قولهم: وأمّا[1] نحن النصارى فلم نعمل شيئاً مما عملته اليهود، فيقال لهم: الكفر والفسوق والعصيان لم ينحصر في ذنوب اليهود، فإن لم تعملوا مثل أعمالهم فلكم من الأقوال والأعمال ما بعضه أعظم[2] من كفر اليهود، وإن كنتم أنتم ألين من اليهود وأقرب مودة، فأنتم ـ أيضاً ـ أجهل وأضل من اليهود.

قال ـ تعالى ـ:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾

---

(١) في ط سقطت (وأما).

(٢) في ط (أصعب) بدلاً من (أعظم).

(٣) سورة مريم: الآيات ٨٨ ـ ٩٥.
في س، أ: (الله) بدلاً من (الرحمن) وهو خطأ.

مَّـٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِـَٔابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾[1] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾[2] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[3] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ ﴾[4] .

---

(١) سورة الكهف: الآيات ١ ــ ٥.

(٢) سورة التوبة: الآية ٢٩.

(٣) سورة التوبة: الآيتان ٣٠، ٣١.

(٤) سورة التوبة: الآيات ٣٢ ــ ٣٤.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ لمّا قصَّ قصة المسيح ـ عليه السلام ـ :

﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[3].

● ● ●

= في أ، س ﴿... ولو كره المشركون﴾، وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا...﴾ الآية.

(١) سورة المائدة: الآية ١٤.

(٢) سورة مريم: الآيات ٣٤ ـ ٣٨.

(٣) سورة المائدة: الآية ٧٧.

كلمة (غير الحق) ساقطة في جميع النسخ و ط.

فصـل

تـطرُّف اليهـود والنَّصـارى وتوسُّط المسلمين

ومن تـدبـر حـال اليهـود والنصـارى مـع المسلمين، وجـد اليهـود والنصـارى متقابلين هؤلاء في طـرف ضلال، وهؤلاء في طـرف يقـابله، والمسلمون هم الوسط.

وذلـك في التـوحيـد، والأنبيـاء، والشـرائـع، والحـلال والحـرام والأخلاق وغير ذلك.

فـاليهود يشبهـون الخالق بـالمخلوق في صفات النقص المختصـة بالمخلوق التي يجب تنزيه الرب ـ سبحانه ـ عنها كقول من قال منهم: إنه فقير، وإنه بخيل، وإنه تعب لما خلق السموات والأرض، والنصارى يشبهون المخلوق بالخالق في صفات الكمال المختصة بـالخالق التي[1] ليس له فيها مثل، كقولهم إن المسيح هو الله، وابن الله.

وكل من القولين يستلزم الآخر.

والنصارى ـ أيضاً ـ يصفون اللاهـوت بصفات النقص التي يجب تنزيه الرب[2] عنها، ويسبـون الله سباً مـا سبه إيـاه أحد من البشـر، كما كان معاذ بن جبل[3] يقول: لا ترحموهم فإنهم قد سبـوا الله سبة مـا سبه

(١) في س، أ (الذي) بدلاً من (التي) وهو خطأ.

(٢) (الرب) ساقطة من أ، س.

(٣) معاذ بن جبل: هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصـاري الخزرجي، صحـابي جليـل، ولد سنـة ٢٠ قبل الهجـرة وأسلم صغيـراً وشهـد المشـاهـد مـع رسـول الله ـ صلّى الله عليـه وسلّم ـ ، وبعثه إلى اليمن لنشـر دين الله ولبث فيها إلى بعـد وفاة =

إياها أحد من البشر[1].

واليهود تزعم أن الله يمتنع منه أن ينسخ ما[2] شرعه، كما يمتنع ما لا يدخل في القدرة أو ينافي العلم والحكمة.

والنصارى يجوزون لأكابرهم أن ينسخوا شرع الله الذي بعث به رسله، فيحللوا ما حرم، كما حللوا الخنزير، وغيره من الخبائث، بل لم يحرموا شيئاً، ويحرمون ما حلل، كما يحرمون في رهبانيتهم التي ابتدعوها، وحرموا فيها من الطيبات ما أحله الله، ويسقطون ما أوجب كما أسقطوا الختان وغيره، وأسقطوا[3] أنواع الطهارة من الغسل، وإزالة[4] النجاسة وغير ذلك.

ويوجبون ما أسقط، كما أوجبوا من[5] القوانين ما لم يوجبه الله وأنبياؤه.

والمسلمون وصفوا الرب بما يستحقه من صفات الكمال، ونزهوه عن النقص، وأن يكون له مثل، فوصفوه بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، مع

الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ وعاد في خلافة أبي بكر فأرسله في جيش الشام فمات فيها سنة ١٨هـ ــ رضي الله عنه ــ .

انظر: أسد الغابة ٤/٣٧٦؛ وحلية الأولياء ٢/٢٢٨.

(١) هذا الأثر لم أجده فيما رجعت إليه من مراجع، إلَّا أن ابن القيم ذكره منسوباً إلى عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ .
انظر: إغاثة اللهفان ٢/٢٨٣.

(٢) في ط، ك (مما) بدلاً من (ما).

(٣) (وأسقطوا) ساقطة من ط، ك.

(٤) في أ (ومن) بدلاً من (إزالة)، وفي س (ومن إزالة) بزيادة (من).

(٥) في أ، س (في) بدلاً من (من).

علمهم أنه ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في[1] صفاته، ولا في[2] أفعاله.

وقالوا: ألا له الخلق والأمر، فكما لا يخلق غيره لا[3] يأمر غيره، بل الدين كله له، هو[4] المعبود المطاع الذي لا يستحق العبادة إلّا هو، ولا طاعة لأحد إلّا طاعته، وهو ينسخ ما ينسخه من شرعه، وليس لغيره أن ينسخ شرعه.

واليهود بالغوا في اجتناب النجاسات، وتحريم الطيبات، والنصارى استحلوا الخبائث، وملابسة النجاسات، والمسلمون أحل الله لهم الطيبات خلافاً لليهود، وحرم عليهم الخبائث، خلافاً للنصارى.

واليهود يبالغون في طهارة أبدانهم مع خبث قلوبهم والنصارى يدعون أنهم يطهرون قلوبهم مع نجاسة أبدانهم، والمسلمون يطهرون أبدانهم وقلوبهم جميعاً.

والنصارى لهم عبادات وأخلاق بلا علم ومعرفة، ولا ذكاء. واليهود لهم ذكاء[5] وعلم ومعرفة بلا عبادات ولا أخلاق حسنة.

والمسلمون جمعوا بين العلم النافع، والعمل الصالح، بين الزكا[6] والذكاء، فإن الله أرسل رسوله[7] بالهدى ودين الحق، فالهدى

(١) (في) ساقطة من س، أ.
(٢) (في) ساقطة من س، أ، ك.
(٣) في أ (فلا) بدلاً (لا).
(٤) في ط (وهو) بزيادة واو.
(٥) (ذكاء) ساقطة من ك، ط.
(٦) في س الذكاء والزكاء مقلوبة.
(٧) في ط (رسله) بدلاً من (رسوله).

يتضمن العلم النافع، ودين الحق يتضمن العمل الصالح ليظهره على الدين كله، والظهور يكون بالعلم واللسان ليبين أنه حق وهدى، ويكون باليد والسلاح ليكون منصوراً مؤيداً، والله أظهره هذا الظهور فهم أهل الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله[1] عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، غير المغضوب عليهم الذين يعرفون الحق، ولا يعملون به، كاليهود، ولا الضالين الذين يعملون ويعبدون ويزهدون، بلا علم كالنصارى.

واليهود قتلوا النبيين، والذين يأمرون بالقسط من الناس، والنصارى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم.

والمسلمون اعتدلوا فآمنوا بالله وملائكته وكتبه[2]، ورسله، (ولم يفرقوا بين أحد من رسله وآمنوا بجميع النبيين، وبكل كتاب أنزله الله)[3] فلم يكذبوا الأنبياء ولا سبوهم ولا غلوا فيهم ولا عبدوهم، وكذلك أهل العلم والدين لا يبخسونهم حقهم ولا غلوا فيهم.

واليهود يغضبون لأنفسهم وينتقمون، والنصارى لا يغضبون لربهم ولا ينتقمون.

والمسلمون المعتدلون المتبعون لنبيهم يغضبون لربهم ويعفون عن حظوظهم كما في الصحيحين عن عائشة[4] ـ رضي الله عنها ـ أنها[5]

---

(١) لفظ الجلالة (الله) ساقطة من ك.

(٢) (وكتبه) ساقطة من س، أ.

(٣) ما بين القوسين ساقط من ط.

(٤) سبقت ترجمتها.

(٥) (أنها) ساقطة من ط، ك.

قالت: ما ضرب رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بيده خادماً له، ولا امرأة ولا شيئاً قط، إلَّا أن يجاهد في سبيل الله، ولا نيل منه شيء قط فانتقم لنفسه، إلَّا أن تنتهك محارم الله فينتقم لله[1].

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك[2] ــ رضي الله عنه ــ، قال[3]: خدمت رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ عشر سنين، فما قال لي: أفٍ قط، وما قال لي لشيء فعلته: لِمَ فعلته، ولا لشيء لَمْ أفعله: لِمَ لَمْ تفعله[4]؟ وكان بعض أهله إذا عاتبني على شيء يقول: «دعوه فلو قُضِيَ شيء لكان»[5].

---

(١) انظر: صحيح مسلم ــ كتاب الفضائل ــ باب ٢٠ حديث رقم ٢٣٢٨ بلفظه، وصحيح البخاري في كتاب المناقب ــ باب ٢٣ وكتاب الحدود باب ١٠ وكتاب الأدب باب ٨٠، وليس في البخاري إلَّا عبارة: وما انتقم رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لنفسه في شيء قط إلَّا أن تنتهك حرمة الله فينتقم بها لله، وموطأ مالك كتاب حسن الخلق ذكر جملة من الحديث هي: وما انتقم رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لنفسه إلَّا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها ص ٤٧، وفي مسند أحمد بن حنبل ٣٢/٦، ١١٤، ١١٦، ١٣٠، ١٨٢، ٢٢٣، وغيرها بلفظه. وفي سنن أبي داود كتاب الأدب ٤ حديث رقم ٤٧٨٥ ــ ٢٥٠/٤.

(٢) (ابن مالك) ساقطة من ط، ك.
أنس: هو ابن مالك بن النضر بن ضمضم ــ خدم رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ عشر سنين وروى عنه كثيراً، وشهد كثيراً من المشاهد، ومات بالبصرة سنة تسعين هجرية.
انظر: الإصابة ٧١/١؛ والاستيعاب بهامش الإصابة ٧١/١.

(٣) (قال) ساقطة من أ، ك.

(٤) في أ، س، ك: (لم لا فعلته) بدلاً من (لِمَ لَمْ تفعله).

(٥) صحيح البخاري ــ كتاب الأدب ــ باب ٣٩ ــ بلفظ: (خدمت رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ عشر سنين فما قال لي أفٍ ولا لم صنعت ولا ألا صنعت).
* وفي صحيح مسلم ــ كتاب الفضائل ــ باب ١٣ ــ بلفظ: (خدمت رسول الله

هـذا في حق نفسـه، وأمـا في حـدود الله، ففي الصحيحين عن عائشة ــ رضي الله عنهـا ــ[1] : (أن قريشـاً أهمهم شأن المخـزومية التي سـرقت، فقالـوا: من يكلم فيها رسـول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ؟ (فقالوا: من يجترىء عليه إلَّا أسامة بن زيـد حبّ رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ)[2] فكلمه فيها أسامة، فقال: يـا أسامـة، أتشفع في حـد من حـدود الله، إنمـا هلك من كـان قبلكم أنهم كـانــوا إذا سـرق فيهم الشريف تركـوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقـاموا عليـه الحدود، والـذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)[3].

وقـد وصف الله أمة محمـد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بـأنهم أنفـع الأمم للخلق، فقال:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ

ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ عشـر سنين والله مـا قـال أفـاً قط، ولا قـال لي لشيء لِمَ فعلت كذا؟ وهلا فعلت كذا).

* وفـي سنـن أبـي داود ــ ج ٤ ــ كتـاب الأدب ــ حـديـث رقـم (٤٧٧٤) بـلفظ: (خـدمت النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ عشـر سنين بالمـدينة وأنـا غلام ليس كـل أمري كما يشتهي صاحبي أن أكون عليه ما قـال لي (فيها) أفٍ قط، ومـا قال لي لِمَ فعلت هذا أو ألاَّ فعلت هذا).

(١) (رضي الله عنها) ساقطة من ط، أ، ك.

(٢) ما بين القوسين ساقط من س، أ.

(٣) الحديث في صحيح البخاري ــ كتاب الحدود ــ باب ١٢ ــ بـلفـظه مع زيادة بعض الألفاظ.

* وفي صحيح مسلم ــ كتاب الحـدود ــ باب ٢ ــ حـديث رقم (١٦٨٨) بلفظه مـع زيادة بعض الألفاظ.

* وفي مسند الإمام أحمد ١٦٢/٦ ــ مسند عروة عن عائشة بمعناه.

* وفي سنن ابن ماجه ــ كتاب الحدود ــ بـاب ٦ ــ حديث رقم (٢٥٤٧) بلفـظه مع حذف بعض الألفاظ وزيادة ألفاظ أخرى.

﴿ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[1].

ففي أمة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر الذي فيه صلاح العباد في المعاش والمعاد ما لم يوجد مثله في الأمتين.

• • •

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١١٠.

فصل

ردّ دعوى النّصارى أنّ القرآن نفى عنهم الشرك

ثم قالوا: وكذلك جاء في هذا[١] الكتاب يقول:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[٢].

فذكر القسيسين والرهبان، لئلا يقال: إن هذا قيل عن غيرنا، ودل بهذا[٣] على أفعالنا وحسن نياتنا، ونفى عنا اسم الشرك بقوله اليهود والذين أشركوا أشد الناس[٤] عداوة للذين آمنوا، والذين قالوا إنا نصارى أقربهم مودة.

والجواب أن يقال: : تمام الكلام:

﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟

---

(١) (هذا) ساقطة من ط.

(٢) سورة المائدة: الآية ٨٢.

(٣) في ط، ك (فدل هذا) بدلاً من (ودل هذا).
في س، أ ماأثبتناه، وهو الصحيح كما في أصل مخطوطة رسالة بولس ص ٦.

(٤) (الناس) ساقطة من ك، أ، س.

﴿جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[1].

فهو ـ سبحانه ـ لم يعد بالثواب في الآخرة إلّا لهؤلاء الذين آمنوا بمحمد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ الذين قال فيهم:

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[2].

والشاهدون هم الذين شهدوا له بالرسالة فشهدوا أن لا إلٰه إلّا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ، وهم الشهداء الذين قال فيهم:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾[3].

و[4]لهذا قال ابن عباس وغيره في قوله[5]:

---

(1) سورة المائدة: الآيات ٨٣ ـ ٨٥.
(خالدين فيها) سقطت من ك، أ.

(2) سورة المائدة: الآية ٨٣.

(3) سورة البقرة: من الآية ١٤٣.

(4) في س زاد وقوله ـ تعالى ـ: ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج... الآية﴾.
ثم زاد جملة جديدة: فهو سبحانه جعلهم أمة وسطاً وسماهم مسلمين من قبل أي من قبل نزول القرآن، وفي القرآن ليكون الرسول عليهم شهيداً، ويكونوا شهداء على الناس، ثم كلام ابن عباس.
أما في أ فقد ذكر أول الآية السابقة إلى قوله ﴿واعبدوا ربكم...﴾ ثم ذكر كلام ابن عباس.

(5) في قوله: ساقطة من ط، ك.

﴿ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[1].

قال مع محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأمته.

وكل من شهد للرسل بالتصديق فهو من الشاهدين، كما قال الحواريون:

﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ (٧٧) وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ ﴾[3].

وأما قوله في أول الآية:

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ﴾[4].

فهو كما أخبر ـ سبحانه وتعالى ـ فإن عداوة المشركين واليهود للمؤمنين أشد من عداوة النصارى. والنصارى أقرب مودة لهم، وهذا معروف من أخلاق اليهود، فإن اليهود فيهم من البغض والحسد والعداوة ما ليس في النصارى.

---

(١) سورة آل عمران: من الآية ٥٣.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٥٣.

(٣) سورة الحج: الآيتان ٧٧، ٧٨.
هذه الآية بطولها قدمت في س كما أشرنا من قبل، وذكر أولها فقط في أ.

(٤) سورة المائدة: من الآية ٨٢.

وفي النصارى من الرحمة والمودة ما ليس في اليهود، والعداوة أصلها البغض. فاليهود كانوا يبغضون أنبياءهم، فكيف ببغضهم للمؤمنين.

وأما النصارى فليس في الدين الذي يدينون به عداوة ولا بغض لأعداء الله الذين حاربوا الله ورسوله وسعوا في الأرض فساداً، فكيف بعداوتهم وبغضهم للمؤمنين المعتدلين أهل ملة إبراهيم، المؤمنين بجميع الكتب والرسل؟

وليس في هذا مدح للنصارى بالإيمان بالله، ولا وعد لهم بالنجاة من العذاب، واستحقاق الثواب، وإنما فيه أنهم أقرب مودة، وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[1].

أي بسبب هؤلاء، وسبب ترك الاستكبار يصير فيهم من المودة ما يصيرهم بذلك خيراً من المشركين وأقرب مودة من اليهود والمشركين.

ثم قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾[2].

فهؤلاء الذين مدحهم بالإيمان ووعدهم بثواب الآخرة، والضمير وإن عاد إلى المتقدمين، فالمراد جنس المتقدمين لا كل واحد منهم، كقوله ـ تعالى ـ :

---

(١) سورة المائدة: الآية ٨٢.

(٢) سورة المائدة: من الآية ٨٣.

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾[1].

وكأن جنس الناس، قالوا لهم: إن جنس الناس، قد جمعوا ويمتنع العموم، فإن القائل من الناس، والمقول له من الناس، والمقول عنه من الناس، ويمتنع أن يكون جميع الناس قال لجميع الناس: إنه قد جمع لكم جميع الناس.

ومثل هذا قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾[2].

أي جنس اليهود قال هذا، لم يقل هذا كل يهودي. ومن هذا أن في النصارى من رقة القلوب[3] التي توجب لهم الإيمان ما ليس في اليهود، وهذا حق، وأما قولهم: ونفى عنا اسم الشرك، فلا ريب أن الله فرق بين المشركين، وأهل الكتاب في عدة مواضع، ووصف من أشرك منهم في بعض المواضع، (بل قد ميّز بين الصابئين والمجوس وبين المشركين في بعض المواضع)[4] وكلا الأمرين حق، فالأول كقوله ـ تعالى ـ :

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[5].

---

(١) سورة آل عمران: من الآية ١٧٣.
في س، أ نقص من الآية ﴿فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾.

(٢) سورة التوبة: من الآية ٣٠.

(٣) في أ (القلب) بدلاً من (القلوب).

(٤) ما بين القوسين ساقط من أ.

(٥) سورة البينة: من الآية ١.

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ ﴾(١).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ ﴾(٢).

وأما وصفهم بالشرك ففي قوله:

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(٣).

فنزه نفسه عن شركهم، وذلك أن أصل دينهم ليس فيه شرك، فإن الله إنما بعث رسله بالتوحيد، والنهي عن الشرك، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾(٤).

---

(١) سورة الحج: من الآية ١٧.
في س، أ قدم النصارى على الصابئين، وهو خطأ.

(٢) سورة المائدة: من الآية ٨٢.

(٣) سورة التوبة: الآية ٣١.

(٤) سورة الزخرف: الآية ٤٥.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[1] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[2] .

فالمسيح ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ ومن قبله من الرسل إنما دعوا إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وفي التوراة من ذلك ما يعظم وصفه، لم يأمر أحد الأنبياء بأن يعبد ملك ولا نبي ولا كوكب[3]، ولا وثن، ولا أن تسأل[4]، ولا تطلب[5] الشفاعة إلى الله من ميت ولا غائب، لا[6] نبي ولا ملك. فلم يأمر أحد من الرسل بأن يدعو الملائكة، ويقول: اشفعوا لنا إلى الله، ولا يدعو الأنبياء و[7] الصالحين الموتى والغائبين، ويقول: اشفعوا لنا إلى الله، ولا تصور تماثيلهم لا مجسدة ذات ظل، ولا مصورة في الحيطان، ولا يجعل دعاء تماثيلهم وتعظيمها قربة وطاعة سواء قصدوا دعاء أصحاب التماثيل، وتعظيمهم والاستشفاع بهم، وطلبوا منهم أن يسألوا الله تعالى، وجعلوا تلك التماثيل تذكرة بأصحابها، أو قصدوا[8] دعاء التماثيل ولم يستشعروا أن

---

(١) سورة النحل: من الآية: ٣٦.
(٢) سورة الأنبياء: الآية ٢٥.
(٣) في ط (كواكب) بدلاً من (كوكب).
(٤) في ط، ك (تسأل) بدلاً من (يسأل).
(٥) (ولا يطلب) ساقطة من ط، ك.
(٦) في ط (ولا) بزيادة واو.
(٧) في س سقطت (الواو).
(٨) في ط (وقصدوا).

المقصود دعاء أصحابها، كما فعله جهال المشركين، وإن كان في هذا جميعه إنما يعبدون الشيطان وإن كانوا لا يقصدون عبادته، فإنه قد يتصور لهم في صورة ما يظنون أنها صورة الذي يعظمونه، ويقول: أنا الخضر، أنا المسيح، أنا جرجس، أنا الشيخ فلان.

كما قد وقع هذا لغير واحد من المنتسبين إلى المسلمين والنصارى، وقد يدخل الشيطان في بعض التماثيل فيخاطبهم، وقد يقضي بعض حاجاتهم، فبهذا السبب وأمثاله ظهر الشرك قديماً وحديثاً، وفعل النصارى وأشباههم ما فعلوه من الشرك.

وأما الأنبياء والرسل ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ فنهوا عن هذا كله ولم يشرع أحد منهم شيئاً من ذلك، والنصارى[1] لا يأمرون بتعظيم الأوثان المجسدة، ولكن بتعظيم التماثيل المصورة، فليسوا على التوحيد المحض، وليسوا كالمشركين الذين يعبدون الأوثان ويكذبون الرسل، فلهذا جعلهم الله نوعاً غير المشركين تارة، وذمهم على ما أحدثوه من الشرك تارة.

وإذا أطلق لفظ الشرك فطائفة من المسلمين تدخل فيه جميع الكفار من أهل الكتاب، وغيرهم كقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ﴾[2].

---

(١) في ط، ك (فالنصارى) بدلاً من (والنصارى).

(٢) سورة البقرة: من الآية ٢٢١.

الآية كتبت في جميع النسخ مبتورة ومقلوبة هكذا: ﴿ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾.

فمن الناس[1] من يجعل اللفظ عاماً لجميع الكفار، ولا سيما[2] النصارى ثم من هؤلاء من ينهي عن نكاح هؤلاء[3]، كما كان عبد الله بن عمر[4]، ينهى عن نكاح (النصرانية، ويقول: لا أعلم شركاً أعظم من أن تقول: إن عيسى ربها)[5].

وهذا قول طائفة من الشيعة وغيرهم[6].

وأما جمهور السلف والخلف[7]، فيجوزون نكاح الكتابيات، ويبيحون ذبائحهم، لكن إذا قالوا: لفظ المشركين عام، قالوا: هذه الآية

---

(١) يقصد من المسلمين، وهؤلاء هم الذين أشار إليهم فيما بعد بكلمة هؤلاء الأولى.

(٢) في ط، س (لا سيما) بدون واو.

(٣) يقصد بهؤلاء الثانية: (النصارى).

(٤) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب صحابي جليل ابن الخليفة الثاني من علماء الصحابة وحفاظهم ولد بعد البعثة بثلاث سنين وشهد مع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ما بعد أحد، وهو من رواة الحديث المكثرين، وكان حريصاً على متابعة الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في كل صغيرة وكبيرة، عاش أكثر من أربع وثمانين سنة ومات سنة ثلاث وسبعين للهجرة، وقيل غير ذلك ـ رضي الله عنه ـ.
انظر: الإصابة لابن حجر ٣٤٧/٢؛ والاستيعاب بهامش الإصابة ٣٤١/٢.

(٥) في ط، س كتبت هذه العبارة هكذا (هؤلاء ويقول لا أعظم شركاً من أن يقول عيسى ربنا).
وهذا الأثر موجود في كلام المفسرين على هذه الآية.
انظر: تفسير القرطبي ٦٨/٣.

(٦) طائفة الشيعة التي تمنع نكاح الكتابيات هم: الإمامية.
انظر: المغني لابن قدامة ٥٨٩/٦ ـ طبعة مكتبة الجمهورية العربية.

(٧) قال ابن قدامة في المغني ٥٨٩/٦: ليس بين أهل العلم اختلاف في حل حرائر أهل الكتاب، وممن روي عنه ذلك عمر وعثمان وطلحة وحذيفة وسلمان وجابر وغيرهم.
قال ابن المنذر: ولا يصح عن أحد من الأوائل أنه حرم ذلك. وانظر ـ أيضاً ـ كلام ابن كثير رحمه الله في تفسيره ٢٥٧/١، ٢٠/٢ على آية سورة البقرة رقم ٢٢١، وآية سورة المائدة المذكورة أعلاه.

مخصوصة أو منسوخة بآية المائدة، وهو قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ﴾[1].

وطائفة أخرى تجعل[2] لفظ المشركين إذا أطلق لا يدخل فيه أهل الكتاب.

وأما كون النصارى فيهم شرك ـ كما ذكره الله ـ فهذا متفق عليه بين المسلمين، كما نطق به القرآن، كما أن المسلمين متفقون على أن قوله:

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ﴾[3].

أن[4] النصارى لم يدخلوا في لفظ الذين أشركوا، كما لم يدخلوا في لفظ اليهود.

وكذلك قوله:

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[5].

ونحو ذلك، وهذا لأن اللفظ[6] الواحد تتنوع دلالته بالإفراد والإقتران

---

(١) سورة المائدة: من الآية ٥.

(٢) في ط (تجعلوا) بدلاً من (تجعل).

(٣) سورة المائدة: من الآية ٨٢.

(٤) في ط (لأن) بدلاً من (أن).

(٥) سورة البينة: من الآية ١.

(٦) في ط، ك (لفظ) بدلاً من (اللفظ).

فيدخل فيه مع الإفراد والتجريد ما لا يدخل فيه عند الإقتران بغيره[1]، كلفظ المعروف والمنكر في قوله تعالى:

﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[2].

فإنه هنا[3] يتناول جميع ما أمر الله به فإنه معروف، وجميع ما نهى عنه فإنه منكر.

وفي قوله: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[4].

فهنا قرن الصدقة بالمعروف[5] والإصلاح بين الناس.

وكذلك المنكر في قوله:

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[6].

قرن الفحشاء بالمنكر، وقوله:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[7].

قرن الفحشاء بالمنكر والبغي.

وكذلك لفظ البر والإيمان، إذا[8] أفرده أدخل[9] فيه الأعمال الصالحة[10] والتقوى، كقوله:

---

(١) في ط، ك (بغيره) ساقطة.
(٢) سورة الأعراف: من الآية ١٥٧.
(٣) (هنا) ساقطة من: المطبوعة، د.
(٤) سورة النساء. من الآية ١١٤.
(٥) في س، ط: المعروف بالصدقة.
(٦) سورة العنكبوت: من الآية ٤٥.
(٧) سورة النحل: من الآية ٩٠.
(٨) في المطبوعة، د: (وإذا) بزيادة واو.
(٩) في المطبوعة: (دخل) بدلاً من (أدخل).
(٩) (الصالحة) ساقطة من: المطبوعة، د.

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[1].

وقال: ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾[2].

وقوله[3]:

﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[4].

وقد يقرنه بغيره كقوله:

﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ ﴾[5].

وقوله:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[6].

وكذلك لفظ الفقير، والمسكين إذا أفرد أحدهما دخل فيه معنى[7] الآخر.

وقد يجمع بينهما في قوله:

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ﴾[8].

---

(١) سورة البقرة: من الآية ١٧٧.

(٢) سورة الانفطار: الآية ١٣.

في ط، ك كلام زائد وهو آيات مبتورة، إحداهما هي الآية التالية لهذا من سورة الأنفال رقم ٢، والثانية قوله ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري﴾ وقد حذفناها ليستقيم المعنى.

(٣) في ط، ك (وقال) بدلاً من (وقوله).

(٤) سورة الأنفال: من الآية ٢.

(٥) سورة المائدة: من الآية ٢.

(٦) سورة البروج: من الآية ١١.

(٧) في ط، ك (لفظ) بدلاً من (معنى).

(٨) سورة التوبة: من الآية ٦٠.

فيكونان هنا صنفين، وفي تلك المواضع صنف واحد، فكذلك لفظ الشرك في مثل قوله:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾[1].

يدخل فيه جميع الكفار أهل الكتاب، وغيرهم عند عامة العلماء، لأنه أفرده وجرده، وإن كانوا إذا قرن بأهل الكتاب كانا صنفين.

وفي صحيح مسلم عن بريدة[2] أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : (كان إذا أرسل أميراً على سرية، أو جيش أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله، وأوصاه بمن معه من المسلمين خيراً، وقال لهم: اغزوا بسم الله في سبيل الله[3]، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى خلال ثلاث ـ فإن هم أجابوك إليها، فاقبل منهم، وكف عنهم ـ ادعهم[4] إلى الإسلام فإن أجابوك إلى ذلك، فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فإن[5] لهم ما للمهاجرين

---

(١) سورة التوبة: من الآية ٢٨.
في س، أ نقص من الآية (بعد عامهم هذا).

(٢) هو: بريدة بن الحصيب بن عبد الله الأسلمي، صحابي جليل، أسلم قبل بدر ولم يشهدها، وشهد الحديبية، بايع بيعة الرضوان، مات في خلافة يزيد بن معاوية بمرو، ولم يذكر تاريخ وفاته.
انظر: الإصابة ١٤٦/١؛ والاستيعاب بهامش الإصابة ١٧٣/١، طبعة السعادة بمصر.

(٣) في ط، ك (في سبيل الله في دعة) بزيادة (في دعة). وهذه ليست في أصل الحديث في صحيح مسلم.

(٤) (أدعهم) ساقطة من ط.

(٥) في أ (كان) بدلاً من (فإن).

وعليهم ما عليهم، فإن أبوا أن يتحولوا منها[1] فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المسلمين[2] وليس لهم في الغنيمة والفيء نصيب، إلَّا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فاسألهم الجزية، فإن هم أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم)[3].

وهذا الحديث كان بعد نزول آية الجزية[4]، وهي إنما نزلت عام تبوك[5] لما قاتل النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ النصارى بالشام، واليهود باليمن.

وهذا الحكم ثابت في أهل الكتاب باتفاق المسلمين، كما دل عليه الكتاب والسنة، ولكن تنازعوا في الجزية: هل تؤخذ من غير أهل الكتاب؟ وهذا مبسوط في موضعه[6].

• • •

---

(١) في ط (عنها) بدلاً من (منها). (٢) في أ (الأعراب) بدلاً من (المسلمين).

(٣) (وكف عنهم) ساقطة من س.

انظر: صحيح مسلم ـ كتاب الجهاد والسير ـ باب ٢ ـ رقم الحديث ١٧٣١ بلفظه وله بقية لم يذكرها المؤلف.

وانظر: موطأ مالك ـ كتاب الجهاد ـ باب ٣ ـ ٤ حديث رقم ١١ جزء قصير منه، مروي عن عمر بن عبد العزيز أنه بلغنا أن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كان إذا بعث سرية يقول لهم. . . الحديث.

(٤) آية الجزية هي التي أمرت بأخذ الجزية من أهل الكتاب، وكان الأمر قبلها إما الإسلام أو القتال، وهي قوله ـ تعالى ـ : **﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾** [سورة التوبة: الآية ٩].

(٥) **عام تبوك**: هو السنة التاسعة من الهجرة التي غزا فيها النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ النصارى بتبوك.

انظر: البداية والنهاية ٥/٢ وما بعدها.

(٦) يعني كتب الفقه في أبواب الجهاد، وكلام المفسرين على آية سورة التوبة السابقة.

فصل

قالوا[1]: وقال[2] في سورة البقرة:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[3].

ردّ دعوى النصارى أن القرآن سوّى بين جميع الأديان

(فساوى بهذا القول بين سائر الناس: اليهود والمسلمين وغيرهم)[4].

والجواب أن يقال:

أولاً: لا حجة لكم في هذه الآية على مطلوبكم، فإنه يسوي بينكم وبين اليهود والصابئين، وأنتم مع المسلمين متفقون على أن اليهود

---

(١) المقصود بهم النصارى وقولهم في رسالة بولس.
انظر: مخطوطتها ص ٦ ـ المتحف القبطي بمصر.
وهذا مبدأ كلام لهم يسوقه الشيخ ـ رحمه الله ـ ليجيب عنه بقوله بعد قليل: والجواب أن يقال: . . .

(٢) (وقال) ساقطة من ط .

(٣) سورة البقرة: الآية ٦٢.
في ط كتبت آية سورة المائدة (٦٩)، وهي قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.
وهذا خطأ مخالف لسائر النسخ التي ذكرت فيها آية البقرة، ومخالف لسياق كلام النصارى الذي ساقه الشيخ هنا بقوله: «قالوا: وقال في سورة البقرة: . . .».

(٤) في س، أ (فساوى بهذا القول بين سائر المسلمين وغيرهم).

كفار من حين[1] بعث المسيح إليهم فكذبوه.

وكذلك[2] الصابئون من حين[3] بعث إليهم رسول فكذبوه[4]، فهم كفار[5]. فإن كان في الآية مدح لدينكم الذي أنتم عليه بعد مبعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ففيها مدح دين اليهود أيضاً، وهذا باطل عندكم وعند المسلمين.

وإن لم يكن فيها مدح اليهود بعد النسخ والتبديل فليس فيها مدح لدين النصارى بعد النسخ والتبديل.

وكذلك يقال لليهودي، إن احتج بها على صحة دينه.

وأيضاً، فإن النصارى يكفرون اليهود، فإن كان دينهم حقاً لزم كفر اليهود، وإن كان باطلاً لزم بطلان دينهم فلا بد من بطلان أحد الدينين فيمتنع أن تكون الآية مدحتهما، وقد سوت[6] بينهما.

فعلم[7] أنها لم تمدح واحداً منهما بعد النسخ والتبديل، وإنما معنى الآية أن المؤمنين بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، والذين هادوا الذين اتبعوا موسى ـ عليه السلام ـ، وهم الذين كانوا على شرعه قبل النسخ والتبديل. والنصارى الذين اتبعوا المسيح ـ عليه السلام ـ، وهم الذين كانوا على شريعته[8] قبل النسخ والتبديل.

---

(1) (حين) ساقطة من ط.
(2) في ط، ك (كذا) بدلاً من (وكذلك).
(3) (حين) ساقطة من س، أ، في ط (حيث) بدلاً من (حين).
(4) في س، أ (فكذبه) بدلاً من (فكذبوه).
(5) في أ (فهو كافر) بدلاً من (فهم كفار).
(6) في س، أ (سوى) بدلاً من (سوت).
(7) في ط (فلم) بدلاً من (فعلم).
(8) في س (شرعة) بدلاً من (شريعته).

والصابئين[1] وهم الصابئون الحنفاء، كالذين كانوا من العرب وغيرهم على دين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق قبل التبديل والنسخ.

فإن العرب من ولد إسماعيل، وغيره الذين كانوا جيران البيت العتيق الذي بناه إبراهيم وإسماعيل كانوا حنفاء على ملة إبراهيم إلى أن غير دينه بعض ولاة خزاعة، وهو عمرو بن لحى[2]، وهو أول من غير دين إبراهيم بالشرك، وتحريم ما لم يحرمه الله، ولهذا قال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «رأيت عمرو بن لحى يجر قصبه ــ أي أمعاءه ــ في النار»[3] وهو أول من بحر البحيرة، وسيب ....

---

(١) في ط (الصابئون) بدلاً من (الصابئين).

(٢) عمرو بن لحى بن حارثة بن عمر بن عامر الأزدي من قحطان، أول من غير دين إسماعيل ــ عليه السلام ــ ، ودعا العرب إلى عبادة الأوثان، وفي اسمه واسم أبيه ونسبه خلاف شديد، وهو جد خزاعة عند كثير من النسابين، وقد تولى حجابة البيت الحرام بمكة، وكان غنياً، قيل أنه ربما ذبح أيام الحج عشرة آلاف بدنة وكسا عشرة آلاف حلة في كل سنة، وقد خرج إلى أرض مآب أو (مواب) بالبلقاء بالأردن فوجد أهلها يعبدون الأصنام فأعجب بذلك وأخذ منها صنماً نصب بمكة فعبده الناس.
انظر: البداية والنهاية لابن كثير ١٨٧/٢؛ والأعلام للزركلي ٢٥٧/٥.

(٣) انظر:
* صحيح البخاري ــ كتاب المناقب ــ باب ٩ ــ بلفظ: قال أبو هريرة: قال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «رأيت عمرو بن عامر بن لحى الخزاعي يجر قصبه في النار وكان أول من سيب السوائب».

* وفي صحيح مسلم كتاب الكسوف ــ باب ١ ــ حديث ٩٠١ ــ ٣ حديث طويل وفيه ذكر جملة «ورأيت فيها ابن لحى وهو الذي سيب السوائب»، وفي كتاب الجنة ونعيمها ــ باب ١٣، حديث رقم ٢٨٥٦/٥٠، عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «رأيت عمرو بن لحى بن قمعة بن خندف أبا بني كعب هؤلاء يجر قصبه في النار». =

السوائب[1]، وغير دين إبراهيم.

وكذلك بنو إسحاق الذين كانوا قبل مبعث[2] موسى متمسكين بدين[3] إبراهيم كانوا من السعداء المحمودين، فهؤلاء[4] الذين كانوا على دين موسى والمسيح وإبراهيم، ونحوهم هم[5] الذين مدحهم الله ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[6].

فأهل الكتاب بعد النسخ والتبديل ليسوا ممن آمن بالله، ولا باليوم الآخر وعمل صالحاً، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ

= * وفي مسند الإمام أحمد ١/٤٤٦، عن ابن مسعود بلفظ: «أن أول من سيب السوائب وعبد الأصنام أبو خزاعة عمرو بن عامر، وإني رأيته يجر أمعاءه في النار».
و٢/٢٧٥، عن أبي هريرة بلفظ: «رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه يعني أمعاءه في النار، وهو أول من سيب السوائب».

(١) البحيرة: هي التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس.
السائبة: كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء.
انظر: تفسير ابن كثير ٢/١٠٧، طبعة الحلبي ـ تفسير آية ١٠٣ من سورة المائدة.

(٢) (مبعث) ساقطة من ك.

(٣) في س، أ (بملة) بدلاً من (بدين).

(٤) في ط (فؤلاء) بدلاً من (فهؤلاء).

(٥) (هم) ساقطة من ط .

(٦) سورة البقرة: الآية ٦٢.
في ط (الصائبون) بدلاً من (الصابئون) وهو خطأ.
وفي ط أيضاً: (من آمن منهم بالله) بزيادة (منهم) وهو خطأ.

ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾[1].

وقد تقدم أنه كفّر أهل الكتاب الذين بدّلوا دين موسى والمسيح، وكذبوا بالمسيح أو بمحمد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ في غير موضع، وتلك آيات صريحة، ونصوص كثيرة[2]، وهذا متواتر معلوم بالاضطرار[3] من دين محمد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ.

ولكن هؤلاء النصارى سلكوا في القرآن ما سلكوه في التوراة والإنجيل، يَدَعون[4] النصوص المحكمة الصريحة البينة الواضحة التي لا تحتمل إلّا معنى واحداً، ويتمسكون بالمتشابه المحتمل[5]، وإن كان[6] فيه ما يدل على خلاف مرادهم، (كما قال ـ تعالى ـ فيهم وفي أمثالهم:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾)[7].

● ● ●

---

(1) سورة التوبة: الآية ٢٩.
(2) في أ (كثير) بدلاً من (كثيرة).
(3) (بالاضطرار) ساقطة من أ.
(4) في ط (يدّعون) بالتشديد بدلاً من (يدعون).
(5) في ك (بالمتشابه المحكم المحتمل) بدلاً من (بالمتشابه المحتمل) بزيادة (المحكم).
(6) (كان) ساقطة من د، وط.
(7) سورة آل عمران: الآية ٧. من (كما قال تعالى فيهم وفي أمثالهم) إلى نهاية الآية ساقط من أ.

فصل[1]

ردّ دعواهم أنه لا يليق بهم أن يتركوا كلمة الله عندهم التي عظّمها القرآن

قالوا[2]: ثم مدح قرابيننا وتوعدنا[3] إن أهملنا ما معنا وكفرنا بما أنزل إلينا أن يعذبنا عذاباً لم يعذبه أحداً من العالمين بقوله ذلك في سورة المائدة:

﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[4].

فالمائدة هي القربان المقدس الذي يتقرب به[5] في كل قداس[6].

---

(1) في أ كتب في الهامش (آخر الكتاب الأول هنا).
وفي س كتب (هذا أول الجزء الرابع من الجواب الصحيح).

(2) ذكر هذا القول في ص ٦ من مخطوطة رسالة بولس الإنطاكي بالمتحف القبطي / ٩٥.

(3) (وتواعدنا) في جميع النسخ. والصحيح (وتوعّدنا).

(4) سورة المائدة: الآية ١١٢ ـ ١١٥.

(5) في ط، ك (منه) بدلاً من (به).

(6) القداس: من الطقوس الدينية في الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية، وهذا القداس واحد في جميع أنحاء العالم، ويقدم فيه القربان المقدس وهو خبز تصنعه الكنيسة =

والجواب أن يقال:

هذا كذب ظاهر على القرآن في هذا الموضع، كما كذبتم[1] عليه في غير هذا الموضع، فإنه ليس في الآيات ذكر قرابينكم البتة، وإنما فيه ذكر المائدة التي أنزلها الله تعالى في عهد المسيح ـ عليه السلام ـ، وقولهم المائدة: هي القربان الذي يتقرب به في كل قداس، هو أولاً: قول لا دليل عليه، وثانياً: هو قول معلوم الفساد بالاضطرار من دين المسلمين الذين نقلوا هذا القرآن عن محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لفظه، ومعناه، فإنهم متفقون على أن المائدة، مائدة أنزلها الله من السماء[2] على عهد المسيح عليه السلام، وقصتها مشهورة في عامة الكتب تعرفها العامة والخاصة، ولم يقل أحد إنها قرابين النصارى، وليس في لفظ الآية ما يدل على ذلك، بل يدل على خلاف ذلك، فإن الآية تبين أن المائدة منزلة من السماء وقرابينهم هي عندهم في الأرض لم تنزل من السماء.

وفي الآية أن عيسى قال:

﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3].

من دقيق صافٍ على شكل أقراص.

انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٣٧١.

(١) في ط، ك (كذبت) بدلاً من (كذبتم).

(٢) (من السماء) ساقطة من ط، ك.

(٣) سورة المائدة: الآيتان ١١٤، ١١٥.

وفي أول الكلام:

﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[1].

فأين هذا من قرابينهم الموجودة اليوم[2].

● ● ●

---

(١) سورة المائدة: الآيتان ١١٢، ١١٣.
في ط ساق الآية الأولى فقط.

(٢) (اليوم) ساقطة من س.

فصل

تكريم الإسلام للمسيح عبد الله ورسوله

قالوا: ولما تقدم به القول لأنه غير لائق عند ذوي الألباب أن نهمل روح القدس وكلمة الله الذي شهد لهما في هذا الكتاب بالعظائم، فقال[1] عن كلمة الله:

﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[2].

والجواب:

إن الله ــ تعالى ــ لم يبعث محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بإهمال ما يجب من[3] حق المسيح ــ عليه السلام ــ، بل أمره[4] بالإيمان بالمسيح وبما جاء به، كما أمره بالإيمان بموسى وبما جاء به، وكما أمر المسيح بالإيمان بموسى وبما جاء به ولكنه[5] أمر بإهمال ما ابتدع من الدين الذي لم يشرعه الله على لسان المسيح ــ عليه السلام ــ، وما نسخه الله من شرعه على لسان محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، فيهمل[6] المبدل والمنسوخ، كما أمر الله

---

(١) في س، أ، (وقال) بدلاً من (فقال).

(٢) سورة النساء: الآية ١٥٩.

(٣) في ط (في) بدلاً من (من).

(٤) في س، أ (أمر) بدلاً من (أمره).

(٥) في ط (لكنه) بسقوط الواو.

(٦) في س، أ (فنهمل) بدلاً من (فيهمل).

المسيح أن يهمل ما ابتدعته اليهود من الدين الذي لم يشرعه، وما نسخه من شرع موسى.

فكما أمر المسيح أن يهمل المبدل والمنسوخ من التوراة التي جاء بها موسى ـ عليه السلام ـ، ولم يكن في ذلك إهمال لما يجب من[1] حق التوراة وموسى ـ عليه السلام ـ، فكذلك إذا أهمل المبدل والمنسوخ من دين أهل الإنجيل، لم يكن في ذلك إهمال لما يجب من حق الإنجيل والمسيح، بل ما جاء به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يتضمن الإيمان بجميع الكتب والرسل، وأن لا نفرق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون[2]، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[3].

والنصارى كاليهود، آمنوا ببعض وكفروا ببعض، فأيما هو اللائق عند أولي الألباب، أن نؤمن بجميع كتب الله ورسله، أو نؤمن ببعض ونكفر ببعض، وأيما[4] هو اللائق عند أولي الألباب أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً ونعبده بما شرعه على لسان رسوله، أو نبتدع من الشرك والعبادات المبتدعة ما لم ينزل به الله كتاباً ولا بعث به رسولاً ونضاهي المشركين عباد الأوثان[5]؟

---

(١) في أ (في) بدلاً من (من).
(٢) (ونحن له مسلمون) ساقطة من س، أ.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٣٦.
(٤) في س (فإنما) بدلاً من (وأيما).
(٥) في أ (الأصنام) بدلاً من (الأوثان).

قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[2].

فالمسلمون لم يهملوا روح القدس، وكلمة الله، وقد قال تعالى عن كلمة الله:

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾[3].

بل هم الذين اتبعوا دينه ودين الرسل قبله، فإن دين الأنبياء ـ عليهم السلام ـ جميعهم واحد كما[4] ثبت في الصحيحين عن النبي

---

(١) سورة التوبة: الآية ٣٠.

في ط، هامش ك: (الذين كفروا من قبل ـ يعني المشركين ـ قاتلهم الله)، بزيادة (ـ يعني المشركين ـ).

(٢) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

من (وقال ـ تعالى ـ) إلى نهاية الآية ساقط من أ.

في س زاد بعد هذه الآية: (وقال ـ تعالى ـ : ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل...﴾ الآية).

(٣) سورة النساء: من الآية ١٥٩.

(٤) في ط (لما) بدلاً من (كما).

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد»[1].

وقد قال ـ تعالى ـ:

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾[2].

فدين المرسلين كلهم دين واحد، ويتنوع شرعهم ومناهجهم كتنوع شريعة الرسول الواحد، فإن دين المسيح هو دين موسى، وهو دين الخليل قبلهما، ودين محمد بعدهما، مع أن المسيح كان على شريعة التوراة، ثم نسخ الله على لسانه ما نسخ منها وهو قبل النسخ وبعده دينه دين موسى[3]، ولم يهمل دين موسى.

كذلك المسلمون هم على دين المسيح وموسى وإبراهيم[4] وسائر الرسل وهم الذين اتبعوا المسيح، ولهذا جعلهم الله فوق النصارى إلى يوم القيامة.

والنصارى الذين بدّلوا دين المسيح وكذبوا محمداً ـ صلَّى الله

---

(١) انظر:
* صحيح البخاري ـ كتاب الأنبياء ـ باب ٤٨، عن أبي هريرة بلفظ: قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء أخوة لعلَّات أمهاتهم شتى ودينهم واحد».
* صحيح مسلم ـ كتاب الفضائل ـ باب ٤٠ ـ حديث ١٤٥، عن أبي هريرة وذكر الحديث بمعنى ما ورد في صحيح البخاري.
* مسند الإمام أحمد ـ ٢/٤٣٧، عن أبي هريرة، وذكره من حديث طويل بمعنى رواية البخاري.

(٢) سورة الشورى: من الآية ١٣.

(٣) في ط (دين المسيح موسى) بزيادة (المسيح) وهو خطأ.

(٤) (إبراهيم) ساقطة من أ.

عليه وسلَّم ـ[1] بريئون من دين المسيح والمسيح بريء منهم، كبراءة موسى ممن بدل وغير دينه وكذب المسيح.

والمسلمون أشد تعظيماً للمسيح ـ عليه السلام ـ، واتباعاً له بالحق ممن بدل دينه وخالفه من النصارى، فإن المسلمين يصدقونه[2] في كل ما أخبر به عن نفسه، ولا يحرفون ما قاله عن مواضعه، ولا يفسرون كلامه بغير مراده، وكلام غيره من الأنبياء كما فعلت النصارى، فإنهم نقلوا عن المسيح أنه قال: (عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس)[3]، وهذا إذا قاله المسيح فإنه[4] يفسر بلغته وعادته في خطابه وعادة سائر الأنبياء، (وليس في كلام المسيح، ولا في كلام سائر الأنبياء، ولا كلام غيرهم أن كلمة الله)[5] القائمة بذاته سبحانه وتعالى تسمى ابناً، ولا روح قدس، ولا تسمى صفته القديمة، ابناً، ولا روح قدس، ولا يوجد قط في كلام الأنبياء اسم الابن واقعاً إلَّا على مخلوق.

والمراد في تلك اللغة أنه مصطفى[6] محبوب لله، كما ينقلونه أنه قال لإسرائيل[7]: (أنت ابني بكري)[8]، ولداود: (أنت ابني

---

(١) (ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ) ساقطة من س، أ.

(٢) (فإن المسلمين يصدقونه) ساقطة من س، أ.

(٣) في الإصحاح الثامن والعشرين من إنجيل متى (١٩ ـ فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس) بلفظه.
انظر: العهد الجديد ص ٥٥.

(٤) (فإنه) ساقطة من أ.

(٥) ما بين القوسين كتب في س، أ (وليس في كلام الأنبياء ولا كلام غيره أن صفة الله...).

(٦) في أ (يصطفى) بدلاً من (مصطفى).

(٧) في أ (ليعقوب) بدلاً من (لإسرائيل).

(٨) في ط، س، ك كتبت الجملة (أنه ابنه بكره).

وحبيبي)[1]، وأن المسيح قال للحواريين: (أبي وأبيكم)[2]، فجعله أباً للجميع، وهم كلهم مخلوقون فيكون اسم الابن واقعاً على المسيح الذي هو ناسوت[3] مخلوق، فعمد هؤلاء الضّلال فجعلوا اسم الابن واقعاً على اللاهوت قديم أزلي مولود غير مخلوق.

وزعموا أن الابن يراد به الابن بالوضع، وهو المخلوق، وهو الابن بالطبع، وهو القديم الأزلي المولود غير المخلوق، وهذا التفريق هم أحدثوه وابتدعوه، ولا يوجد قط في كلام المسيح ولا غيره أنه سمى القديم الأزلي ابناً، ولا جعل له ابناً قديماً[4] مولوداً[5] غير مخلوق[6]، ولا سمى شيئاً من صفات الله قط[7] ابناً.

وكذلك لفظ روح القدس موجود في غير موضع من كلام الأنبياء

= وفي سفر الخروج ـ الإصحاح الرابع: (٤ ـ فتقول لفرعون هكذا يقول الرب (إسرائيل ابني بكري)).

انظر: العهد القديم ص ٩٢ طبعة القاهرة.

(١) في المزمور الثاني: (٧ ـ ... قال لي: (أنت ابني اليوم ولدتك))، ولم يذكر (وحبيبي).

انظر: العهد القديم ص ٨٣٤.

(٢) في إنجيل يوحنا ـ الإصحاح العشرون: (إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم) النص بلفظه.

انظر: العهد الجديد ص ١٨٦، ط. القاهرة.

(٣) مقصد النصارى بالناسوت: (الجانب البشري من المسيح ـ عليه السلام ـ) الذي يعتقدون أن فيه جانبين ـ أ ـ لاهوتي (إلهي) ـ ب ـ ناسوتي (بشري).

(٤) (قديماً) ساقطة من أ.

(٥) في س (مولوداً قديماً) بدلاً من (قديماً مولوداً).

(٦) (غير مخلوق) ساقطة من أ.

(٧) (قط) ساقطة من س، أ.

ـ عليهم السلام ـ ، لا يراد بهذا قط حياة الله ولا صفة قائمة به[1].

وإنما يراد به ما أيَّد الله به الأنبياء والأولياء، ويجعله في قلوبهم من هداه ونوره ووحيه وتأييده، ومن ما[2] ينزل بذلك من الملائكة، وهذا الذي تسميه الأنبياء روح القدس لم يختص به المسيح، باتفاق المسلمين وأهل الكتاب، بل قد أنزله على غيره من الأنبياء والصالحين كما هو موجود في كتبهم: إن روح القدس كانت في داود وغيره، وكانت أيضاً عندهم في الحواريين[3].

وهكذا خاتم الرسل، كان يقول لحسان بن ثابت[4]: «إن روح القدس معك ما دمت تدافع عن نبيه»[5]، ويقول: «اللهم أيده بروح القدس»[6].

وقد[7] قال الله[8] ـ تعالى ـ عن عباده[9] المؤمنين:

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾[10].

---

(١) (به) ساقطة من ط، ك.

(٢) (ما) ساقطة من ط، ك.

(٣) (وكانت أيضاً عندهم في الحواريين) ساقطة من أ.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) سبق تخريجه.

(٧) (قد) ساقطة من س، أ.

(٨) سقط من س، أ، ك: لفظ الجلالة (الله).

(٩) (عباده) ساقط من ط، ك.

(١٠) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

فروح القدس لا اختصاص للمسيح ـ عليه السلام ـ بها، بل ما يفسر به اسم الابن واسم روح القدس، وغير ذلك مما وصف به المسيح، فهو مشترك بينه وبين غيره من الرسل، وإذا فسروا الحلول بظهور نور الله وعلمه وهداه في الأنبياء فهذا حق وهو مشترك بين المسيح وغيره.

فأما نفس ذات الله فلم تحل في أحد من البشر.

والمسلمون مع شهادتهم للمسيح بأنه عبد الله ورسوله يقولون إنه مؤيد منصور عصمه الله من أعدائه وطهره منهم، ولم يسلطهم عليه.

والنصارى يدعون أن اسم المسيح اسم اللاهوت والناسوت وأنه إله تام وإنسان تام، وهذا يمتنع شرعاً وعقلاً ثم يصفونه بالصفات المتناقضة، يصفونه بأن طائفة من أشرار اليهود وضعوا الشوك على رأسه وبصقوا في وجهه، وأهانوه وصلبوه وفعلوا به ما لا يفعل بأخس الناس، ويقولون مع هذا إنه رب السماوات والأرض وما بينهما[1].

• • •

---

(١) انظر إنجيل متى، الإصحاح ٢٧ صفحة ٥١ ــ ٥٥ طبعة جمعية الكتاب المقدس. القاهرة.

وإنجيل مرقس، الإصحاح ١٥ صفحة ٨٦. نفس الطبعة.

فصل

نسخ شرع التوراة وأنّ ما جاء به المسيح حق

قالوا[1]: ثم شهد لقرابيننا وذبائحنا أنها مقدسة مقبولة لدى الله من كتب اليهود التي في أيديهم يومنا هذا المنزلة من الله على أفواه الأنبياء المرسلين.

قال أشعيا: (قال الله: إني أعرف بني إسرائيل وقلوبهم القاسية الخبيثة، فإذا أنا ظهرت إلى الأمم فنظروا إلى كرامتي، أقيم منهم أنبياء وأبعث منهم مخلصين، يخلصون الأمم من البلدان القاصية الذين لم يسمعوا بسماعي، ولم يعرفوا من قبل كرامتي، ويكون اسمي فيهم، ويجلبون إخوتهم من الأمم كلها، ويجيبون قرابين الله على الدواب والمراكب إلى جبل قدسي بيت المقدس، فيقربون لي القرابين بالسميد، كما كان بنو إسرائيل من قبل، وكذلك باقي الأمم، وتقرب[2] القرابين بين يدي. فهم وزرعهم إلى الأبد، ويحجون في كل سنة، وفي كل شهر، ومن سنة إلى سنة إلى بيت المقدس، بيت الله، ويقربون لله ربهم فيه قرابين زكية نقية، ينظرون إلى الأمة الخبيثة الماردة: بني إسرائيل، لا يبلى حزنها[3] ولا ينقطع بلاؤها إلى الأبد)[4].

---

(١) المقصود بـ (قالوا): علماء النصارى الذين يحكي بولس الإنطاكي حواره معهم في رسالته التي يرد عليها المؤلف.

(٢) في ك، ط (يقرب) بدلاً من (تقرب).

(٣) في ط، ك (حرمها) بدلاً من (حزنها).

(٤) في سفر أشعياء النبي ــ الإصحاح السادس والستون (١٨ ــ يقول الرب وأنا أجازي أعمالهم وأفكارهم حدث لجمع كل الأمم والألسنة فيأتون ويرون مجدي، ١٩ ــ =

وقال دانيال[1] النبي[2] ـ عليه السلام ـ : (وسيأتي على شعبك[3] وقرية قدسك سبعون سابوعاً، وتنقضي الذنوب، وتفنى الخطايا وغفران الإثم، ويؤتى بالحق الذي لم ينزل من قبل، وتتم نبوات الأنبياء وكتب الرسل، وتبيد قرية القدس وتخرب مع مجيء المسيح، ويفنى الميثاق العتيق من الناس، ومن بعد أسبوع ونصف تبطل ذبائح اليهود وقرابينهم، وتصير على كف النجاسة والفساد إلى انقضاء الدهر)[4].

= وأجعل فيهم آية وأرسل منهم ناجين إلى الأمم إلى ترشيش وفول ولود النازعين في القوس إلى توبال وياوان إلى الجزائر البعيدة التي لم تسمع خبري ولا رأت مجدي فينجرون بمجدي بين الأمم. ٢٠ ـ ويحضرون كل إخوانهم من كل الأمم تقدمة للرب على خيل وبمركبات وبهوادج وبغال وهجن إلى جبل قدسي أورشليم، قال الرب كما يحضر بنو إسرائيل تقدمة في إناء طاهر إلى بيت الرب. ٢١ ـ واتخذ أيضاً منهم كهنة ولاويين. قال الرب. ٢٢ ـ لأنه كما أن السموات الجديدة والأرض الجديدة التي أنا صانع تثبت أمامي يقول الرب هكذا يثبت نسلكم واسمكم. ٢٣ ـ ويكون من هلال إلى هلال ومن سبت إلى سبت أن كل ذي جسد يأتي يسجد أمامي. قال الرب. ٢٤ ـ ويخرجون ويرون جثث الناس الذين عصوا علي لأن دودهم لا يموت ونارهم لا تطفأ ويكونون رذالة لكل ذي جسد».
انظر: الكتاب المقدس ـ العهد القديم ص ١٠٧٢، ط. القاهرة.

(١) سبقت ترجمته.

(٢) (النبي) ساقطة من ط، ك.

(٣) في ط، ك (بيعتك) بدلاً من (شعبك).

(٤) في سفر دانيال النبي ـ الإصحاح التاسع (٢٤ ـ سبعون أسبوعاً قضيت على شعبك، وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية، وتتميم الخطايا، ولكفارة الإثم، وليؤتى بالبر الأبدي، ولختم الرؤيا والنبوة، ولمسح قدوس القدوسين ـ ٢٥ ـ فاعلم وافهم أنه من خروج الأمر لتجديد أورشليم، وبنائها إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعاً يعود ويبني سوق وخليج في ضيق الأزمنة ـ ٢٦ ـ وبعد اثنين وستين أسبوعاً يقطع المسيح وليس له، وشعب رئيس آتٍ يخرب المدينة والقدس وانتهاؤه بغمارة إلى النهاية حرب وضرب قضي بها ـ ٢٧ ـ انظر العهد القديم، ص ١٢٨٠.

وقال ميخا[1] النبـي ــ عليه السلام ــ : (قال الله: في آخر الزمان إذا أتى المسيح يدعو الأمم المبددة، ويضعهم شعباً واحداً، ويبـطل قتال بني إسرائيل وسلاحهم وقرابينهم إلى الأبد)[2].

وقال عاموص[3] النبـي: (لا تذبحـوا[4] العجول بعـد، فإن الـرب سيـأتي صهيون ويحـدث وصية جـديدة طـاهرة من الخبـز النقي والخمر الزكي ويصير بنو إسرائيل مطرودين)[5].

---

(١) **ميخا النبـي**: سادس الأنبياء الصغار ويسمى المورشتي من مسقط رأسه مـورشة قـرية بقرب جت تنبأ في ملك يوثام وآحاز وحزقيا ملوك يهوذا (٧٥١ ــ ٦٩٣ق. م)، وكـان معاصراً لأشعياء الذي يشبهه في أسلوبه ونهج كتابته وله سفر في العهد القديم.
انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٩٣٦؛ والإصحاح الأول العهد القديم ص ١٣١٨.

(٢) في سفر ميخا ــ الإصحاح الرابع (٢ ــ لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمـة الرب فيقضي بين شعـوب كثيرين ينصف الأمم قـوة بعيدة فـيطبعـون سيـوفهم سككاً ورماحهم مناجل لا ترفع أمة على أمة سيفـاً ولا يتعلمون الحـرب فيما بعـد بل يجلسون كل واحد تحت كرمته وتينته ولا يكـون من يرعب لأن فم رب الجنـود تكلم لأن جميع الشعوب يسلكون كل واحـد باسم إلّـه ونحن نسلك باسم الـرب إآهنا إلى الدهر والأبـد، في ذلك اليـوم يقول الـرب: أجمع الـظالعة وأضمم المـطرو.ة والتي أضررت بها وأجعل الظالعـة بقية والمعصـاة أمة قـوية ويملك الـرب عليهم في جبل صهيون من الآن إلى الأبد) بمعناه.
انظر: الكتاب المقدس ــ العهد القديم ص ١٣٢١؛ وسفر أشعيا ــ الإصحاح الثاني ص ٩٩٤.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) في ط، ك (لا يذبحوا) بدلاً من (تذبحوا). وفي أ (لا تدعوا).

(٥) في سفـر عامـوس ــ الإصحاح السـادس (٤ ــ المضطجعـون على أسـرة من العـاج والمتمددون على فرشهم والآكلون خرافاً من الغنم وعجولاً من وسط الصيرة الهاذرون مـع صوت الـربـاب المخترعـون لأنفسهم آلات الغناء كـداود الشـاربـون من كؤوس الخمر والذين يدهنون بأفضل الأدهـان ولا يغتمون على انسحـاق يوسف لـذلك الآن يسبون في أول المسبيين ويزول صياح المتمددين) النص بمعناه.
انظر: الكتاب المقدس ــ العهد القديم ص ١٣٠٩، ط. القاهرة.

والجواب[1] **من وجوه:**

أحدها: أن ما يحتجون به من النقل عن الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ يحتاجون فيه إلى أربع مقدمات: إلى أن تعلم نبوة المنقول عنه، وإلى أن يعلم لفظه الذي تكلم به، وإلى أن يعلم ما ذكروه ترجمة صحيحة عنده، فإن أولئك الأنبياء لم يتكلموا بالعربية، بل ولا بالرومية والسريانية واليونانية، وإنما تكلموا بالعبرية، كالمسيح ـ عليه السلام ـ .

والرابع[2]: أن يعلم أن[3] ما ذكروه من كلام الأنبياء دليل على ما ادعوه من قبول قرابينهم في هذا الزمان، ونحن في هذا المقام نقتصر على منازعتهم في هذه المقدمة، فليس فيما ذكروه دليل على مدح قرابينهم وذبائحهم بعد التبديل والنسخ، ولكن غايتها أن يدل على مدحها قبل النسخ والتبديل، وهذا مما لا ينازع فيه المسلمون.

الوجه الثاني: أن هذه النعوت المذكورة عن «أشعيا» وغيره من الأنبياء لا توافق ما عليه النصارى، فإن النصارى لا يقربون القرابين بالسميد[4]، كما كان بنو إسرائيل من قبل، ولا يحجون في كل شهر ومن سنة إلى سنة إلى بيت المقدس، بيت الله، ويقربون لله ربهم فيه قرابين نقية زكية، وإنما يحجون إلى قمامة[5] الخارجة عن بيت الله الذي كانت الأنبياء تقصده وتصلي فيه، فإن الأنبياء إنما كانوا يصلون في بيت

---

(١) في ط (الجواب) بسقوط الواو.

(٢) في ط ذكر أرقام ١، ٢، ٣ أمام المقدمات الثلاثة الأولى وأيضاً ذكر رقم ٤ أمام المقدمة الرابعة.
في س، أ، ك لم يذكر شيء من ذلك سوى كلمة (والرابع) التي أثبتناها.

(٣) (أن) ساقطة من ط .

(٤) السميد: ضرب من الطعام معروف.

(٥) سبق التعريف بها.

المقدس، ويزورون بيت المقدس نفسه، * وأما قمامة فليس لها ذكر في كتب الأنبياء ـ عليهم السلام ـ بل إنما ظهرت قمامة في زمن قسطنطين[1] الملك، لما أظهرتها أمه هيلانة[2] الحرانية لما جاءت بيت المقدس، واختارت من اليهود ثلاثة، وسألتهم أن يدلوها على موضع الصليب، فامتنعوا، فعاقبتهم بالحبس والجوع، فدلوها على موضعه في مزبلة فاستخرجوه، وجعلته في غلاف من ذهب وحملته، وبنت كنيسة القمامة في موضعه، كما ذكر ذلك ابن البطريق[3] في تاريخه، وغيره، كما سيأتي، وذلك بعد المسيح بأكثر من ثلاث مائة سنة[4].

ومن ذلك الوقت أظهروا الصليب[5]، وجعلوا «عيد الصليب»[6]، ولم[7] يشرع ذلك لا المسيح ولا الحواريون، وهذا مذكور في كتبهم متفق عليه بين علمائهم، كما قد ذكر في موضع آخر[8] *، ولا هم يأتون بقرابين لله على الدواب والمراكب إلى جبل قدس بيت[9] الله المقدس.

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) سبقت الترجمة لها ٣/ ٣٠.

(٣) هو سعيد بن البطريق المتطبب، طبيب مؤرخ نصراني ـ من أهل مصر ولد بالفسطاط سنة ثلاث وستين ومائتين من الهجرة النبوية، ولما بلغ الستين من عمره أقيم بطريركاً على الإسكندرية سنة إحدى وعشرين وثلثمائة، وتوفي سنة ثمان وعشرين وثلثمائة من الهجرة.
انظر: ص ٧١١ من كتابنا حيث ترجم له بتوسع أكثر.

(٤) ذكر في نظم الجوهر ١/ ١٣٠ لابن البطريق: فمن ميلاد سيدنا المسيح إلى أن وجد الصليب ثلثمائة وثمان وعشرون سنة. اهـ.

(٥) في س (الصلب) بدلاً من (الصليب).

(٦) (وجعلوا «عيد الصليب») ساقطة من س.

(٧) في ط، ك (فلم) بدلاً من (ولم).

(٨) (كما قد ذكر في موضع آخر) ساقطة من س. وما بين النجمتين ساقط من أ.

(٩) (بيت) ساقطة من ط، ك.

الـوجه الثـالث: أن ما ذكـروه عن «دانيال» لا يتضمن مـدح دينهم بعـد النسـخ والتبـديـل، وإنمـا يتضمن أن الله يبعث المسيـح ـ عليـه السـلام ـ بالحق الـذي لم[1] يزل من قبـل، وهو الـدين الذي بعث بـه الرسل قبله، وهو عبادة الله وحـده، وأن بيت المقدس يخـرب مع مجيء المسيـح، ويفنى الميثاق العتيق، يعني مـا نسخ من شـرع التوراة، وأنـه يبطل ذبائح اليهود وقرابينهم.

وهذا كله إنما يدل على نسخ شـرع التوراة، وبـطلان دولة اليهـود ويـدل على أن المسيح جـاء بالحق ومن اتبـع المسيح كـان على الحق، وهذا مما لاينازع فيه المسلمون، فإنهم متفقون على أن من كان متمسكاً بمـا أمر بـه المسيح فـإنه من عبـاد الله الصالحين، ولكن من جـاء بشرع لم يأتِ به المسيـح، أو أراد اتباع شـرعه بعـد النسخ فهـو بمنزلـة اليهود الـذين[2] نسخ الله مـا نسخه من شـرعهم، وأزال دولتهم، وكذلـك فعـل بالنصارى لما بعث الله محمداً ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ، أزال دولتهم عن وسط الأرض وخيارها، وحيث بعثت الأنبياء كأرض الشام[3]، ومصر[4]،

---

(١) (لم) ساقطة من ط.

(٢) في ط، ك (الذي) بدلاً من (الذين).

(٣) **أرض الشـام**: هي من الفرات إلى العـريش طولاً، ومن جبلي طيء إلى بحـر الـروم عوضاً ـ وهي الأرض المقدسة التي جعلها الله تعالى منزل الأنبياء ومهبط الوحي.
انـظر: آثار البـلاد وأخبار العبـاد ص ٢٠٥؛ ومعجم البلدان ٣/٣١١، دار صـادر ـ بيروت.

(٤) **مصر**: بلاد في شمـال شرق أفـريقيا، قـال عنها الحميـدي: ناحيـة مشهورة عـرضها أربعـون ليلة في مثلها طـولها من العـريش إلى أسوان وعـرضها من بـرقـة إلى أيلة، سميت بمصر بن مصرايم بن حام بن نوح ـ عليه السلام ـ وهي أطيب الأرض تـراباً وأبعدها خراباً ولا يزال فيها بركة ما دام على وجه الأرض إنسان، بها نهر النيل، =

والجزيرة[1]، والعراق[2]، وأرمينية[3]، وأذربيجان[4]، وأجلاهم إلى طرفي الأرض من جهة الشمال والجنوب، وصار الذين في وسط الأرض منهم أحسن أحوالهم إذا لم يسلموا أن يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

وكذلك ما ذكروه عن «ميخا» و«عاموس» إنما يدل على مجيء المسيح ـ عليه السلام ـ، وبطلان ما نسخه الله وأبطله من شرع اليهود

= وهو أطول أنهار الأرض.

انظر: آثار البلاد وأخبار العباد ص ٢٦٣؛ ومعجم البلدان ١٣٧/٥.

(١) **الجزيرة**: يطلق عليها جزيرة أقور وهي التي بين دجلة والفرات مجاورة للشام، تشتمل على ديار مضر وديار بكر، وسميت الجزيرة لأنها بين دجلة والفرات ولأهلها تواريخ معروفة.

انظر: معجم البلدان ١٣٤/٢، دار صادر بيروت.

(٢) **العراق**: ناحية مشهورة وهي من الموصل إلى عبادان طولاً ومن القادسية إلى حلوان عرضاً، بها نهر دجلة ونهر الفرات، فتحها المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ بنوا بها البصرة والكوفة التي اتخذها الخليفة علي ـ رضي الله عنه ـ عاصمة لحكمه.

انظر: آثار البلاد وأخبار العبادص ٤١٩.

(٣) **أرمينية**: هضبة في آسيا الصغرى تقع شرق تركيا وجزء منها في غرب روسيا، وهي أول دولة صارت مسيحية.

انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٢٣.

(٤) في ط (أزربيجان) بدلاً من (أذربيجان).

أذربيجان: إقليم يقع في الشمال الغربي من إيران وجزؤه الشمالي يعرف الآن بجمهورية أذربيجان الإسلامية ويفصل بينهما نهر أراس كان مسكوناً، ويحكمه ملوك قبل القرن الثامن قبل الميلاد، ثم أصبح ضمن الأمبراطورية الفارسية، ويقال أن زرادشت ولد هناك.

فتحها المسلمون في أواخر القرن الأول الهجري السابع الميلادي.

انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٠٧.

وملكهم ولا يدل على صحة دين النصارى الذي لم يشرعه المسيح ـ عليه السلام ـ ولا على صحته بعد أن نسخ بشرع محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ نسخاً هو أبلغ من[1] نسخ بعض شرع موسى بشرع المسيح ـ عليه السلام ـ[2].

* هذا إذا سمى الشرع المؤقت بغاية[3] مجهولة نسخاً، فإن الأول لم يبشر بالثاني.

وأما إذا كان الأول بشر بالثاني[4]، وكانت شريعة الأول مؤقتة إلى مجيء الثاني لم يسم ذلك نسخاً، فالمسيح ومحمد ـ صلَّى الله عليهما وسلَّم ـ لم ينسخا شيئاً بل كان شرع موسى إلى مجيء المسيح، وشرع المسيح إلى مجيء محمد ـ صلَّى الله عليهما وسلَّم ـ *[5].

وأما ما حكى عن أشعيا عن الله أنه قال: (فإذا ظهرت إلى الأمم)[6] فهذا قد يحتج به النصارى وبأمثاله من كلام الأنبياء ـ عليهم السلام ـ على الحلول الذي ابتدعوه، وهو باطل، فإن مثل[7] هذا اللفظ مذكور في كتب أهل الكتاب في غير موضع ولا يراد بشيء منها حلول ذات الله في أحد من البشر، كما ذكر في التوراة أن الله ـ عز وجل ـ

---

(١) في س، أ (ما) بدلاً من (من).
(٢) (عليه السلام) ساقطة من ط، ك.
(٣) في ط (بعناية) بدلاً من (بغاية).
(٤) في ط (الثاني) بسقوط (بـ).
(٥) ما بين النجمتين ساقط من أ، س.
(٦) سبق تخريج هذا النص في ٣/ ١٣٧.
(٧) (مثل) ساقطة من ط، ك.

استعلن لإبراهيم وغيره، (وأن الله يأتي من طور سيناء، ويشرف من ساعير، ويستعلن من جبال فاران)[1].

ومعلوم عند جميع أهل الملل أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لم يحل في موسى ولا غيره لما كلمه، ولا يحل[2] في شيء من جبال فاران مع إخباره أنه استعلن منها.

وقد[3] قال ـ تعالى ـ :

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾[4].

فأظهره بالعلم والحجة والبيان، وأظهره باليد والسنان، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ ﴾[5].

قال أُبي بن كعب[6] وغيره: مثل نوره في قلب ——————

---

(١) في سفر التثنية ـ الإصحاح الثالث والثلاثون: (٢ ـ جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من ساعير وتلألأ من جبل فاران) بمعناه.
انظر: ـ العهد القديم ص ٢٣٤، ط. القاهرة.

(٢) في ط (يحصل) بدلاً من (يحل).

(٣) (وقد) ساقطة من ط، ك.

(٤) سورة التوبة: من الآية ٣٣.

(٥) سورة النور: من الآية ٣٥.

(٦) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد من بني النجار من الخزرج، أبو المنذر صحابي، أنصاري، كان قبل إسلامه حبراً من أحبار اليهود مطلعاً على كتبهم، ولما =

المؤمن[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ ﴾[3].

وفي الترمذي، عن أبي سعيد الخدري[4]، عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر

= أسلم صار من كتاب الوحي، شهد بدراً والمشاهد كلها مع الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، وأمره عثمان ـ رضي الله عنه ـ بجمع القرآن، وله أحاديث في الصحيحين وغيرهما، مات بالمدينة قبل سنة ٢٢هـ .

انظر: حلية الأولياء ١/ ٢٥٠؛ والأعلام للزركلي ١/٧٨، ط. ٣.

(١) ذكر ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره لقوله تعالى: **﴿الله نور السماوات والأرض مثل نوره...﴾** في سورة النور ما يلي: عن أبي بن كعب في قوله تعالى: **﴿الله نور السماوات والأرض مثل نوره...﴾** قال: هو المؤمن الذي جعل الله الإيمان والقرآن في صدره، فضرب الله مثله فقال: **﴿الله نور السماوات والأرض﴾** فبدأ بنور نفسه ثم ذكر نور المؤمن... إلى أن قال ابن كثير: (المصباح في زجاجة)، أي هذا الضوء مشرق في زجاجة صافية، وقال أبي بن كعب وغير واحد: وهي نظير قلب المؤمن...).

انظر: تفسير ابن كثير ٣/٢٩٠، ط. الحلبي.

(٢) سورة الحديد: من الآية ٢٨.

(٣) سورة الشورى: من الآية ٥٢.

(٤) سبقت ترجمته.

بنور الله»[1]، ثم قرأ:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾[2].

قال الترمذي: حديث حسن، وقد جاء عن بعض السلف أن قلوب المؤمنين تضيء لأهل السماوات كما تضيء الكواكب لأهل الأرض[3].

والمخلوق[4] الذي تظهر محبته وذكره وطاعته في بعض البلاد، يقال فلان قد ظهر في هذه الأرض، فإذا ظهر ذكر الله وذكر أسمائه وصفاته وتوحيده وآياته وعبادته حتى امتلأت القلوب بذلك بعد أن كانت ممتلئة بظلمة الكفر والشرك، كان ذلك مما أخبر به من ظهوره، وهذا أعظم ما يكون في بيوته التي يعبد فيها ويذكر فيها اسمه.

ولهذا لمّا ذكر ـ تعالى ـ آية النور وقال:

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ

---

(1) انظر:

* سنن الترمذي ٤/٣٦٠ كتاب تفسير القرآن ـ باب سورة الحجر ـ حديث رقم ٥١٣٣ ـ لكن الترمذي قال بعده: هذا حديث غريب لا نعرفه إلّا من هذا الوجه، وقد روي عن بعض أهل العلم في تفسير هذه الآية: ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾ قال للمتفرسين. اهـ.

* ورواه ابن جرير في تفسيره ١٤/٤٦، لهذه الآية في سورة الحجر: ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾، عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ بلفظه ورواه ابن جرير في تفسيره عن ثوبان بلفظ: «احذروا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله وبتوفيق الله».

(2) سورة الحجر: الآية ٧٥.

(3) لم أعثر على هذا الأثر فيما رجعت إليه من مراجع.

(4) في ط، ك (فالمخلوق) بدلاً من (والمخلوق).

ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾(١).

قال عقب ذلك:

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾(٢).

وكذلك ما في الكتب من ظهوره ببيت المقدس فهو كظهوره بطور سيناء وبجبل فاران، ومع هذا فلم يره موسى ولا غيره لا مجرداً ولا حالاً في غيره، وقد أخبر المسيح أنه لم يره أحد، كما أخبر غيره، وذلك نفي عام(٣) يوجب أنه لا يرى لا مجرداً، ولا حالاً في دار الدنيا، كما قد بسط هذا في موضع آخر.

(ومعلوم أن ملابسة الشيء أبلغ من رؤيته، فإذا كان الرب ـ تعالى ـ لا يراه ناسوت، فأن لا يلابسه ناسوت بطريق الأولى والأحرى!! والنصارى يزعمون أنه اتحد هو والناسوت، وهذا(٤) أعظم من الرؤية)(٥).

• • •

(١) سورة النور: الآية ٣٥.
(٢) سورة النور: الآيات ٣٦، ٣٨.
(٣) في ط، ك (علم) بدلاً من (عام).
(٤) في ط (وهذه) بدلاً من (وهذا).
(٥) ما بين القوسين ساقط من أ.

فصل

شهادة كُتب اليهود لعيسى بالنبوة شهادة لمحمد

قالوا: فماذا[1] يكون أعظم من هذا برهاناً، وأقوى شهادة، إذ هذه[2] كتب أعدائنا[3] المخالفين لديننا، وهم يقرون بذلك ويقرأونه في كنائسهم، ولم ينكروا منه كلمةً واحدة، ولا حرفاً واحداً.

والجواب: أن الأمر إذا كان على ما قالوه من[4] ثبوت هذه الكلمات عن بعض الأنبياء فليس فيها مدح لدينهم بعد التبديل، فكيف بعد النسخ والتبديل؟ وإنما فيها إخبار بزوال ملك بني إسرائيل، وبنسخ ما نسخ من شرعهم بمجيء المسيح ـ عليه[5] السلام ـ، وهذا دليل على نبوة المسيح وصدقه وهذا مما اتفق عليه المسلمون.

والمسيح ـ عليه السلام ـ عندهم[6] كما أخبر الله عنه، بقوله تعالى لمريم:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[7].

---

(١) في ط، ك (فما) بدلاً من (فماذا).
(٢) (هذه) ساقطة من ك، س، أ.
(٣) يقصدون اليهود.
(٤) في أ (على) بدلاً من (من).
(٥) (عليه) ساقطة من أ.
(٦) (عندهم) أي عند المسلمين.
(٧) سورة آل عمران: الآيتان ٤٥، ٤٦.

وأما قولهم: إن هذا وغيره موجود في كتب أعدائنا اليهود.

فيقال لهم: لا ريب أن اليهود يخالفونكم في تفسير الكتب، فأنتم تفسرونها بشيء، وهم يفسرونها بشيء آخر، وقد يكون كلا التفسرين باطلاً، وحينئذ فيقال لكم: كما أن كتب الأنبياء شاهدة للمسيح ولدينه، وإن خالفتكم اليهود في تفسيرها، فكذلك هي شاهدة لمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[1] ـ، وأمته، وإن خالف أهل الكتاب في تفسيرها، كما قد بين الله[2] في كتب الأنبياء صفة محمد وأمته[3]، في غير موضع[4].

والواجب في الكتب إذا تنازعت الأمم في تفسيرها أن يبين الحق الذي يقوم عليه الدليل الشرعي والعقلي، وحينئذ تبين أنكم فسرتم كتب الله بأشياء تخالف مراد الله في أمر التثليث والاتحاد وغيره، كما فعلت اليهود بتفسير الكتب، كما قد بسط في غير هذا الموضع.

● ● ●

---

(١) (صلَّى الله عليه وسلَّم) ساقطة من س، أ، ك.

(٢) سقط من س، أ لفظ الجلالة (الله).

(٣) (الله في كتب الأنبياء صفة محمد وأمته) محذوف من أ.

(٤) أشار المؤلف ـ رحمه الله ـ في آخر كتابه هذا إلى بعض البشارات بالنبي محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ التي وردت في كتب اليهود والنصارى.
ومن المتأخرين من ألف في هذه البشارات منهم الدكتور أحمد حجازي السقا، في كتابه «البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل».

فصل

رفض دعوى النصارى أن محمداً لم يرسل إليهم مع تشكُّكه فيما جاء به

قالوا: وأيضاً في قول هذا الإنسان مما أتى في كتابه حيث اتبع القول أنه لم يرسل إلينا مع تشككه فيما أتى[1] به في هذا الكتاب في سورة سبأ حيث يقول:

﴿ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾[2].

وأيضاً في سورة الأحقاف يقول:

﴿ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ ﴾[3].

والجواب: أن نقلهم عنه[4] أنه قال: إنه لم يرسل إليهم كذب ظاهر عليه، فإن كتابه مملوء بدعوتهم وأمره لهم بالإيمان به واتباعه، بل وبعموم رسالته إلى جميع الناس، بل وإلى الجن والإنس، وليس فيه قط أنه لم يرسل إلى أهل الكتاب، بل فيه التصريح بدعوة أهل الكتاب في غير موضع، كقوله ــ تعالى ــ:

﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ

---

(١) في أ (أتاه) بدلاً من أتى.

(٢) سورة سبأ: من الآية ٢٤.

(٣) سورة الأحقاف: من الآية ٩.

(٤) (عنه) ساقطة من ط، ك.

﴿ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾[1].

وقد كتب النبي[2] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بهذه الآية إلى قيصر ملك النصارى الذي اسمه «هرقل» بالشام، وقد تقدم ذكر ذلك[3]، وتقدم أيضاً أن قوله ـ تعالى ـ :

﴿ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ﴾[4].

يقتضي أنه ينذر الأميين، وليس فيه أنه لا ينذر غيرهم، كما أن قوله:

﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾[5].

يقتضي إنذار قومه ولا ينافي أن ينذر غيرهم من العرب كما أن قوله في قريش:

﴿ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴾[6].

لا يمنع أن يكون غير قريش مأمورين بعبادة رب هذا البيت، بل أمر الله جميع الثقلين: الجن والإنس، أن يعبدوا رب هذا البيت.

فإن قيل: فقد سكت عن ما سوى الأميين في هذا، فيشعر بالنفي بدليل الخطاب الذي يسمى مفهوم المخالفة. قيل: ذاك إنما يدل إذا

(١) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

(٢) (النبي) ساقطة من س، أ.

(٣) تقدمت الإشارة إلى ذلك في ٣/ ٧٩.

(٤) سورة يس: من الآية ٦.

(٥) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

(٦) سورة قريش: الآيتان: ٣، ٤.

لم يكن في التخصيص فائدة سوى الإختصاص بالحكم، ولم يكن هنا تصريح بأن حكم المسكوت كحكم المنطوق، وهنا لما بعث الله محمداً ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ، أمره[1] أن ينذر عشيرته الأقربين أولاً، ثم ينذر العرب الأميين، ثم أهل الكتاب والمجوس وغيرهم، وقد تقدم بسط هذا[2].

● ● ●

(١) في ط (وأمره) بزيادة واو.

(٢) في الجزء الأول من الكتاب.

فصل

وأما قولهم: مع تشككه فيما أتى به، فمن الكذب البين. فإنه ـ تعالى ـ قال:

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾[1].

فإنه لمَّا دعاهم إلى التوحيد وبين أن ما يدعونه من دون الله لا يملك مثقال ذرة في السماوات ولا في[2] الأرض، ولا هو شريك، ولا هو[3] ظهير ولا ينفع شفيع إلاَّ بإذنه، نفى بذلك جميع وجوه الشرك، فإن ما يشرك به إما أن يكون له ملك أو شريك في الملك، أو يكون مُعيناً، فإذا انتفت[4] الثلاثة لم يبق إلاَّ الشفاعة التي هي دعاء لك

---

(١) سورة سبأ: الآيات ٢٢ ـ ٢٦.
في أ (لا تسألوا) بدلاً من (لا تسألون) وهذا خطأ.

(٢) (ولا في) ساقطة من س، أ.

(٣) (هو) ساقطة من س، أ.

(٤) في ط (انتفعت) بدلاً من (انتفت).

ومسألة، وتلك لا تنفع عنده، إلَّا لمن أذن له.

ثم ذكر بعد هـذا أنه لا رازق يـرزق من السماء والأرض إلَّا الله دل بهذا وهذا على التوحيد. كما في قوله:

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾[1].

فلمَّا ذكر ما دل على وجوب تـوحيده، وبيـان أن أهل التـوحيد هم على الهدى، وأن أهل الشرك على الضلال قال:

﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[2].

يقول: إن أحد الفريقين أهل التوحيد الـذين لا يعبدون إلَّا الله[3]، وأهل الشرك لعلى هدى أو في ضلال مبين.

وهـذا من الإنصـاف في الخـطاب الـذي كـل من سمعـه من ولّي وعدو قال لمن خوطب به قـد أنصفك[4] صـاحبك، كمـا يقول[5] العـادل الـذي ظهر عـدله للظالم الـذي ظهر ظلمـه: الظالم إمـا أنـا وإمـا أنت، لا للشك في الأمر الظاهر، ولكن لبيان أن أحدنا ظالم ظاهر الظلم، وهو أنت لا أنا.

---

(١) سورة النحل: الآيات ٥٣ ـ ٥٥.

(٢) سورة سبأ: من الآية ٢٤.

(٣) في ط، ك (الحق) بدلاً من (الله).

(٤) في أ، س (أنصف) بدلاً من (أنصفَك).

(٥) في ط، ك، أ (قال) بدلاً من (يقول).

فإنه إذا قيل: أهل التوحيد الذين يعبدون الله على هدى، أو في ضلال مبين[1]، وأهل الشرك الذين يعبدون ما لا يضر ولا ينفع على هدى أو في ضلال مبين[2].

تبين أن أهل التوحيد على الهدى، وأهل الشرك على الضلال، وهذا مما يعلمه جميع الملل من[3] المسلمين واليهود والنصارى، يعلمون أن أهل التوحيد على الهدى، وأهل الشرك على الضلال.

وفي القرآن في بيان مثل هذا ما لا يحصى إلَّا بكلفة، بل قطب القرآن وسائر الكتب ومدارها[4] على عبادة الله وحده، فكيف يقال إن الرسول كان يشك هل المهتدى هم أهل التوحيد أم أهل الشرك؟ وهل يقول هذا إلَّا من هو في غاية الجهل والعناد.

(ثم الآية خطاب للمشركين ليست خطاباً للنصارى خصوصاً)[5].

• • •

(١) (مبين) ساقطة من س، أ.
(٢) (مبين) ساقطة من س، ك، ط.
(٣) في ط (ومن) بزيادة واو.
(٤) في ط (مدارها) بسقوط الواو.
(٥) ما بين القوسين ساقط من أ، س.

فصل

الرسول بَشَر لا يُعْلم الغيب ولا يقول أنه ملك

وأما قوله ـ تعالى ـ : (قل ما أدري ما يفعل بي ولا بكم)، فلفظ الآية[1]:

﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[2].

وهذا بعد قوله:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[3].

ونظير هذا قوله:

﴿ قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾[4].

وهذا قاله نوح ـ عليه السلام ـ[5] أول الرسل، وأمر محمدٌ

---

(١) (فلفظ الآية) ساقط من أ.

(٢) سورة الأحقاف: الآية ٩.

في أ سقط أول الآية إلى قوله: ﴿إن أتبع إلاّ ما يوحى إلي. . .﴾.

(٣) سورة الأحقاف: الآية ٨.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٥٠.

في ط وسائر النسخ خلط في آخر الآية بعد قوله: (ما يوحى إلي)، حيث قال: (وما أنا إلاّ نذير مبين) وهذا من آخر آية (٨) من سورة الأحقاف، والصحيح ما أثبتناه.

(٥) سبقت ترجمته.

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ آخر الرسل أن يقوله، ومثل قوله:

﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝٢١ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ۝٢٢ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾[1].

وهذا ونحوه يتضمن اعترافه بأنه عبد الله ورسول من الله لا يتعدى حد الرسالة ولا يدعي المشاركة في الألوهية[2]، كما ادعته النصارى في المسيح ولهذا قال ـ تعالى ـ:

﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾[3].

فتبين أنه لا يتعدى حدّ الرسالة، وهو كقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ ﴾[4].

ولهذا قال ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وفي الحديث المتفق على صحته[5]: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله»[6].

---

(١) سورة الجن: الآيات ٢١ ـ ٢٣.
(ومن يعصِ الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً) ساقطة من س، أ.
(٢) في س، أ (الإلٓهية) بدلاً من (الألوهية).
(٣) سورة المائدة: من الآية ٧٥.
(٤) سورة آل عمران: من الآية ١٤٤.
(٥) (وفي الحديث المتفق على صحته) ساقطة من أ.
(٦) سبق تخريجه.

فقال ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾[1] .

يقول لست أول من أرسل، أو ادعى[2] الرسالة، بل قد تقدم قبلي رسل:

﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[3].

يقول لا أدعي علم الغيب، إن أتبع إلاَّ ما يوحى إليَّ، وما أنا إلاَّ نذير مبين[4] أنذركم بما أمرني الله أن أنذركم به، لا أقول لكم عندي خزائن الله، ولا أعلم الغيب، ولا أقول إني ملك، وهذا من كمال صدقه وعدله وعبوديته لله وطاعته، وتمييز ما يستحقه الخالق وحده مما يستحقه العبد، فإن العلم بعواقب الأمور[5] على وجه التفصيل مما استأثر الله بعلمه[6]، فلا يعلمه ملك مقرب، ولا نبي مرسل.

وليس من شرط الرسول أن يعلم كل ما يكون، وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾[7] .

نفي لعلمه بجميع ما يفعل به وبهم[8]، وهذا لا يعلمه إلاَّ الله

---

(١) (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) ساقطة من أ، س.

(٢) في ط، ك (وادعى) بدلاً من (أو ادعى).

(٣) سورة الأحقاف: الآية ٩.

(٤) (مبين) ساقطة من أ، س.

(٥) (الأمور) ساقطة من ك.

(٦) في س، أ (به) بدلاً من (بعلمه).

(٧) في س، أ، (ولا أدري) بدلاً من (وما أدري).

(٨) في س، أ، (ما يفعله بهم وبه) بدلاً من (ما يفعل به وبهم).

تبارك وتعالى[1]، وهذا لا ينفي أن يكون عالماً بأنه سعيد من أهل[2] الجنة، وإن[3] لم يدر تفاصيل ما يجري له في الدنيا من المحن والأعمال، وما يتجدد له من الشرائع، وما يكرم به في الآخرة من أصناف النعيم، فإنه قد ثبت في الصحيح[4] عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: (يقول الله ـ تعالى ـ : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)[5]، وأيضاً هذا مأثور عن غيره من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ .

ولا من شرط النبي أن يعلم حال المخاطبين: من يؤمن به، ومن يكفر، وتفصيل ما يصيرون إليه، هذا إن قيل إنه لم يعلم بعد هذه الآية ما نفى فيها، وإن قيل إنه أعلم بذلك فمعلوم أن الله لم يعلمه بكل شيء جملة، بل أعلمه بالأمور شيئاً بعد شيء.

وقد قال له[6] بعد ذلك:

---

(١) (تعالى) ساقطة من ط، ك.

(٢) (أهل) ساقطة من س، ك.

(٣) في ط، ك (فإن) بدلاً من (وإن).

(٤) في ط: (الصحيحين) بدلاً من (الصحيح).

(٥) انظر:

* صحيح البخاري كتاب بدء الخلق رقم ٨ ـ وكتاب التفسير باب ٣٢ وكتاب التوحيد باب ٣٥ عن أبي هريرة بلفظه.
* وصحيح مسلم ـ كتاب الإيمان باب ٨٤ حديث رقم ٣١٢ عن المغيرة بن شعبة بلفظه جزء من حديث طويل ـ وكتاب الجنة باب ١ حديث رقم ٣ عن أبي هريرة بلفظه.
* وسنن ابن ماجه كتاب الزهد باب رقم ٣٩ حديث رقم ٤٣٢٨ عن أبي هريرة
* ومسند الإمام أحمد ٢/٣١٣ عن أبي هريرة بلفظه جزء من حديث طويل.

(٦) في ط (الله تعالى) بدلاً من (له).

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾[١].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[٢].

وفي القرآن والأحاديث عنه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من الإخبار بما سيكون في الدنيا وفي الآخرة أضعاف أضعاف ما يوجد عن الأنبياء قبله، حتى أنه ينبىء عن[٣] الشيء، الذي يكون بعد ما يبين من السنين خبراً أكمل من خبر من عاين ذلك، كقوله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في الحديث الصحيح (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك صغار الأعين، ذلف الأنوف[٤]، حمر الخدود، ينتعلون الشعر، كأن وجوههم المجان المطرقة)[٥]، فمن رأى

---

(١) سورة الفتح: الآيات ١ ـ ٣.
(٢) سورة الفتح: الآية ٢٨.
(٣) في ط، ك (على) بدلاً من (عن).
(٤) في س، أ (الأنف) بدلاً من (الأنوف).
(٥) انظر:
* صحيح مسلم ـ كتاب الفتن باب ١٨ الأحاديث ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦ كلها عن أبي هريرة بألفاظ مختلفة فيما بينها إلَّا أنه يؤخذ منها مجتمعة لفظ الحديث مشتملاً على الأوصاف الستة لهؤلاء القوم (الترك صغار الأعين، ذلف الأنوف، حمر الخدود، ينتعلون الشعر، كأن وجوههم المجان المطرقة).
* مسند الإمام أحمد ٣/٣١ عن أبي سعيد الخدري بمعناه، ٥/٢٧١ عن ابن حرملة عن خالته بمعناه.
* وفي سنن أبي داود كتاب الملاحم باب في قتال الترك ـ حديث رقم ٤٣٠٣، ٤٣٠٤ عن أبي هريرة بمعناه. =

هؤلاء[1] الترك[2] الذين قاتلهم المسلمون من حين خرج جنكزخان[3] ملكهم الأكبر[4] وأولاده وأولاد أولاده، مثل هولاكو[5] وغيره من ملوك[6] الترك الكفار الذي قاتلهم المسلمون، لم يحسن أن يصفهم بأحسن من هذه الصفة.

وقد أخبر بهذا قبل ظهوره بأكثر من ستمائة سنة، وقوله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى)[7]، وهذه النار ظهرت سنة

= * وفي سنن ابن ماجه كتاب الفتن باب ٣٦ حديث ٤٠٩٦، ٤٠٩٧ عن أبي هريرة بمعناه، ورقم ٤٠٩٨ عن عمر بن تغلب بمعناه، ورقم ٤٠٩٩ عن أبي سعيد الخدري بمعناه، ونفس رواية المسند ٣/٣١ عن أبي سعيد.

(١) (هؤلاء) ساقطة من س، أ.

(٢) **يقصد بالترك**: المغول القادمين من أواسط آسيا، وليس الأتراك المنسوبين إلى تركيا المعروفة الآن في شمال الشام.

(٣) (جنكز خان) ساقطة من أ، س. في ك (جنكخان) بدلاً من (جنكز خان).
جنكز خان: هو قائد مغولي اسمه الأصلي «تيموجين» خلف أباه «يقوصاي» رئيساً للتحالف المغولي. ذكر ابن كثير أن ابتداء حكمه سنة ٥٩٩هـ، ووفاته كانت سنة ٦٢٤هـ، وهو والد ملوك التتار، وينسبون إليه.
انظر: البداية والنهاية ١٣/١١٧؛ والموسوعة العربية الميسرة ص ٦٥٠.

(٤) في أ (ملكهم الأكبر هلاوون) بزيادة (هلاوون).

(٥) **هولاكو خان**: قائد مغولي حفيد «جنكيز خان» وأحد ملوك التتار، والعامة يسمونه هولاوون، وكان جباراً فاجراً قتل من المسلمين ما لا يحصى عدده. وهو الذي دخل بغداد وخربها وقتل الخليفة سنة ٦٥٦هـ، مات سنة ٦٦٤هـ وقيل ٦٦٣هـ.
انظر: البداية والنهاية ١٣/٢٤٨؛ والموسوعة العربية الميسرة ص ١٩١٨.

(٦) (ملوك) ساقطة من ط، ك.

(٧) انظر:
* صحيح البخاري كتاب الفتن باب ٢٤ حديث رقم ٢ عن أبي هريرة بلفظه دون كلمة (لها). =

خمس وخمسين وستمائة بأرض الحجاز، فكانت تحرق الحجر ولا تنضج اللحم، ورأى أهل بصرى[1] أعناق الجمال من ضوء تلك النار[2]، وكانت منذرة بما[3] يكون بعدها، ففي سنة ست وخمسين وستمائة دخل هولاكو ملك الكفار بغداد، وقتل فيها مقتلة عظيمة مشهورة[4]، (وسيأتي ــ إن شاء الله ــ بعض أخبار أنه شاهد الناس وقوعها، كما أخبرنا عند ذكرنا معجزاته)[5].

• • •

= * صحيح مسلم ــ كتاب الفتن ــ باب ١٤ ــ حديث رقم ٤٢، عن أبي هريرة بلفظه دون كلمة (لها).

(١) بصرى: بلدة بالشام من أعمال دمشق، مشهورة عند العرب، فتحها المسلمون بقيادة خالد بن الوليد سنة ١٣هـ، وهناك بصرى بالعراق غير مشهورة.
انظر: معجم البلدان ٤٤١/١.

(٢) أشار ابن كثير في البداية والنهاية ١٨٧/١٣ إلى أن هذه النار قد خرجت في الحجاز سنة أربع وخمسين وستمائة خلافاً لما ذكره الشيخ هنا بسنةٍ فقط.

(٣) في أ (لما) بدلاً من (بما).

(٤) هو تاريخ سقوط الدولة العباسية على يد التتار.

(٥) ما بين القوسين ساقط من س، أ.

فصل

ردّ دعوى النّصارى أنهم هم الذين أنعم الله عليهم

ثم قالوا[1]: مع الأمر له في فاتحة الكتاب أن يسأل الهداية إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين، فإنه عنى[2] بقوله المنعم عليهم، والمغضوب عليهم، والضالين الثلاث أمم الذين كانوا في عصره، وهم: النصارى، واليهود وعباد الأصنام، ولم يكن في زمانه غير هؤلاء الثلاث أمم.

فالمنعم عليهم نحن النصارى والمغضوب عليهم ـ فلا يشك ـ أنهم اليهود، الذين غضب الله عليهم في كتب التوراة والأنبياء وهذا الكتاب، والضالين فهم عباد الأصنام الذين ضلوا عن الله، فهذا أمر واضح بين ظاهر عند كل أحد، ولا سيما عند ذوي العقول والمعرفة. والصراط[3]: هو المذهب، أي الطريق، وهذه اللفظة رومية، لأن الطريق بالرومية اسطراطا.

والجواب:

أما قولهم: المنعم عليهم نحن النصارى، فمن العجائب التي تدل على فرط جهل صاحبها، وأعجب من ذلك قولهم إن هذا شيء بين

(١) أي النصارى الذين يحكي بولس قولهم.

(٢) في س، أ، ك (فأعنى) بدلاً من (فإنه عنى).

(٣) حكى القرطبي في تفسيره: (وحكى النقاش: الصراط الطريق بلغة الروم، ثم قال ابن عطية: وهذا ضعيف جداً).

انظر: تفسير القرطبي ١/١٤٨ طبعة وزارة الثقافة المصرية.

واضح عند كل أحد، لا سيما عند ذوي العقل والمعرفة، فيا سبحان الله!

ألم يعرف العام والخاص علماً ضرورياً[1] لا تمكن المنازعة فيه من دين محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، ودين أمته الذي تلقوه عنه من تكفير النصارى وتجهيلهم وتضليلهم واستحلال جهادهم وسبي حريمهم وأخذ أموالهم، ما يناقض كل المناقضة أن يكون محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأمته في كل صلاة يقولون: اللهم اهدنا صراط النصارى.

وهل ينسب محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأمته إلى أنهم في كل صلاة يطلبون من الله أن يهديهم صراط النصارى إلَّا من هو من أكذب الكذابين و[2]أعظم الخلق افتراء ووقاحة وجهلاً وضلالاً؟

ولو كانوا يسألون الله هداية طريق النصارى لدخلوا في دين النصارى، ولم يكفروهم ويقاتلوهم، ويضعوا عليهم الجزية التي يؤدونها عن يد وهم صاغرون، ولم يشهدوا عليهم بأنهم من أهل النار، وأمته أخذوا ذلك جميعه عنه، منقولاً عنه بالنقل المتواتر بإجماعهم، لم يبتدعوا ذلك، كما ابتدعت النصارى من العقائد والشرائع ما لم يأذن به الله، فلا يلام المسلمون في اتباعهم لرسول الله الذي جاء بالبينات والهدى.

ومحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إن كان رسولاً صادقاً، فقد كفّر

---

(١) (ضرورياً) ساقطة من ط.

(٢) (من هو من أكذب الكذابين) ساقطة من أ.
وكتبت في س (من أكذب الكاذبين).

النصارى، وأمر بجهادهم، وتبرأ منهم ومن دينهم، وإن كان كاذباً لم يقبل شيء مما نقله عن الله ـ عز وجل ـ .

وقد تقدَّم غير مرة قوله ـ تعالى ـ :

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾[1] .

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾[2] .

﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[3] .

فمن يقول عن النصارى مثل هذه الأقوال هل[4] يأمر أمته في كل صلاة أن يقولوا: اهدنا طريقهم؟

ثم يقال: أي شيء في الآية مما يدل على أن قوله صراط الذين أنعمت عليهم هم النصارى.

وإنما المنعم عليهم هم الذين ذكرهم الله في قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[5] .

---

(١) سورة المائدة: الآية ٧٣؛ ومن الآية ٧٢.
(٢) في س، أ، ك قدمت الآية ٧٢ على الآية ٧٣.
(٣) سورة التوبة: الآيتان ٣٠، ٣١.
(٤) (هل) ساقطة من ك.
(٥) سورة النساء: من الآية ٦٩.

فهؤلاء هم الذين أمر الله عباده أن يسألوا هداية صراطهم.

وأما النصارى الذين كانوا على دين المسيح قبل النسخ والتبديل فهم[1] من المنعم عليهم، كما أن اليهود الذين كانوا على دين موسى قبل النسخ والتبديل كانوا من المنعم عليهم.

وأما النصارى بعد النسخ والتبديل فهم من الضالين، لا من المنعم عليهم عند الله ورسوله، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[3].

وعباد الأصنام من الضالين المغضوب عليهم، وقد قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون»[4]. رواه الإمام ـــــــــــــــــــــــــــــــ

(١) في س، أ (هم) بسقوط الفاء.

(٢) سورة المائدة: من الآية ٧٧.

(٣) سورة مريم: من الآية ٣٨.

(٤) انظر:

* الترمذي ـ كتاب أبواب تفسير القرآن ـ باب ٢ ـ عن عدي بن حاتم جزء من حديث طويل مع تغير كلمة ضالون بضلال، إلاَّ أن الترمذي ذكر بعده عبارة: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلاَّ من حديث سماك بن حرب وهذا خلاف ما ذكره المؤلف أعلاه من أن الترمذي قال هذا حديث صحيح.

* ومسند الإمام أحمد ٥/٧٧ عن عبد الله بن شقيق أخبره من سمع النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهو بوادي القرى وهو على فرسه وسأله رجل من بلقين فقال يا رسول الله من هؤلاء؟ قال: «هؤلاء المغضوب عليهم فأشار إلى اليهود، فقال =

أحمد[1] والترمذي عن عدي بن حاتم[2] عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ . وقال الترمذي: هذا حديث صحيح.

وسبب ذلك أن اليهود يعرفون الحق ولا يعملون به، والنصارى يعبدون بلا علم، وقد وصف الله اليهود بأعمال، والنصارى بأعمال، فوصف اليهود بالكبر والبخل والجبن والقسوة وكتمان العلم وسلوك سبيل[3] الغي وهو سبيل الشهوات والعدوان.

وذكر عن النصارى الغلو والبدع في العبادات والشرك والضّلال واستحلال محارم الله، فقال تعالى:

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن

= من هؤلاء قال: هؤلاء الضالون يعني النصارى. . . الحديث بمعناه».

* وقال ابن كثير ـ رحمه الله ـ بعدما ساق الروايتين السابقتين وغيرهما: وقد روى حديث عدي هذا من طرق، وله ألفاظ كثيرة يطول ذكرها.

انظر: تفسير ابن كثير ١/٢٩ ط. الحلبي.

(١) الإمام أحمد بن حنبل بن هلال الشيباني أبو عبد الله الإمام المجتهد، أصله من مرو، ولد ببغداد سنة ١٦٤هـ، ونشأ مكباً على العلم وسافر في سبيل ذلك كثيراً، وأوذي في فتنة خلق القرآن لكنه ثبت وصمد حتى قيل: حفظ الله الإسلام بأبي بكر يوم الردة وبأحمد بن حنبل يوم الفتنة، له كتاب المسند في الحديث وله غيره، مات سنة ٢٤١هـ، ـ رحمه الله ـ .

انظر: تاريخ بغداد ٤/٤١٢؛ والبداية والنهاية ١٠/٣٢٥؛ وسير أعلام النبلاء ١١/١٧٧.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) (سبيل) ساقطة من ط، ك.

يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ[2]:

﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ ﴾[3].

أي لكن كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله، لم نكتب عليهم الرهبانية[4]، بل هم ابتدعوها ومع[5] ابتداعهم إياها[6] فما رعوها حق رعايتها، وكل بدعة ضلالة، فهم مذمومون على ابتداع الرهبانية وعلى أنهم لم يرعوها حق رعايتها.

---

(١) سورة النساء: الآيات ١٧١، ١٧٣.

(٢) (تعالى) ساقطة من ط، ك.

(٣) سورة الحديد: من الآية ٢٧.

(٤) **الرهبانية**: يقصد بها الانقطاع عن ملذات الحياة والزهد فيها وترك أكثر المباحات وبخاصة الزواج انقطاعاً للعبادة في الأديرة، وتطورت الرهبنة بعد ذلك وأصبح لها نظم وتعليمات من أبرزها الطاعة التامة للأب رئيس الدير، ولكن حصل هناك جوانب سيئة في الأديرة من الرهبان والراهبات وفساد أخلاقي بمعرفة الكهنة والآباء المسيحيين.

انظر: كتاب المسيحية للدكتور أحمد شلبي ص ٢٤٦؛ والموسوعة العربية الميسرة ص ٨٨٢ ط. ٧ عام ١٩٨٢م، مكتبة النهضة المصرية.

(٥) في ط (مع) بسقوط الواو.

(٦) في ط (وإياها) بزيادة واو.

وأما[1] ما كتب عليهم من ابتغاء رضوان الله فيحصل بفعل ما شرعه الله لهم من واجب ومستحب، فإن ذلك هو الذي يرضاه، ومن فعل ما يرضاه الله فقد فعل ما كتب عليه، ويحصل رضوان الله أيضاً بمجرد فعل الواجبات، وهذا هو الذي كتب على العباد، فإذا لم يكتب عليهم إلَّا ابتغاء رضوان الله كان ابتغاء رضوانه واجباً، فما ليس بواجب لا يشترط في حصول ما كتب عليهم.

ولهذا ضعف أحمد بن حنبل وغيره الحديث المروي: «أول الوقت رضوان الله وآخره عفو الله»[2]، فإن من صلى في آخر الوقت كما أمر فقد فعل الواجب، وبذلك يرضى الله عنه، وإن كان فعل المستحبات والمسابقة إلى الطاعات أبلغ في إرضاء الله[3]، ويحصل له بذلك من رضوان الله ومحبته ما لا يحصل بمجرد الواجبات.

---

(١) في ط (فأما) بدلاً من (وأما).

(٢) انظر:

* سنن الترمذي ـ كتاب أبواب الصلاة ـ باب ١٢٧ ـ ما جاء في الوقت الأول من الفضل ـ حديث ٢ عن ابن عمر قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ «الوقت الأول من الصلاة رضوان الله والوقت الآخر عفو الله» قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وقد روى ابن عباس عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ نحوه.

* سنن الدارقطني ـ كتاب الصلاة ـ باب النهي عن الصلاة بعد صلاة الفجر والعصر ـ حديث رقم ٢٠ عن ابن عمر ـ بلفظ الترمذي ـ ورقم ٢١ عن جرير بن عبد الله بلفظه ـ ورقم ٢٢ عن أبي محذورة عن ابنه عن جده بمعناه. وكل هذه الطرق ضعفها الدارقطني.

* السنن الكبرى للبيهقي ـ كتاب الصلاة ـ باب فضيلة أول الوقت ـ حديث رقم ١٥٤٣ ـ عن ابن عمر بلفظ الدارقطني ـ ورقم ١٥٤٤ عن أبي محذورة عن أبيه عن جده بلفظه وفيه زيادة (أوسط الوقت رحمة الله).

(٣) في ك، ط (رضاء الله عنه) بزيادة (عنه).

كما قال موسى ـ عليه السلام ـ[1]:

﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾[2].

وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري[3] وغيره عن أبي هريرة[4] عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «يقول الله تعالى من عادى[5] لي[6] ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إليَّ عبدي[7] بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي فلئن سألني لأعطينَّه[8]، ولئن استعاذ بي لأعيذنَّه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض روح[9] عبدي

---

(١) هو نبي الله موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ـ عليهم السلام ـ، أول أنبياء بني إسرائيل، ولد في مصر وتربى في قصر فرعونها وخلص الله به بني إسرائيل من ظلم فرعون، وأنزل الله عليه التوراة وعاش مائة وعشرين سنة ـ عليه الصلاة والسلام ـ.
انظر البداية والنهاية ١/١٣٧؛ وقاموس الكتاب المقدس ص ٩٣١.

(٢) سورة طه: من الآية ٨٤.

(٣) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ولد في بخارى سنة ١٩٤هـ ونشأ بها وحفظ القرآن صغيراً فارتحل لطلب العلم. وجمع صحيحه المعروف في الحديث، ومات سنة ٢٥٦ في سمرقند ـ رحمه الله ـ.
انظر: البداية والنهاية ١١/٢٤؛ ووفيات الأعيان ٤/١٨٨.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) في ك، س، أ (عادا) بدلاً من (عادى).

(٦) في ط (إلى) بزيادة (أ).

(٧) في ط، ك (عبد) بدلاً من (عبدي).

(٨) (فلئن سألني لأعطينه) ساقطة من أ.

(٩) في س، أ (نفس) بدلاً من (روح).

المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولا بدَّ له منه»[1]. فقوله حتى أحبه يريد المحبة المطلقة الكاملة.

وأما أصل المحبة: فهي حاصلة بفعل الواجبات، فإن الله يحب المتقين والمقسطين[2]، ومن أدى الواجبات فهو من المتقين المقسطين.

وقال ــ تعالى ــ فيهم:

﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[3].

وقال ــ تعالى ــ:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[4].

وهو ــ سبحانه ــ خاطب النصارى بهذا لأن النصارى يعتمدون في دينهم على ما يقوله كبراؤهم الذين وضعوا لهم القوانين والنواميس

---

(١) انظر:
* صحيح البخاري ــ كتاب الرقاق ــ باب التواضع رقم ٣٨ ــ عن أبي هريرة بلفظه مع نقص عبارة: (فبي يسمع وبي يبصرو بي يبطش وبي يمشي).
* سنن ابن ماجة ــ كتاب الفتن ــ باب ١٦ ــ، عن عمر بن الخطاب عن معاذ بن جبل، ذكرت جملة من الحديث بلفظ: (من عادى لله وليا فقد بارزه بالمحاربة).

(٢) (ومن أدى الواجبات فهو من المتقين المقسطين) ساقطة من ك، ط.

(٣) سورة التوبة: الآيتان ٣٠ ــ ٣١.

(٤) سورة المائدة: من الآية ٧٧.

ويسوغون لأكابرهم الذين صاروا[1] عندهم عظماء في الدين أن يضعوا[2] لهم شريعة وينسخوا بعض ما كانوا عليه قبل ذلك، لا يردون ما يتنازعون فيه من دينهم إلى الله ورسله، بحيث لا يمكنون أحداً من الخروج عن كتب الله المنزلة كالتوراة والإنجيل وعن اتباع ما جاء به المسيح، ومن قبله من الأنبياء عليهم السلام.

ولهذا قال ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[3].

بل ما[4] وضعه لهم أكابرهم من القوانين الدينية والنواميس الشرعية بعضها ينقلونه عن الأنبياء، وبعضها عن الحواريين، وكثير من ذلك ليس منقولاً، لا[5] عن الأنبياء، ولا عن الحواريين، بل من وضع أكابرهم وابتداعهم.

كما ابتدعوا لهم الأمانة[6] التي هي أصل عقيدتهم، وابتدعوا لهم الصلاة[7] إلى الشرق، وابتدعوا لهم تحليل لحم الخنزير[8]، وسائر

---

(١) في ط (صار) بدلاً من (صاروا).

(٢) في ط، ك (يصنعوا) بدلاً من (يضعوا).

(٣) سورة المائدة: من الآية ٦٨.

(٤) (بل) ساقطة من أ.

في س، أ (وما) بزيادة واو.

(٥) في أ (لا) ساقطة.

(٦) سبق التعريف بها في ٣/ ٣٠.

(٧) سبق التعريف بها في ٣/ ٢٩.

(٨) **الخنزير**: حيوان من فصيلة الثدييات، له ظلف مشقوق، جسمه ثقيل، وأرجله قصيرة، وهو محرم أكله في التوراة والقرآن. انظر: الموسوعة العربية ص ٧٦٦.

المحرمات، وابتدعوا لهم الصوم[1] وقت الربيع، وجعلوه خمسين يوماً، وابتدعوا لهم أعيادهم، كعيد الصليب[2]، وغيره من الأعياد.

وكذلك قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لعدي بن حاتم لما سمعه يقرأ هذه الآية:

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[3].

فقال: لم يعبدوهم، فقال له النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «إنهم أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم، وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم، فكانت تلك عبادتهم»[4].

ولهذا قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[5].

فإنهم يتبعون أهواء أكابرهم الذين مضوا من قبلهم، وأولئك ضلوا من قبل هؤلاء وأضلوا أتباعهم، وهم كثيرون، وضلوا عن سواء السبيل، وهو وسط السبيل، وهو الصراط المستقيم، فإن كانوا هم وأتباعهم ضالين عن الصراط المستقيم، فكيف يجوز أن يأمر الله عباده ـ أن

---

(١) سبق التعريف به ٣/ ٢٩.

(٢) سبق التعريف به ٣/ ٢٩.

(٣) سورة التوبة: من الآية ٣١.

(٤) انظر: سنن الترمذي ـ كتاب تفسير القرآن ـ باب تفسير سورة التوبة ـ حديث رقم ٥٠٩٣ عن عدي بن حاتم بلفظه، وذكر بعده هذا حديث غريب لا نعرفه إلَّا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين، ليس بمعروف الحديث.

(٥) سورة المائدة: من الآية ٧٧.
الواو في أول الآية ساقطة من س، أ، ك.

يسألوه[1] ـ أن يهديهم الصراط المستقيم، ويعني به صراط هؤلاء الضالين المضلين[2] عن سواء السبيل، وهو الصراط المستقيم.

وقد قال ـ سبحانه ـ : ﴿ولا تتبعوا أهواء﴾، هؤلاء لأن أصل ابتداعهم هذه البدعة من أنفسهم مع ظن كاذب، فكانوا ممن قيل فيهم:

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾[3].

وممن قيل فيه:

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ﴾[4].

وسبب[5] ذلك أن المسيح ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[6] ـ لمَّا رُفع إلى السماء وعاداه اليهود، وعادوا أتباعه عداوة شديدة، وبالغوا في أذاهم وإذلالهم، وطلب قتلهم ونفيهم، صار في قلوبهم من بغض اليهود، وطلب الانتقام منهم ما لا يوصف، فلما صار لهم دولة وملك، مثل ما صار لهم في دولة قسطنطين، صاروا يريدون مقابلة اليهود.

كما جرت العادة في مثل ذلك بين الطوائف المتقابلة المتنازعين في الملك، والمتنازعين في البدع كالخوارج[7]، والروافض[8]،

---

(١) (أن يسألوه) سقطت من جميع النسخ ـ ولا يستقيم الكلام بدونها.

(٢) في ط، ك، س كررت كلمة (الضالين).
في أ كررت كلمة (المضلين).

(٣) سورة النجم: من الآية **٢٣**.

(٤) سورة القصص: من الآية ٥٠.

(٥) في أ (وبسبب) بدلاً من (وسبب).

(٦) في س (عليه السلام) بدلاً من (صلَّى الله عليه وسلَّم).

(٧) سبق التعريف بها.

(٨) **الروافض**: فرقة من الشيعة، وقد سموا بهذا الاسم لأنهم رفضوا اتباع زيد بن علي بن =

والجبرية[1] مع القدرية[2] والمعطلة[3] مع الممثلة[4]، وكالدولتين المتنازعتين على الملك والأهواء بمنزلة قيس[5] ويمن[6]، وأمثال ذلك.

إذا[7] ظهرت طائفة على الأخرى بعدما آذتها الأخرى وانتقمت منها تريد أن تأخذ بثأرها، ولا تقف عند حد العدل، بل تعتدي على تلك كما اعتدت تلك عليها.

فصار النصارى يريدون مناقضة اليهود فأحلوا ما يحرمه اليهود كالخنزير وغيره، وصاروا يمتحنون من دخل في دينهم بأكل الخنزير، فإن أكله وإلاَّ لم يجعلوه نصرانياً.

= الحسين بن أبي طالب لما خالف رأيهم في سبب أبي بكر وعمر، ومذهبهم حصر الإمامة في علي وذريته، وبغض من عداهم من الصحابة، وخاصة الشيخين، ـ رضي الله عنهما ـ .

انظر: الملل والنحل ١/٢٣٥؛ ومنهاج السنَّة ١/٩، ١٠.

(١) سبق التعريف بها.

(٢) القدرية: طائفة من الفرق الإسلامية وهي ضد الجبرية، ويقولون بإنكار القدر وأن الإنسان يخلق فعل نفسه، ويقال أن أول من أعلن ذلك معبد الجهني وغيلان الدمشقي.

انظر: الملل والنحل ١/٤٣.

(٣) سبق التعريف بها.

(٤) سبق التعريف بها.

(٥) قيس: شعب عظيم ينتسب إلى قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وغلب اسم قيس على سائر العدنانيين.

(٦) يمن: عرب اليمن وما عداهم يعرف بقيس ويقال في المثل قيس ويمن.

انظر: معجم قبائل العرب ٣/٩٧٢.

(٧) في أ (وإذا) بزيادة واو.

وتركوا الختان(١)، وقالوا: إن المعمودية(٢) عوض عنه، وصلوا إلى قبلة غير قبلة اليهود(٣).

وكان اليهود قد أسرفوا في ذم المسيح ـ عليه السلام(٤) ـ، وزعموا أنه ولد زنا، وأنه كذاب ساحر.

فغلوا هؤلاء في تعظيم المسيح، وقالوا: إنه الله وابن الله، وأمثال

---

(١) **الختان**: هو إزالة القلفة من ذكر الرجل، وهي عادة قديمة جداً عند الشعوب السامية، وأول من أختتن إبراهيم عليه السلام، واليهود يختتنون لأن التوراة نصت على ذلك في سفر التكوين الإصحاح السابع عشر بما يلي: (١٠ ـ هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك يختتن منكم كل ذكر).
وكان المسيح مختوناً على سنة الرسل قبله، ورد في إنجيل برنابا الفصل الخامس (فلما تمت الأيام الثانية حسب شريعة الرب، كما هو مكتوب في كتاب موسى، أخذا الطفل واحتملاه إلى الهيكل ليختناه فختن الطفل وسمياه يسوع).
انظر: إنجيل برنابا ـ تحقيق سيف الله فاضل ص ٤٣.

(٢) **التعميد**: من شعائر المسيحية، وكان موجوداً عند اليهود فكان يحيى المعمدان ابن زكريا يعمد الناس في نهر الأردن، والتعميد يكون برش الماء على الجبهة أو غمس جزء من الجسم بالماء، وأحياناً يغمس الشخص كله في الماء، ولا بد أن يقوم بذلك كاهن يعمد الشخص باسم الأب والابن وروح القدس، وهم يشيرون بذلك إلى تطهير النفس من أدران الخطيئة بدم المسيح.
انظر: تاريخ الأقباط لزكي شنودة ص ٨؛ والمسيحية، للدكتور أحمد شلبي ص ١٦٨، ط. ٧.
وقد حدثني شخص من النصارى بمصر ـ وقد أسلم والحمد لله ـ عندما سألته عن التعميد فقال: إنهم علمونا أن الطفل إذا لم يعمد يصير مسلماً.
فذكرني هذا بحديث الرسول ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ: «ما من مولود إلّا ويولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه... الحديث».

(٣) **قبلة اليهود**: بيت المقدس. وقبلة النصارى التي صلوا إليها المشرق مطلع الشمس.
انظر: إغاثة اللهفان ٢/٢٨٥.

(٤) كلمتا (ذم) و(عليه السلام) ساقطتان من ط، ك.

ذلك، وصار من يطلب أن يقول فيه القول العدل مثل كثير من علمائهم وعبادهم، يجمعون له[1] مجمعاً ويلعنونه فيه على وجه التعصب[2]، واتباع الهوى، والغلو فيمن يعظمونه[3]، كما يجرى مثل ذلك لأهل الأهواء، كالفلاة في بعض المشايخ، وبعض أهل البيت، وبعض العلماء وبعض الملوك، وبعض القبائل، وبعض المذاهب، وبعض الطرائق، فإنما كان مصدر ضلالهم أهواء نفوسهم، قال تعالى للنصارى الذين كانوا في وقت النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، ومن بعدهم:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[4].

وأما قولهم إن الصراط هو المذهب، أي الطريق، وهذه لفظة رومية لأن الطريق بالرومية اسطراطاً.

فيقال لهم: الصراط في لغة العرب: هو الطريق، يقال: هو الطريق الواضح، ويقال: هو الطريق المحدود بجانبين الذي لا يخرج عنه، ومنه الصراط المنصوب على جهنم، وهو الجسر الذي يعبر عليه المؤمنون إلى الجنة، وإذا عبر عليه الكفار سقطوا في جهنم، ويقال فيه: معنى الاستواء والاعتدال الذي يوجب سرعة العبور عليه، وفيه ثلاث لغات، هي ثلاث قراءات: الصراط، والسراط، والزراط[5]، وهي لغة

---

(١) في ط، ك (لهم) بدلاً من (له).

(٢) في ك (التعصيب) بدلاً من (التعصب).

(٣) (يعظمونه) ساقطة من ك.

(٤) سورة المائدة: من الآية ٧٧.
(قل) ساقطة من المطبوعة. (غير الحق) ساقطة من أ. (قد) ساقطة من أ.

(٥) ذكر في لسان العرب: الصراط، والسراط، والزراط: الطريق.
انظر: لسان العرب المحيط ٢/٤٣٠.

عربية عرباء ليست من المعرب، ولا مأخوذة من لغة الروم كما زعموا.

ويقال أصله من قولهم: سرطت الشيء أسرطه سرطاً، إذا ابتلعته واسترطته ابتلعته، فإن المبتلع يجري بسرعة في مجرى محدود.

ومن أمثال العرب: لا تكن حلواً فتسترط، ولا مراً فتعفى[١]، من قولهم: أعفيت[٢]الشيء، إذا أزلته من فيك لمرارته، ويقال فلان يسترط ما يأخذ من الدين.

وحكى يعقوب بن السكيت[٣]، الأخذ: سريط، والقضاء: صريط[٤]، والسرطاط: الفالوذج، لأنه يسترط استراطاً، وسيف سراطي، أي قاطع فإنه ماض سريع المذهب في مضربه(*).

فالصراط: هو الطريق المحدود المعتدل الذي يصل سالكه إلى مطلبه بسرعة، وقد ذكر الله لفظ الصراط في كتابه في غير موضع، ولم يسم الله سبيل الشيطان سراطاً بل سماها سبلاً[٥]، وخص طريقه باسم الصراط، كقوله ــ تعالى ــ .

---

(١) في أ (فتعقب) بدلاً من (فتعفى).

(٢) في أ (أعقيت) بدلاً من (أعفيت).
(أعفيت) ساقطة من ط.

(٣) في أ (السكيب) بدلاً من (السكيت).
هو يعقوب بن إسحاق أبو يوسف بن السكيت إمام في اللغة والأدب أصله من خوزستان تعلم ببغداد، وكان مؤدب أولاد المتوكل الذي جعله في عداد ندمائه ثم قتله.
انظر: الأعلام للزركلي ٩/٢٥٥.

(٤) في س (خريط) بدلاً من (صريط).

(٥) في س (سبيلا) بدلاً من (سبلاً).

(*) انظر تفاصيل ذلك في لسان العرب عند كلمة (سرط) ٢/١٣٣، طبعة بيروت في ٣ مجلدات كبيرة.

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[1].

وفي السنن عن عبد الله بن مسعود[2] قال: خط لنا رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ خطاً، وخط خطوطاً عن يمينه وشماله، ثم قاله: «هذا سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، من أجابه قذفه في النار، ثم قرأ:

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[3].

فسمى ـ سبحانه ـ طريقه صراطاً، وسمى تلك سبلاً، ولم يسمها صراطاً[4] كما سماها سبيلاً[5]، وطريقه يسميه سبيلاً، كما يسميه صراطاً.

وقال ـ تعالى ـ عن موسى وهارون[6]:

---

(١) سورة الأنعام: من الآية ١٥٣.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) سورة الأنعام: من الآية ١٥٣.
انظر: مسند الإمام أحمد ١/٤٣٥ عن عبد الله بن مسعود بلفظه، وفي ص ٤٦٥ من رواية أبي وائل عن عبد الله بمعناه. وسنن ابن ماجه المقدمة حديث رقم ١١ عن جابر بن عبد الله بمعناه.

(٤) في س (سراطاً) بدلاً من (صراطاً).

(٥) في س، أ (سبلا) بدلاً من (سبيلاً).

(٦) هو هارون بن عمران بن قاهث من سبط لاوي، الأخ الأكبر لموسى ـ عليهما السلام ـ تحمل معه أعباء النبوة بأمر الله لهما بالذهاب إلى فرعون ودعوته، واستمر مع أخيه في سياسة بني إسرائيل، مات بعد ما غادر بنو إسرائيل قادش وله من العمر مائة وثلاث وعشرين سنة.
انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٩٩٤، طبعة المشعل ببيروت.

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾[2].

وهذه الهداية الخاصة التي أعطاه[3] إياها بعد فتح الحديبية[4] أخص مما تقدم فإن السالك إلى الله لا يزال يتقرب إليه بشيء بعد شيء، ويزيده الله هدى بعد هدى، وأقوم الطريق وأكملها الطريق التي بعث الله بها نبيه محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[5].

● ● ●

---

(١) سورة الصافات: الآيتان ١١٧، ١١٨.

(٢) سورة الفتح: الآيات ١ ـ ٣. وفي المطبوعة سقط لفظ الجلالة بعد قوله: ليغفر لك.

(٣) في ط (أعطاها) بدلاً من (أعطاه).

(٤) يقصد بفتح الحديبية: الصلح الذي تم بين الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأهل مكة في شهر ذي القعدة سنة ست من الهجرة بالحديبية.
انظر تفاصيل ذلك في: صحيح البخاري كتاب المغازي باب غزوة الحديبية.
الحديبية: قرية في الطريق بين مكة والمدينة قريبة من مكة وسميت بذلك نسبة إلى بئر فيها تسمى الحديبية.
انظر: معجم البلدان ٢/ ٢٢٩.

(٥) سورة الإسراء: من الآية ٩.

فصل

بيان أنَّ تفسيرهم للتثليث تفسير باطل

قال الحاكي[(١)] عنهم: فقلت: إنهم[(٢)] ينكرون علينا في قولنا[(٣)]، أب وابن، وروح قدس، وأيضاً في قولنا إنهم ثلاثة أقانيم[(٤)]، وأيضاً في قولنا إن المسيح رب وإله وخالق، وأيضاً يطلبون منا إيضاح تجسيد تجسم[(٥)] كلمة الله الخالق بإنسان مخلوق.

أجابوا قائلين: لو علموا قولنا هذا إنما نريد به القول الذي يعني[(٦)] أن الله شيء حي ناطق لما أنكروا علينا ذلك، لأننا معشر النصارى لما رأينا حدوث الأشياء علمنا أن شيئاً غيرها أحدثها، إذ لا يمكن حدوثها من ذواتها لما فيها من التضاد والتقلب[(٧)].

فقلنا: إنه شيء لا كالأشياء المخلوقة إذ هو الخالق لكل شيء، وذلك لننفي عنه العدم، ورأينا الأشياء المخلوقة تنقسم قسمين: شيء حي، وشيء غير حي، فوصفناه بأجلهما، فقلنا: هو شيء حي، لننفي

---

(١) الحاكي عنهم: بولس الإنطاكي أسقف صيدا، ومؤلف الرسالة التي يرد عليها الشيخ.
والمحكي عنهم: هم علماء النصارى ببلاد الروم وقبرص.

(٢) يقصد المسلمين.

(٣) (قولنا) ساقطة من س، أ.

(٤) (وأيضاً في قولنا أنهم ثلاثة أقانيم) ساقطة من س.

(٥) في أ (تجسيم) بدلاً من (تجسم).

(٦) (الذي يعني) ساقطة من س، أ، ك.

(٧) في ط (فيه من التضاد والتلقب) بدلاً من (فيها من التضاد والتقلب).

المـوت عنه، ورأينـا[1] الحي ينقسم قسمين[2]: حي نـاطق، وحي غيـر نـاطق، فوصفنـاه بأفضلهمـا، فقلنا: هـو شيء حي نـاطق لننفي الجهـل عنه.

والثلاثة أسمـاء وهي إلّه واحـد مسمى واحد، ورب واحـد، خالق واحـد شيء حي ناطق، أي الـذات والنطق والحيـاة، فالـذات[3] عندنـا الأب الذي هو ابتداء الاثنين، والنطق الابن الـذي هو مـولود منـه لولادة النـطق من العقل، والحيـاة روح القـدس، وهـذه أسمـاء لم نسمـه نحن بها[4].

والجواب من وجوه:

أحـدها: قـولهم: أما قـولنا أب، وابن، وروح قـدس، فلو علموا قولنا هذا إنما نريد به تصحيح القول بأن الله حي نـاطق لما أنكـروا ذلك علينا، فيقال: ليس الأمر كما ادعوه فإن النصارى يقولون: إن هذا القول تلقـوه عن الإنجيل، وإن في الإنجيـل عن المسيـح ـ صلوات الله عليـه وسـلامـه ـ[5] أنـه قـال: «عمـدوا النـاس بـاسم الأب، والابن وروح القدس»[6] فكان أصل قولهم هو ما يذكرونه من أنه متلقى[7] من الشـرع المنـزل لا أنهم أثبتوا الحيـاة والنـطق بمعقـولهم، ثم عبـروا عنهـا بهـذه العبارات، كما ادعوه في مناظرتهم.

---

(١) في أ (قلنا) بدلاً من (رأينا).

(٢) في س، أ (إلى) بدلاً من (قسمين).

(٣) في ط، ك (والذات) بدلاً من (فالذات).

(٤) (وهذه أسماء لم نسمه نحن بها) ساقطة من س، أ، ك.

(٥) (وسلامه) ساقطة من ك، و ط.

(٦) سبقت الإشارة إلى هذا النص في ٣/ ١٣٣.

(٧) في ط، ك (تلقى) بدلاً من (متلقى).

ولو كان الأمر كذلك لما احتاجوا إلى هـذه العبارة، ولا إلى جعل الأقانيم ثلاثة، بل معلوم عندهم، وعند سائر أهل الملل أن الله موجود حي عليم، قدير متكلم لا تختص صفاته بثلاثة، ولا يعبر عن ثلاثة منها بعبارة لا تدل على ذلك، وهو لفظ: الأب، والابن، وروح القدس، فإن هذه الألفاظ لا تدل على ما فسروها به في لغة أحد من الأمم، ولا يوجد في كلام أحد من الأنبياء أنه عبر بهذه الألفاظ عما ذكروه من المعاني بل إثبات ما ادعوه من التثليث والتعبير عنه بهذه الألفاظ هو مما ابتدعوه لم يدل عليه لا[1] شرع ولا عقل.

وهم يدعون أن التثليث والحلول والاتحاد إنما صاروا إليه من جهة الشرع، وهو[2] نصوص الأنبياء[3] والكتب المنزلة، لا من جهة العقل، وزعموا أن الكتب الإلَهية نطقت بذلك، ثم تكلفوا لما ظنوه مدلول الكتاب طريقاً عقلية، فسروه بها تفسيراً ظنوه جائزاً في العقل. ولهذا نجد النصارى لا يلجأون في التثليث والاتحاد إلّا إلى الشرع والكتب، وهم يجدون نفرة عقولهم وقلوبهم عن التثليث والاتحاد والحلول، فإن فطرة الله التي فطر الناس عليها، وما جعله الله في قلوب الناس من المعارف العقلية التي قد يسمونها ناموساً عقلياً[4] طبيعياً يدفع ذلك وينفيه وينفر[5] عنه، ولكن يزعمون أن الكتب الإلَهية جاءت بذلك وأن ذلك أمر يفوق[6] العقل، وأن هذا الكلام من طور وراء طور العقل

---

(١) (لا) ساقطة من ط، ك.

(٢) (هو) ساقطة من س.

(٣) (وهو نصوص الأنبياء) ساقطة من أ.

(٤) (عقلياً) ساقطة من س، أ، ك.

(٥) في أ: (تدفع ذلك وتنفيه وتنفر عنه) بدلاً من (يدفع ذلك وينفيه وينفر عنه).

(٦) في ط، ك (فوق) بسقوط (يـ).

فينقلونه لظنهم أن الكتب الإلّهية أخبرت به، لا لأن العقول دلت عليه، مع أنه ليس في الكتب الإلّهية ما يدل على ذلك، بل فيها ما يدل على نقيضه، كما سنذكره ـ إن شاء الله تعالى ـ، ولا يميزون بين ما يحيله العقل ويبطله ويعلم أنه ممتنع، وبين ما يعجز عنه العقل فلا يعرفه ولا يحكم[1] فيه بنفي ولا إثبات، وأن الرسل أخبرت بالنوع الثاني: ولا يجوز أن تخبر بالنوع الأول، فلم يفرقوا بين محالات العقول ومحارات العقول، وقد ضاهوا في ذلك من قبلهم من المشركين الذين جعلوا لله ولداً شريكاً.

قال ـ تعالى ـ:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[2].

وقد ضاهاهم في ذلك أهل البدع والضلال، المشبهون لهم من المنتسبين إلى الإسلام الذين يقولون نحو[3] قولهم من الغلو في الأنبياء وأهل البيت[4] والمشايخ وغيرهم، ومن يدعي الوحدة أو[5] الحلول أو الاتحاد الخاص المعين، كدعوى النصارى، ودعوى الغالية من الشيعة في علي، وطائفة من[6] أهل البيت كالنصيرية[7] ونحوهم ممن يدعي

---

(١) في ط (يعلم) بدلاً من (يحكم).

(٢) سورة التوبة: من الآية ٣٠.

(٣) في ط، ك (بنحو) بزيادة (بـ)، (نحو) ساقطة من أ.

(٤) في ط، ك (الكتب) بدلاً من (البيت).

(٥) في ط، ك (و) بسقوط الألف.

(٦) في ط، ك (في) بدلاً من (من).

(٧) سبق التعريف بها.

إلهية علي، وكدعوى بعض الإسماعيلية[1] الإلهية في الحاكم[2] وغيره من بني عبد الله بن ميمون القداح[3]، المنتسبين إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر[4].

ودعوى كثير من الناس نحو ذلك في بعض الشيوخ، إما المعروفين بالصلاح، وإما من يظن به الصلاح وليس من أهله، فإن لهم أقوالاً من جنس أقوال النصارى، وبعضها شر من أقوال النصارى.

وعامة هؤلاء إذا خوطبوا ببيان فساد قولهم قالوا من جنس قول النصارى، هذا أمر فوق العقل، ويقول بعضهم ما كان يقوله التلمساني[5] لشيخ[6] أهل الوحدة، يقول: ثبت عندنا في الكشف

---

(١) سبق التعريف بها.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) **عبد الله بن ميمون القداح**: فقيه إمامي من أهل مكة، واهي الحديث عند علماء أهل السنَّة وهو من الثقات عند الشيعة، كان أبوه فارسي الأصل من موالي بني مخزوم عرف بالقداح وهي صناعته، مات سنة ١٨٠هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ٤٩/٦؛ والأعلام ٢٨٦/٤.

(٤) **محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق** الحسيني الطالبي الهاشمي، إمام من أئمة آل البيت قالت بإمامته القرامطة، ويرى الإسماعيلية أنه قام بالإمامة بعد وفاة أبيه، وقد ولد بالمدينة المنورة سنة ١٣١هـ، ومات ببغداد سنة ١٩٨هـ تقريباً.
ومن الباطنية من يعتقد أنه نبي نسخ شريعة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ.
انظر: تلبيس إبليس ص ١٠٢؛ والأعلام ٢٥٨/٦.

(٥) **التلمساني**: هو سليمان بن علي بن عبد الله بن علي الكومي التلمساني عفيف الدين شاعر كوفي الأصل من تلمسان وهو من أهل وحدة الوجود ومن أتباع طريقة ابن عربي صاحب الفصوص، وشيخه القونوني، قيل إنه يميل إلى مذهب النصيرية. مات سنة ٦٩٠هـ، وله من العمر ثمانين سنة.
انظر: شذرات الذهب ٤١٢/٥؛ والبداية والنهاية ٣٢٦/١٣؛ والأعلام للزركلي ١٩٣/٣؛ وفوات الوفيات ٧٢/٢.

(٦) في س، أ (شيخ) بدلاً من (لشيخ).

ما يناقض صريح النقل ويقولون لمن أراد أن يسلك سبيلهم: دع العقل والنقل، أو اخرج من العقل والنقل.

وينشدون فيهم:

مجانين إلَّا أنَّ سِرَّ جنونهم عزيز على أقدامه يسجد العقل
هم معشر حلوا النظام وحرقوا[1] السياج فلا فرض لديهم ولا نقل[2]

وهؤلاء مقلدون لمشايخهم متبعون لهم فيما يخرجون به عن شريعة الرسول، وما ابتدعوه مما لم يأذن به الله باتخاذ البدع عبادات، واستحلال المحرمات كتقليد بعض[3] النصارى لشيوخهم، وإذا اعترض[4] على أحد منهم يقولون: الشيخ يسلم له حاله[5]، ولا يعترض عليه، كما يقول النصارى لشيوخهم ومن هؤلاء من يقول نحن أولاد الله،

= شيخ أهل وحدة الوجود: هو محمد بن علي بن عربي أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي المعروف بمحيى الدين بن عربي، المقلب بالشيخ الأكبر، فيلسوف من أئمة المتكلمين في كل علم، ولد في مرسيه سنة ٥٦٠هـ بالأندلس، انتقل إلى الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز ماراً بمصر فأنكر عليه أهلها بعض الشطحات التي صدرت عنه فعمل بعضهم على إراقة دمه كالحلاج وحبس ثم تخلص فنجا واستقر في دمشق، ومات بها سنة ٦٣٨هـ، وهو شيخ أهل وحدة الوجود وكان ذكياً حافظاً، وله مؤلفات صوفية كثيرة من أضخمها «الفتوحات المكية»، قال ابن كثير فيه ما يعقل وما لا يعقل وله كتاب «فصوص الحكم» فيه أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح وله تصانيف كثيرة غير ذلك.

انظر: البداية والنهاية ١٣/١٥٦؛ وفوات الوفيات ٣/٤٣٥؛ وشذرات الذهب ٥/١٩٠؛ وميزان الاعتدال ٣/١٠٨.

(١) في ط (وحرفوا) بدلاً من (وحرقوا).
(٢) هذه الأبيات لم أعثر على قائلها.
(٣) (بعض) ساقطة من س، أ.
(٤) في ط، ك (فإذا اعترضوا) بدلاً من (وإذا اعترض).
(٥) (حاله) ساقطة من ط، ك، س.

ويقول: المسيح[1] هو ولد الله، وينطق ـ أيضاً[2] ـ بلفظ الشهوة، فيقول إنهم أولاد شهوة[3]، ويقول: إنه زوج مريم، كما يقول ذلك من يقوله من النصارى.

وغاية ما عندهم أنهم يحكون عن شيوخهم نوعاً من خرق العادات، قد يكون كذباً، وقد يكون صدقاً، وإذا كانت صدقاً فقد يكون من أحوال أولياء الشيطان كالسحرة والكهان، وقد يكون[4] من أحوال أولياء الرحمن، وإذا كانت من أحوال أولياء الرحمن[5] لم يكن[6] في ذلك ما يوجب[7] تقليد الولي في كل ما يقوله، إذ الولي لا يجب أن يكونِ معصوماً، ولا يجب اتباعه في كل ما يقوله، ولا الإيمان بكل ما يقوله.

وإنما هذا من خصائص الأنبياء الذين[8] يجب الإيمان بكل ما يقولونه فيجب تصديقهم في كل ما يخبرون به من الغيب، وطاعتهم فيما أوجبوه على الأمم، ومن كفر بشيء مما جاؤوا به فهو كافر، ومن سب نبياً واحداً وجب قتله، وليس هذا لغير الأنبياء من الصالحين.

فهؤلاء المبتدعة الغلاة المشركون القائلون بنوع من الحلول هم

---

(١) في ط، ك (الشيخ) بدلاً من (المسيح).
(٢) (أيضاً) ساقطة من ط، ك.
(٣) في س، أ (شهوقه) بدلاً من (شهوة).
(٤) في ط، ك (تكون) بدلاً من (يكون).
(٥) (وإذا كانت من أحوال أولياء الرحمن) ساقطة من ط، ك.
(٦) في ط (حينئذٍ لم يكن) بزيادة (حينئذٍ).
(٧) في أ (يجب) بدلاً من (يوجب).
(٨) في س، أ، ك (الذي) بدلاً من (الذين).

مضاهئون[1] للنصارى[2] بقدر[3] ما شابهوهم فيه، وخالفوا فيه دين المسلمين ومنهم[4] من تكون موافقته لدين المسلمين أكثر، وأما الغلاة منهم فموافقتهم للنصارى أكثر، ومنهم من هو أكفر من النصارى، ولما كان مستند النصارى هو ما ينقلونه إما عن الأنبياء، وإما عن غيرهم ممن يوجبون اتباعه، كانوا إذا أوردوا على علمائهم ما يقتضي امتناع ذلك، قالوا هكذا في الكتاب، وبهذا نطق الكتاب، وهذه الكتب جاءت بها الرسل، يعنون المؤيدين بالمعجزات، ويعنون بالرسل الحواريين، فاعتصامهم بهم إنما هو لما ظنوه مذكوراً في الكتب الإلٓهية، وإن رأوه مخالفاً لصريح المعقول.

ولهذا ينهون جمهورهم عن البحث والمناظرة في ذلك، لعلمهم بأن العقل الصريح متى تصور دينهم علم أنه باطل، فدعوى المدعين أنا إنما قلنا أب وابن وروح قدس لتصحيح القول بأن الله حي ناطق كذب ظاهر، وهم يعلمون أنه كذب، وتصحيح القول بأن الله حي متكلم، لا يقف على هذه العبارة، بل يمكنه تصحيح ذلك بالأدلة الشرعية والسمعية والعقلية، والتعبير عنه بالعبارات البينة[5] كما يقوله[6] المسلمون وغيرهم بدون قولنا أب وابن وروح قدس.

ومما يبين ذلك الوجه الثاني: وهو أن النصارى ـ المقرون بأن

---

(١) في ط، ك (يضاهئون) بدلاً من (مضاهئون).
(٢) في ط (النصارى) بدلاً من (للنصارى).
(٣) (بقدر) ساقطة من ك، و ط.
(٤) في أ (وفيهم) بدلاً من (ومنهم).
(٥) في ط، ك (المبينة) بدلاً من (البينة).
(٦) في س، أ (يفعله) بدلاً من (يقوله).

هذه العبارة في الإنجيل المأخوذ عن المسيح ـ مختلفون في تفسير هـذا الكلام، فكثير منهم يقـول الأب هو الـوجود، والابن هـو الكلمة، وروح القدس * هو الحياة.

ومنهم من يقول: بل الأب هو الوجود، والابن هو الكلمـة، وروح القدس *[1] هو القدرة.

وبعضهم يقـول: إن الأقانيم الثـلاثة: جـواد حكيم قادر، فيجعـل الأب هــو الجـواد، والابن هــو الحيكم، وروح القـدس هــو القـادر، ويزعمون أن جميـع الصفات تـدخل تحت هـذه الثلاثـة، ويقولـون: إنا استدللنا على وجوده بإخراجه[2] الأشيـاء من العدم إلى الـوجود، وذلـك من جوده.

وقد رأيت في كتب النصارى هذا وهذا وهـذا. ومنهم من يعبر عن الكلمة بالعلم، فيقـولون مـوجود حي عـالم، أو موجـود عالم قـادر، كما يقـول بعضهم: ناطق. ومنهم من يقـول مـوجـود حي حكيم، ومنهم من يقول قائم بنفسه حي حكيم. وهم[3] متفقون على أن المتحـد بالمسيـح و[4] الحال فيه هـو أقنوم الكلمـة، وهو الـذي يسمونـه الابن دون الأب، ومن أنكر الحلول والاتحاد منهم كالأريوسية[5] يقول: إن المسيح ـ عليه السلام ـ عبد مرسل، كسائر الـرسل ـ صلوات الله عليهم وسـلامه ـ ، فـوافقهم على لفظ: الأب، والابن، وروح القدس، ولا يفسـر ذلك بمـا يقوله منازعوه من الحلول والاتحاد.

---

(١) ما بين النجمتين ساقط من أ.

(٢) (بإخراجه) ساقطة من ك.

(٣) في ط (متفوقون) بدلاً من (متفقون).

(٤) في س، أ (أو) بزيادة ألف.

(٥) سبق التعريف بهم ٣/ ٢٨.

كما أن النسطورية[1] يوافقونهم ـ أيضاً ـ على هذا اللفظ، وينازعونهم في الاتحاد الذي يقوله اليعقوبية[2] والملكية[3]: فإذا كانوا متفقين على اللفظ متنازعين في معناه، علم أنهم صدقوا أولاً باللفظ[4] لأجل اعتقادهم مجيء الشرع به، ثم تنازعوا بعد ذلك في تفسير الكتاب، كما يختلفون هم وسائر أهل الملل في تفسير بعض الكلام الذي يعتقدون أنه منقول عن الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، وعلم بذلك أن أصل قولهم الأب، والابن، وروح القدس، لم يكن لأجل تصحيح القول بأن الله موجود حي ناطق الذي علموه أولاً بالعقل.

يوضح هذا **الوجه الثالث**: وهو قولهم إنّا لما رأينا حدوث الأشياء علمنا[5] أن شيئاً غيرها أحدثها، إن كان المتكلم بهذا[6] طائفة معينة من النصارى، فيقال لهؤلاء: القول بالأب، والابن، وروح القدس، موجود عند النصارى قبل وجودكم، وقبل نظركم هذا واستدلالكم، فلا يجوز أن يكون نظركم هو الموجب لقول النصارى هذا، وإن كان المراد به أن جميع النصارى من حين قالوا هذا الكلام نظروا واستدلوا حتى قالوا ذلك فهذا كذب بين، فإن هذا الكلام يقول النصارى إنهم تلقوه من الإنجيل، وأن المسيح ـ عليه السلام ـ قال: «عمدوا الناس باسم الأب، والابن، وروح القدس»[7].

---

(1) سبق التعريف بهم ٣/ ٢٨.
(2) سبق التعريف بهم ٣/ ٥٥.
(3) سبق التعريف بهم ٣/ ٥٥.
(4) في س، أ (باللفظ أولاً) بدلاً من (أولاً باللفظ).
(5) في ط (وعلمنا) بزيادة واو.
(6) في ط، ك (بها) بدلاً من (بهذا).
(7) سبق الإشارة إلى هذا النص ٣/ ١٣٣.

والمسيح والحواريون لم يأمروهم بهذا النظر الموجب لهذا القول، ولا جعل المسيح هذا القول موقوفاً عندهم على هذا البحث، فعلم أن جعلهم هذا القول ناشئاً عن هذا البحث قول باطل يعلمون هم بطلانه[1].

الوجه الرابع: إن هذا القول: إن كان المسيح لم يقله فلا يجوز أن يقال، ولو عنى به الإنسان معنى صحيحاً فإن هذه العبارة إنما يفهم منها عند الإطلاق المعاني الباطلة، ولهذا يوجد كثير من عوام النصارى يعتقدون أن المسيح ابن الله، البنوة المعروفة في المخلوقات، ويقولون: إن مريم زوجة الله وهذا لازم لعامة النصارى، وإن لم يقولوه فإن الذي يلد لا بد له من زوجة.

ولهذا قال ـ تعالى ـ:

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[2].

وجَعْلُ الربِّ والدُ المولودِ أنكرُ في العقول من إثبات صاحبة له سواء فسرت الولادة بالولادة المعروفة، أو بالولادة العقلية التي يقولها علماء النصارى، فإن من أثبت صاحبة له يمكنه تأويل ذلك، كما تأولوا هم الولد، ويقولون: إن الأب * ولدت منه الكلمة، ومريم ولد منها الناسوت واتحد الناسوت باللاهوت، فكما أن الأب *[3] أب باللاهوت لا بالناسوت، ومريم أم للناسوت لا للاهوت، فكذلك هي صاحبة للأب بالناسوت، واللاهوت زوج مريم بلاهوته، كما أنه أب للمسيح[4]

(١) في ط، ك (ببطلانه) بزيادة (ب).

(٢) سورة الأنعام: من الآية ١٠١.

(٣) ما بين النجمتين ساقط من ك.

(٤) في س، أ (المسيح) بدلاً من (للمسيح).

بلاهوته، وإذا اتحد اللاهوت بناسوت المسيح مدة طويلة، فلماذا يمتنع أن يجتمع اللاهوت بناسوت مريم مدة قصيرة، وإذا جعل الناسوت الذي ولدته ابناً للاهوت فلأي شيء لا تجعل هي صاحبة وزوجة للاهوت، فإن المسيح عندهم اسم لمجموع اللاهوت والناسوت، وهو عندهم إلٰه تام وإنسان تام. فلاهوته من الله، وناسوته من مريم، فهو من أصلين: لاهوت وناسوت، فإذا كان أحد الأصلين أباه والآخر أمه، فلماذا لا تكون أمه زوجة أبيه بهذا الاعتبار، مع أن المصاحبة قبل البنوة[1]؟ فكيف يثبت الفرع الملزوم بدون ثبوت الأصل اللازم؟

وليس في ذلك من المحال على أصلهم إلاَّ ما هو من جنس إثبات بنوة[2] المسيح، وأقل امتناعاً. وإن كان المسيح ـ عليه السلام ـ قال هذا الكلام، فقد علمنا أن المسيح ـ عليه السلام ـ[3] وغيره من الأنبياء معصومون لا يقولون إلاّ الحق، وإذا قالوا قولاً فلا بد له من معنى صحيح.

ويمتنع أن يريدوا بقولهم[4] ما يمتنع بطلانه بسمع أو عقل[5] فإذا كانت العقول، ونصوص الكتب المتقدمة مع نصوص القرآن تناقض ما ابتدعته النصارى في المسيح، علم أن المسيح لم يرد معنى باطلاً يخالف صريح المعقول وصحيح المنقول.

بل نقول في **الوجه الخامس**: إن صحت هذه العبارة عن المسيح

---

(١) في ط (النبوة) بدلاً من (البنوة).
(٢) في ط (نبوة) بدلاً من (بنوة).
(٣) (عليه السلام) ساقطة من س، أ.
(٤) في أ(بقوله) بدلاً من (بقولهم).
(٥) في س، ص (يعقل أو يسمع) بدلاً من (يسمع أو يعقل).

المعصوم ــ عليه الصلاة والسلام ــ ، فإنه أراد بذلك ما يناسب سائر كلامه، وفي الموجود في كتبهم تسمية الرب أباً وتسمية عباده أبناء، كما يذكرون أنه قال في التوراة ليعقوب «إسرائيل»[1]: «أنت ابني بكري»[2]، وقال لداود في الزبور: «أنت ابني وحبيبي»[3]، وفي الإنجيل في غير موضع يقول المسيح: «أبي وأبيكم» كقوله: «إني أذهب إلى أبي وأبيكم وإلٓهي وإلٓهكم»[4] فيسميه أباً لهم كما يسميهم أبناء له، فإن كان هذا صحيحاً، فالمراد بذلك أنه الرب المُربِّي الرحيم، فإن الله أرحم بعباده من الوالدة بولدها، والابن هو المُربَّى المرحوم، فإن تربية الله لعبده أكمل من تربية الوالدة لولدها فيكون المراد بالأب الرّب، والمراد بالابن عنده المسيح الذي رباه[5].

وأما روح القدس: فهي لفظة موجودة في غير موضع من الكتب التي عندهم، وليس المراد بها حياة الله باتفاقهم، بل روح القدس عندهم تحل في إبراهيم وموسى وداود وغيرهم من الأنبياء الصالحين.

---

(١) (إسرائيل) ساقطة من س، أ.

(٢) وجدت هذا النص في رسالة إلى العبرانيين الإصحاح الأول ــ العهد الجديد ــ ولكنه بلفظ مخالف كما يلي: «٥ ــ لأنه من الملائكة قال قط ــ أنت ابني أنا اليوم ولدتك»، وهذا موجه لإسرائيل ولم يقل «أنت ابني بكري».

(٣) وجدت في سفر الخروج الإصحاح الرابع على لسان موسى لفرعون: «هكذا يقول الرب إسرائيل ابني بكري».

(٤) وجدت في العهد الجديد ــ إنجيل لوقا ــ الإصحاح الثالث (١٢ ــ الرب قال ليسوع أنت ابني الحبيب بك سررت)، أما ما ذكر في المزامير فقد وجدت في المزمور الثاني، (٧ ــ إني أجد من جهة قضاء الرب قال لي أنت ابني أنا اليوم ولدتك) ولم يذكر كلمة (حبيبي) بل قال: «أنا اليوم ولدتك».

(٥) وجدت هذا النص في العهد الجديد ــ إنجيل يوحنا ــ الإصحاح العشرون (إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلٓهي وإلٓهكم).

والقرآن قد شهد أن الله أيد المسيح بروح القدس، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾[1].

في موضعين من البقرة.

وقال ـ تعالى ـ:

﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾[2].

وقد قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لحسّان بن ثابت: «إن روح القدس معك ما دمت تنافح عن نبيه»، وقال: «اللَّهم أيده بروح القدس»[3] كما تقدم ذكر[4] هذا كله مبسوطاً[5].

وروح القدس: قد يراد بها الملك المقدس كجبريل، ويراد بها الوحي، والهدى والتأييد الذي ينزله الله بواسطة الملك أو بغير واسطته، وقد يكونان متلازمين، فإن الملك ينزل بالوحي، والوحي ينزل به الملك، والله ـ تعالى ـ[6] يؤيد رسله بالملائكة وبالهدى، كما قال ـ تعالى ـ عن نبيه محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ:

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾[7].

---

(1) سورة البقرة: من الآية ٨٧.

(2) سورة المائدة: من الآية ١١٠.

(3) (وقال: «اللَّهم أيده بروح القدس» ساقطة من س).

(4) في ط (عن ذكر) بزيادة (عن).

(5) سبقت الإشارة إليه في ٣/ ١٣٤ ـ ١٣٥.

(6) (تعالى) ساقطة من ط، ك.

(7) سورة التوبة: من الآية ٤٠.

في موضعين من سورة براءة[1].

وقال الله[2] ـ تعالى ـ:

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾[4].

* وقال ـ تعالى ـ:

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾[5].

وقال الله ـ تعالى ـ:

﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[6].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾[7].

وقال:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ

---

(١) الموضع الثاني (آية ٢٦ من السورة).

(٢) في س، أ، ك سقط لفظ الجلالة (الله).

(٣) سورة الأحزاب: من الآية ٩.

(٤) سورة الأنفال: من الآية ١٢.

(٥) سورة المجادلة: من الآية ٢٢.

(٦) سورة النحل: من الآية ٢.

(٧) سورة غافر: من الآية ١٥.

﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾[1].

وإذا كان روح القدس معروفاً في كلام الأنبياء ـ المتقدمين والمتأخرين ـ أنها أمر ينزله الله على أنبيائه وصالحي عباده سواء كان ملائكة تنزل بالوحي والنصر أو وحياً وتأييداً مع الملك، وبدون الملك ـ ليس المراد بروح القدس أنها حياة الله القائمة به ـ كان (المعصوم إن كان)[2] قال: (عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس) مراده مروا الناس أن يؤمنوا بالله ونبيه الذي أرسله وبالملك الذي أنزل عليه الوحي الذي جاء به، فيكون ذلك أمراً لهم بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وهذا هو الحق الذي يدل عليه صريح المعقول وصحيح المنقول.

فتفسير كلام المعصوم بهذا التفسير الذي يوافق سائر ألفاظ الكتب التي عندهم، ويوافق القرآن، ويوافق[3] العقل، أولى من تفسيره بما يخالف صريح المعقول وصحيح المنقول.

وهذا تفسير ظاهر ليس فيه تكلف، ولا هو من التأويل الذي هو صرف الكلام عن ظاهره إلى ما يخالف ظاهره، بل هو تفسير له بما يدل ظاهره عليه باللغة المعروفة والعبارة المألوفة في خطاب المسيح، وخطاب سائر الأنبياء.

أما تفسير النصارى بأن الابن مولود قديم أزلي هو العلم أو كلمة

---

(1) سورة الشورى: من الآية ٥٢. وهذه الآية ساقطة من س. وقد كتبت في ما بين النجمة في الصفحة السابقة ونهاية هذه الآية ساقطة من س. وقد كتبت في الهامش.

(2) (المعصوم إن كان) ساقطة من ط.

(3) (يوافق) ساقطة من ط، ك.

الله، فتفسير للفظ بما[1] لم يستعمل هذا اللفظ فيه، لا[2] في كلام أحد من الأنبياء ولا لغة[3] أحد من الأنبياء، وكذلك تفسير روح القدس بحياة الله، فالذي فسر النصارى به ظاهر[4] كلام المسيح هو تفسير لا تدل عليه لغة المسيح وعادته في كلامه، ولا لغة غيره من الأنبياء والأمم، بل المعروف في لغته وكلامه وكلام سائر الأنبياء تفسيره بما فسرناه، وبذلك فسره أكابر علماء النصارى.

وأما ضلال النصارى المحرفون لمعاني كتب الله ـ عز وجل ـ، فسروه بما يخالف معناه الظاهر وينكره العقل والشرع.

وتمام هذا بالوجه السادس: وهو أن النصارى لما كان عندهم في الكتب تسمية المسيح عليه السلام ابناً، وتسمية غيره من الأنبياء ابناً، كقوله ليعقوب: (أنت ابني بكري) وتسمية الحواريين «أبناء، قالوا هو ابنه بالطبع، وغيره هو[5] ابنه بالوضع، فجعلوا لفظ الابن[6] مشتركاً بين معنيين وأثبتوا لله طبعاً، جعلوا المسيح ابنه باعتبار ذلك الطبع، وهذا يقرر[7] قول من يفهم منهم أنه ابنه البنوة المعروفة في المخلوقين، وأن مريم زوجة الله.

وكذلك جعلوا روح القدس مشتركة بين حياة الله وبين روح القدس التي تنزل على الأنبياء والصالحين، ومعلوم أن الاشتراك على

---

(١) في أ (ما) بسقوط (بـ).
(٢) (لا) ساقطة من س، أ.
(٣) في أ (أمة) بدلاً من (لغة).
(٤) (ظاهر) ساقطة من س، أ، ك.
(٦) (هو) ساقطة من ط.
(٧) في ط، ك (يقرره) بزيادة (هـ).

خلاف الأصل وأن اللفظ إذا استعمل في عدة مواضع كان جعله حقيقة متواطئاً في القدر المشترك أولى من جعله مشتركاً اشتراكاً لفظياً بحيث يكون حقيقة في خصوص هذا، أو يكون مجازاً في أحدهما[1]، فإن المجاز والاشتراك على خلاف الأصل، هذا إن قدر أن لفظ الابن وروح القدس استعمل في نطق الله وحياته ـ كما يزعم النصارى ـ فكيف إذا لم يوجد في كلام الأنبياء أنهم قالوا لفظ الابن، ولفظ روح القدس، وأرادوا به شيئاً من صفات الله لا كلامه ولا حياته ولا علمه[2] ولا غير ذلك، بل لم يوجد استعمال لفظ الابن في كلام الأنبياء إلَّا في شيء مخلوق، ولم يوجد استعمال روح القدس كما هو من[3] صفات الله القائمة به، (ونحن إذا فسرنا الأب وروح القدس ببنوة التربية، وروح القدس بما ينزل على الأنبياء)[4] كنا قد جعلنا اللفظ مفرداً متواطئاً وهم يحتاجون أن يجعلوا اللفظ مشتركاً أو مجازاً في أحد المعنيين، فكان تفسيرهم مخالفاً لظاهر اللغة التي خوطبوا بها، ولظاهر الكتب التي بأيديهم (وتفسيرنا موافقاً لظاهر لغتهم، وظاهر الكتب التي بأيديهم)[5]، وحينئذ فقد تبين أنه ليس معهم بالتثليث لا حجة سمعية ولا عقلية، بل هو باطل شرعاً وعقلاً.

ويؤيد هذا الوجه السابع: وهو أنهم في أمانتهم أثبتوا من

---

(١) في ط (إحداهما) بدلاً من (أحدهما).

(٢) (ولا علمه) ساقطة من س، أ.

(٣) في ط (بما هو في) بدلاً من (كما هو من).

(٤) ما بين القوسين ـ في جميع النسخ ـ فيه تكرار وخطأ في التركيب، وعندي أن صحتها: (ونحن إذا فسرنا الابن ببنوة التربية وروح القدس بما ينزل على الأنبياء).

(٥) ما بين القوسين ساقط من س، أ.

المعـاني ولفظ الأقانيم وغيـر ذلك مـا لا تدل عليـه الكتب التي بأيـديهم البتـة، بل فهمـوا منها معنى بـاطلاً، وضمـوا إليه معـاني باطلة من عنـد أنفسهم، فكانوا محرفين لكتب الله في ذلك، مفتـرين على الله الكذب، وهذا مبسوط في موضع آخر.

الوجه الثامن: أن قولهم بـالأقانيم مـع بطلانـه في العقل والشـرع لم ينطق به عندهم[١] كتاب، ولم[٢] يوجد هذا اللفظ في شيء من كتب الأنبياء التي بأيديهم ولا في كلام الحـواريين، بل هي لفـظة ابتدعـوها، ويقـال: إنها روميـة، وقد قيـل: الأقنوم في لغتهم معنـاه الأصل، ولهـذا يضطربون[٣] في تفسير الأقانيم تارة يقولون أشخاص، وتارة خواص وتارة صفـات وتارة جـواهر وتـارة يجعلون الأقنوم اسمـاً للذات والصفـة معـاً، وهذا تفسير حذاقهم.

الوجه التـاسع: قـولهم في المسيح ـ عليـه السلام ـ إنـه خالق، قول مع بطلانه في الشرع والعقل، قول[٤] لم ينطق بـه شيء من النبوات التي عندهم، ولكن يستدلون على ذلك بما لا يدل عليه[٥]، كما سنبينـه إن شاء الله تعالى.

الوجه العاشر: قولهم في تجسد اللاهوت ـ أيضـاً ـ هو قـول مع بطلانه في العقل والشرع قـول[٦] لا يدل عليـه شيء من كلام المعصـوم من النبيين والمرسلين.

---

(١) (عندهم) ساقطة من ك.
(٢) في س، أ (ولا) بدلاً من (ولم).
(٣) في ط (يضطرون) بدلاً من (يضطربون).
(٤) (قول) ساقطة من ط.
(٥) في س، أ، ك (على ذلك) بدلاً من (عليه).
(٦) (قول) ساقطة من ط.

الوجه الحادي عشر: إنا نقول: لا ريب أن الله حي عالم قادر متكلم، وللمسلمين على ذلك من الدلائل العقلية التي دل الرسول عليها وأرشد إليها فصارت معروفة بالعقل مدلولاً عليها بالشرع ما هو مبسوط في موضعه. وأنتم مع دعواكم أنكم[1] تثبتون ذلك بالعقل، لم تذكروا على ذلك دليلاً عقلياً.

فقولكم لما رأينا حدوث الأشياء علمنا أن شيئاً غيرها أحدثها إذ لا يمكن حدوثها من ذواتها لما فيها من التضاد[2] والتقلب. كلام قاصر من وجوه:

أحدها: أنكم لم تروا حدوث جميع المخلوقات، وإنما رأيتم حدوث ما يشهد حدوثه كالسحاب والمطر والحيوان والنبات ونحو ذلك، فأين دليلكم على حدوث سائر الأشياء؟

الثاني: أنه كان ينبغي أن تقولوا لما علم[3] حدوث المحدثات، أو حدوث المخلوقات أو حدوث ما سوى الله ونحو ذلك مما يبين أن[4] المحدث ما سوى الله، فأما إطلاق حدوث جميع الأشياء فباطل، فإن الله يسمى عندكم وعند جمهور المسلمين شيئاً من الأشياء. وهذا بخلاف قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[5].

فإن هذا التركيب يبين أن الخالق غير المخلوق خلاف قول القائل حدوث الأشياء.

---

(١) (أنكم) ساقطة من أ.
(٢) في ك، أ، س (التضادد).
(٣) في أ (علمتم) بدلاً من (علم).
(٤) (أن) ساقطة من ط.
(٥) سورة الرعد: من الآية ١٦.

الثالث: أن العلم بأن المحدث[1] لا بد له من محدث، علم فطري ضروري، ولهذا قال الله [2] ـ تعالى ـ في القرآن:

﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾[3].

قال جبير بن مطعم[4]: (لما سمعت النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ يقرأ بها في صلاة المغرب أحسست بفؤادي قد انصدع)[5]، يقول تعالى: أخلقوا من غير خالق خلقهم أم هم الخالقون لأنفسهم[6].

ومعلوم بالفطرة التي فطر الله عليها عباده بصريح العقل أن الحادث لا يحدث إلّا بمحدث أحدثه.

---

(١) في ط (بالمحدث) بدلاً من (بأن المحدث).

(٢) لفظ الجلالة (الله) ساقط من س، أ، ك.

(٣) سورة الطور: من الآية ٣٥.

(٤) جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي القرشي (أبو محمد) النوفلي صحابي جليل من سادات قريش كان حليماً وقوراً عالماً بالأنساب، أسلم بعد عام الحديبية ـ روى عنه ابناه ـ محمد ورافع ـ وكذلك ابن المسيب توفي سنة سبع وخمسين وقيل: ثمان، وقيل: تسع وخمسين من الهجرة، ـ رضي الله عنه ـ. انظر: أسد الغابة ١/٢٧١؛ وتهذيب التهذيب ٢/٦٣؛ والإصابة في تمييز الصحابة ١/٢٢٥؛ والاستيعاب بهامش الإصابة ٨/٢٣٠.

(٥) انظر:
* صحيح البخاري كتاب التفسير ـ باب ٤٩ ـ سورة الطور ـ عن جبير بن مطعم بمعناه.
* مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤/٨٣، ٨٥، عن جبير بن مطعم بمعناه لكنه لم يذكر قراءة الآية، بل ذكر قراءته ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ لسورة الطور في صلاة المغرب.

(٦) في ط (يقوله تعالى: أخلقوا من غير خالق أم هم الخالقون).
في ك (يقول تعالى: من غير خالق خلقهم أم هم الخالقون لأنفسهم).

وإن حدوث الحادث بلا محدث أحدثه معلوم البطلان بضرورة العقل وهذا أمر مركوز في بني آدم حتى الصبيان، لو ضرب الصبي ضربة فقال: من ضربني؟ فقيل: ما ضربك أحد، لم يصدق عقله أن الضربة حدثت من غير فاعل.

ولهذا لو جوّز مجوز أن يحدث كتابة أو بناء[1] أو غراس ونحو ذلك من غير محدث لذلك، لكان عند العقلاء إما مجنوناً، وإما مسفسطاً كالمنكر للعلوم البديهية[2] والمعارف الضرورية، وكذلك معلوم أنه لم يحدث نفسه، فإن كان معدوماً قبل حدوثه لم يكن شيئاً فيمتنع أن يحدث غيره فضلاً عن أن يحدث نفسه.

فقولكم لم يكن حدوثها من ذواتها لما فيها من التضاد[3] والتقلب، تعليل باطل فإن علمنا بأن[4] حدوثها لم يكن من ذواتها ليس لأجل ما فيها من التضاد[5] والتقلب بل سواء كانت متماثلة أو مختلفة أو متضادة، نحن نعلم بصريح العقل أن المحدث لا يحدث نفسه، وهذا من أظهر المعارف وأبينها للعقل، كما يعلم[6] أن العدم[7] لا يخلق موجوداً، وأن المحدث للحوادث الموجودة لا يكون معدوماً.

الوجه الرابع: أنكم ذكرتم حجة على أنها لم تحدث نفسها، وهي

---

(١) في ط، ك (نساجه) بدلاً من (بناء).

(٢) (البديهية) ساقطة من ط.

(٣) في ك، أ، س (التضادد) بدلاً من (التضاد).

(٤) (بأن) ساقطة من ط، ك.

(٥) في ك، أ، س (التضادد) بدلاً من (التضاد).

(٦) في ط (كما تعلم)؛ في ك (كما نعلم) بدلاً من (كما يعلم).

(٧) في ط (العدل) بدلاً من (العدم).

حجة ضعيفة ولم تذكروا(1) حجة على أنها حدثت بلا محدث، لا أنفسها ولا غيرها، فإن كان امتناع كونها أحدثت نفسها محتاجاً إلى دليل، فكذلك امتناع حدوثها بلا محدث، وإن كان معلوماً ببديهة العقل، وهو من العلوم الضرورية، فكذلك الآخر، فذكر الدليل على أحدهما دون الآخر خطأ لو كنتم ذكرتم دليلاً صحيحاً، فكيف إذا كان الدليل باطلاً؟ ومن يكون مبلغهم من العلم بالأدلة العقلية التي يثبتون بها العلم بالصانع وصفاته هذا المبلغ؟ ثم يريدون مع ذلك أن يثبتوا معاني عقلية ويزعمون أنها موافقة لفهمهم الباطل من الكتب الإلّهية. فهم ممن قال الله فيهم:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾(2).

الوجه الثاني عشر(3): قولكم: فقلنا إنه شيء لا كالأشياء المخلوقة، إذ هو الخالق لكل شيء، لننفي عنه العدم.

فيقال لهم: لا ريب أن الله كما وصف نفسه بقوله ـ تعالى ـ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(4).

وقوله: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾(5).

---

(1) في ط (تذكر) بدلاً من (تذكروا).

(2) سورة النور: الآيتان ٣٩، ٤٠.

(3) في س (الوجه الخامس عشر)؛ في أ (الوجه الرابع عشر) مكرر.

(4) سورة الشورى: من الآية ١١.

(5) سورة مريم: من الآية ٦٥.

أي مثلاً يستحق أن يسمى بأسمائه، وقوله ـ تعالى ـ :

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[1].

وقد دلَّ على ذلك العقل، فإن المثلين اللَّذين يسد أحدهما مسد الآخر يجب لأحدهما ما يجب للآخر ويمتنع عليه ما يمتنع عليه، ويجوز عليه ما يجوز عليه، فلو كان للخالق مثل للزم أن يشتركا فيما يجب، ويجوز، ويمتنع.

والخالق يجب له الوجود والقدم، ويمتنع عليه العدم، فيلزم أن يكون المخلوق واجب الوجود قديماً أزلياً لم يعدم[2] قط، وكونه محدثاً مخلوقاً يستلزم أن يكون كان معدوماً، فيلزم أن يكون موجوداً معدوماً قديماً محدثاً، وهو جمع بين النقيضين يمتنع في بدايه[3] العقول، وأيضاً فالمخلوق يمتنع عليه القدم، ويجب له سابقة العدم، فلو وجب للخالق القديم ما يجب له، لوجب كون الواجب للقدم واجب الحدوث بعد[4] العدم وهذا جمع بين النقيضين، فالعقل الصريح يجزم بأن الله ليس كمثله شيء، والكلام على هذا مبسوط في موضع آخر لكن أنتم لم تذكروا على ذلك[5] حجة (بل قلتم أنه شيء لا كالأشياء المخلوقة، إذ هو الخالق لكل شيء فلم تذكروا حجة)[6] على أنه خالق كل شيء، إذ كان عمدتكم على ما شهدتم حدوثه، وليس ذلك كل شيء، ولم تذكروا

---

(١) سورة الإخلاص كلها.

(٢) في ط (يعد) بسقوم (م).

(٣) في ط، ك (بداية) بدلاً من (بدايه).

(٤) في ط (بعدم) بدلاً من (بعد).

(٥) في ط ك (هذا) بدلاً من (ذلك).

(٦) ما بين القوسين ساقط من ط، ك.

حجة مع كونه خالق كل شيء على أنه ليس كمثله شيء، بل قلتم لأننا معشر النصارى لما رأينا حدوث الأشياء علمنا أن شيئاً غيرها أحدثها لما فيها من التضاد[1] والتقلب فقلنا: إنه شيء لا كالأشياء المخلوقة إذ هو الخالق لكل شيء، وذلك لننفي العدم عنه. ودليلكم لو دل على العلم بالصانع لم يدل إلَّا على أنه خالق فكيف إذا لم يدل؟

ولا ريب أن الخالق سبحانه يجب أن يكون موجوداً لا معدوماً، وهذا معلوم بالضرورة، لا يحتاج إلى دليل عند جمهور العقلاء والنظار وإن كان بعضهم أثبت وجوده بالدليل النظري، لكن ليس في دليلكم ما يدل على أنه ليس كالأشياء المخلوقة، وقولكم: إذ هو الخالق لكل شيء يتضمن أنه خالق لكل ما سواه، ليس فيه بيان نفي للمماثلة عنه، ولكن بينتم بهذا الكلام جهلكم بالدلائل العقلية كجهلكم بالكتب المنزلة، وكذلك أخبر تعالى عن أهل النار بأنهم يقولون:

﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[2].

• • •

---

(1) في ك، أ، س (التضادد) بدلاً من (التضاد).

(2) سورة الملك: من الآية ١٠.

فصل

دلائل وجود الله وحياته

وأما قولكم: ورأينا الأشياء المخلوقة تنقسم قسمين: شيء حي، وشيء غير حي، فوصفناه بأجل القسمين فقلنا إنه حي لننفي الموت عنه.

فيقال: لا ريب أن الله حي كما نطقت بذلك كتبه المنزلة التي هي آياته القولية، ودلت على ذلك آياته كمخلوقاته، التي هي آياته الفعلية، قال ـ تعالى ـ:

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[1].

أي القرآن حق، وقد تقدم ذكر القرآن، في قوله:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾[2].

فالله ـ تعالى ـ يري عباده من آياته المشاهدة المعاينة الفعلية، ما يبين صدق آياته المنزلة المسموعة القولية.

قال[3] ـ تعالى ـ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾[4].

---

(١) سورة فصلت: من الآية ٥٣.

(٢) سورة فصلت: من الآية ٥٢.
في ط (إن كنا) بدلاً من (إن كان).

(٣) في ط (قوله) بدلاً من (قال).

(٤) سورة البقرة: من الآية ٢٥٥.

وقال ـ تعالى ـ : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾[1].

والدلائل على حياته كثيرة:

منها: أنه قد ثبت أنه عالم، والعلم لا يقوم إلاَّ بحي، وثبت أنه قدار مختار يفعل بمشيئته، والقادر المختار لا يكون إلاَّ حيّاً.

ومنها: أنه خالق الأحياء وغيرهم، والخالق أكمل من المخلوق، فكل كمال ثبت للمخلوق فهو من الخالق، فيمتنع أن يكون المخلوق أكمل من خالقه، وكماله أكمل منه.

والمتفلسفة القائلون بالموجب بالذات يسلمون هذا، ويقولون كمال المعلول مستفاد من علته، فإذا كان خالقاً للأحياء كان حياً بطريق الأولى والأحرى.

ومنها: أن الحي أكمل من غير الحي، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾[2].

فلو كان الخالق غير حي لزم[3] أن يكون الممكن[4] المحدث المخلوق أكمل من الواجب القديم الخالق، فيكون أنقص الموجودين أكمل من أكملها، وهذا الوجه يتناول ما ذكروه من الدليل، وإن كانوا لم يبينوه بياناً تاماً. لكن قولهم[5] قلنا أنه حي لننفي الموت عنه.

---

(١) سورة الفرقان: من الآية ٥٨.

(٢) سورة فاطر: من الآية ٢٢.

(٣) (لزم) ساقطة من ك.

(٤) (الممكن) ساقطة من ط.

(٥) (وإن كانوا لم يبينوا بياناً تاماً، لكن قولهم) ساقطة من س، أ.

كلام مستدرك، فإن الله موصوف بصفات الكمال الثبوتية كالحياة والعلم والقدرة، فيلزم من ثبوتها سلب صفات النقص، وهو سبحانه لا يمدح بالصفات السلبية إلَّا لتضمنها المعاني الثبوتية، فإن العدم المحض والسلب الصرف لا مدح فيه ولا كمال، إذ كان المعدوم يوصف بالعدم المحض، والعدم نفي محض لا كمال فيه، إنما الكمال في[1] الوجود.

ولهذا جاء كتاب الله ـ تعالى[2] ـ على هذا الوجه فيصف سبحانه نفسه بالصفات الثبوتية صفات الكمال وبصفات السلب المتضمنة للثبوت، كقوله:

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾[3].

فنفى أخذ السنة والنوم يتضمن كمال حياته وقيوميته، إذ النوم أخو الموت ولهذا كان أهل الجنة لا ينامون مع كمال الراحة، كما لا يموتون.

والقيوم: القائم المقيم لما سواه، فلو جعلت له سنة أو نوم لنقصت حياته وقيوميته، فلم يكن قائماً ولا قيوماً، كما ضرب الله المثل لبني إسرائيل، لما سألوا موسى: هل ينام ربك؟ فأرقه ثلاثاً[4]، ثم أعطاه قوارير فأخذه النوم فتكسرت[5].

---

(١) (في) ساقطة من ط.

(٢) (تعالى) ساقطة من ط.

(٣) سورة البقرة: من الآية ٢٥٥.

(٤) (فأرقه ثلاثاً) ساقطة من أ.
في ط (ثلاثة) بدلاً من (ثلاثاً).

(٥) لم أعثر على هذا النص في العهد القديم أو الجديد بالرغم من بحثي في الفهرس الخاص بذلك نشر مكتبة المشعل بيروت، إنما وجدت في نفي النوم عن الرب ـ سبحانه ـ نصاً في المزمور ١٢١ (إنه لا ينعس ولا ينام حافظ إسرائيل)، فقرة ٤.
انظر: العهد القديم ص ٩٢٣.
وقد نقل ابن كثير في تفسيره ١/٣٠٨ ـ ٣٠٩ آثاراً بهذا المعنى بعضها من الإسرائيليات. وأحسن ما فيها موقوف على التابعين.

بين بهذا المثل أن خالق العالم لو نام لنفد العالم، ثم قال ـ تعالى ـ :

﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ﴾[1].

فإنكاره ونفيه أن يشفع أحد عنده إلَّا بإذنه يتضمن كمال ملكه لما في السماوات وما في الأرض، وأنه ليس له شريك، فإن من شفع عنده غيره بغير إذنه وقبل شفاعته كان مشاركاً له، إذ صارت شفاعته سبباً لتحريك المشفوع إليه، بخلاف من لا يشفع عنده أحد إلَّا بإذنه فإنه منفرد بالملك ليس له شريك بوجه من الوجوه.

ثم قال ـ تعالى ـ :

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ﴾[2].

فنفى أن يعلم أحد شيئاً من علمه إلَّا بمشيئته ليس إلَّا[3] أنه منفرد بالتعليم، فهو العالم بالمعلومات، ولا يعلم أحد شيئاً إلَّا بتعليمه، كما قالت الملائكة:

﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[4].

ثم قال ـ تعالى ـ :

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ﴾[5].

---

(١) سورة البقرة: من الآية ٢٥٥.

(٢) سورة البقرة: من الآية ٢٥٥.

(٣) (إلَّا) ساقطة من س، أ، ك.

(٤) سورة البقرة: من الآية ٣٢.

(٥) سورة البقرة: من الآية ٢٥٥. في س زاد كلمة (وهو العلي) في آخر الآية.

أي لا يكرثه ولا يثقل عليه، فبين[1] بذلك كمال قدرته، وأنه لا يلحقه أدنى مشقة، ولا أيسر كلفة في حفظ المخلوقات، كما قال ـ تعالى ـ في الآية الأخرى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[2].

بيَّن بذلك كمال قدرته وأنه لا يلحقه اللغوب في الأعمال العظيمة مثل خلقه السماوات والأرض، كما يلحق المخلوق اللغوب إذا عمل عملاً عظيماً، واللغوب: الإنقطاع والإعياء، وهذا باب واسع مبسوط في موضع آخر.

والمقصود هنا أنه موصوف بصفات الكمال التي يستحقها بذاته ويمتنع اتصافه بنقائضها، وإذا وصف بالسلوب[3]، فالمقصود هو إثبات الكمال، وهؤلاء قالوا: قد وصفناه بالحياة لننفي عنه الموت[4]، كما قالوا: هو شيء لننفي العدم عنه، والحياة صفة كمال يستحقها بذاته، والموت مناقض لها، فلم يوصف بالحياة لأجل نفي الموت، بل وصفه بالحياة يستلزم نفي الموت، فينفي عنه الموت لأنه حي، لا يثبت له الحياة لنفي الموت، وكذلك لتثبت له أنه شيء موجود، وذلك يستلزم نفي العدم عنه[5]، لا أن إثبات وجوده لأجل نفي العدم، بل نفي العدم عنه

(١) في س، أ (تبين) بدلاً من (فبين).
(٢) سورة قٓ: من الآية ٣٨.
(٣) في ط (بالغلوب) بدلاً من (بالسلوب).
(٤) في ط (بالموت) بزيادة (بـ).
(٥) (عنه) ساقطة من س، أ.

لأجل وجوده، كما أن[1] نفى الموت عنه لأجل حياته، وكـذلك قـولهم: قلنا[2]: إنه شيء لا كالأشياء المخلوقة وذلك لننفي العدم عنه، لكن كان مرادهم ـ والله أعلم ـ وإن كانت عبارتهم قاصرة ـ إثبات الوجود، ونفي العدم، وإثبات الحياة ونفي الموت.

● ● ●

(١) في ط (كما أن الموت) بزيادة (الموت).
(٢) في ط (قولنا) بدلاً من (قلنا).

فصل

طُرق معرفة صفات الرب

ثم قالوا: ورأينا الحي ينقسم قسمين: حياً ناطقاً، وحياً غير ناطق فوصفناه[1] بأفضل الوصفين، فقلنا: إنه ناطق لننفي الجهل عنه.

فيقال لهم: لا ريب أن الرب سبحانه موصوف بأنه حي عليم قدير متكلم مختار، لكن قولهم: فقلنا إنه ناطق لننفي الجهل عنه يقتضي أنكم أردتم النطق المناقض للجهل. وهذا هو العلم، فإن العلم يناقض الجهل، لم تريدوا بذلك النطق الذي هو العبارة والبيان، ولم تريدوا بذلك ما جعله بعض النظار كلاماً، وهي معاني قائمة بالنفس ليست من جنس العلوم، ولا من جنس الإرادات، وحينئذ فيقال لكم: ليس في الأحياء إلَّا ما هو شاعر، فكل حي فله شعور بحسبه[2].

وكلما قويت الحياة قوي شعورها، وشعور الحيوان قد يعبر عنه بلفظ العلم، كما يقول الناس: علم الفهد والبازي[3] والكلب، ويقال: كلب معلم وغير معلم وبازي معلم.

---

(١) في س، أ، ك (وصفناه) بسقوط (فـ).

(٢) في ط (بحبسه) بدلاً من (بحسبه).

(٣) **الفهد**: حيوان معروف من الثدييات يدرب على الصيد، طويل الأرجل، أعفر الجلد، به بقع سوداء.

البازي: نوع من الصقور طائر، قد يعلم ويستعمل في الصيد.

انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٣٢٧، ٣١٠.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾[1].

وقال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «إذا أرسلت كلبك المعلم، وذكرت اسم الله فقتل فكل»[2] ولا ريب[3] أن العلم[4] صفة كمال، فالعالم[5] أكمل من الجاهل[6]، والدلائل الدالة[7] على علم الله كثيرة، مثل أنه سبحانه خالق كل شيء بإرادته.

والإرادة تستلزم تصور المراد فلا بد أن يعلم المخلوقات قبل أن يخلقها.

وكلما وجد في الخارج فهو موجود وجوداً معيناً يمتاز به عن غيره، فإذا خلقها كذلك فلا بد أن يعلمها علماً مفصلاً يمتاز به كل معلوم عما سواه، ولو قدر أنه علمها على وجه كلي فقط، لم يكن علم منها شيئاً،

---

(١) سورة المائدة: من الآية ٤.

(٢) انظر: * صحيح البخاري ـ كتاب الوضوء ـ باب ٣٣ ـ عن عدي بن حاتم بمعناه. وفي كتاب البيوع ـ باب ٣ ـ عن عدي بمعناه. وفي كتاب الذبائح ـ باب ٢، ٩ ـ عن عدي بمعناه.
* صحيح مسلم ـ كتاب الصيد والذبائح ـ باب ١ ـ حديث رقم ١، ٥ ـ عن ابن حاتم بلفظه إلاَّ كلمة (فقتل) غيرت بقوله: قلت وإن قتلن قال وإن قتلن.
* مسند الإمام أحمد ٤/١٩٤ ـ عن أبي ثعلبة الخشني بمعناه. و ٤/٢٥٦ عن عدي بن حاتم بلفظه إلاَّ كلمة (فقتل).

(٣) في ط (لا ريب) بسقوط (و).

(٤) في ك (المعلم) بدلاً من (العلم).

(٥) في س (فالعلم) بدلاً من (فالعالم).

(٦) في س (الجهل) بدلاً من (الجاهل).

(٧) في ك (الدال) بدلاً من (الدالة).

لأن الكلي إنما يكون كلياً في الأذهان. وأما ما هو موجود في الخارج فهو معين مختص بعينه ليس بكلي.

وكل واحد من الأفلاك معين، فلو لم يعلم إلَّا الكليات لم يكن عالماً بشيء من الموجودات، وقد بسط في غير هذا الموضع[1] تمام الكلام على هذا وبين فساد شبه نفاة[2] ذلك بما ادعوه من لزوم التغيير أو التكثر، وبين أنه لا يلزم من ثبوت علم الله بالأشياء كلها على وجه التفصيل محذور ينفيه دليل صحيح.

فإن التكثر فيما يقوم به من المعاني هو مدلول الأدلة العقلية والسمعية فإنه عالم قادر حي[3]، وليس العلم هو القدرة، ولا القدرة هي الحياة ولا الصفة هي الموصوف، (ومن جعل كل صفة هي الأخرى، وجعل الصفات هو الموصوف)[4]، فهو قول في غاية السفسطة.

وأيضاً فإنه خالق العالمين من الملائكة والجن والإنس، وجاعلهم علماء، فيمتنع أن يجعل غيره عالماً من ليس هو في نفسه بعالم، فإن العلم صفة كمال، ومن يعلم أكمل ممن لا يعلم، وكل كمال للمخلوق فهو من الخالق[5]، فيمتنع أن يكون المخلوق أكمل من الخالق، وأيضاً فإن في الممكنات المحدثة المخلوقة ما هو عالم، والواجب القديم الخالق أكمل من الممكن المحدث، فيمتنع أن يتصف بالكمال الموجود

---

(١) في ط (الموضوع) بدلاً من (الموضع).

(٢) في ط (نفاق) بدلاً من (نفاة).

(٣) في أ (حي القدرة) بزيادة (القدرة).

(٤) ما بين القوسين ساقط في أ.

(٥) في ط (الخلق) بدلاً من (الخالق).

الناقص الخسيس، دون الموجود الكامل الشريف. وهذا يتناول معنى حجتهم.

وأيضاً فإنه حي، والحياة مستلزمة لجنس العلم، وإذا كانت حياته أكمل من كل حياة فعلمه أكمل من كل علم، لكن، يقال لكم: كما أنه حي عالم فهو أيضاً قادر، فما[1] ذكرتم بأن الموجودات أو الأحياء تنقسم إلى قادر وغير قادر، فيجب أن يوصف بأجل القسمين، وهو القدرة.

لا سيما ودلائل كونه قادراً أظهر من دلائل كونه عالماً، فإن نفس كونه خالقاً فاعلاً يستلزم كونه قادراً، فإن الفعل بدون القدرة ممتنع حتى إذا قيل: إن الجماد يفعل فإنما يفعل بقوة فيه كالقوى الطبيعية التي في الأجسام الطبيعية، فيمتنع في خالق العالم أن لا يكون له قوة، ولا قدرة، قال ـ تعالى ـ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾[3].

وفي صحيح البخاري حديث الاستخارة: (اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب)[4].

---

(١) في ط (فيما) بدلاً من (فما).
(٢) سورة الذاريات: من الآية ٥٨.
(٣) سورة فصلت: من الآية ١٥.
في س، أ، ك (خلق السماوات والأرض) بدلاً من (خلقهم).
(٤) سبق تخريجه.

وكثير من نظار المسلمين المصنفين في أصول الدين الذين يقيمون الدليل على كونه قادراً قبل كونه عـالماً وحيـاً، ويقولـون[1] العلم بذلـك أسبق في السلوك الاستدلالي[2]، النظري، لدلالة الأحـداث والفعل على قدرة المحدث الفاعل، فيجب أن يثبتوا له صفة القدرة مع العلم.

وكـذلـك يقـولـون: إن الحي لمـا كـان ينقسم إلى سميـع، وغيـر سميـع، وبصير، وغيـر بصير، وصفنـاه بأشـرف القسمين، وهو السميـع والبصير[3].

وكـذلك في النـطق إذا أريد بـه البيان والعبـارة، ولـم يرد بـه مجرد العلم، أو معنى من جنس العلم فـإن الحي ينقسم إلى متكـلم، ومبـين معبـر عما في نفسـه، وإلى ما ليس كـذلك، فيجب أن تصفـوه بـأشـرف القسمين، وهو الكلام المبين المعبر عما في النفس من المعاني.

ومما يستدل به على ثبوت جميع صفات الكمال أنه لـو لم يوصف بكـونه حيـاً عالمـاً قادراً سميعـاً بصيراً متكلمـاً لـوصف[4] بضـد ذلـك، كالموت والجهل والعجز والصمم والبكم والخرس، ومعلوم وجوب تقدسه عن هـذه النقـائص، بـل هـذا معلوم بـالضـرورة العقليـة، فـإنـه أكمـل المـوجودات، وأجلهـا وأعظمهـا، ورب كل مـا سواه وخـالقـه ومـالكـه، وجاعل كل ما سـواه حياً عـالماً قـادراً سميعاً بصيـراً متكلماً، فيمتنـع أن يكون هو شيئاً عاجزاً جاهلاً أصم أبكم أخرس، بـل من المعلوم بضرورة العقل أن المتصف بهذه النقـائص يمتنع أن يكـون فاعـلاً، فضلاً عن أن يكون خالقاً لكل شيء.

---

(١) في ط (ويقول) بدلاً من (ويقولون).

(٢) في ك (الاستدلال) بدلاً من (الاستدلالي).

(٣) في أ (البصير) بسقوط (و).

(٤) في ك، أ (يوصف) بدلاً من (لوصف).

ولبعض الملاحدة من المتفلسفة ومن[1] اتبعهم هنا سؤال مشهور وهو: أنه إنما يلزم إذا لم يتصف بصفات[2] الكمال أن يوصف بأضدادها إذا كان قابلاً لها[3]، (فأما إذا لم يكن قابلاً لها لم يلزم.

قالوا[4]: هذه الصفات)[5] متقابلة تقابل[6] العدم والملكة، وهو عدم الشيء عما من شأنه أن يكون[7] قابلاً له كعدم الحياة والسمع والبصر.

والكلام عن الحيوان الذي هو القابل له، فإذا لم يكن قابلاً له كالجماد، فلا[8] يسمى مع عدم الحياة والسمع والبصر والكلام ميتاً ولا أصم ولا أعمى ولا أخرس.

وجواب ذلك من أوجه:

أحدها: أنه إما[9] أن يكون قابلاً للاتصاف بصفات الكمال، وإما أن لا يكون.

فإن لم يكن قابلاً لزم أن يكون أنقص ممن قبلها، ولم يتصف

---

(١) (ومن) ساقطة من ط.
(٢) (بصفات) ساقطة من ط.
(٣) (إذا كان قابلاً لها) ساقطة من ط.
(٤) في ط (وقالوا) بزيادة (و).
(٥) ما بين القوسين ساقط من أ.
في س (فإذا لم يكن قابلاً لها لم يلزم. قالوا وهذه الصفات. . .) بدل ما بين القوسين.
(٦) (تقابل) ساقطة من ط.
(٧) (أن يكون) ساقطة من ك.
(٨) في ك (ولا) بدلاً من (فلا).
(٩) (إما) ساقطة من ط.

بها، فالجماد أنقص من الحيوان الذي لم يتصف بعد بصفات كماله، وإن كان قابلاً لها لزم ـ إذا عدمها ـ أن يتصف بأضدادها.

وهؤلاء قد يقولون في إثباتها تشبيه له بالحيوان. فيقال لهم: وفي نفيها تشبيه له بالجماد الذي هو أنقص من الحيوان، فإذا لم يكن في نفيها تشبيه له بالجماد، فكذلك لا يكون في إثباتها تشبيه له بالحيوان، وإن كان في ذلك تشبيه بالحيوان فهو محذور، فالمحذور في تشبيهه بالجماد أعظم وإن لم يكن مثل هذا التشبيه محذوراً في ذلك، فأن لا يكون محذوراً في هذا بطريق الأولى.

الوجه الثاني: أن جعلهم سلب الموت والصمم والبكم عن[1] الجماد لزعمهم[2] أنه غير قابل لها إصطلاح محض، فإنه موجود في كلام الله تسمية الجماد ميتاً، كما قال ـ تعالى ـ في الأصنام:

﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾[3].

الوجه[4] الثالث: أنه يكفي عدم هذه الصفات، فإن مجرد عدم الحياة والعلم والقدرة صفة نقص سواء قدر الموصوف قابلاً لها أو غير قابل، بل إذا قدر أنه غير قابل لها كان ذلك أبلغ في النقص.

فعلم أن نفي هذه الصفات عنه، ونفي قبولها يوجب أن يكون أنقص من الحيوان الأعمى الأصم الذي يقبلها، وإن لم يتصف بها.

الوجه الرابع: أن الكمال في الوجود، والنقص في العدم، فنفس

---

(١) في ط (على) بدلاً من (عن).
(٢) في ط (ولزعمهم) بزيادة (و).
(٣) سورة النحل: من الآية ٢١.
(٤) (الوجه) ساقطة من س، أ، ك.

ثبوت هذه الصفات كمال، ونفس نفيها[1] نقص، وإن لم يتصف بها لزم نقصه، وأن يكون المفعول أكمل من الفاعل، وأن يكون المحدث الممكن[2] المخلوق[3] أكمل من القديم الأزلي الواجب الوجود الخالق، وهذا ممتنع في بدايه[4] العقول، وهذه الأمور مبسوطة في غير هذا الموضع، ولكن نبهنا عليها هنا لبيان بعض الطرق التي بها تعرف[5] صفات الرب، وبيان أن هؤلاء القوم من أجهل أهل الملل بالرب.

والطرق التي يعرف بها كماله فيها العقلية والسمعية، وأن القوم عندهم من ألفاظ الأنبياء ما لم يفهموا كثيراً منه وما حرفوا[6] كثيراً منه، وعندهم من المعقول[7] في ذلك ما يفضلهم اليهود فيه، لكن[8] اليهود، وإن كانوا أعلم[9] منهم، فهم أعظم عناداً وكبراً وجحداً[10] للحق. والنصارى أجهل وأضل من اليهود. لكن[11] هم أعبد وأزهد وأحسن أخلاقاً، ولهذا كانوا أقرب مودة للذين آمنوا من اليهود[12] والمشركين.

● ● ●

---

(١) في أ، س (ما نفيها) بزيادة (ما).

(٢) في أ، س (الممكن المحدث) بدلاً من (المحدث الممكن).

(٣) (المخلوق) ساقطة من ط، ك.

(٤) في ط، ك (بداية) بدلاً من (بدايه).

(٥) في أ، ك (يعرف) بدلاً من (تعرف).

(٦) في ط (حرفوه) بدلاً من (حرفوا).

(٧) في س، أ (المعقولات) بدلاً من (المعقول).

(٨) في ط (ولكن) بزيادة (و).

(٩) في ط (أعظم) بدلاً من (أعلم).

(١٠) في ط (وجهداً) بدلاً من (جحداً).

(١١) في ط (ولكن) بزيادة (و).

(١٢) (اليهود) ساقطة من ط.

فصل

قالوا: والثلاثة أسماء، فهي[1] إله واحد ورب واحد، وخالق واحد[2]، مسمى[3] واحد لم يزل ولا يزال[4] شيئاً حياً ناطقاً، أي[5] الذات، والنطق، والحياة.

بيان أسماء الله تعالى

فالذات عندنا: الأب الذي هو ابتداء الاثنين.

والنطق: الابن الذي هو مولود منه كولادة النطق من العقل.

والحياة: هي الروح القدس.

والجواب عن هذا من وجوه:

الأول: أن أسماء الله تبارك و[6]تعالى متعددة كثيرة، فإنه:

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) في أ (وهي) بدلاً من (فهي).

(٢) (واحد) ساقطة من أ.

(٣) في س، ط، ك (ومسمى) بزيادة (و).

(٤) في س، أ، ك (يزول) بدلاً من (يزال).

(٥) في أ (أبدى) بدلاً من (أي).

(٦) (تبارك و) ساقطة من ط، ك.

﴿ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ[3] :

﴿ قُلِ ٱدْعُوا ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[5].

وفي الصحيحين عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة»[6].

---

(١) سورة الحشر: الآيات ٢٢ ـ ٢٤.
﴿هو الله الذي لا إله﴾ في أ، س، ك سقطت (هو).
﴿هو الرحمن الرحيم﴾ في ك سقطت (هو).

(٢) سورة الأعراف: من الآية ١٨٠.

(٣) (وقال تعالى) ساقطة من ط، ك.

(٤) سورة الإسراء: من الآية ١١٠.

(٥) سورة طه: الآيات ١ ـ ٨.

(٦) انظر:
* صحيح البخاري ـ كتاب الدعوات ـ باب ٦٨ ـ عن أبي هريرة بمعناه.
* صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء ـ باب رقم ٢ ـ في أسماء الله ـ حديث =

وهذا معناه في أشهر قولي العلماء وأصحهما أن من أسمائه تعالى تسعة وتسعين اسماً[1] من أحصاها دخل الجنة، وإلَّا فأسماؤه تبارك وتعالى أكثر من ذلك، كما في الحديث الآخر الذي رواه أحمد في مسنده، وأبو حاتم في صحيحه، عن ابن مسعود[2]، عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «ما أصاب عبداً قط همّ ولا حزن وقال: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي، إلَّا أذهب الله همه وغمه، وأبدل مكانه فرحاً»، قالوا: يا رسول الله، أفلا نتعلمهن، قال: «بلى ينبغي لمن

= رقم ٥ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بمعناه. وحديث رقم ٦ في نفس المكان بلفظه.

* سنن الترمذي ـ كتاب الدعوات ـ باب ٨٦ ـ حديث رقم ٣٥٧٣ ـ عن أبي هريرة بلفظه ـ مع زيادة جملة «مائة غير واحد».

* سنن ابن ماجة ـ كتاب الدعاء ـ باب ١٠ ـ حديث رقم ٣٨٦٠ ـ عن أبي هريرة بلفظ الترمذي.

(١) (اسماً) ساقطة من أ، ك.

(٢) ابن مسعود: هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي صحابي جليل من المسلمين السابقين للإسلام شهد مع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ المشاهد كلها وأخذ الحديث عنه وعن عدد من الصحابة وروى عنه جماعة من التابعين منهم علقمة ومسروق وقيس بن أبي حازم ـ شهد فتوح الشام وسيّره عمر إلى الكوفة ليعلمهم أمور دينهم، وأمره عثمان ـ رضي الله عنه ـ على الكوفة ثم عزله فأمره بالرجوع إلى المدينة. توفي سنة ٣٢هـ وله من العمر نيف وستون سنة ـ رضي الله عنه ـ.

انظر: أسد الغابة لابن الأثير ٣/٢٥٦؛ والإصابة في تمييز الصحابة ٢/٣٧٠.

سمعهن أن يتعلمهن»[1].

وإذا كانت أسماء الله كثيرة، كالعزيز والقدير وغيرها، فالاقتصار على ثلاثة أسماء دون غيرها باطل، وأي شيء زعم الزاعم في اختصاص هذه الأسماء به[2] دون غيرها[3] فهو[4] باطل، كما قد بسط في موضع آخر.

الوجه الثاني: قولهم الأب الذي هو[5] ابتداء الاثنين، والابن: النطق الذي هو مولود منه، كولادة النطق من العقل، كلام باطل، فإن صفات الكمال لازمة لذات الرب ـ عز وجل ـ أولاً وآخراً، ولم يزل ولا يزال[6] حياً عالماً قادراً، لم يصر حياً بعد أن لم يكن حياً، ولا عالماً بعد أن لم يكن عالماً.

فإذا قالوا: إن الأب الذي هو الذات، هو ابتداء الحياة والنطق اقتضى ذلك أن يكون الأب قبل الحياة والنطق، وأن يكون فاعلاً للحياة والنطق[7]، فإن ما كان ابتداء لغيره يكون متقدماً عليه أو فاعلاً له.

وهذا في حق الله باطل.

وكذلك قولهم: إن النطق مولود منه كولادة النطق من العقل، فإن المولود من غيره متولد منه، فيحدث بعد أن لم يكن، كما يحدث النطق

---

(١) انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل ١/٣٩١، ٤٥٢ ـ عن عبد الله بمعناه.
(٢) (به) ساقطة من ط، س، أ.
(٣) (به دون غيره) ساقطة من أ.
(٤) في أ (وهو) بدلاً من (فهو).
(٥) (هو) ساقطة من س، أ، ك.
(٦) في أ (لم يزال) بدلاً من (لم يزل ولا يزال).
(٧) (أن يكون فاعلاً للحياة والنطق) ساقطة من ط.

شيئاً فشيئاً، سواء أريد بالنطق العلم أو البيان فكلاهما لم يكن لازماً للنفس الناطقة، بل حدث فيها واتصفت به بعد أن لم يكن، وإن كانت قابلة له ناطقة بالقوة[1]، فإذا مثلوا تولد[2] النطق من الرب كتولده عن العقل لزم أن يكون الرب كان ناطقاً بالقوة، ثم صار ناطقاً بالفعل فيلزم أنه صار عالماً بعد أن لم يكن عالماً، وهذا من أعظم الكفر وأشده استحالة، فإنه[3] لا شيء غيره يجعله[4] متصفاً بصفات الكمال بعد أن لم يكن متصفاً بها، إذ كل ما سواه فهو مخلوق له وكماله منه، فيمتنع أن يكون هو جاعل الرب سبحانه وتعالى كاملاً.

وذلك دور ممتنع في صريح العقل، إذ كان الشيء لا يجعل غيره متصفاً بصفات الكمال، حتى يكون هو متصفاً بها، فإذا لم يتصف بها حتى جعله غيره متصفاً بها، لزم الدور الممتنع، مثل كون كل من الشيئين فاعلاً للآخر وعلة له، أو لبعض صفاته المشروطة في الفعل فتبين بطلان كون نطقه متولداً منه، كتولد النطق من العقل، كما بطل أن يكون لصفاته اللازمة له ما هو مبدأ لها متقدم عليها أو فاعل لها.

الوجه الثالث: أن قولهم في الابن أنه مولود من الله إن أرادوا به أنه صفة لازمة له، فكذلك الحياة صفة لازمة لله، فيكون روح القدس

---

(١) في ط (له بالقوة) بزيادة (له).
(٢) في ط، ك (قوله) بدلاً من (تولد).
(٣) في ط (أنه) بدلاً من (فإنه).
في ك، أ (بأنه) بدلاً من (فإنه).
في أ (لا بشيء) بدلاً من (فإنه).
(٤) في ط (لجعله) بدلاً من (يجعله).

أيضاً ابناً ثانياً، وإن أرادوا به أنه حصل منه بعد أن لم يكن، صار[1] عالماً بعد أن لم يكن عالماً، وهذا مع كونه باطلاً وكفراً فيلزم مثله في الحياة، وهو أنه صار حياً بعد أن لم يكن حياً.

الوجه الرابع: أن تسمية[2] حياة الله روح القدس أمر لم ينطق به شيء من كتب الله المنزلة، فإطلاق روح القدس على حياة الله من تبديلهم وتحريفهم.

الوجه الخامس: أنهم يدعون أن المتحد بالمسيح هو الكلمة الذي هو العلم، وهذا إن أرادوا به نفس الذات العالمة الناطقة، كان المسيح هو الأب، وكان المسيح نفسه هو الأب، وهو الابن، وهو روح القدس وهذا عندهم وعند جميع الناس باطل وكفر.

وإن قالوا: المتحد به هو العلم، فالعلم صفة لا تفارق العالم، ولا تفارق الصفة الأخرى التي هي حياة، فيمتنع أن يتحد به العلم دون الذات، ودون الحياة.

الوجه السادس: أن العلم ـ أيضاً ـ صفة، والصفة[3] لا تخلق ولا ترزق، والمسيح نفسه ليس هو صفة قائمة بغيرها باتفاق العقلاء، وأيضاً فهو عندهم خالق السماوات والأرض، فامتنع أن يكون المتحد به صفة، فإن الإلّه المعبود هو الإلّه الحي العالم القادر، وليس هو نفس الحياة، ولا نفس العلم والكلام.

فلو قال قائل: يا حياة الله، أو يا علم الله، أو يا كلام الله، اغفر

---

(١) (صار) ساقطة من ط.

(٢) في ط (تسميته) بدلاً من (تسمية).

(٣) (والصفة) ساقطة من س، أ.

لي، وارحمني واهدني، كان هذا باطلاً في صريح العقل، ولهذا لم يجوز أحد من أهل الملل أن يقال للتوراة أو الإنجيل وغير[1] ذلك من كلام الله اغفر لي وارحمني، وإنما يقال للإله المتكلم بهذا الكلام: اغفر لي وارحمني.

والمسيح ـ عليه السلام ـ عندكم هو الإله الخالق الذي يقال له اغفر لنا وارحمنا، فلو كان هو نفس علم الله، وكلامه لم يجز أن يكون إلهاً معبوداً فكيف إذا لم يكن هو نفس علم الله وكلامه، بل هو مخلوق بكلامه حيث قال له: كن فيكون؟

فتبين من[2] ذلك أن كلمات الله كثيرة لا نهاية لها، وفي الكتب الإلهية كالتوراة أنه خلق الأشياء بكلامه، وكان في أول التوراة أنه قال: (ليكن كذا ليكن كذا)[3].

ومعلوم أن المسيح ليس هو كلمات كثيرة، بل غايته أن يكون كلمة واحدة، إذ هو مخلوق[4] بكلمة من كلمات الله ـ عز وجل ـ.

الوجه السابع: أن أمانتكم التي وضعها أكابركم بحضرة «قسطنطين»[5]، وهي عقيدة إيمانكم التي جعلتموها أصل دينكم تناقض ما تدعونه من أن الإله واحد، وتبين أنكم تقولون لمن يناظركم خلاف ما تعتقدونه.

وهذان أمران معروفان في دينكم تناقضكم وإظهاركم في المناظرة

---

(١) في س (أو غير ذلك) بزيادة (أ).
(٢) (من) ساقطة من س، أ، ك.
(٣) انظر: سفر التكوين ـ الإصحاح الأول ص ٣.
(٤) في ط (المخلوق) بزيادة (الـ).
(٥) سبق التعريف به.

بخلاف ما تقولونه من أصل دينكم[١]، فإن «الأمانة» التي اتفق عليها جماهير النصارى يقولون فيها: (أومن[٢] بإله واحد، أب ضابط الكل، خالق السماوات والأرض، كل ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه، مولود غير مخلوق، مساو للأب في الجوهر الذي به كان كل شيء، الذي ـ من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا ـ نزل من السماء، وتجسد من روح القدس، ومن مريم العذراء، وتأنس وصلب وتألم وقبر، وقام في اليوم الثالث على ما في الكتب المقدسة، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين الأب، وأيضاً سيأتي بمجده ليدين الأحياء والأموات الذي لا فناء لملكه وبروح القدس الرب المحيي المنبثق من الأب الذي هو مع الأب والابن[٣] المسجود له، وممجد ناطق في[٤] الأنبياء، كنيسة واحدة جامعة رسولية، واعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، وابن جاء لقيامة[٥] الموتى، وحياة الدهر العتيد[٦]، كونه أمين)[٧].

---

(١) في ط، س (إيمانكم) بدلاً من (دينكم).
(٢) في ط (نؤمن) بدلاً من (أؤمن).
(٣) في ط (وابن) بدلاً من (والابن).
(٤) في ط (من) بدلاً من (في).
(٥) في س، أ، ك (قيامة).
(٦) في ط (العبيد) بدلاً من (العتيد).
(٧) هذا النص موجود في رواية الأرثوذكس ما نصه: (نؤمن بإله واحد الآب ضابط الكل).
انظر النص بطوله في خلاصة الأصول الإيمانية في معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ص ٩٩ ـ ١٠١.
وفي مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م زيد على النص عند الكاثوليك: (وبالروح القدس =

ففي هذه الأمانة التي جعلتموها أصل دينكم ذكر الإيمان بثلاثة أشياء بإله واحد خالق السماوات والأرض، خالق[1] ما يرى وما لا يرى، فهذا هو رب العالمين الذي لا إله غيره، ولا رب سواه، وهو إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب وسائر الأنبياء والمرسلين، وهو الذي دعت جميع الرسل إلى عبادته وحده لا شريك له ونهوا أن يعبد غيره، كما قال الله[2] ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[3] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾[4] .

ثم قلتم: (وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من

= الرب المحيي المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والابن مسجود له».
وأما نص الأرثوذكس فقالوا: (ونؤمن بالروح القدس المحيي المنبثق من الآب المسجود له مع الآب والابن الناطق في الأنبياء وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا ونترجى قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي آمين).
انظر: ص ٦٦ إيماني، تأليف القس إلياس مقار، ط. دار الثقافة بالقاهرة.
وعلى ذلك نجد مجمع خليقدونية سنة ٤٥١ ميلادية قرر فيه الكاثوليك أن: المسيح ذو طبيعتين ومشيئتين، أما الأرثوذكس فقد رفضوا هذه العقيدة واعتبروا الله هو المسيح، والمسيح نفسه هو الله، فقالوا: إن المسيح له طبيعة واحدة ومشيئة واحدة.

(١) (خالق) مكررة في ك، س.
(٢) لفظ الجلالة (الله) ساقط من س، أ، ك.
(٣) سورة الأنبياء: من الآية ٢٥.
(٤) سورة الزخرف: من الآية ٤٥.

الأب قبل كل الدهور، نور من نور، إلّه حق من إلّه حق، من جوهر أبيه، مولود غير مخلوق، مساوٍ الأب في الجوهر)، فصرحتم بالإيمان مع خالق السماوات والأرض برب واحد مخلوق، مساو الأب[1] ابن الله الوحيد، وقلتم: (هو إلّه حق من إلّه حق، من جوهر أبيه).

وهذا تصريح بالإيمان بإلّهين، أحدهما من الآخر، وعلم الله القائم به أو كلامه أو حكمته القائمة به الذي سميتوه ابناً ـ، ولم يسم أحد من الرسل صفة الله ابناً ـ ليس هو إلّه حق من إلّه حق، بل إلّه واحد. وهذا صفة الإلّه، وصفة الإلّه ليست بإلّه، كما أن قدرته وسمعه وبصره وسائر صفاته ليس بآلهة، ولأن الإلّه واحد، وصفاته متعددة، والإلّه ذات متصفة بالصفات قائمة بنفسها، والصفة قائمة بالموصوف، ولأنكم سميتم الإلّه جوهراً، وقلتم: هو القائم بنفسه. والصفة ليست جوهراً قائماً بنفسه.

وهم في هذه الأمانة قد جعلوا الله والداً وهو الأب، ومولداً وهو الابن، وجعلوه مساوياً له في الجوهر، وقد نزه الله نفسه عن الأنواع الثلاثة، فقالوا: مولود غير مخلوق مساو الأب في الجوهر، فصرحوا بأنه مساو له في الجوهر، والمساوي ليس هو المساوىٰ.

ولا يساوي الأب في الجوهر إلَّا جوهر، فوجب أن يكون الابن[2] جوهراً ثانياً، وروح القدس جوهراً ثالثاً كما سيأتي.

وهذا تصريح بإثبات ثلاثة جواهر، وثلاثة آلهة، ويقولون مع ذلك: إنما نثبت جوهراً واحداً وإلّهاً واحداً، وهذا جمع بين النقيضين،

---

(١) (مخلوق، مساو الأب) ساقطة من س، أ.
(٢) في ط، ك، س (الأب) بدلاً من (الابن).

فهو حقيقة قولهم يجمعون بين جعل الآلهة واحداً، وإثبات ثلاثة آلهة، وبين إثبات جوهر واحد، وبين إثباته ثلاثة جواهر، وقد نزه الله نفسه عن ذلك بقوله[1]:

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[2].

فنزّه نفسه أن يلد كما يقولون: هو الأب، وأن يولد كما يقولون: هو الابن، وأن يكون له كفواً أحد، كما يقولون: إن له من يساويه في الجوهر.

وإذا قلتم نحن نقول أحدي الذات، ثلاثي الصفات، قيل لكم: قد صرحتم بإثبات إله حق من إله حق وبأنه[3] مساو للأب في الجوهر، وهذا تصريح بإثبات جوهر ثاني لا بصفة، فجمعتم بين القولين، بين إثبات ثلاثة جواهر، وبين دعوى إثبات جوهر واحد، ولا ينجيكم من هذا اعتذار من اعتذر[4] منكم كيحيى بن عدي[5] ونحوه، حيث قالوا: هذا بمنزلة قولك: زيد الطبيب الحاسب الكاتب، ثم تقول: زيد الطبيب وزيد الحاسب وزيد الكاتب[6].

فهو مع كل صفة له حكم خلاف حكمه مع الصفة الأخرى، وقد يفسرون الأقنوم بهذا، فيقولون الأقنوم هو الذات مع الصفة، فالذات مع

---

(١) في س، ك، أ (هذا بقوله) بزيادة (هذا).

(٢) سورة الإخلاص كلها.

(٣) في ط، ك (أنه) بسقوط (بـ).

(٤) (من اعتذر) ساقطة من أ.

(٥) سبقت ترجمته.

(٦) (تقول: زيد الطبيب وزيد الحاسب وزيد الكاتب) ساقطة من أ.

كـل صفة أقنـوم، فصارت[1] الأقـانيم ثلاثـة، لأن هذا المثـال لا يـطابق قـولكم، فإن زيـداً هنا هـو جوهـر واحـد لـه ثـلاث[2] صفـات: الـطب والحساب والكتابة، وليس هنا ثلاثة جواهر، ولكن لكل صفة حكم ليس للأخرى.

ولا يقول عاقل: إن الصفة مساوية للموصوف في الجوهر، ولا أن الذات مع هذه الصفة تسـاوى الـذات مـع الصفـة الأخرى في الجـوهر، لأن الذات واحدة، والمساوي ليس هو المساوى، ولأن الذات مع الصفة هي الأب فإن كان هذا هو الذي اتحد بـالمسيح فـالمتحد بـه هو الأب، ولأنكم قلتم عن هـذا الذي قلتم: (إنـه إلّه حق من إلّه حق، من جـوهر أبيـه الذي هـو مسـاو الأب في الجـوهـر وأنه[3] نـزل، وتجسـد من روح القدس، ومن مريم العذراء، وتأنس وصلب وتـألم) فاقتضى[4] ذلـك أن يكـون الإلّه الحق المسـاوي لـلأب في الجـوهـر صلب وتـألم، فيكـون اللاهوت مصلوباً متألمـاً، وهذا تقـر به طـوائف منكم، وطوائف تنكـره، لكن مقتضى أمانتكم هو الأول.

وأيضاً فإذا كان تجسد من روح القـدس ومريم، فـإن[5] كان روح القـدس هو حيـاة الله، كما زعمتم، فيكـون المسيح كلمـة الله وحياتـه، فيكون لاهوته أقنومين من الأقانيم الثلاثة، وعندهم إنما هو أقنـوم الكلمة

---

(١) في ط (فصار) بسقوط (ت).

(٢) (ثلاث) ساقطة من ط.
في س، ك (ثلاثة) بدلاً من (ثلاث).

(٣) في ط، ك (الذي) بدلاً من (أنه).

(٤) في ط (اقتضى) بسقوط (فـ).

(٥) في ط (فإذا) بدلاً من (فإن).

فقط، وإن كان روح القدس ليس هو حياة الله بطل تفسيركم لروح القدس بأنه[1] حياة الله.

وقيل[2] لكم: لا يجب أن يكون روح القدس صفة للَّه ولا أقنوماً.

ثم ذكرتم في عقيدة أمانتكم أنكم تؤمنون بروح القدس الرب المحيي، فأثبتم رباً ثالثاً، قلتم: المنبثق من الأب. والانبثاق: الانفجار، كالاندفاق والانصباب، ونحو ذلك. يقال: بثق السيل موضع كذا، يبثقه بثقاً أي خرقه وشقه فانبثق أي انفجر، فاقتضى ذلك أن يكون هذا الرب المحيي انفجر من الأب واندفق منه.

ثم قلتم: (هو مع[3] الأب مسجود له وممجد ناطق في الأنبياء) فجعلتموه مع الأب مسجوداً له فأثبتم إلهاً ثالثاً يسجد له.

ومعلوم أن حياة الله التي هي[4] صفته[5] ليست منبثقة منه، بل هي قائمة به لا تخرج عنه ألبتة، وهي صفة لازمة له لا تتعلق بغيره، فإن العلم يتعلق بالمعلومات، والقدرة بالمقدورات والتكليم بالمخاطبين بخلاف التكلم فإنه صفة لازمة، يقال: علم الله كذا، وقدر الله على كل شيء، وكلم الله موسى.

وأما الحياة: فاللفظ الدال عليها لازم لا يتعلق بغير الحي، يقال

---

(١) في أ، ك، ط (فإنه) بدلاً من (بأنه).

(٢) في أ (فقيل) بدلاً من (وقيل).

(٣) (مع) ساقطة من ط.

(٤) في ط (هي التي) بدلاً من (التي هي).

(٥) في س (صفة) بدلاً من (صفته).

حياً يحيا حياة، ولا يقال حيّاً[1] كذا ولا بكذا، وإنما يقال: أحيا كذا. والإحياء فعل غير كونه حياً، كما أن التعليم غير العلم، والأقدار غير القدرة والتكليم غير المتكلم، ثم جعلتم روح القدس هذا ناطقاً[2] في الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ، وحياة الله صفة قائمة به لا تحل في غيره، وروح القدس الذي تكون في الأنبياء والصالحين ليس هو حياة الله القائمة به، ولو كان روح القدس الذي في الأنبياء هو أحد الأقانيم الثلاثة لكان كل من الأنبياء إلّهاً معبوداً قد اتحد ناسوته باللاهوت كالمسيح عندكم، فإن المسيح لما اتحد به أحد الأقانيم صار ناسوتاً ولاهوتاً، فإذا كان روح القدس الذي هو أحد الأقانيم الثلاثة ناطقاً في الأنبياء كان كل منهم فيه لاهوت وناسوت كالمسيح، وأنتم لا تقرون بالحلول والاتحاد إلّا للمسيح وحده مع إثباتكم لغيره ما ثبت له.

وهم تارة يشبهون الأقنومين ـ العلم والحياة التي يسمونها: الكلمة وروح القدس ـ بالضياء والحرارة التي للشمس، مع الشمس، ويشبهون ذلك بالحياة والنطق الذي للنفس مع النفس[3]، وهذا تشبيه فاسد، فإنهم إن أرادوا بالضياء والحرارة ما يقوم بذات الشمس[4]، فذلك صفة للشمس قائمة بها لم تحل بغيرها ولم تتحد بغيرها، كما أن صفة النفس[5] كذلك. هذا إن قيل[6] إن الشمس تقوم بها حرارة، وإلّا فهذا ممنوع.

---

(١) في س، أ، ك (حي) بدلاً من (حياً).
(٢) في س، ك (ناطق) بدلاً من (ناطقاً).
(٣) في ط (المشمس) بدلاً من (النفس).
(٤) في ط (النفس) بدلاً من (الشمس).
(٥) في ط (الشمس) بدلاً من (النفس).
(٦) (إن قيل) ساقطة من أ.

والمقصود هنا: بيان فساد كلامهم وقياسهم.

وإن أرادوا ما هو بائن عن الشمس قائم بغيرها، كالشعاع القائم بالهواء والأرض، والحرارة[1] القائمة بذلك كان هذا دليلاً على فساد قولهم من وجوه:

منها: أن هذه أعراض منفصلة بائنة عن الشمس قائمة بغيرها لا بها، ونظير هذا ما يقوم بقلوب الأنبياء من العلم والحكمة والوحي الذي أنذروا به، وعلى هذا التقدير فليس في الناسوت شيئاً من اللاهوت، وإنما فيه آثار حكمته وقدرته.

ومنها: أن الحرارة والضوء القائم بالهواء والجدران أعراض قائمة بغير الشمس، والكلمة وروح القدس عندهم هما جوهران.

ومنها: أن هذا ليس هو الشمس، ولا صفة من صفات الشمس، وإنما هو أثر حاصل في غير الشمس بسبب الشمس، ومثل هذا لا ينكر قيامه بالأنبياء والصالحين، ولكن ليس للمسيح ـ عليه السلام ـ بذلك اختصاص، فما حل بالمسيح حل بغيره من المرسلين، وما لم يحل بغيره لم يحل به فلا اختصاص له بأمر يوجب أن يكون إلَهاً دون غيره من الرسل، ولا هنا اتحاد بين اللاهوت والناسوت، كما لم تتحد الشمس ولا صفاتها القائمة بها بالهواء، والأرض التي حصل بها الشعاع والحرارة.

• • •

(١) (الحرارة) ساقطة من أ.

فصل

ردّ دعواهم أنّ الله قد سمّى نفسه أباً، وابناً وروح قُدس

قالوا: وهذه الأسماء لم نسمه نحن معشر النصارى بها من ذات أنفسنا، بل الله سمى لاهوته بها، وذلك أنه قال على لسان موسى النبي في التوراة مخاطباً بني[1] إسرائيل قائلاً: (أليس هذا الأب الذي صنعك وبراك واقتناك)[2]؟ وعلى لسانه أيضاً قائلاً: (وكان روح الله ترف على الماء)[3] وقوله على لسان داود النبي: (روحك القدس لا تنزع مني)[4] وأيضاً على لسانه: (بكلمة الله تشددت السماوات والأرض وبروح فاه جميع قواتهن[5])[6].

وقوله على لسان أشعيا: (ييبس القتاد ويجف العشب، وكلمة الله

---

(١) في أ، س، ك (لبني) بزيادة (لـ).

(٢) هذا النص في العهد القديم ص ٣٣٢ ــ سفر التثنية ــ الإصحاح ٣٢ كما يلي: (٦ ــ أليس هو أباك ومقتنيك هو عملك وأنشأك).

(٣) في سفر التكوين العهد القديم الإصحاح الأول الآتي (١ ــ وروح الله يرى على وجه الماء).

(٤) هذا النص في المزامير كما يلي (لا تطرحني من قدام وجهك وروحك القدوس لا تنزعه مني).
انظر: العهد القديم ــ الإصحاح الحادي والخمسين ص ٨٦٨.

(٥) في ط، س، أ (قواهن) بدلاً من (قواتهن) وصححت من رسالة بولس ص ٨.

(٦) هذا النص في الإصحاح الثالث والثلاثين في (المزامير) كما يلي: (٦ ــ بكلمة الرب صنعت السموات وبنسمة فيه كل جنوده) وهو بمعناه.
انظر: العهد القديم ص ٨٥٤.

باقية إلى الأبد)[1]، وعلى لسان أيوب[2] الصديق: (روح الله خلقني وهو يعلمني)[3].

وقال السيد المسيح في الإنجيل المقدس للتلاميذ الأطهار: (اذهبوا إلى جميع العالم وعمدوهم باسم الأب والابن وروح القدس إله واحد، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به)[4]، وقد قال في هذا الكتاب:

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾[5].

وقال[6] أيضاً:

﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾[7].

وقال أيضاً:

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[8].

---

(١) هذا النص في الإصحاح التاسع والثلاثين ـ أشعيا النبي ـ كما يلي: (٨ ـ يبس العشب وذبل الزهر وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد) بمعناه.
انظر: العهد القديم ص ١٠٣٩.

(٢) أيوب: أحد أنبياء بني إسرائيل ورد اسمه وقصته في القرآن امتحنه الله في ماله وأهله، وبدنه فصبر إلى أن وهبه الله العافية، وله سفر في العهد القديم.
انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ١٤٦.

(٣) الإصحاح ٣٨ ـ سفر أيوب: (أشدد الآن حقويك كرجل فإني أسألك فتعلمني) بمعناه.
انظر: العهد القديم ص ٨٢٨.

(٤) سبقت الإشارة إلى هذا النص في ٣/ ١٣٣.

(٥) سورة الصافات: من الآية ١٧١.

(٦) في س، ك (فقال) بدلاً من (وقال).

(٧) سورة المائدة: من الآية ١١٠.

(٨) سورة النساء: من الآية ١٦٤.

وقال في سورة التحريم:

﴿... وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾[1].

وسائر[2] المسلمين يقولون: إن الكتاب كلام الله، ولا يكون كلام إلّا لحي ناطق، وهذه صفات جوهرية تجري مجرى الأسماء، وكل صفة منها غير الأخرى والإلّه واحد لا يتبعض ولا يتجزأ.

والجواب من وجوه:

أحدها: أن تقول: إن[3] كلام الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لا يكون إلّا حقاً وصدقاً، ولا يكون فيه شيء يعلم بطلانه بصريح العقل، وإن كان فيه ما يعجز العقل عن معرفته بدون إخبار الأنبياء، ولا يكون كلام النبي الذي يخبر به مناقضاً لكلامه في موضع آخر، ولا لكلام سائر الأنبياء، بل كل ما أخبرت به الأنبياء فهو حق وصدق، يصدق بعضه بعضاً.

وقد أوجب الله علينا أن نؤمن بكل ما أخبروا به، وحكم[4] بكفر من آمن ببعض ذلك، وكفر ببعضه، فما علم بصريح العقل لا يناقض ما علم بالنقل الصحيح (عن الأنبياء وما علم بالنقل الصحيح عن بعضهم لا يناقض ما علم بالنقل الصحيح)[5] عن غيره، ولكن قد يختلف بعض الشرع والمناهج في الأمر والنهي.

فأما ما يخبرون به عن الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر،

---

(١) سورة التحريم: من الآية ١٢.

(٢) في ك (سائر المرسلين) بزيادة (المرسلين).

(٣) في س (يقول لولا أن) بدلاً من (تقول إن).

(٤) في ط (وأخبروا) بدلاً من (وحكم)، في ك (وأخبر) بدلاً من (وحكم).

(٥) ما بين القوسين ساقط من ط.

وغير ذلك، فلا يجوز أن يناقض بعضه بعضاً.

وإذا كان كذلك فما[1] ينقلونه عن الأنبياء إنما تتم[2] الحجة به إذ علم إسناده ومتنه، فيعلم أنه منقول عنهم نقلاً صحيحاً، ونعلم أن ترجمته من العبرية إلى اللسان الآخر، كالرومية والعربية والسريانية ترجمة صحيحة ويعلم بعد ذلك أنهم أرادوا به ذلك المعنى.

وليس مع النصارى حجة عن الأنبياء تثبت فيها هذه المقدمات الثلاث ونحن في هذا المقام يكفينا المنع، والمطالبة لهم بتصحيح هذه المقدمات فإنهم ادعوا أن التثليث أخذوه عن الأنبياء، فنحن نطالبهم بتصحيح هذه المقدمات.

والجواب الثاني[3]: أنا نبين تفسير ما ذكروه من الكلمات، أما قوله على لسان موسى ــ عليه السلام ــ مخاطباً بني[4] إسرائيل قائلاً: (أليس الأب الذي صنعك وبراك واقتناك)؟ فهذا فيه أنه سماه أباً لغير المسيح ــ عليه السلام ــ، وهذا نظير قوله لإسرائيل: (أنت ابني بكري) وداود: (ابني وحبيبي) وقول المسيح: (أبي وأبيكم) وهم يسلمون أن المراد بهذا[5] في حق غير المسيح بمعنى الرب لا معنى التولد الذي يخصون به المسيح.

الثالث: أن هذا حجة عليهم، فإذا كان في الكتب المتقدمة تسميته أباً لغير المسيح وليس المراد بذلك إلاَّ معنى الرب، علم أن هذا اللفظ في لغة الكتب يراد به الرب، فيجب حمله في حق المسيح على

---

(١) في ط، ك (مما) بدلاً من (فما).
(٢) في ك (يتم) بدلاً من (تتم).
(٣) في جميع النسخ: (وإن كان الأولى أن يكون الوجه الثاني) وما أثبتناه من ط.
(٤) في س، أ، ك (لبني) بدلاً من (بني).
(٥) في أ (بهذا) بدلا من (بهذا).

هذا المعنى، لأن الأصل عدم الاشتراك في الكلام.

الرابع: أن استعماله في المعنى الذي خصوا به المسيح إنما يثبت إذا علم أنه أريد المعنى الذي ادعوه في المسيح، فلو أثبت ذلك المعنى بمجرد إطلاق لفظ الأب لزم الدور، فإنه لا[1] يعلم أنه أريد به ذلك المعنى من حيث يثبت أنه كان يراد به في حق الله هذا المعنى ولا يثبت ذلك، حتى يعلم أنه أريد به ذلك المعنى في حق المسيح، فإذا توقف العلم بكل منهما على الآخر لم يعلم واحد منهما[2]، فتبين أنه لا علم عندهم بأنه أريد في حق المسيح بلفظ الأب ما خصوه به في محل النزاع.

الوجه الخامس: أنه لا يوجد في كتب الأنبياء وكلامهم إطلاق اسم الأب، والمراد به أب اللاهوت، ولا إطلاق اسم الابن والمراد به شيء من اللاهوت لا[3] كلمته ولا حياته، بل لا يوجد لفظ الابن إلاَّ والمراد به المخلوق، فلا يكون لفظ الابن إلاَّ لابن مخلوق.

وحينئذٍ فيلزم من ذلك أن يكون مسمى الابن في حق المسيح هو الناسوت، وهذا يبطل قولهم: إن الابن وروح القدس أنهما صفتان لله وأن المسيح اسم للاهوت والناسوت، فتبين أن نصوص كتب الأنبياء تبطل مذهب النصارى، وتناقض أمانتهم، فهم بين أمرين:

* بين الإيمان بكلام[4] الأنبياء (وبطلان دينهم.

* وبين تصحيح دينهم وتكذيب الأنبياء)[5] وهذا هو المطلوب.

●●●

(1) (لا) ساقطة من ط.

(2) (على الآخر لم يعلم واحد منها) ساقطة من س.

(3) في ط (ولا) بزيادة (و).

(4) في ك (بكلام) مكررة.

(5) ما بين القوسين ساقط من أ.

فصل

قالوا: وعلى لسانه أيضاً قائلاً: (وكان روح الله ترف على الماء).

فيقال هذا في السفر الأول «سفر الخليقة»[1] في أوله، لما ذكر أنه في البدء[2] خلق السماوات والأرض، وأنه كانت الأرض مغمورة بالماء، وكانت روح الله ترف على الماء، أخبر أنه كان الماء فوق التراب والهواء فوق الماء. وروح الله: هي الريح التي كانت فوق الماء.

هذا تفسير جميع الأمم من المسلمين واليهود وعقلاء النصارى، ولفظ الكلمة بالعبرية «رُوح» بضم الراء وتشديد الواو، وهي الروح. والريح تسمى «روحاً» وجمعها: أرواح، ولم يرد بذلك أن حياة الله كانت ترف على الماء.

فإن هذا لا يقوله عاقل، فإن حياة الله صفة قائمة به لا تفارقه ولا تقوم بغيره فيمتنع أن تقوم بماء أو غيره فضلاً عن أن ترف على الماء، والذي يرف على الماء جسم قائم بنفسه، وهذا إخبار عن الريح التي كانت تتحرك فوق الماء.

ومثل هذا قول النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «لا تسبوا الريح

---

(١) يقصد سفر التكوين، وهذا يؤيد أن النسخة من الكتاب المقدس التي اطلع عليها الشيخ ابن تيمية ـ رحمه الله ـ ، غير النسخ الموجودة اليوم لاختلاف تسمية الأسفار.

(٢) في أ (الذي) بدلاً من (البدء).
في سائر النسخ: (البدى) بدلاً من (البدء) لعدم الهمز في المخطوطات.
وما أثبتناه من «ط».

فإنها من روح الله، تأتي بالـرحمة، وتـأتي بالعـذاب، فلا تسبـوها ولكن تعوذوا بالله من شـرها، وسلوا الله خيـرها»[1]، وقـوله: «إني لأجـد نفس الرحمن من قبل اليمن»[2].

• • •

(١) انظر: سنن أبـي داود ـ كتاب الأدب ـ باب ما يقول إذا هاجت الريح ـ حديث رقم ٥٠٩٧ ـ عن أبـي هريرة بمعناه.
سنن ابن ماجة ـ كتاب الأدب ـ باب ٢٩ ـ النهي عن سب الـريح عن أبـي هـريرة بلفظه، مع تقديم وتأخير في الألفاظ.
مسند أحمد ٢٦٨/٢، ٤٠٩، ٥١٨، عن أبـي هـريرة في حـديث طويـل بلفظه مـع زيادة وتقديم وتأخير.

(٢) انـظر: مسند الإمـام أحمد بن حنبـل ٥٤١/٢، عن أبـي هريـرة بلفظ: (وأجد نفس ربكم من قبل اليمن).

فصل

قالوا: وقوله على لسان داود النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: (روحك القدس لا تنزع مني).

فيقال: هذا دليل على أن روح القدس (كانت في داود، فعلم بذلك أن روح القدس)[1] التي كانت في المسيح من هذا الجنس، فعلم بذلك أن روح القدس لا تختص بالمسيح، وهم يسلمون ذلك، فإن ما في الكتب التي بأيديهم في غير موضع أن روح القدس حلت في غير المسيح في داود، وفي الحواريين، وفي غيرهم.

وحينئذٍ فإن كان روح القدس هو حياة الله[2] ومن حلت فيه يكون لاهوتاً[3]، لزم أن يكون إلّهاً[4] ولزم أن يكون كل هؤلاء فيهم لاهوت وناسوت كالمسيح، وهذا خلاف إجماع المسلمين والنصارى واليهود.

ويلزم من ذلك أيضاً أن يكون المسيح فيه لاهوتان الكلمة وروح القدس، فيكون المسيح مع الناسوت أقنومين: أقنوم الكلمة، وأقنوم روح القدس، وأيضاً فإن هذه ليست صفة لله قائمة به، فإن صفة الله القائمة به[5]، بل وصفة كل موصوف لا تفارقه، وتقوم بغيره، وليس في

---

(١) ما بين القوسين ساقط من ط.

(٢) لفظ الجلالة (الله) ساقط من س، أ.

(٣) في أ (إلّهاً) بدلاً من (لاهوتاً).

(٤) (لزم أن يكون إلّهاً) ساقطة من س، أ.

(٥) (به) ساقطة من س، أ، ك.

هـذا أن الله اسمه روح القـدس، ولا[١] أن حياتـه اسمها روح القـدس، ولا أن روح القدس الذي تجسد[٢] المسيح منه، ومن مريم هـو حياة الله ــ سبحـانه وتعـالى ــ ، وأنتم قلتم إنا معـاشر النصـارى لم نسمـه بهـذه الأسمــاء من ذات أنفسنـا، ولكن الله سمى لاهــوتـه بهـا، وليس فيمـا ذكـرتمـوه عن الأنبيـاء أن الله سمى نفسـه، ولا شيـئاً من صفـاتـه بـروح القـدس[٤]، ولا سمى نفسـه ولا شيئاً من صفـاتـه ابنـاً فبـطل تسميتكم لصفته التي هي الحياة بروح القدس ولصفته التي هي العلم بالابن.

وأيضـاً فأنتم تـزعمون أن المسيح مختص بالكلمـة والروح، فـإذا كانت روح القدس في داود ــ عليـه السلام ــ والحـواريين وغيرهم بـطل مـا خصصتم بـه المسيـح، وقـد علم بـالاتفـاق أن داود عبــد الله[٥] ــ عز وجل ــ ، وإن كانت روح القدس فيه.

وكـذلـك المسيـح عبـد الله[٦] وإن كـانت روح القـدس فيـه، فمـا ذكرتموه عن الأنبياء حجة عليكم لأهل الإسلام لا[٧] حجة لكم.

• • •

(١) في ط (ولو) بدلاً من (ولا أن حياته).

(٢) في أ (اتحد)، وفي س (تحد) بدلاً من (تجسد).

(٣) في ط (منه المسيح) بدلاً من (المسيح منه).

(٤) في س، أ (قدس) بسقوط (الـ).

(٥) في س، أ (الله) بزيادة (ا).

(٦) في ط (عبد الله) بدلاً من (عبدٌ لله).

(٧) في ط (ولا) بزيادة (و).

فـصـل

قالوا: وأيضاً على لسان داود النبي ـ عليه السلام ـ: (بكلمة الله تشددت السماوات والأرض، وبروح فاه جميع قواتهن)[1].

فيقال: أما قوله: «بكلمة الله تشددت السماوات والأرض، فهو أيضاً حجة عليكم لوجوه:

أحدها: أن الله خلق الأشياء بكلمته التي هي (كن)، كما قال في التوراة: (ليكن كذا، ليكن كذا، ليكن كذا)[2] وكذلك في الزبور: (لأنه قال فكانوا وهو[3] أمر فخلقوا)[4] فجعل كونهم عن قوله.

ومثل قوله[5] في الزبور: (الكل بحكمة صنعت)[6]، وفي القرآن: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[7].

وليس المسيح هو هذه الكلمات.

---

(١) راجع ٣/٢٣٦ هامش رقم ٦.

(٢) في سفر التكوين الإصحاح الأول ـ العهد القديم ص ٣: (وقال الله لتكن أنوار في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل، وتكون الآيات وأوقات وأيام وسنين ١٥ ـ وتكون أنوار في جلد السماء لتنير على الأرض. وكان كذلك...).

(٣) (وهو) ساقطة من ط.

(٤) وجدنا في المزمور الثامن والأربعين قوله: (لأنه أمر فخلقت...).

(٥) (قوله) ساقطة من ط.

(٦) لم نعثر على هذا النص في مزامير داود.

(٧) سورة يٓس: من الآية ٨٢.

الثاني: أن كلمة الله اسم جنس، فإن كلمات الله لا نهاية لها، قال ـ تعالى ـ :

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾[1].

والتوراة تدل على تعدد الكلمات، وإذا كان كذلك، فالمسيح ليس هو مجموع الكلمات، بل خلق بكلمة منها.

الثالث: أن المسيح عندكم هو الخالق، وأنتم مع قولكم: إنه الابن والكلمة، تقولون: إنه الإلّه الخالق، وتقولون (إنه إلّه حق من إلّه حق)، وتقولون: (إلّه واحد) فتجمعون بين النقيضين، وإذا كان هو الخالق فهو الذي يشدد السماوات والأرض، لا يقال به تشددت السماوات والأرض، وإنما يقال به فيما كان صفة للموصوف، فيقال: خلق الله الأشياء بكن، وخلق الأشياء بقدرته.

وقوله: (بكلمته تشددت السماوات والأرض) يقتضي أن الكلمة صفة فعل بها، لأنها هي الخالقة، والمسيح عندكم هو الخالق ليس هو صفة خلق[2].

والرابع: أن كلمة الله يراد بها جنس كلماته، كما[3] قال ـ تعالى ـ :

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ﴾[4].

---

(١) سورة الكهف: من الآية ١٠٩.

(٢) في ط (خالق) بدلاً من (خلق).

(٣) (كما) ساقطة من ط.

(٤) سورة التوبة: من الآية ٤٠.

وكقول النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»[1]، وحينئذٍ فالمراد أن الله أقام السماوات والأرض بكلمته، كقوله (كن) وليس في هذا تعرض للمسيح ــ عليه السلام ــ .

وأما نقلكم أنه قال: (وبروح فاه جميع قواتهن)[2] فهذه الكلمة سواء كانت حقاً أو باطلاً، لا حجة لكم فيها لأنه إن أريد بهذه الكلمة حياة الله فإثبات حياة الله حق، وهو لم يسم حياة الله روح القدس، كما زعمتم، وإن أراد شيئاً غير حياة الله لم تنفعكم فأنتم ادعيتم أن حياة الله[3] روح القدس، حتى قلتم مراده في الإنجيل بقوله: (عمدوا الناس باسم الأب والابن والروح القدس) هو حياة الله، وادعيتم أن الأنبياء سموه بذلك، ولم تذكروا نقلاً عن الأنبياء أنهم سموا حياته روح القدس، بل ذكرتم عنهم ما يوافق ما في القرآن أن روح القدس ليس المراد بها حياة الله، ولو قدر أن هذا اللفظ استعمل في هذا وهذا لم يتعين أن المسيح أراد بقوله: (روح القدس) حياة الله، فكيف إذا لم يستعمل في كلام الأنبياء ــ صلوات الله[4] وسلامه عليهم أجمعين ــ في حياة الله قط.

● ● ●

---

(1) انظر:

* صحيح البخاري ــ كتاب العلم ــ باب ٤٥ ــ عن أبي موسى الأشعري، بلفظه ــ وكتاب الجهاد ــ باب ١٥ ــ عن أبي موسى أيضاً بلفظه.
* صحيح مسلم ــ كتاب الإمارة ــ باب ٤٣ ــ حديث رقم ١٥٠، ١٥١، عن أبي موسى بلفظه.

(2) راجع ٣/٢٣٦ هامش رقم ٦.

(3) في ط سقط لفظ الجلالة (الله).

(4) في س، أ، ك (الله عليهم) بزيادة (عليهم).

فصل

بيان المعنى الصحيح لروح الله

قالوا: وقوله على لسان أيوب الصديق (روح الله خلقني وهو يعلمني)[1].

فيقال: هذا لا حجة فيه لأنكم ادعيتم أن الأنبياء سمت حياة الله روح القدس، وهذا لم يقل روح القدس، بل قال روح الله.

وروح الله يراد بها الملك الذي هو روح اصطفاه الله فأحبها، كما قال في القرآن:

﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾[2].

فقد أخبر أنه أرسل إليها روحه فتمثل لها بشراً سوياً، وتبين أنه رسوله.

فعلم أن المراد بالروح ملك، هو روح اصطفاها فأضافها إليه، كما يضاف إليه الأعيان التي خصها بخصائص يحبها.

كقوله: ﴿ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾[3].

وقوله: ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾[4].

---

(١) سبقت الإشارة لهذا النص ٣/٢٣٦.

(٢) سورة مريم: الآيات ١٧ ـ ١٩.

(٣) سورة الشمس: من الآية ١٣.

(٤) سورة الحج: من الآية ٢٦.

وقوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾[1].

والمضاف إلى الله إن كان صفة لم تقم بمخلوق كالعلم والقدرة والكلام والحياة، كان صفة له، وإن كان عيناً قائمةً بنفسها أو صفة لغيره، كالبيت والناقة والعبد والروح، كان مخلوقاً مملوكاً مضافاً إلى خالقه ومالكه، ولكن الإضافة تقتضي اختصاص المضاف بصفات تميّز[2] بها عن غيره، حتى استحق الإضافة، كما اختصت الكعبة والناقة والعباد الصالحون بأن يقال فيهم (بيت الله) و (ناقة الله) و (عباد الله)، كذلك اختصت الروح المصطفاه بأن يقال لها (روح الله).

بخلاف الأرواح الخبيثة كأرواح الشياطين والكفار، فإنها مخلوقة لله[3]، ولا تضاف إليه إضافة الأرواح المقدسة، كما لا تضاف إليه الجمادات، كما تضاف[4] الكعبة، ولا نوق الناس، كما تضاف[5] ناقة[6] صالح[7] التي كانت آية من آياته.

كما قال ـ تعالى[8] ـ: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾[9].

---

(١) سورة الإنسان: من الآية ٦.

(٢) في أ، س (يميز).

(٣) في أ (به).

(٤) في أ (تضاف إليه).

(٥) في أ (يضاف).

(٦) ناقة صالح: ورد ذكرها في القرآن: أن ثمود اجتمعوا يوماً وقالوا لنبي الله صالح إن أنت أخرجت لنا من هذه الصخرة ناقة صفتها كيت وكيت.
انظر: البداية والنهاية ١/١٣٤.

(٧) سبقت ترجمته.

(٨) (تعالى) ساقطة من س، ك، ط.

(٩) سورة الأعراف: من الآية ٧٣.

وإذا كان كذلك فهذا اللفظ إن كان ثابتاً عن النبي وترجم ترجمة صحيحة، فقد يكون معناه أن الملك صورني في بطن أمي، وهو يعلمني، فإن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال: «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها[1] ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: يا رب أذكر أو أنثى، فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب أجله، فيقول ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب رزقه، فيقول ربك ما يشاء، ويكتب الملك، ثم يخرج الملك بالصحيفة[2] في يده، فلا يزاد على أمر ولا ينقص»[3]. رواه مسلم من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري.[4].

وقد يقال: من هذا قوله في الزبور[5] في مزمور الخليقة (ترسل[6] روحك فيخلقون)[7]، وفي المزمور أيضاً (هو قال فكانوا وأمر فخلقوا)[8] فقد يضاف الخلق إلى الملك.

ومن هذا الباب قوله ــ تعالى ــ:

---

(١) (إليها) ساقطة من ط.

(٢) (بالصحيفة) ساقطة من س.

(٣) انظر: صحيح مسلم كتاب القدر، باب ١، حديث ٣، عن حذيفة بن أسيد الغفاري بلفظه.

(٤) حذيفة بن أسيد بن خالد بن الأعور بن واقعة بن حراء بن غفار الغفاري ــ شهد الحديبية وبايع تحت الشجرة وروى أحاديث بالكوفة مات سنة ٤٢هـ . الإصابة ٣١٧/١.

(٥) (الزبور) ساقطة من أ، ك.

(٦) في أ (يرسل).

(٧) في العهد القديم ــ المزمور ١٠٤: (ترسل روحك فتخلق).

(٨) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٢٣٦/٣.
(في المزمور أيضاً: «هو قال فكانوا وأمر فخلقوا») ساقطة من أ، ك.

﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾[1].

فأخبره أنـه يخلق من الطين كهيئـة الطيـر طيراً بـإذن الله، وكذلـك الملك يخلق النطفة في الرحم بإذن الله.

ولا يجوز أن يريد به أن[2] حياة الله خلقتني وتعلمني، فإن الصفـة لا تخلق ولا تعلم، إنمـا يخلق ويعلم الـرب المـوصـوف الـذي خلق الإنسـان من علق، الذي علم بـالقلم، علم الإنسان مـا لم يعلم، ولكن هو ـ سبحانـه ـ يخلق بواسـطة الملائكـة، فإن المـلائكة رسـل الله في الخلق، فجاز أن يضاف الفعـل إلى الوسـائط تارة، وإلى الـرب أخرى، وهذا موجود في الكتب الإلهية في غير موضع كما في القرآن:

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾[3].

وفي موضع آخر:

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾[4].

وفي موضع ثالث:

﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾[5].

---

(١) سورة آل عمران: من الآية ٤٩.

في س، أ، ك خلط بين هذه الآية وآية سورة المائدة.

(٢) (أن) ساقطة من س.

(٣) سورة الزمر: من الآية ٤٢.

في أ (الله الذي يتوفى) بزيادة (الذي).

(٤) سورة الأنعام: من الآية ٦١.

(٥) سورة السجدة: من الآية ١١.

والجميع حق، فإذا[1] وجد لفظ له معنى في كلام بعض الأنبياء، ولم يوجد له معنى يخالف ذلك من كلامهم، كان حمله على ذلك[2] المعنى أولى من حمله على معنى يخالف كلامهم، ولا يوجد في كلامهم أن حياة الله تسمى روحاً، ولا أن صفات الله تخلق المخلوقات.

● ● ●

(١) في س، أ (وإذا) بدلاً من (فإذا).
(٢) (ذلك) ساقطة من س، ك.

فصل

بيان المعنى الصحيح لكلمة الله

قالوا: وقوله: على لسان أشعيا النبي (ييبس القتاد، ويجف العشب، وكلمته باقية إلى الأبد)[1].

فيقال[2]: إما أن يريد بكلمة الله علمه، أو كلمة معينة، أو تكون[3] كلمة الله اسم جنس، وعلى التقديرات الثلاثة[4] لا[5] حجة لكم في ذلك، فإنه إن كان كلمة الله اسم جنس لكل ما تكلم الله[6] به ــ كما قال:

﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ ﴾[7].

وقال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»[8].

---

(١) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/٢٣٦.

(٢) بداية جواب الشيخ على ما ساقه من قولهم.

(٣) في ط (يكون) بدلاً من (تكون).

(٤) (الثلاثة) ساقطة من ط، ك.

(٥) في ط، ك (فلا) بزيادة (ف).

(٦) (الله) لفظ الجلالة ساقط من ط، ك.

(٧) سورة التوبة: من الآية ٤٠.

(٨) انظر:

* صحيح البخاري ــ في مواطن متعددة منه ــ كتاب العلم ــ باب ٤٥ ــ عن أبي موسى رضي الله عنه، بلفظه.

=

ولهذا جمعها في قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾[1].

وفي قوله :

﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾[2].

فالمراد بذلك أن ما قاله الله فهو حق ثابت لا يبطل.

كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾[3].

يعني بتمامها نفاذ[4] ما وعدهم به من النصر على فرعون، وإهلاكه، وإخراجهم إلى الشام.

وقال ـ تعالى ـ

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾[5].

ومنه قوله :

﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾[6].

= * صحيح مسلم ـ كتاب الإمارة ـ باب ٤٢ ـ حديث رقم ١٥٠ ـ عن أبي موسى، بلفظه.

(١) سورة الأنعام: من الآية ١١٥.
في جميع النسخ (كلمات) بدلاً من (كلمت) وهي قراءات.

(٢) سورة الكهف: من الآية ١٠٩.

(٣) سورة الأعراف: من الآية ١٣٧.
في ط (كلمات) بدلاً من (كلمت) وهي قراءات.

(٤) في أ (فعاد) بدلاً من (نفاذ).

(٥) سورة الأنعام: من الآية ١١٥.

(٦) سورة الكهف: من الآية ٢٧.

وقوله:

﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ ﴾[1].

ومن هذا الباب قول المسيح (السماء والأرض يزولان[2]، وكلامي لا يزول)[3]، فإن أراد علم الله، فعلم الله باق، سواء أراد[4] به علمه القائم بذاته أو معلومه الذي أخبر ببقائه، فلا[5] حجة لكم فيه، وكذلك إن أراد كلمة معينة، فإن المسيح عندكم ليس كلمة معينة من كلامه، بل هو عندكم هو الكلمة، وهو الله الخالق، وليس في هذا اللفظ ما يدل على أنه أراد بالكلمة المسيح، والمسيح عندكم أزلي أبدي[6] لا يوصف بالبقاء دون القدم، ولو قدر أنه أراد بالكلمة المسيح فنحن لا ننكر أنه يسمى[7] بالكلمة، لأنه قال له: كن فكان، كما سيأتي بيان ذلك، ويريد

---

(١) سورة الفتح: من الآية ١٥.

(٢) في أ (يزولا) بدلاً من (يزولان).

(٣) في العهد الجديد ـ إنجيل متى ـ الإصحاح ٢٤: (٢٥ ـ السماء والأرض تزولان، ولكن كلامي لا يزول).
في ط كتب آخر النص: (وكلامي هذا لا يتغير).
في س (وكلامي ـ وإن أراد هذا ـ لا يتغير) ثم كتب (علم الله باق. . .) وهذا خلط بين النص من كلام المسيح وكلام المؤلف الذي بعده.
في ك أضاف في الهامش (هذا لا يتغير) مقابل (لا يزول) الموجودة في الصلب.

(٤) (علم الله، فعلم الله باق، سواء أراد) ساقطة من أ.
في س كتبت مخلوطة مع النص السابق له.
في ك: كتبت على الهامش.

(٥) في أ (ولا) بدلاً من (فلا).

(٦) في س (وأبدي) بزيادة (و).

(٧) في ط، ك (تسمى) بدلاً من (يسمى).

بذلك إما بقاؤه إلى أن ينزل إلى الأرض، وإما أن يريد بقاء ذكره والثناء عليه، ولسان صدق له إلى آخر الزمان.

ومما يوضح هذا وأنه[1] ليس المراد به ما يدعونه، أنه قال: (وكلمة الله باقية إلى الأبد)[2] فوصفها بالبقاء دون القدم[3].

وعندهم أن الكلمة المولودة[4] من الأب قديمة أزلية لم تزل ولا تزال[5] ومثل[6] هذا لا يحتاج أن يوصف بالدوام[7] والبقاء، بخلاف ما وعد به من النعيم والرحمة والثواب، فإنه يوصف بالبقاء والدوام كما في القرآن: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾[8]، وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾[9].

وفي الزبور: (اعترفوا للرب، فإنه صالح، وإنه إلى الأبد رحمته)[10].

• • •

(1) في ط (أنه) بسقوط (و).
(2) هذا ــ من أول الفصل ــ من كلام أشعيا السابق.
(3) في أ (العدم) بدلاً من (القدم).
(4) في س، أ (المذكورة) بدلاً من (المولودة).
(5) (ولا تزال) ساقطة من أ.
(6) في ط (مثل) بسقوط (و).
(7) في أ (بالعدم) بدلاً من (بالدوام).
(8) سورة الرعد: من الآية ٣٥.
(9) سورة ص: من الآية ٥٤.
(10) وجدت في مزامير داود نصين قريبين من هذا النص:
أحدها: في مزمور ١٠٠ولفظه: «أحمدوه وباركوا اسمه، لأن الرب صالح إلى الأبد رحمته».
والثاني: في مزمور ١١٨ ولفظه: «أحمدوا الرب لأنه صالح، لأن إلى الأبد رحمته».
في أ (مليء)بدلاً من (صالح).
في أ (ورحمته) بزيادة (و).

فصل [1]

إبطال استدلالهم بالتعميد على الأقانيم

قالوا: وقال السيد المسيح في الإنجيل المقدس لتلاميذه الأطهار: (اذهبوا إلى جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن وروح القدس الإله الواحد، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيكم به)[2].

فيقال لهم: هذا عمدتكم على ما تدعونه من الأقانيم الثلاثة وليس فيه شيء يدل على ذلك لا نصاً ولا ظاهراً، فإن لفظ الابن لم يستعمل قط في الكتب الإلهية في معنى صفة من صفات الله، ولم يسم أحد من الأنبياء علم الله ابنه (ولا سموا كلامه ابنه، ولكن عندكم أنهم سموا عبده أو عباده ابنه أو بنيه)[3] وإذا كان كذلك فدعواكم[4] أن المسيح أراد بالعلم ابن الله وكلامه، دعوى في غاية الكذب على المسيح، وهو حمل للفظه[5] على ما لم يستعمله هو ولا غيره فيه لا حقيقة ولا مجازاً، فأي كذب وتحريف لكلام الأنبياء أعظم من هذا.

ولو كان لفظ الابن يستعمل في صفة الله لسميت[6] حياته ابناً، وقدرته ابناً، فتخصيص العلم بلفظ الابن دون الحياة خطأ ثاني لو كان

---

(١) (فصل) ساقطة من أ، ك.

(٢) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/ ١٣٣.

(٣) ما بين القوسين ساقط من أ.

(٤) في أ (فدعواهم) بدلاً من (فدعواكم).

(٥) في ط (للفظ) بسقوط (هـ).
وفي أ (اللفظ) بدلاً من (للفظه).

(٦) في أ (المسميت) بدلاً من (لسميت).

لفظ الابن يستعمل في صفة الله، فكيف إذا لم يكن كذلك.

وكـذلـك[١] روح القـدس لم يستعملوهـا في حيـاة الله، ولا أرادوا بهذا اللفظ حياة الله التي[٢] هي صفته، وإنما أرادوا بذلك ما ينزلـه على الصـديقين والأنبياء، ويؤيـدهم به كمـا في قول داود: (روحـك القـدس لا[٣] تنزع[٤] مني)[٥][٦]، وعندهم أن روح القدس (حلت في الحواريين، وقد قدمنا أن روح القدس) يراد به الملك، ويراد به ما يجعله في القلوب من الهدٰى والقوة، ومنه قولـه في بعض النبوات (وفي تلك الأيـام أسكب من روحي على كـل قـديس)[٧] وفي زبـور[٨] داود (روحـك الصـالـح يهديني[٩] في أرض مستقيمة)[١٠].

يوضح هـذا أنهم قالـوا في أمانتهم (الـذي من أجلنا نحن البشـر، ومن أجل خلاصنا نزل من السمـاء وتجسد من روح القـدس، ومن مريم العـذراء) وذكـروا أن ذلـك في الكتب المقـدسـة، والـذي في الكتب

---

(١) (وكذلك) ساقطة من أ.
(٢) (التي) ساقطة من ط.
(٣) (لا) ساقطة من ك.
(٤) في أ (ينتزع) بدلاً من (تنزع).
(٥) هذا النص سبقت الإشارة إليه ٣/ ٢٣٦.
(٦) ما بين القوسين ساقط من ك.
(٧) وجدت في أعمال الرسل الإصحـاح الثاني: «ويكـون في الأيام الأخيـرة أني أسكب من روحي على كل بشر. . .».
(٨) في ط (زابور) بدلاً من (زبور).
(٩) (تهدي) بدلاً من (يهديني) وذلك في أ.
(١٠) وجدت في مزامير داود ـ العهد القديم ـ المزمور ١٤٣ «روحك الصالح يهـديني في أرض مستوية».

المقدسة لا يكون[1] إلَّا حقاً، ولا ريب أن فيها مثل ما في القرآن، وفي القرآن أن الله أرسل روحه إلى مريم فنفخ فيها فحملت بالمسيح عليه السلام، قال ـ تعالى ـ :

﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝١٧ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۝١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ۝١٩ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۝٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ۝٢١ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾[2].

إلى آخر القصة، وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾[4].

---

(١) (لا يكون) ساقطة من س.

(٢) سورة مريم: الآيات ١٧ ـ ٢٢.
في س، أ، ك (ليهب) بدلاً من (لأهب).
في س، أ، ك (أنى يكون لي ولد) بدلاً من (أنى يكون لي غلام).
في ط (ولم يمسني) بدلاً من (ولم يمسسني).

(٣) سورة الأنبياء: من الآية ٩١.

(٤) سورة التحريم: من الآية ١٢.
وقد خلط بين الآيتين من سورة الأنبياء وسورة التحريم، وذلك في س.

وهذا الروح: هو الرسول، كما قال:

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾[1].

ونفخ فيها من هذا الروح فكان[2] المسيح مخلوقاً من هذا الروح، ومن أمه مريم كما[3] قالوا في الأمانة: (أنه تجسد من مريم، ومن روح القدس، لكن اعتقدوا أن روح القدس التي خلق المسيح منها ومن مريم هي حياة الله وهذا ليس في الكتب ما يدل عليه، بل الكتب كلها صريحة في نقيض هذا، وهو أيضاً مناقض لقولهم إن المتحد بالمسيح هو أقنوم الكلمة، (وهو العلم، فإن كان قد تجسد من مريم)[4]، وأقنوم الكلمة لم يكن متجسداً[5] من روح القدس (وإن كان من روح القدس)[6] لم يكن من الكلمة وإن كان منهما جميعاً كان المسيح أقنومين: أقنوم الكلمة، وأقنوم الروح.

والنصارى بفرقهم الثلاثة كلهم يقولون: إنما المتحد به أقنوم الكلمة لا أقنوم الحياة، فتبين تناقضهم في أمانتهم، وتبين خطؤهم فيما فسروا به كلام الأنبياء.

وتبيَّن أن ما ثبت عن الأنبياء فهو حق موافق لما أخبر به محمد خاتم النبيين لا يناقض شيئاً[7] من كلام الأنبياء، كما أنه لا يناقض

---

(١) في أ (ليهب أو لأهب لك) بدلاً من (لأهب لك).
(٢) (فكان) ساقطة من ط.
(٣) في أ (ثم) بدلاً من (كما).
(٤) ما بين القوسين ساقط من أ.
(٥) في ط، ك (تجسد) بدلاً من (متجسداً).
(٦) ما بين القوسين ساقط من ط.
(٧) في ط (لا يتناقض مع شيء).
في س (شيء) بدلاً من (شيئاً).

شيئاً[1] من كلامهم صريح المعقول، * وتبين أنهم حملوا[2] كلام الأنبياء في لفظ الابن وروح القدس وغيره على ما لم يوجد استعمال هذا اللفظ فيه، (وتركوا حمله على المعنى الموجود في كلامهم)[3]، (وهذا من أبلغ ما يكون من تحريف كلامهم عن مواضعه وتبديل معاني كلام الله)[4]. فكيف يجوز أن يحمل لفظ روح القدس على معنى لم يستعمله فيه الأنبياء، ولا أرادوه به، ويترك حمله على المعنى المعروف الذي يستعملونه فيه دائماً *[5].

وهل هذا إلّا من فعل من يحرف كلام الأنبياء، ويفتري الكذب عليهم؟ بل ظاهر هذا الكلام أن يعمدوهم باسم الأب الذي يريدون به في لغتهم الرب، والابن الذي يريدون به في لغتهم المربي، وهو هنا المسيح (وروح القدس)[6] وهو روح[7] القدس الذي أيد الله به المسيح من الملك والوحي وغير ذلك، وبهذا فسر هذا الكلام من فسره من أكابر علمائهم.

• • •

---

(١) في ط، س (شيء) بدلاً من (شيئاً).

(٢) في أ (كملوا) بدلاً من (حملوا).

(٣) ما بين القوسين ساقط من س.

(٤) ما بين القوسين ساقط من ط.

(٥) في أ ما بين النجمتين كتبت بتقديم وتأخير وخلط.

(٦) (وروح القدس) ساقطة من ط.

(٧) في ط (الروح) بزيادة (ال).

(٣٦)

فصل

فهذا ما ذكروه في كتابهم يحتجون[1] بها على ما يعتقدونه من الأقانيم الثلاثة قائلين: إن تسمية الله أنه أب وابن وروح القدس أسماء لم نسمه نحن النصارى بها من ذات أنفسنا، بل الله سمى لاهوته بها.

وقد تبين أنه ليس فيما ذكروه عن الأنبياء ما يدل لا نصاً ولا ظاهراً على أن أحداً من الأنبياء سمى الله، ولا شيئاً من صفاته ابناً ولا روح قدس.

وتبين أن تسميتهم لعلم الله وكلامه ابناً، وتسميتهم لحياته روح القدس أسماء ابتدعوها ما أنزل الله بها من سلطان، وأنه ليس معهم على ما ادعوه من الأقانيم حجة أصلاً لا سمعية ولا عقلية، وأنه ليس لقولهم بالتثليث وحصرهم لصفات الله في ثلاثة مستند شرعي.

كما تبين أنه ليس له مستند عقلي، وأن القوم ممن قيل فيهم:

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[2].

وممن قيل فيهم:

﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾[3].

• • •

---

(١) في أ (محتجون) بدلاً من (يحتجون).

(٢) سورة الملك: من الآية ١٠.

(٣) سورة الفرقان: من الآية ٤٤.

فصل

إبطال احتجاجهم بما ورد في القرآن على الأقانيم

ثم أخذوا يزعمون أن فيما أنزل على محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ حجة لهم على الأقانيم التي ادعوها، وهم ابتدعوا القول بالأقانيم والتثليث قبل أن يبعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ .

وذلك[1] معروف عندهم من حين ابتدعوا الأمانة[2] التي لهم التي وضعها الثلاث مائة وثمانية عشر منهم بحضرة قسطنطين الملك، فإذا لم يكن لهم مستند عقلي، ولا سمعي عن الأنبياء قبل محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ . فكيف يكون لهم مستند فيما جاء به محمدٌ[3] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بعد ابتداعهم الأمانة.

لا سيما مع العلم الظاهر المتواتر أن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كفرهم في الكتاب الذي أنزل عليه وضللهم، وجاهدهم[4] بنفسه وأمر بجهادهم كقوله ـ تعالى ـ :

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ ﴾[5].

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ

(١) في ط (ذلك) بسقوط (و).
(٢) سبق الإشارة إليها ٣/ ٢٢٩.
(٣) (محمد) ساقطة من ط .
(٤) في ط (جاهدهم) بسقوط (و)؛ في ك (فجاهدهم) بدلاً من (وجاهدهم).
(٥) سورة المائدة: من الآية ١٧.

يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾[1].

وقـال:

﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ ﴾[2].

وقـال:

﴿ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ ﴾[3].

ونحو ذلك من الآيات.

وقـالوا: وقـد قال في هـذا الكتاب أيضـاً: ﴿ولقـد سبقت كلمتنـا لعبادنا الصالحين﴾.

فيقال لهم: حرفتم لفظ الآية، ومعناها، فإن لفظها:

﴿ وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾[4].

فالكلمة التي سبقت لعباده المرسلين قوله:

﴿ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴾.

أخبـر أنه سبق منـه كلمة لعبـاده المـرسلين لينصـرنهم، كمـا قـال ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى ﴾[5].

---

(١) سورة التوبة: من الآية ٣٠.
(٢) سورة المائدة: من الآية ٧٣.
(٣) سورة النساء: من الآية ١٧١.
(٤) سورة الصافات: الآيات ١٧١ ـ ١٧٣.
(٥) سورة طه: من الآية ١٢٩.

وقولـه:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾[1].

وقولـه:

﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾[2].

وقولـه:

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ﴾[3].

وقولـه:

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[4].

والكلمة في لغة العرب: هي الجملة المفيدة سواء كانت جملة اسمية أو فعلية، وهي القول التام، وكذلك الكلام عندهم هو الجملة التامة.

قال سيبويه[5]: واعلم أنهم يحكون بالقول ما كان كلاماً ولا يحكون به ما كان قولاً[6]. ولكن النحاة اصطلحوا على أن يسموا

---

(١) سورة هود: من الآية ١١٠.

(٢) سورة غافر: من الآية ٦.

(٣) سورة الشورى: من الآية ١٤.

(٤) سورة السجدة: من الآية ١٣.

(٥) سبقت ترجمته.

(٦) وجدت في لسان العرب (باب قول/ باب كلم) قال: سيبويه: وأعلم أن قلت في كلام العرب إنما وقعت على أن تحكي بها ما كان كلاماً لا قولاً. ٣/١٨٩/ ٢٩٠ ولم أجد هذا النص في كتاب سيبويه.

مـا تسميه العـرب حرفـاً يسمونـه كلمة مثـل زيـد وعمـرو، ومثـل: قعـد وذهب، وكـل حرف جـاء لمعنى ليس بـاسم ولا فعـل، مثـل: إن وثم، وهل ولعل.

قال ــ تعالى ــ:

﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ﴾[1].

فسمى هذه الجملة كلمة.

وقال ــ تعالى ــ:

﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾[2].

وهو قول: لا إله إلَّا الله.

وقال ــ تعالى[3] ــ:

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ﴾[4].

وقال ــ تعالى ــ:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ﴾[5].

---

(١) سورة الكهف: الآيتان ٤، ٥.

(٢) سورة إبراهيم: من الآية ٢٤.
في س، أ، ك (مثل) بدلاً من (مثلًا).

(٣) (تعالى) ساقطة من س، أ، ك.

(٤) سورة فاطر: من الآية ١٠.

(٥) سورة آل عمران: من الآية ٦٤. في ط سقطت كلمة «قل».

وقوله ــ تعالى ــ :

﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾[1].

وقال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[2]، وقال ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد[3]: ألا كل شيء ما خلا الله باطل»[4].

وقال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «اتقوا النار ولو بشق

---

(١) سورة الفتح: من الآية ٢٦.

(٢) انظر: صحيح البخاري كتاب الإيمان ــ باب ١٩ ــ عن أبي هريرة بلفظه؛ وكتاب التوحيد ــ باب ٥٨ ــ عن أبي هريرة، بلفظه أيضاً؛ صحيح مسلم ــ كتاب الذكر ــ باب ١٠ ــ حديث ٣١ ــ عن أبي هريرة بلفظه أيضاً؛ مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢٣٢/٢، عن أبي هريرة بلفظه أيضاً.

(٣) لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك العامري أبو عقيل الشاعر المشهور، يعد من الصحابة، وفد على النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ مع قومه وأسلم وحسن إسلامه ولم يقل بعد إسلامه الشعر كما كان في الجاهلية، ويقال أنه ما قال في الإسلام إلاّ بيتاً واحداً هو قوله:

ما عاتب المرء اللبيب كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح

مات سنة إحدى وأربعين في خلافة معاوية ــ رضي الله عنه ــ وله من العمر مائة وأربعين، وقيل أقل، وقيل أكثر.

انظر: الإصابة ٣٢٦/٣؛ والاستيعاب بهامش الإصابة ٣٢٤/٣؛ وشذرات الذهب ٥٢/١؛ والأعلام للزركلي ١٠٤/٦.

(٤) انظر: صحيح البخاري ــ كتاب مناقب الأنصار ــ باب ٢٦؛ وكتاب الأدب ــ باب ٩٠؛ وكتاب الرقاق ــ باب ٢٩ ــ عن أبي هريرة بلفظه؛ صحيح مسلم ــ كتاب الشعر ــ باب ١ ــ حديث ٣، ٦ ــ عن أبي هريرة بلفظه؛ سنن ابن ماجه ــ كتاب الأدب ــ باب الشعر ٤١ ــ حديث رقم ٣٧٥٧ ــ عن أبي هريرة بلفظه.

تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة»[1]، ولما شاع عند المشتغلين بالنحو استعمال لفظ الكلمة في الاسم أو الفعل، وحرف المعنى صاروا يظنون أن هذا هو كلام العرب ثم لما وجد بعضهم ما سمعه من كلام العرب أنه يراد بالكلمة الجملة التامة صار يقول: وكلمة بها كلام قد يؤم[2]. فيجعل ذلك من القليل.

ومنهم من يجعل ذلك مجاز، وليس الأمر كذلك، بل هذا اصطلاح هؤلاء النحاة، فإن العرب لم يعرف[3] عنهم أنهم استعملوا لفظ الكلمة، والكلام إلاّ في[4] الجملة التامة، وهكذا نقل عنهم أئمة النحو كسيبويه وغيره.

فكيف يقال: إن هذا هو المجاز، وإن هذا قليل وكثير[5].

كما أن لفظ القديم في لغة العرب هو المتقدم على غيره كما قال

(١) انظر: صحيح البخاري ــ كتاب التوحيد ــ باب ٣٦؛ وكتاب الأدب ــ باب ٣٤؛ وفي كتاب الزكاة ــ باب ١٠ ــ عن عدي أيضاً بمعناه؛ صحيح مسلم ــ كتاب الزكاة ــ باب ٢٠ ــ حديث رقم ٦٨ ــ عن عدي بن حاتم بلفظه؛ مسند الإمام أحمد ٢٥٦/٤، عن عدي بن حاتم أيضاً.

(٢) هذا عجز البيت الثاني من ألفية ابن مالك التي مطلعها:

كلامنا لفظ مفيد كاستقم ... واسم وفعل ثم حرف الكلم

واحده كلمة والقول عم ... (وكلمة بها كلام قد يؤم)

انظر: الألفية في النحو والصرف لابن مالك ص ٩، ط. مصطفى الحلبي سنة ١٣٥٨هـ.

(٣) في ط (يعرفوا) بدلاً من (يعرف).

(٤) في ط (من) بدلاً من (في).

(٥) في أ (هكذا) بدلاً من (كثير).

في س، ك (هذا) بدلاً من (كثير).

ــ تعالى ــ :

﴿ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾[1].

وقوله ــ تعالى ــ :

﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾[2].

وقوله ــ تعالى ــ :

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴾[3].

ثم إن من أهل الكلام من خص لفظ القديم بما لم يسبقه عدم، أو ما[4] لم يسبقه غيره، وصار هذا عندهم هو حقيقة اللفظ، حتى صار كثير منهم يظن أن استعمال القديم في المتقدم على غيره مطلقاً مجاز.

فتبين أن مراده ــ تعالى ــ بقوله:

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[5].

من جنس قوله:

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا ﴾[6].

فسبق منه كلمته بما سيكون من نصر المرسلين، وملء جهنم من الجنة والناس أجمعين ونحو ذلك، فحرف هؤلاء الضلال لفظ الآية فقالوا: ﴿لعبادنا الصالحين﴾ وجعلوا ﴿الكلمة﴾ هي المسيح وليس في

---

(١) سورة يس: من الآية ٣٩.

(٢) سورة الأحقاف: من الآية ١١.

(٣) سورة الشعراء: من الآيتين ٧٥، ٧٦.

(٤) (ما) ساقطة من ط.

(٥) سورة الصافات: من الآية ١٧١.

(٦) سورة طه: من الآية ١٢٩.

اللفظ ما يدل على ذلك بوجه من الوجوه، ولا في كون المسيح سبق لعبادنا المرسلين معنى[1] صحيح، وقد قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾[2].

• • •

(١) في ط (في معنى) بزيادة (في).

(٢) سورة الصافات: الآيات ١٧١ ـ ١٧٣.

فصل

بيان معنى تأييد المسيح بروح القدس

قالوا: وقال أيضاً:

﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾[1].

فيقال: هذا مما لا ريب فيه، ولا حجة لكم فيه، بل هو حجة عليكم، فإن الله أيد المسيح ــ عليه السلام ــ بروح القدس، كما ذكر ذلك في هذه الآية، وقال ــ تعالى ــ في البقرة:

﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾[2].

وقال ــ تعالى ــ:

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾[3].

وهذا ليس مختصاً بالمسيح، بل قد أيد غيره بذلك، وقد ذكروا هم أنه قال لداود: (روحك القدس لا تنزع مني)[4]، وقد قال نبينا ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لحسّان بن ثابت: «اللَّهم أيده بروح

(١) سورة المائدة: من الآية ١١٠.
(٢) سورة البقرة: من الآية ٨٧.
في س، أ، ك (ولقد آتينا عيسى) بدلاً من (وآتينا عيسى).
(٣) سورة البقرة: من الآية ٢٥٣.
(٤) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/٢٣٦.

القدس»[1]. وفي لفظ «روح القدس معك ما دمت تنافح عن نبيه»[1]. وكلا اللفظين في الصحيح.

وعند النصارى أن الحواريين حلت فيهم روح القدس، وكذلك عندهم روح القدس حلت في جميع الأنبياء.

وقد قال ــ تعالى ــ:

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ۙ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[2].

وقد قال ــ تعالى ــ في موضع آخر:

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾[3].

وقال:

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[4].

فقد تبين أن روح القدس هنا جبريل، وقال ــ تعالى ــ:

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ

---

(١) سبق تخريج هذين الحديثين.

(٢) سورة النحل: الآيات ٩٨ ــ ١٠٢.

(٣) سورة الشعراء: الآيتان ١٩٣، ١٩٤.

(٤) سورة البقرة: الآية ٩٧.

في ك، س سقطت كلمة (قل).

وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾[3].

وقال:

﴿ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴾[4].

فهذه الروح التي أوحاها، والتي تنزل بها الملائكة على من يشاء من عباده غير الروح الأمين التي تنزل بالكتاب، وكلاهما يسمى[5] روحاً، وهما متلازمان، فالروح التي ينزل بها الملك مع الروح الأمين التي ينزل بها روح القدس، يراد بها هذا وهذا.

ويكلا القولين فسر المفسرون قوله في المسيح: ﴿ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ ﴾، ولم يقل أحد أن المراد بذلك حياة الله، ولا اللفظ يدل على ذلك، ولا استعمل فيه.

---

(١) سورة المجادلة: من الآية ٢٢.

(٢) سورة الشورى: من الآية ٥٢.

(٣) سورة النحل: من الآية ٢.

(٤) سورة غافر: من الآية ١٥.

(٥) في ط (يتسمى) بدلاً من (يسمى).

وهم إما أن يسلموا أن روح القدس في حق غيره ليس المراد بها حياة الله، فإذا ثبت أن لها معنى غير الحياة، فلو استعمل في حياة الله أيضاً لم يتعين أن يراد بها ذلك في حق المسيح، فكيف ولم يستعمل في حياة الله في حق المسيح.

وإما أن يدعوا أن المراد بها حياة الله في حق الأنبياء والحواريين، فإن قالوا ذلك لزمهم أن يكون اللاهوت حالاً في جميع الأنبياء والحواريين، وحينئذٍ فلا فرق بين هؤلاء وبين المسيح.

ويلزمهم أيضاً أن يكون في المسيح لاهوتان[1]: لاهوت الكلمة، ولاهوت الروح، فيكون قد اتحد به أقنومان.

ثم في قوله ــ تعالى ــ: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾، يمتنع أن يراد بها حياة الله، فإن حياة الله صفة قائمة بذاته لا تقوم بغيره، ولا تختص ببعض الموجودات غيره. وأما عندهم فالمسيح، هو الله الخالق، فكيف يؤيد بغيره، وأيضاً فالمتحد بالمسيح هو الكلمة دون الحياة، فلا يصح تأييده بها.

فتبين أنهم يريدون أن يحرفوا القرآن كما حرفوا غيره من الكتب المتقدمة، وأن كلامهم في تفسير المتشابه من الكتب الإلٓهية من جنس واحد.

• • •

(١) في أ (لاهوتين) بدلاً من (لاهوتان).

فصل

قالوا: وقال أيضاً: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾[1].

فيقال لهم: وأي حجة لكم في هذا، وإنما هو حجة عليكم، فإنه قد ثبت أن الله كلم موسى تكليماً، وكلام الله الذي سمعه منه موسى عليه السلام، ليس هو المسيح فعلم أن المسيح ليس هو كلام الله، وعندهم هو كلمة الله، وهو علم الله، وهو الله.

ومعلوم أن كلام الله كثير كالتوراة والإنجيل والقرآن، وغير ذلك من كلامه، وليس المسيح شيئاً من ذلك، والمسيح عندهم خالق، ولو كان المسيح نفس كلام الله[2] لم يكن خالقاً ولا معبوداً، فإن كلام الله(لم يخلق السموات والأرض، ولا كلام الله)[3] هو[4] الإلّه المعبود، بل كلامه كسائر صفاته مثل حياته وقدرته، ولا يقول أحد: يا علم الله اغفر لي، ولا يا كلام الله اغفر لي، وإنما يُعْبَد ويدعى الإلّهُ الموصوف بالعلم، والقدرة، والكلام، الذي كلم به[5] موسى تكليماً.

● ● ●

---

(١) سورة النساء: من الآية ١٦٤.

(٢) سقط من ط لفظ الجلالة (الله).

(٣) في ط (ليس) بدلاً من (لم يخلق السماوات والأرض ولا كلام الله).

(٤) (هو) ساقطة من أ.

(٥) في ط (الله) بدلاً من (به).

فصل

قالوا: وقال أيضاً في سورة التحريم:

﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾[1].

فيقال: أما قوله ـ تعالى ـ:

﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾.

وقوله في سورة الأنبياء:

﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[2].

فهذا قد فسره قوله ـ تعالى ـ:

﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾[3].

وفي القراءة الأخرى[4]: ليهب لك غلاماً زكياً.

فأخبر أنه رسوله وروحه، وأنه تمثل لها بشراً، وأنه ذكر أنه

(١) سورة التحريم: من الآية ١٢.

(٢) سورة الأنبياء: من الآية ٩١.

(٣) سورة مريم: الآيات ١٧ ـ ١٩.

(٤) (الأخرى) ساقطة من ط.

رسول الله إليها، فعلم أن روحه مخلوق مملوك له، ليس المراد حياته التي هي صفته سبحانه وتعالى.

وكذلك قوله:

﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾.

وهو مثل قوله في آدم ـ عليه السلام ـ :

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[1].

وقد شبَّه المسيح بآدم في قوله:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[2].

والشبهة في هذا نشأت عند بعض الجهال من أن الإنسان إذا قال: روحي، فروحه في هذا الباب هي الروح التي في البدن، وهي عين قائمة بنفسها، وإن كان من الناس من يعني بها الحياة، والإنسان مؤلف من بدن وروح، وهي عين قائمة بنفسها عند سلف المسلمين وأئمتهم وجماهير الأمم.

والرب ـ تعالى ـ منزَّه عن هذا، وأنه ليس مركباً[3] من بدن وروح، ولا يجوز أن يراد بروحه ما يريد الإنسان بقوله: روحي، بل تضاف إليه ملائكته وما ينزله على أنبيائه من الوحي والهدى والتأييد، ونحو ذلك.

• • •

(1) سورة الحجر: من الآية ٢٩.
(2) سورة آل عمران: من الآية ٥٩.
(3) في س، ك (مركب) بدلاً من (مركباً).

فصل

قالوا: وسائر المسلمين يقولون: إن الكتاب كلام الله، ولا يكون كلام إلَّا لحي ناطق، وهذه صفات جوهرية تجري مجرى الأسماء، وكل صفة منها غير الأخرى، فالإلّه واحد، خالق واحد، ورب[1] واحد لا يتجزأ.

فيقال لهم: أما قول المسلمين[2] أن الكتاب ـ أي القرآن ـ كلام الله، فهذا حق، والكلام لا يكون إلّا لمتكلم.

والمسلمون يقولون: إن الله حي متكلم، وإنه تكلم بالتوراة والإنجيل والقرآن، وغير ذلك من كلامه، والقرآن قد أخبر بكلام الله في مواضع كثيرة، وهل يسمى ناطقاً وكلامه نطقاً؟

فيه نزاع، فبعض المسلمين يجيزه، وبعضهم يمنع منه لكونه لم يرد به الشرع، وليس في التوراة والإنجيل والزبور تسمية الله ناطقاً، بخلاف لفظ القول والكلام، وقد تنازع المسلمون بعد ظهور البدع فيهم ـ كما تنازع أهل الكتاب ـ في كلام الله، هل[3] هو قائم به، أو مخلوق منفصل عنه.

والذي عليه سلف الأمة وأئمتها وجمهورها، أن كلام الله قائم به،

---

(١) في ط، أ (رب) بسقوط الواو.

(٢) (أما قول المسلمين) ساقطة من ط .

(٣) (هل) ساقطة من ط .

وكذلك سائر ما يوصف به من الحياة والقدرة وغير ذلك.

وأحدث قوم منهم[1] ـ بعد انقراض الصحابة وأكابر التابعين، بعد أكثر من مائة سنة من موت النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه مخلوق خلقه في غيره، وشاركهم في هذه البدعة كثير من اليهود والنصارى.

وظهرت[2] هذه المقالة بعد المائة الثانية، وانتصر لها قوم من الولاة[3]، وغيرهم، ثم أطفأها الله بمن أقامه الله من أئمة الإسلام والسنَّة[4] الذين بينوا فسادها وبينوا ما اتفق عليه السلف من أن كلام الله منزل منه غير مخلوق، بل منه بدأ[5]، لم يبتدىء[6] من شيء من المخلوقات، ومع هذا فلم يقل أحد من المسلمين: إن كلام الله يكون إلَهاً ولا رباً.

وكذلك حياته لم يقل أحد منهم إن حياته تكون إلَهاً ولا رباً، ولا أنه مساوٍ للرب ـ تعالى ـ في الجوهر.

• • •

(١) يريد بهم: المعتزلة والذين يقولون بخلق القرآن.
(٢) في أ (وظهور) بدلاً من (وظهرت).
(٣) يقصد بعض خلفاء بني العباس الذين انتصروا لمقالة المعتزلة بخلق القرآن كالمأمون ومن جاء بعده.
(٤) يقصد إمام أهل السنَّة الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ، ومن ثبت على قوله في فتنة القول بخلق القرآن.
(٥) في ط (بد) بسقوط الألف.
(٦) في ط (لم يبتد) بسقوط الهمزة.

فصل

مناقشتهم في دعواهم أن الأقانيم صفات جوهرية تجري مجرى الأسماء

وأما قولهم: هذه صفات جوهرية تجري مجرى أسماء.

فإن أرادوا بقولهم: جوهرية أن كل صفة جوهر، فهذا كلام ظاهر الفساد، فإن الصفة القائمة بغيرها لا تكون جوهراً قائماً بنفسه، ومن ظن أن حرارة النار القائمة بها جوهر قائم بنفسه كالنار، فهو إما مصاب في عقله، وأما مسفسط معاند.

والأول: يستحق علاج المجانين.

والثاني: يستحق العقوبة التي تردعه عن العناد.

ثم إن[1] جاز أن تكون الصفة جوهراً كانت القدرة أيضاً جوهراً.

وإن أرادوا بقولهم[2] جوهرية أنها صفات ذاتية، وغيرها صفات فعلية كالخالق والرازق، فمعلوم أن صفاته الذاتية منها القدرة وغيرها فلم[3] تنحصر في هذه.

وأيضاً فالكلام، وإن كان قائماً بذاته، فقيل: هو متعلق بمشيئته وقدرته، وهو قول السلف والأكثرين، وقيل: ليس كذلك.

والمتكلم قيل: هو من فعل الكلام ولو كان منفصلاً عنه، وقيل هو من قام به الكلام، وإن لم يكن بمشيئته وقدرته، وقيل: المتكلم من قام

---

(١) (إن) ساقطة من أ.

(٢) في ط (بقوله) بدلاً من (بقولهم).

(٣) في ط، س، ك (لم) بسقوط (فـ).

به الكلام بمشيئته وقدرته، وهذا قول السلف والأكثرين، فبطل قولهم على كل تقدير.

وإن أرادوا بالجوهرية أنها ذاتية مقومة، وباقي الصفات عرضية على رأي أهل المنطق اليونان الذين يفرقون في الصفات اللازمة للموصوف بين هذا وهذا، كان هذا فاسداً من وجوه:

منها: أن تفريق هؤلاء في الصفات اللازمة للموصوف بين صفة وصفة، وجعل بعضها ذاتياً مقوماً داخلاً في الماهية، وبعضها عرضياً لاحقاً خارجاً عن الماهية، كلام باطل عند جماهير نظار الأمم من أهل الملل، وغيرهم، كما قد بسط الكلام عليه في الرد على هؤلاء المتفلسفة، وبين أن ما يدعونه من تركيب[1] الأنواع من الأجناس والفصول إنما هو تركيب[2] في الأذهان لا حقيقة له في الأعيان، وأن ما يقوم بالأذهان يختلف باختلاف تصور الأذهان.

فتارةً يتصور الشيء مجملاً، وتارة يتصوره مفصلاً[3]، وما سموه تمام الماهية، والداخل في الماهية، والخارج عنها اللازم لها يعود عند التحقيق إلى ما يدل عليه اللفظ بالمطابقة والتضمن والالتزام.

ومدلول اللفظ هو بحسب ما يعنيه المتكلم ويقصده ويتصوره، وهذا يختلف باختلاف إرادات الناس لا يرجع ذلك إلى حقيقة عقلية ولا صفة ذاتية للموجودات.

ولهذا لما كان كلامهم باطلاً لم يمكنهم ذكر فرق صحيح بين

---

(١) في ط (تركب) بدلاً من (تركيب).
(٢) في ط (تركب) بدلاً من (تركيب).
(٣) في ط (متصلاً) بدلاً من (مفصلاً).

الذاتي والعرضي اللازم إذا كان كلاهما لازماً للموصوف، بل ذكروا ثلاثة فروق، والثلاثة باطلة، واعترف حذاقهم ببطلانها، كقولهم إن الذاتي يثبت للموصوف بلا وسط[1]، والعرضي اللازم إنما يثبت بوسط.

ثم حذاقهم يفسرون الوسط بالدليل، كما فسره ابن سينا[2].

ومنهم من يفسر الوسط بصفة قائمة للموصوف، كما يفسره الرازي[3] وغيره، وهؤلاء لم يفهموا مراد أولئك فزاد غلطهم، وأولئك أرادوا بالوسط الدليل، كما يريدون بالحد الأوسط ما يقرن[4] باللام في قولك (لأنه) فصار العرضي اللازم عندهم ما يعلم ثبوته للموصوف بدليل، وهذا لا يرجع إلى حقيقة ثابتة في نفس الأمر، بل هذا أمر يتعلق بالعالم بالصفات.

فمنهم من يكون تام التصور فيعلم لزوم الصفة للموصوف بلا دليل.

---

(١) في أ (توسط) بدلاً من (وسط).

(٢) الحسين بن عبد الله بن سينا أبو علي شرف الملك الفيلسوف الرئيس صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبقات والإلّهيات أصله من بلخ ومولده في إحدى قرى بخارى سنة ٣٧٠هـ، ونشأ وتعلم بها وطاف البلاد وعاد في آخر حياته إلى همزان ومات بها سنة ٤٢٨هـ.
قال ابن القيم: كان ابن سينا هو وأبوه من أهل دعوة الحاكم من القرامطة الباطنيين.
انظر: وفيات الأعيان ١٥٧/٢؛ الأعلام للزركلي ٢٦١/٢؛ إغاثة اللهفان ٢٦٦/٢.

(٣) هو: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري أبو عبد الله فخر الدين الرازي الإمام المفسر قرشي النسب أصله من طبرستان ولد في الري سنة ٥٤٤هـ، ورحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان وتوفي في وهران سنة ٦٠٦هـ، وكان يحسن الفارسية وكان واعظاً بارعاً بها وبالعربية أيضاً له كتب كثيرة من أشهرها «مفاتيح الغيب» في تفسير القرآن الكريم وكتب في التوحيد وعلم الكلام والبلاغة وغيرها.
انظر: وفيات الأعيان ٢٤٨/٤؛ وشذرات الذهب ٢١/٥؛ والأعلام ٢٠٣/٧.

(٤) في ط، س، ك (يعرف) بدلاً من (يقرن).

ومنهم من لا يكون تام التصور فلا يعلم ذلك إلَّا بدليل، ثم كل ما كان مستلزماً لشيء، فإنه يمكن الاستدلال به عليه، إذا كان الدليل هو الذي يلزم من تحققه تحقق المدلول[1]، فيكون الوسط كل ما كان مستلزماً للعرض[2]، فيكون العرض[3] لازم اللازم.

وهم معترفون بأن من العرضيات ما يلزم بلا وسط، وقد مثلوا ذلك بالزوجية والفردية في العدد، كالعلم[4] بأن الأربعة زوج، والثلاثة فرد، وإن كان ظاهراً، لكن العلم بأن خمسمائه وثلاثة وأربعين نصف ألف وستة وثمانين، قد يفتقر إلى دليل، وقد[5] يفتقر إلى[6] تأمل وفكر.

وهم يقولون ما يقول[7] ابن سينا ـ أفضل متأخريهم، وغيره من أن العرض المنقسم إلى الكيف والكم وغير ذلك هو ذاتي لموصوفاته.

واللون المنقسم إلى السوداء والبياض هو ذاتي للمتلون، والسوادية والبياضية[8] صفتان ذاتيتان[9]، بخلاف الزوجية والفردية.

قالوا: لأن كون هذا أسود وأبيض وعرضاً قائماً بغيره، لا يفتقر إلى استدلال ونظر بخلاف كون هذا العدد زوجاً أو فرداً، فإن هذا[10] قد يفتقر إلى نظر واستدلال، فإنه ينقسم إلى قسمين متساويين أو لا ينقسم.

---

(١) في أ (الدليل) بدلاً من (المدلول).
(٢) في أ (العرضي) بدلاً من (العرض).
(٣) في أ (العرضي) بدلاً من (العرض).
(٤) في ط (فإن العلم) بدلاً من (كالعلم).
(٥) في س، ك (قد) بسقوط الواو.
(٦) (دليل، وقد يفتقر إلى) ساقطة من أ.
(٧) في ط (يقول) بدلاً من (يقوله).
(٨) في أ (السواد والبياض) بدلاً من (السوادية والبياضية).
(٩) في ك، أ، س (ذاتية) بدلاً من (ذاتيتان).
(١٠) (هذا) ساقطة من ط.

ومعلوم أن هذا فرق يعود إلى علم العالم بهذه الصفات، هل هو جلي أو خفي وهل يفتقر إلى نظر واستدلال أو لا يفتقر، ليس[1] هو فرقاً يعود إلى الصفة في نفسها ولا إلى موصوفها، فعلم أنه ليس بين ما جعلوه ذاتياً مقوماً داخلاً في الماهية، وما جعلوه عرضياً لازماً خارجاً عن الماهية فرق يعود إلى نفس الماهية التي هي الذات الموصوفة الموجودة في الخارج، ولا إلى صفاتها، بل جميع صفاتها اللازمة لها، سواء في ذلك، وليست الماهية مركبة من هذا دون هذا، ولا فيها شيء يتقدم على الماهية في الوجود الخارجي، كما يقولون: أن الذاتي يتقدم على الماهية في الوجود والذهن.

ولا الصفات جواهر موجودة في الخارج لها أجزاء كأجزاء الأجسام المركبة، وإنما هي صفات قائمة بالموصوف يمتنع تقدم شيء منها على الموصوف.

ولكن إذا قيل في الإنسان: هو جسم حساس تام متحرك بالإرادة ناطق فهنا قد يتصور الذهن هذه الأمور، ويعبر عنها، فكل واحد منهما جزء من الجملة التي في ذهنه ولسانه.

والجملة التي في ذهنه ولسانه مركبة من هذه الأجزاء لا أن الإنسان الموجود في الخارج مركب من هذه الأجزاء، وأنها متقدمة عليه أو أنها جواهر، فإن هذا كله مما يعلم بصريح العقل أنه باطل، لكن هؤلاء المتفلسفة اليونان، ومن اتبعهم كثيراً ما يشتبه عليهم ما يتصورونه في الأذهان بما يوجد في الأعيان، كما أثبت من أثبت من[2] قدمائهم مثل

(١) في ط (أوليس) بزيادة (أو).
(٢) (أثبت من) ساقطة من أ، (من) ساقطة من ط.

فيثاغورس[1] وأتباعه أعداداً مجردة موجودة في الخارج[2].

وقد رد ذلك عليهم سائر العقلاء، كما رده من بعده منهم.

وقالوا: إن العدد المجرد، والمقدار المجرد إنما يوجد في الذهن لا في الخارج، وإنما يوجد في الخارج المعدودات والمقدرات[3]، مثل الأجسام المتفرقة التي تعد كالكواكب، أو المتصلة التي تقدر كالأفلاك، وذلك هو المتصف بالكم المتصل والكم المنفصل الموجود[4] في الخارج.

وأثبت أصحاب أفلاطون[5] الكليات العقلية في الخارج التي يسمونها[6] «المثل الأفلاطونية» وزعموا أنها قديمة أزلية، وأثبتوا بعداً

---

(١) في ط: (فيثاغورث) بدلاً من (فيثاغورس).
هو فيلسوف يوناني شهير، ولد في ساموس من بلاد اليونان سنة ٥٧٢ أو ٥٨٠ق.م. تقريباً، ويقال أنه زار مصر ودرس الحكمة على أيدي الكهنة وتعلم الفلك والهندسة، ويقال أنه مات سنة ٥٢٩ق.م. وكان يرى أن العالم أشبه بعالم الأعداد منه بأي عالم آخر، وكان يقول بتناسخ الأرواح.
انظر: كتاب «فيثاغورس» لمصطفى غالب ـ نشر دار الهلال بيروت؛ والملل والنحل ٢/٧٤.

(٢) انظر: الملل والنحل ٢/٧٤ وما بعدها تجد معنى كلام فيثاغورس.

(٣) في ط، أ (المقدورات) بدلاً من (المقدرات).

(٤) في ك، س (الوجود) بدلاً من (الموجود).

(٥) في س، أ، ك (أفلاطن) بدلاً من (أفلاطون).
هو: أفلاطون بن أرسطن بن أرسطو فليسن، فيلسوف مشهور ولد في أثينا عاصمة بلاد اليونان سنة ٤٢٧ق.م. وتتلمذ على سقراط وهو في العشرين من عمره واطلع على كتب الفلسفة ورحل إلى كثير من الأقطار يعلم الفلسفة ويكتب في مختلف الفنون، له مؤلفات ترجم البعض منها إلى اللغة العربية ومات سنة ٣٤٧ق.م.
انظر: الملل والنحل للشهرستاني ٢/٨٨؛ ودائرة المعارف الإسلامية ٢/٤٢٩.

(٦) في أ (سموها) بدلاً من (يسمونها).

موجوداً مجرداً[1] جوهراً: هو الخلاء، وجوهراً قائماً بنفسه: هو الدهر، وجوهراً مجرداً قائماً بنفسه: هو المادة والهيولىٰ الأزلية.

وهذه كلها إنما تتصور[2] في الأذهان لا في الأعيان، بل وما أثبتوه من العقول المجردة العشرة هي أيضاً عند التحقيق ترجع إلى ما يجرده الذهن، ويقدره فيه، لا إلى موجود في الخارج.

وأصل قولهم: المجردات والمفارقات هو مأخوذ من مفارقة النفس الناطقة[3] للبدن بالموت، وهذا حق، فإن الذي عليه الأنبياء وأتباعهم، وجمهور العقلاء أن الروح تفارق البدن، وتبقى بعد فراق البدن، ومن قال من متكلمة أهل الملل أنه لا يبقى بعد البدن روح تفارقه، وأن الروح جزء من البدن أو عرض من أعراض البدن، فقوله مع أنه خطأ في العقل الصريح، هو أيضاً مخالف لكتب الله المنزلة ولرسله، ولمن اتبعهم من جميع أهل الملل، وهذه الأمور مبسوطة في غير هذا الموضع.

والمقصود هنا التنبيه على أن تفريق هؤلاء اليونانيين في الصفات اللازمة للموصوف بين الصفات الذاتية والعرضية اللازمة، وجعلهم اللازمة: منها ما هو لازم للماهية، ومنها ما هو لازم لوجودها، هو مبني على أصلين فاسدين لهم خالفهم فيها جمهور عقلاء الأمم من نظار أهل الملل وغيرهم.

أحد الأصلين: هو ما تقدم من جعلهم الصفات اللازمة للموصوف هي في الخارج منقسمة إلى ذاتي جزء من الماهية داخل فيها، وإلى عرضي خارج عنها لازم لها.

---

(١) (مجرداً) ساقطة من ط.

(٢) في ك (يتصور) بدلاً من (تتصور).

(٣) (الناطقة) ساقطة من س، ك.

والثاني: زعمهم أن كل موجود ممكن، وله في الخارج ماهية هي ذاته، وحقيقته غير الموجود المعلوم المعين الثابت في الخارج، وهذا أيضاً مما اشتبه عليهم فيه ما في الذهن بما في الخارج.

فإنه إذا أريد بالماهية ما يتصور في الذهن، وهو المقول[1] في جواب ما هو، وبالوجود[2] ما هو ثابت متحقق في الخارج، فمعلوم أن هذا غير هذا، كما يقولون: إنا نتصور المثلث قبل أن نعلم وجوده في الخارج فعلم[3] أن[4] ماهية المثلث غير المثلث الموجود في الخارج.

فإنه يقال لهم إن أردتم أن[5] ما يتصور في الذهن من المثلث غير الموجود[6] في الخارج فهذا[7] حق، لكن ليس في هذا ما يدل على أنه في الخارج عن الذهن شيئين:

أحدهما: ماهية المثلث التي هي حقيقته وذاته.

الثاني: المثلث الموجود الذي هو زاوية الحائط.

وإن أردتم أن في الخارج شيئين، فهذا غلط، وهذا الموضع مما اشتبه على كثير من النظار حتى صار بعض أكابرهم حائراً متوقفاً.

وبعضهم يختلف قوله ويتناقض، وسبب ذلك عدم تمييزهم بين ما يتصور في الأذهان وبين ما يوجد في الأعيان، ثم هذا الموضوع[8]

---

(١) في ط (القول) بدلاً من (المقول).
(٢) في أ (بالموجود) بدلاً من (بالوجود).
(٣) في ط (فمعلم) بدلاً من (فعلم).
(٤) (أن) ساقطة من س.
(٥) (أن) ساقطة من س.
(٦) في ط (الوجود) بدلاً من (الموجود).
(٧) في ط (وهذا) بدلاً من (فهذا).
(٨) في س، أ، ك (الموضع) بدلاً من (الموضوع).

نقلوه إلى الكلام في صفات الله اللازمة له[١]، كحياته[٢] وعلمه وقدرته، هل هي ذاتية أو عرضية؟

فإن قيل: ذاتية لزم أن تكون[٣] له أجزاء متقدمة عليه تركب منها، وإن كانت عرضية لازمة لزم أن يكون قابلاً وفاعلاً. فإن كونه فاعلاً غير كونه قابلاً فلزم أن يكون فيه جهتان، وهذا من التركيب الذي زعموه منتفياً، وذلك يستلزم التركيب، وهو التركيب من الذاتيات، وقد بيّن فساد هذا من وجوه متعددة:

منها: أن التركيب المعقول هو تركيب الحيوان والنبات والمعادن من أبعاضه وأخلاطه، وتركيب المبنيات والملبوسات والأطعمة والأشربة من أبعاضها وأخلاطها[٤].

وأما[٥] تركيب[٦] الأجسام من الجواهر المنفردة أو من المادة والصورة فهذا مما تنازع فيه جمهور العقلاء، وكذلك تركيب[٧] الشيء من الموجود، والماهية سواء كان واجباً أو ممكناً هو مما تنازع فيه[٨] جمهور العقلاء وكذلك تركبه من الصفات الذاتية المشتركة، والمميزة التي يسمونها: الجنس، والفصل.

---

(١) (له) ساقطة من س، أ.

(٢) في أ (لحياته) بدلاً من (كحياته).

(٣) في أ (يكون) بدلاً من (تكون).

(٤) في ك، س (واختلاطها) بدلاً من (وأخلاطها).

(٥) في ط (وأما) بسقوط الواو.

(٦) في س، ك (تركب) بدلاً من (تركيب).

(٧) في س، ك (تركب) بدلاً من (تركيب).

(٨) في أ (ما نقله) بدلاً من (مما تنازع)، في س، ك (مما نفاه) بدلاً من (مما تنازع فيه).

وأما اتصاف الذات بصفات تقوم بها، فهذا هو الذي يعرفه عامة العقلاء، ولكن لا يسمون هذا تركيباً، فمن سماه تركيباً لم يكن نزاعه اللفظي قادحاً فيما علم بالأدلة السمعية والعقلية.

ثم هم يقولون: المركب يفتقر إلى أجزائه، وأجزاؤه غيره، وواجب الوجود لا يفتقر إلى غيره، وهذه كلها ألفاظ مجملة، فإن لفظ الافتقار هنا لم يعنوا به افتقار المفعول إلى فاعله، ولا المعلول إلى علته الفاعلية، فإن جزء الشيء لا يكون فاعله ولا علته الموجبة له، بل يريدون به التلازم والاشتراط، فإن وجود المجموع مستلزم لوجود أجزائه، وهو مشروط بذلك.

ومنها: أن لفظ الجزء ليس[1] مرادهم جزءاً مبايناً للجملة، فإن جزء الجملة ليس مبايناً لها.

ومنها: لفظ الغير، فإنه يراد بالغيرين ما يجوز مباينة أحدهما لصاحبه، أو مفارقته له بزمان أو مكان أو وجود، ويراد بهما ما يجوز العلم بأحدهما دون الآخر، وبعض المجموع وصفة الموصوف لا يجب أن تفارقه وتباينه بل قد يجوز أن تباينه ويجوز أن لا تباينه.

فصفات الرب ـ عزّ وجل ـ اللازمة له لا يجوز أن تفارقه وتباينه، وحينئذٍ فمن الناس من لا يسميها غيراً له، ومن سماها غيراً له فذاته مستلزمة لها، ليست الصفات فاعلة للذات، ولا علة موجبة لها.

ولفظ واجب الوجود يراد به الموجود بنفسه الذي لا فاعل له، ولا علة فاعلة له[2]، وذات الرب ـ عز وجل ـ وصفاته واجبة الوجود بهذا الاعتبار، ويراد به مع ذلك المستغني عن محل يقوم به، والذات

---

(١) في س، أ، ك (فليس) بزيادة (فـ).

(٢) (له) ساقطة من ط، ك، س.

بهذا المعنى واجبة دون الصفات، ويراد به ما لا تعلق له بغيره، وهذا لا حقيقة له، فإن الرب ـ تعالى ـ له تعلق بمخلوقاته لا سيما عند هؤلاء الفلاسفة الدهرية الذين يقولون: إنه موجب بذاته للأفلاك مستلزم لها، فيجعلونه ملزوماً لمفعولاته، فكيف ينكرون أن تكون ذاته ملزومة لصفاته؟

وهؤلاء المتفلسفة اليونانيون الذين يسمون «المشائين»[1] أتباع أرسطو[2] صاحب التعاليم: المنطق الطبيعي، والرياضي، والإلّهي، يقولون: إن موضوع العلم الطبيعي متعلق بالمادة في الذهن، والخارج من الجسم وأحكامه.

والثاني الرياضي: وهو متعلق بالمادة في الخارج لا في الذهن، فإنه لا يوجد عدداً ولا مقداراً في الخارج إلّا في جسم في الخارج أو عرض معدود، أو مقدر منفصل بخلاف الذهن، فإنه يجرد أعداداً ومقادير مجردة عن المعدودات والمقدرات[3].

والثالث: الذي يسمونه علم ما بعد الطبيعة باعتبار السلوك العلمي، وهو علم ما قبلها باعتبار الوجود العيني، ويسمونه أيضاً «العلم الإلّهي» وموضوعه عندهم: المجرد عن المادة في الذهن والخارج، وهو الموجود من حيث هو موجود[4]، وانقسامه إلى جوهر وعرض، وانقسام الجوهر إلى جسم وغير جسم، وانقسام الجسم إلى المادة والصورة والعقول والنفوس.

---

(١) سبق التعريف بهم.
(٢) سبقت ترجمته.
(٣) في ط، س، أ (المقدورات) بدلاً من (المقدرات).
(٤) في ك (موجودة) بزيادة (ة).

والعلة الأولى يسميها أرسطو وأتباعه جوهراً، ولا يسميها واجب الوجود. وأما متأخروهم كابن سينا وأتباعه يسمونها واجب الوجود، ولا يسمونها جوهراً، والكلام على هؤلاء مبسوط في موضع آخر، إذ المقصود هنا أن هذه الأمور التي يقولون هي موضوع العلم الإلّهي، وهي[1] المجردة عندهم عن المادة في الذهن والخارج، هي عند التحقيق وجودها في الأذهان، لا في الأعيان.

فإن الوجود العام الكلي لا يوجد عاماً كلياً إلَّا في الأذهان لا في الأعيان كما أن الإنسان العام الكلي، والحيوان العام الكلي لا يوجد عاماً كلياً إلَّا في الأذهان[2]، لا في الأعيان.

وقد بسط الكلام على هؤلاء في غير هذا الموضع ،وبين أن اليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل، أقرب إلى الحق في الأمور الإلّهية منهم.

وهذه الأمور مبسوطة في موضع آخر، ولكن نبهنا عليها لتعلقها هنا بقول هؤلاء النصارى: إن صفات الرب الثلاث هي جوهرية دون غيرها، وأنهم إن عنوا بذلك ما يعنيه هؤلاء بالذاتية، فقولهم[3] باطل مبني على أصل باطل.

فإن تفريق هؤلاء اليونان في الصفات اللازمة بين الذاتي والعرضي اللازم للموجود[4]، والعرضي اللازم[5] للماهية، والعرضي اللازم

---

(١) في ط (هي) بسقوط (الواو).
(٢) في ط (الذهن) بدلاً من (الأذهان).
(٣) في س (هولهم) بدلاً من (فقولهم).
(٤) في س (الموجود) بدلاً من (للموجود).
(٥) (للموجود والعرض اللازم) ساقطة من أ.

للموصوف[1] فرق باطل، وقد ذكروا[2] ثلاث[3] فروق كلها باطلة، كما تقدم:

الأول: الوسط.

والفرق الثاني: تقدم الذاتي ذهناً، ووجوداً، بخلاف اللازم العرضي.

والثالث: توقف الحقيقة على الذات.

وقد تبين بطلان هذا في غير هذا الموضع.

والنصارى ليس مرادهم بالجوهرية ما يريده هؤلاء بالذاتية، فلهذا لم نبسط الكلام عليه، بل يقولون: إن الثلاثة جواهر، وهؤلاء المنطقيون يفرقون بين اللازم للماهية، واللازم لوجودها بناء على أن في الخارج شيئين: الوجود، وماهية أخرى غير الوجود.

والكلام على هذا كله مبسوط في موضع آخر.

ومنها: أنه لو قدر أن صفات الموصوفات اللازمة لها تنقسم إلى ذاتي مقوم، وعرضي لازم، وأن صفات الرب سبحانه كذلك، لم يكن تخصيص العلم بأنه ذاتي أولىٰ من القدرة، فليس ذكر القائم[4] بنفسه الحي العالم بأولى من ذكر القائم[4] بنفسه الحي القادر.

والنصارى لما كانت الأقانيم عندهم ثلاثة، وزعموا أن الشرع المنزل دل على ذلك، وكانوا في ذلك مخالفين للشرع المنزل إليهم،

---

(١) (والعرضي اللازم للموصوف) ساقطة من أ.

(٢) في أ (ذكر) بدلاً من (ذكروا).

(٣) (ثلاث) ساقطة من أ.

(٤) في س (العالم) بدلاً من (القائم).

كما قد بسط في موضعه ـ صار طائفة منهم يقولون: موجود حي عالم، وطائفة يقولون موجود عالم قادر، فيجعلون القادر مكان الحي، ويجعلون روح القدس هو القدرة.

وهذا القول وإن كان أحسن في المعنى، لكن تفسير روح القدس بالقدرة[1] في غاية البعد الذي يظهر فساده لكل أحد.

ولا بد لهم من إثبات أقنوم الكلمة الذي يقولون تارة: هي العلم، وتارة: هي الحكمة، ويسمونها تارة: النطق، كما سموها في كتابهم هذا، لأن الذي اتحد بالمسيح عندهم هو[2] أقنوم الكلمة، فصاروا تارة يضمون إليها الحياة، وتارة يضمون إليها القدرة.

والأب تارة يقولون: هو الوجود، وتارة يقولون: القائم بنفسه، وتارة يقولون: الذات، وتسمى القائم بنفسه بالسريانية: الكيان، وتارة يقولون: الجود.

وكل هذا من الحيرة والضلال، لأنهم لا يجدون ثلاث معاني هي المستحقة لأن تكون جوهرية دون غيرها من الصفات سواء فسرت الجوهرية بأنها جواهر، أو بأنها ذاتية مقومة أو بغير ذلك.

ومنها: قولهم: تجري مجرى أسماء، فإن أرادوا بذلك أسماء أعلام أو جامدة، وسائرها صفات، فاسم الحي والعالم اسم مشتق يدل على معنى العلم والحياة، كما يدل القدير على القدرة، وإن أرادوا أنه يسمى بها، فللَّه ـ تعالى ـ أسماء كثيرة، فإنه سبحانه له الأسماء الحسنى.

---

(١) في أ (والقدرة) بدلاً من (بالقدرة).
(٢) في ط (هي) بدلاً من (هو).

ومن أسمائه القدير، والقدرة تستلزم من قدرته على المخلوقات ما لا يدل عليه العلم، وخلقه للمخلوقات يدل[1] على قدرته أبلغ من دلالته على علمه، واختصاصه بالقدرة أظهر من اختصاصه بالعلم، حتى إن طائفة من النظار كأبي الحسن الأشعري[2] وغيره يقول: أخص وصفه القدرة على الاختراع، فلا يوصف بذلك غيره.

والجهم بن صفوان[3] قبله يقول: ليس في الوجود قادر غيره، ولا لغيره قدرة. والأشعري وإن أثبت للمخلوق قدرة، لكن يثبت قدرة لا تؤثر في المقدور، ولم يقل أحد من العقلاء إن أخص وصفه الحياة والعلم، ولا إن غيره ليس بحي، ولا عالم فكان جعل القدير اسماً وغيره صفة إن كان الفرق حقاً أولى من العكس، فكيف إذا كان الفرق باطلاً فإن أسماءه ـ تعالى ـ التي يعرفها الناس هي أسماء وهي صفات في اصطلاح أهل العربية تدل على معاني، هي صفاته القائمة به.

فالحي يدل على الحياة، والعليم يدل على العلم، والقدير يدل على القدرة، هذا مذهب سلف الأمة وجماهير الأمم، ومن الناس فرقة شاذة تزعم أن هذه الأسماء لا تدل على معاني كأسماء الأعلام، وقد تنازع الناس فيما يسمى به سبحانه، ويسمى به غيره كالحي والعليم والقدير.

فالجمهور على أنه حقيقة فيهما. وقالت طائفة كأبي العباس الناشي[4]: إنها حقيقة في الرب ـ عز وجل ـ مجاز في المخلوق،

---

(١) في س، أ، ك (دل) بدلاً من (يدل).

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن عبد الله بن مالك، الناشىء الأنباري المعروف =

وقالت طائفة عكس هؤلاء من الجهمية والملاحدة والمتفلسفة إنها مجاز في الرب ـ عز وجل ـ حقيقة في المخلوق، والأولون هي عندهم متواطئة، وقد يسمونها مشككة لما فيها من التفاضل، وبعضهم يقول: هي مشتركة اشتراكاً لفظياً.

● ● ●

= بابن شرشير من الشعراء المجيدين، ويعد في طبقة ابن الرومي والبحتري، وهو الناشىء الأكبر وكان نحوياً عروضياً متكلماً ـ أصله من الأنبار وأقام ببغداد مدة طويلة ثم خرج إلى مصر وأقام بها إلى آخر عمره وله قصيدة على روي واحد وقافية واحدة في أربعة آلاف بيت، وكانت وفاته بمصر سنة ٢٩٣هـ. ذكر ابن كثير أنه معتزلي.
انظر: البداية والنهاية ١١/١٠١.
انظر: وفيات الأعيان ٣/٩١؛ وشذرات الذهب ٢/٣١٤؛ والأعلام للزركلي ٤/٢٦١.

فصل

إبطال تمثيلهم الصفات بشعاع الشمس

وأما قولهم: كل صفة منها غير الأخرى:

فهذا إن أرادوا به أن صفات الرب ـ سبحانه وتعالى ـ قد تباينه وتنفصل عنه، وهو حقيقة قولهم: ويقولون مع ذلك[1] أنها متصلة به[2] فهو جمع بين النقيضين، وتمثيلهم بشعاع الشمس تمثيل باطل، وهو حجة عليهم لا لهم.

فإن الشعاع القائم بالهواء والأرض والجبال والشجر والحيطان، ليس هو قائم بذات الشمس.

والقائم بذات الشمس، ليس هو قائماً بالهواء والأرض.

فإن قالوا: بل[3] ما يقوم به من العلم يفيض منه على قلوب الأنبياء علوم، كما يفيض الشعاع من الشمس.

قيل لهم: لا اختصاص للمسيح بهذا، بل هذا قدر مشترك بينه وبين غيره من الأنبياء، وليس في[4] هذا حلول ذات الرب ولا صفته[5] القائمة به بشيء من مخلوقاته، ولا أن العبد بما حل فيه من العلم والإيمان يصير إلٓهاً معبوداً.

---

(١) في س، ك (مع ذلك) مكررة.
(٢) في أ (أنها متصلة به مع ذلك) بدلاً من (مع ذلك أنها متصلة به).
(٣) (بل) ساقطة من ط .
(٤) (في) ساقطة من س، أ، ك.
(٥) في ط (وصفته) بزيادة واو.

وإن أرادوا أنها قائمة به، وتسمى كل واحدة غير الأخرى، فهنا نزاع لفظي، هل تسمى غيراً أو لا تسمى غيراً؟

فإن من الناس من يقول: كل صفة للرب ـ عز وجل ـ فهي غير الأخرى، ويقول الغيران: ما جاز وجود أحدهما مع عدم الآخر، أو ما جاز العلم بأحدهما مع الجهل بالآخر.

ومنهم من يقول ليست هي الأخرى، ولا هي هي لأن الغيرين ما جاز وجود أحدهما مع عدم الآخر، أو ما جاز مفارقة أحدهما الآخر، بزمان أو مكان أو وجود.

والذي عليه سلف الأمة وأئمتها إذا قيل لهم علم الله وكلام الله، هل هو غير الله أم لا؟ لم يطلقوا النفي ولا الإثبات، فإنه إذا قال غيره أوهم أنه مباين له[1].

وإذا قال ليس غيره أوهم أنه هو، بل يستفصل السائل، فإن أراد بقوله غيره أنه مباين له منفصل عنه فصفات الموصوف لا تكون مباينة له منفصلة عنه، وإن كان مخلوقاً، فكيف بصفات الخالق؟

وإن أراد بالغير أنها ليست هي هو، فليست الصفة هي الموصوف، فهي غيره بهذا الاعتبار، واسم الرب تعالى إذا أطلق يتناول الذات المقدسة بما يستحقه من صفات الكمال، فيمتنع وجود الذات عرية عن صفات الكمال.

فاسم الله يتناول الذات الموصوفة بصفات الكمال، وهذه الصفات ليست زائدة على هذا المسمى، بل هي داخلة في المسمى، ولكنها

---

(١) في ط و أ و ك (قيل لهم غيره أوهم أنه مباين له) بدلاً من (قال غيره أوهم أنه مباين له)؛ وفي ط (مباين لهم) بدلاً من (مباين له).

زائدة على الذات المجردة التي تثبتها نفاة الصفات، فأولئك لما زعموا أنه ذات مجردة قال هؤلاء بل الصفات زائدة على ما أثبتموه من الذات.

وأما في نفس الأمر، فليس هناك ذات مجردة تكون الصفات زائدة عليها، بل الرب ـ تعالى ـ هو الذات المقدسة الموصوفة بصفات الكمال، وصفاته داخلة في مسمى أسمائه ـ سبحانه وتعالى ـ .

● ● ●

فصل

بيان تناقض قول النصارى في عقيدة إيمانهم

وقولهم: فالإله واحد، خالق واحد، رب واحد[١].

هو حق في نفسه، لكن قد نقضوه بقولهم في عقيدة إيمانهم: (نؤمن برب واحد، يسوع المسيح[٢] ابن الله الوحيد، إلّه حق من إلّه حق، من جوهر أبيه، مساوٍ الأب في الجوهر) فأثبتوا هنا الهين، ثم أثبتوا روح القدس إلّهاً ثالثاً، وقالوا إنه مسجود له، فصاروا يثبتون ثلاثة آلهة، ويقولون: إنما نثبت إلّهاً واحداً، وهو تناقض ظاهر، وجمع بين النقيضين بين الإثبات والنفي.

ولهذا قال طائفة من العقلاء، إن عامة مقالات الناس يمكن تصورها إلَّا مقالة النصارى، وذلك أن الذين وضعوها لم يتصوروا ما قالوا، بل تكلموا بجهل، وجمعوا في كلامهم بين النقيضين، ولهذا قال بعضهم: لو اجتمع عشرة[٣] نصارى لتفرقوا عن أحد عشر قولاً، وقال آخر: لو سألت بعض النصارى وامرأته وابنه عن توحيدهم لقال الرجل قولاً، وامرأته قولاً آخر، وابنه قولاً ثالثاً.

• • •

(١) هذا من كلام النصارى في رسالة بولس الأنطاكي.

(٢) (المسيح) ساقطة من س، ك.

(٣) في ط، س، ك (عشر) بسقوط (ة).

فصل

وقولهم: (لا يتبعض ولا يتجزأ)، مناقض لما ذكروه في أمانتهم، ولما يمثلونه به.

فإنهم يمثلونه بشعاع الشمس، والشعاع يتبعض ويتجزأ، فإن ما يقوم منه بهذا الموضع بعض وجزء منه، ويمكن زوال بعضه مع بقاء بعض، فإنه إذا وضع على مطرح الشعاع شيء فصل ما بين جانبيه، وصار الشعاع الذي كان بينهما على ذلك الفوقاني فاصلاً بين الشعاعين السافلين.

يبين ذلك أن الشعاع قائم بالأرض والهواء، وكل منهما متجزىء متبعض، وما قام بالمتبعض فهو متبعض، فإن الحال يتبع المحل، وذلك يستلزم[1] التبعض[2] والتجزىء فيما قام به.

ويقولون أيضاً: إنه اتحد بالمسيح وأنه صعد إلى السماء، وجلس عن يمين الأب، وعندهم أن اللاهوت منذ اتحد بالناسوت لم يفارقه، بل لما صعد إلى السماء، وجلس عن يمين الأب كان الصاعد عندهم[3] هو المسيح الذي هو ناسوت ولاهوت إله تام، وإنسان تام، فهم لا يقولون: إن الجالس عن يمين الأب هو الناسوت فقط، بل اللاهوت المتحد

(١) في أ (مستلزم) بدلاً من (يستلزم).

(٢) في ط، أ (التبعيض) بدلاً من (التبعض).

(٣) (عندهم) ساقطة من ك.

بالناسوت جلس عن يمين اللاهوت، فأي تبعيض وتجزئة أبلغ من هذا.

وليس هذا من كلام الأنبياء حتى يقال: إن له معنى لا نفهمه، بل هو من كلام أكابرهم الذي وضعوه وجعلوه عقيدة إيمانهم، فإن كانوا تكلموا بما لا يعقلونه، فهم جهال لا يجوز أن يتبعوا، وإن كانوا يعقلون[1] ما قالوه، فلا يعقل أحد من كون اللاهوت المتحد بالناسوت جلس عن يمين اللاهوت المجرد عن الاتحاد، إلَّا أن هذا اللاهوت المجرد منفصل مباين للاهوت المتحد، وليس هو متصلاً به، بل غايته أن يكون مماساً له، بل يجب أن يكون الذي يماس اللاهوت المجرد هو الناسوت مع اللاهوت المتحد به فهذا حقيقة التبعيض والتجزئة مع انفصال أحد البعضين عن الآخر.

وأيضاً فيقال لهم: المتحد بالمسيح أهو ذات رب العالمين، أم صفة من صفاته؟ فإن كان هو الذات[2]، فهو الأب نفسه، ويكون المسيح هو الأب نفسه، وهذا مما اتفق النصارى على بطلانه فإنهم يقولون: هو الله، وهو ابن الله، كما حكى الله عنهم، ولا يقولون هو الأب والابن[3]. والأب عندهم هو الله، وهذا من تناقضهم.

وإن قالوا المتحد بالمسيح صفة الرب فصفة الرب لا تفارقه، ولا يمكن اتحادها ولا حلولها في شيء دون الذات.

وأيضاً فالصفة نفسها ليست هي الإِله الخالق رب العالمين، بل هي صفته[4]، ولا يقول عاقل: إن كلام الله، أو علم الله، أو حياة الله، هي

---

(١) في ط (لا يعقلون) بزيادة (لا).
(٢) في ط (ذات الأب) بدلاً من (الذات).
(٣) (الابن) ساقطة من س، أ، ك.
(٤) في ط (صفة) بدلاً من (صفته).

رب العالمين الذي خلق السماوات والأرض، فلو قدر أن المسيح هو صفة الله نفسها لم يكن هو الله، ولم يكن هو رب العالمين، ولا خالق السماوات والأرض.

والنصارى يقولون: إن المسيح رب العالمين خالق كل شيء، وهو خالق آدم ومريم، (وإن كان ابن آدم ومريم، فإنه خالق ذلك بلاهوته، وهو ابن آدم ومريم)[1] بناسوته.

فلو قدر أن المسيح هو صفة الرب لم تكن الصفة هي الخالق، فكيف والمسيح ليس هو صفة الله نفسها، بل هو مخلوق بكلمة الله، وسمى كلمة الله، لأن الله كونه (بكن)؟

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[2].

وسماه روحه، لأنه خلقه من نفخ روح القدس في أمه، لم يخلقه كما خلق غيره من أب آدمي.

قال الله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[3].

---

(١) ما بين القوسين ساقط من أ.

(٢) سورة مريم: الآيتان ٣٤، ٣٥. الآيتان ساقطتان من س، أ، ك.

(٣) سورة آل عمران: الآيات ٤٥ ــ ٤٧.

وإن قالوا: المتحد به بعض ذلك دون بعض، فقد قالوا بالتبعيض والتجزئة فهم بين أمرين: إما بطلان مذهبهم، وإما اعترافهم بالتبعيض والتجزئة مع بطلانه.

وأيضاً فقولهم: (إله حق من إله حق، من جوهر أبيه، مولود غير مخلوق، مساوٍ للأب في الجوهر، ابن الله الوحيد، المولود قبل كل الدهور).

يقال لهم: هذا الابن المولود المساوي للأب في الجوهر، الذي هو إله حق من إله حق، هل[1] هو صفة قائمة بغيرها؟ أو عين قائمة بنفسها؟

فإن كان الأول، فالصفة ليست إلهاً ولا هي خالقة، ولا يقال لها: مولودة من الله ولا أنها مساوية لله في الجوهر، ولم يسم قط أحد من الأنبياء، ولا أتباع الأنبياء صفات الله لا ابناً له ولا ولداً، ولا قال: إن صفة الله تولدت منه، ولا قال عاقل: إن الصفة القديمة تولدت من الذات القديمة.

وهم يقولون: إن المسيح إله خلق السماوات والأرض لاتحاد ناسوته بهذا الابن المولود قبل كل الدهور، المساوي[2] الأب في الجوهر.

وهذا كله نعت[3] عين قائمة بنفسها، كالجواهر القائمة بنفسها، لا نعت صفات قائمة بغيرها، وإذا كان كذلك كان[4] التبعيض والتجزئة

(١) (هل) ساقطة من ط.
(٢) في أ (ومساو) بدلاً من (المساوي).
(٣) (نعت) ساقطة من س.
(٤) (كان) ساقطة من ط.

لازمة لقولهم، فإن القول بالولادة الطبيعية مستلزم لأن يكون خرج منه جزء، قال ـ تعالى ـ :

﴿وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾[1].

وأما هذا المعنى الذي يثبته من يثبته من علماء النصارى ويسمونه ولادة وبنوة * فيسمونه الصفة القديمة الأزلية القائمة بالموصوف ابناً، ويسمونها تارة النطق، وتارة[2] الكلمة[3]، وتارة العلم، وتارة الحكمة، ويقولون: هذا مولود من الله، وابن الله.

فهذا لم يقله أحد من الأنبياء وأتباعهم، ولا من سائر العقلاء غير هؤلاء المبتدعة من النصارى، ولا يفهم أحد من العقلاء من اسم الولادة والبنوة هذا المعنى.

والأنبياء لم يطلقوا لفظ الابن إلاَّ على مخلوق[4]، وهم يقولون: هو أب للمسيح بالطبع، ولغيره بالوضع، فلا يعقل جمهور العقلاء[5]

---

(١) سورة الزخرف: الآيات ١٥ ــ ١٩.
في ط (عبد الرحمن) بدلاً من (عباد الرحمن).
(٢) (وتارة) ساقطة من ط.
(٣) في أ (بالكلمة) بزيادة (ب).
(٤) في أ (المخلوق) بزيادة (ال).
(٥) في س (النصارى) بدلاً من (العقلاء).

وغيرهم[1] من هذا المعنى[2] إلاَّ البنوة المعقولة بانفصال جزء من الوالد[3]، وهذا ينكره من ينكره من علمائهم.

لكنهم لم يتبعوا الأنبياء، (ولم يقولوا ما تعقله العقلاء، فضلوا فيما نقوله عن الأنبياء)[4]، وأضلوا أتباعهم فيما قالوه، وعوامهم وإن كانوا لا يقولون: إن ولادة الله مثل[5] ولادة الحيوان بانفصال شيء يوجد[6]، فيقولون: ولادة لاهوتية بانفصال جزء من اللاهوت حل في الناسوت لا يعقل من الولادة غير هذا *[7].

وأيضاً فقولهم: (ونؤمن بروح القدس الرب المحي المنبثق من الأب الذي هو مع الأب مسجود له وممجد ناطق في الأنبياء)، فقولهم المنبثق من الأب الذي هو مع الأب[8] مسجود له[9] وممجد، يمتنع أن يقال هذا في حياة الرب القائمة به، فإنها ليست منبثقة منه كسائر الصفات، إذ لو كان القائم بنفسه منبثقاً لكان علمه وقدرته، وسائر صفاته منبثقة[10] منه، بل الانبثاق في الكلام أظهر منه في الحياة، فإن الكلام يخرج من المتكلم، وأما الحياة فلا تخرج من الحي، فلو كان في

---

(١) في ط (وغيرهما) بدلاً من (وغيرهم).
(٢) (المعنى) ساقطة من س، ك، ط.
(٣) في ط (الولد) بدلاً من (الوالد).
(٤) ما بين القوسين ساقط من أ.
(٥) في أ (الولادة عن الله مثل هؤلاء) بدلاً من (أن ولادة الله مثل).
(٦) (يوجد) ساقطة من س.
(٧) في ك ما بين النجمتين كتب في وريقة إضافية مع ص ٣٠٠ في المخطوطة.
(٨) (مع الأب) ساقطة من ط، س، ك.
(٩) (له) ساقطة من ط، س.
(١٠) في ك، (مشتقة) بدلاً من (منبثقة).

الصفات ما هو منبثق لكان الصفة التي يسمونها الابن، ويقولون: هي العلم والكلام أو النطق والحكمة، أولى بأن تكون منبثقة[1] من الحياة التي هي أبعد عن ذلك من الكلام.

وقد قالوا أيضاً: إنه مع الأب مسجود له وممجد، والصفة القائمة بالرب ليست معه مسجود لها، وقالوا: هو ناطق في الأنبياء وصفة الرب القائمة به لا تنطق في الأنبياء، بل هذا كله صفة روح القدس الذي يجعله الله في قلوب الأنبياء، أو صفة ملك من الملائكة كجبريل، فإذا كان هذا منبثقاً من الأب، والانبثاق الخروج، فأي تبعيض وتجزئة أبلغ من هذا.

وإذا شبهوه بانبثاق الشعاع من الشمس كان هذا باطلاً من وجوه:

منها: أن الشعاع عرض قائم بالهواء والأرض، وليس جوهراً قائماً بنفسه، وهذا عندهم حي مسجود له، وهو جوهر.

ومنها: أن ذلك الشعاع القائم بالهواء والأرض ليس صفة للشمس، ولا قائماً بها وحياة الرب صفة قائمة به.

ومنها: أن الانبثاق خصوا به روح القدس، ولم يقولوا في الكلمة إنها منبثقة.

والانبثاق لو كان حقاً لكان[2] بالكلمة[3] أشبه منه بالحياة، وكلما تدبر العاقل[4] كلامهم في الأمانة وغيرها وجد فيه من التناقض والفساد

---

(١) (منبثقة) ساقطة من ط.

(٢) في ط (لكلام) بدلاً من (لكان).

(٣) في س (الكلام) بسقوط (بـ).

(٤) في ط (أجهل العاقل) بزيادة (أجهل).

مـا لا يخفى[1] إلاَّ على أجهل[2] العبـاد ووجد فيـه من مناقضتـه التـوراة والإنجيل، وسائر كتب الله ما لا يخفى من تدبر هذا، وهذا.

ووجـد فيه من منـاقضة صـريـح المعقـول[3] مـا لا يخفى إلاَّ على معاند أو جهول، فقولهم متناقض في نفسه، مخـالف لصريـح المعقول، وصحيـح المنقـول عن جميـع الأنبيـاء والمـرسلين ـ صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين ـ[4].

• • •

(١) في أ (يختفي) بدلاً من (يخفىٰ).
(٢) (أجهل) ساقطة من ط.
(٣) في س، ك (العقول) بدلاً من (المعقول).
(٤) (أجمعين) ساقطة من س، ك.

فصل

نقض قولهم أن اللطائف لا تظهر إلّا في الكثائف، ولهذا تجسّمت كلمة الله الخالقة بعيسى

قالوا[1]: وأما تجسم كلمة الله الخالقة[2] بإنسان مخلوق وولادتهما معاً أي الكلمة مع الناسوت، فإنه لم يخاطب الباري أحداً من الأنبياء إلّا وحياً أو من وراء حجاب، حسب ما جاء في هذا الكتاب بقوله:

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾[3].

وإذا كانت اللطائف لا تظهر إلّا في الكثائف[4] روح[5] القدس[6] وغيرها، فكلمة الله التي بها خلقت اللطائف والكثائف[4]، تظهر في غير كثيف[7] كلا.

ولذلك ظهر في[8] عيسى بن مريم، إذ الإنسان أجل ما خلقه الله، ولهذا خاطب الخلق، وشاهدوا منه ما شاهدوا[9].

---

(١) أي النصارى في رسالة بولس الإنطاكي الذي يحكي قولهم.

(٢) في أ (الخالق) بدلاً من (الخالقة).

(٣) سورة الشورى: من الآية ٥١.

(٤) في أ (الكتائف) بدلاً من (الكثائف)؛ وفي س، ك (الكتائف) بدون تنقيط الثاء.

(٥) في أ (الروح) بزيادة (ال).

(٦) (القدس) ساقطة من أ.

(٧) في ط (كشف)؛ وفي س، ك غير منقطة؛ وفي أ (كتيف). والسياق قبلها يؤيد كونها (كثيف) كما أثبتناه.

(٨) (في) ساقطة من ط .

(٩) انتهى كلامهم، والذي بعده جواب الشيخ عنهم.

والجواب من طرق:

أحدها: أنه يقال: هذا الذي ذكروه، وادعوا أنه تجسم كلمة الله الخالقة بإنسان مخلوق، وولادتهما معاً، أي الكلمة مع الناسوت، وهو الذي يعبر عنه باتحاد اللاهوت بالناسوت، هو أمر ممتنع في صريح العقل، وما علم أنه ممتنع في صريح العقل لم يجز أن يخبر به رسول، فإن الرسل إنما تخبر بما لا يعلم بالعقل أنه ممتنع، فأما ما يعلم بصريح العقل أنه ممتنع، فالرسل منزهون عن الإخبار عنه[1].

الطريق الثاني: أن الأخبار الإلّهية صريحة بأن المسيح عبد الله ليس بخالق العالم، والنصارى يقولون: هو إلّه تام وإنسان تام.

الطريق الثالث: الكلام[2] فيما ذكروه.

فأما الطريق الأول فمن وجوه:

أحدها: أن يقال: المتحد بالمسيح إما أن يكون هو الذات المتصفة بالكلام أو الكلام فقط، وإن شئت قلت: المتحد به، إما الكلام مع الذات، (وإما الكلام بدون الذات، فإن كان المتحد به الكلام مع الذات)[3] كان المسيح هو الأب وهو الابن وهو روح القدس، وكان المسيح هو الأقانيم الثلاثة.

وهذا باطل باتفاق النصارى، وسائر أهل الملل، وباتفاق الكتب الإلّهية، وباطل بصريح العقل كما سنذكره إن شاء الله.

وإن كان المتحد به هو الكلمة فقط فالكلمة صفة، والصفة لا تقوم

---

(١) في أ (به) بدلاً من (عنه).

(٢) (الكلام) ساقطة من ط.

(٣) ما بين القوسين ساقط من س.

بغير موصوفها، والصفة ليست إلَهاً خالقاً، والمسيح عندهم إلَه خالق، فبطل قولهم على التقديرين، وإن قالوا: المتحد به الموصوف بالصفة فالموصوف هو الأب، والمسيح عندهم ليس هو الأب، وإن قالوا: الصفة فقط، فالصفة لا تفارق الموصوف ولا تقوم بغير الموصوف، والصفة لا تخلق ولا[1] ترزق، وليست الإله. والصفة لا تقعد[2] عن يمين الموصوف، والمسيح عندهم صعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه.

وأما كونه هو الأب فقط، وهو الذات المجردة عن الصفات، (فهذا أشد استحالة، وليس فيهم من يقول بهذا)[3].

الوجه[4] الثاني: أن الذات المتحدة بناسوت المسيح مع ناسوت المسيح إن كانتا بعد الاتحاد ذاتين، وهما جوهران كما كانا قبل الاتحاد، فليس ذلك باتحاد.

وإن قيل: صارا[5] جوهراً واحداً، كما يقول من يقول منهم: إنهما صارا كالنار مع الحديدة، أو اللبن مع الماء، فهذا يستلزم استحالة كل منهما، وانقلاب صفة كل منهما، بل حقيقته كما استحال الماء واللبن إذا اختلطا، والنار مع الحديدة، وحينئذٍ فيلزم أن يكون اللاهوت استحال وتبدلت صفته وحقيقته. والاستحالة لا تكون إلّا بعدم شيء ووجود آخر، فيلزم عدم شيء من القديم الواجب الوجود بنفسه.

---

(١) (لا) ساقطة من س، أ، ك.

(٢) (لا تقعد) ساقطة من ط.

(٣) ما بين القوسين ساقط من ك.

(٤) (الوجه) جعلت في ط في آخر الكلام السابق.

(٥) في ط (صار) بسقوط ألف التثنية.

وما وجب قدمه استحال عدمه، وما وجب وجوده امتنع عدمه، فإن القديم لا يكون قديماً إلَّا لوجوبه بنفسه، أو لكونه لازماً للواجب بنفسه، إذ لو لم يكن لازماً له ـ بل كان غير لازم له ـ لم يكن قديماً بقدمه والواجب بنفسه يمتنع عدمه، ولازمه لا يعدم إلَّا بعدمه، فإنه يلزم من[1] انتفاء اللازم انتفاء الملزوم.

الوجه الثالث: أن يقال: الناس لهم في كلام الله ـ عز وجل ـ عدة أقوال، وقول النصارى باطل على جميع الأقوال التي قالها الناس في كلام الله فثبت بطلانه على كل تقدير، وذلك أن كلام الله ـ سبحانه ـ إما أن يكون صفة له قائماً به، وإما أن يكون مخلوقاً له بائناً عنه: وإما أن يكون لا هذا ولا هذا بل هو ما يوجد في النفوس، وهذا الثالث هو أبعد الأقوال[2] عن أقوال[3] الأنبياء، وهو قول من يقول من الفلاسفة والصابئة: إن الرب لا تقوم به الصفات وليس هو خالقاً باختياره.

ويقولون مع ذلك: إنه ليس عالماً بالجزئيات، ولا قادراً على تغيير الأفلاك، بل كلامه عندهم ما يفيض على النفوس، وربما سموه كلاماً بلسان الحال.

وهؤلاء ينفون الكلام عن الله، ويقولون: ليس بمتكلم، وقد يقولون: متكلم مجازاً، لكن لما نطقت به الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ أطلقه من دخل في الملل منهم، ثم فسره بمثل هذا، وهذا أحد قولي الجهمية.

---

(١) (من) ساقطة من ط .
(٢) (الأقوال) ساقطة من أ، س.
(٣) في أ (الأقوال) بزيادة (ال).

والقول الثاني: أنه متكلم حقيقة لكن كلامه مخلوق خلقه في غيره، وهو قول المعتزلة وغيرهم، والقول الآخر للجهمية.

وعلى هذين القولين، فليس لله كلام قائم به حتى يتحد بالمسيح، أو يحل به، والمخلوق عرض من الأعراض ليس بإله خالق، وكثير من أهل الكتاب: اليهود، والنصارى، من يقول بهذا وهذا.

وأما القول الأول، وهو قول سلف الأمة وأئمتها، وجمهورها، وقول كثير من[1] سلف أهل الكتاب، وجمهورهم ـ فإما أن يقال الكلام قديم النوع، بمعنى أنه لم يزل يتكلم بمشيئته[2]، أو قديم العين. وإما أن يقال ليس بقديم، بل هو حادث، والأول هو القول المعروف عن أئمة السنّة والحديث.

وأما القائلون بقدم العين، فهم يقولون الكلام لا يتعلق بمشيئته وقدرته لاعتقادهم أنه لا تحله الحوادث، وما كان بمشيئته وقدرته لا يكون إلاّ حادثاً.

ولهم قولان: منهم من قال القديم معنى واحد، أو خمسة معان، وذلك المعنى يكون أمراً ونهياً وخبراً، وهذه صفات له لا أقسام له، وإن عبر عنه بالعربية كان قرآناً وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة.

ومنهم من قال: هو حروف، أو حروف وأصوات قديمة الأعيان.

والقول الثالث: إنه متكلم بمشيئته وقدرته كلاماً قائماً بذاته، قالوا: وهو حادث، ويمتنع[3] أن يكون قديماً، لامتناع كون المقدور

---

(١) (كثير من) ساقطة من أ.

(٢) في ط (متكلماً بمشيئة) بدلاً من (يتكلم بمشيئته).

(٣) في أ (وممتنع) بدلاً من (ويمتنع).

المراد قديماً، وهذه الطوائف بنوا أقوالهم على أن ما لم يخلُ عن الحوادث، فهو حادث لامتناع وجود ما لا نهاية له عندهم، وإذا امتنع ذلك تعين أن يكون لنوع الحوادث ابتداء، كما للحادث المعنى ابتداء ولم يسبق الحوادث كان معه أو بعده، فيكون حادثاً، فلهذا منع هؤلاء أن تكون كلمات الله لا نهاية لها في الأزل، وإن كان من هؤلاء من يقول بدوام وجودها في الأبد.

وأما القول بأن كلمات الله لا نهاية لها مع أنها قائمة بذاته، فهو القول المأثور عن أئمة السلف، وهو قول أكثر أهل الحديث، وكثير من أهل الكلام، ومن الفلاسفة. وهذه الأقوال قد بسط الكلام عليها في غير موضع.

والمقصود هنا أن قول النصارى باطل على[1] كل قول من هذه الأقوال الأربعة كما تقدم بيان بطلانه على ذينك القولين، فإنه على قول الجمهور الذين يجعلون لله كلمات كثيرة، إما كلمات لا نهاية لها ولم تزل، وإما كلمات لها ابتداء، وإذا كان له كلمات كثيرة فالمسيح ليس هو الكلمات التي[2] لا نهاية لها وليس هو كلمات كثيرة، بل إنما خلق بكلمة من كلمات الله كما[3] في الكتب الإلهية: القرآن[4] والتوراة، إنه يخلق الأشياء بكلماته.

قال ـ تعالى ـ في قصة بشارة مريم بالمسيح:

﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[5].

(١) في ط (في) بدلاً من (على).
(٢) في س، أ، ك (الذي) بدلاً من (التي).
(٣) (كما) ساقطة من ط.
(٤) في أ (والقرآن) بزيادة واو.
(٥) سورة آل عمران: من الآية ٤٧.

وقال أيضاً:

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[1].

وقال:

﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝٣٤ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[2].

وقد أخبر الله في القرآن بخلقه للأشياء بكلماته في غير موضع، بقوله:

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[3].

وفي التوراة: (ليكن يوم الأحد، ليكن كذا، ليكن كذا)[4].

وأيضاً فعلى قول هؤلاء وعلى قول من يجعل كلامه إما معنى واحداً، وإما خمسة معاني، وإما حروف وأصوات هي شيء واحد فكلهم يقولون: إن الكلام صفة قائمة بالموصوف لا يتصور أن يكون جوهراً قائماً بنفسه، ولا يتصور أن يكون خالقاً، ولا للكلام مشيئة، ولا هو[5] جوهر آخر غير جوهر المتكلم، ولا يتحد بغير المتكلم، بل جمهورهم يقولون: إنه لا يحل أيضاً بغير المتكلم.

ومن قال بالحلول منهم فلا يقول: إن الحال جوهر، ولا إله خالق فتبين أن ما قاله النصارى باطل على جميع الأقوال التي قالها الناس

---

(١) سورة آل عمران: من الآية ٥٩.

(٢) سورة مريم: الآيتان ٣٤، ٣٥.
(عيسى بن مريم) ساقطة من أ.

(٣) سورة يٓس: الآية ٨٢.

(٤) انظر العهد القديم سفر التكوين.

(٥) (هو) ساقطة من ط، أ.

في[1] كلام الله مع أن أكثر هذه الأقوال خطأ، ولما كان قول النصارى فساده أظهر للعقلاء كان الخطأ الذي في أكثر هذه الأقوال قد خفي على العقلاء الذين قالوها، ولم يخف عليهم فساد قول النصارى.

وأيضاً فالذين قالوا بالحلول من الغلاة الذين يكفرهم المسلمون، كالذين يقولون بحلوله في بعض أهل البيت أو بعض المشايخ، هم وإن كانوا كفاراً شاركوا النصارى في الحلول، ولكن[2] لم يقولوا أن الكلمة التي حلت هي الإله الخالق، فيتناقضون تناقضاً ظاهراً، مثل ما في قول النصارى من[3] التناقض البين ما ليس في قول هؤلاء، وإن كانوا[4] في بعض الوجوه قولهم شر من قول النصارى.

الوجه[5] الرابع: أن يقال لو كان المسيح نفس كلمة الله فكلمة الله[6] ليست هي الإله الخالق للسماوات والأرض، ولا هي تغفر الذنوب، وتجزي الناس بأعمالهم، سواء كانت كلمته[7] صفة له أو[8] مخلوقة له كسائر صفاته ومخلوقاته، فإن علم الله وقدرته وحياته لم تخلق العالم، ولا يقول أحد: يا علم الله اغفر لي، ويا قدرة الله توبي علي، ويا كلام الله ارحمني، ولا يقول: يا توراة[9] الله[10]

---

(١) (في) ساقطة من ط.

(٢) في س (لكن) بسقوط الواو.

(٣) في ط، س، ك (ومن) بزيادة واو.

(٤) في ط (كان) بدلاً من (كانوا).

(٥) في ط (والوجه) بزيادة واو.

(٦) في أ (نفس الكلمة كلمة الله فكلمة الله الله) بدلاً من (نفس كلمة الله فكلمة الله).

(٧) في ط (كلمة) بدلاً من (كلمته).

(٨) في ط، ك، س (أم) بدلاً من (أو).

(٩) في ط (توراته) بدلاً من (توراة).

(١٠) في ط سقط لفظ الجلالة (الله).

أو يـا إنجيله أو يـا قـرآنـه اغفـر لي وارحمني، وإنمـا يـدعـو[1] الله ـ سبحـانـه ـ، وهـو ـ سبحـانـه ـ متصف بصفـات الكمـال، فكيف والمسيح ليس هو نفس الكلام؟

فـإن المسيح جـوهـر قـائم بنفسـه، والكـلام[2] صفـة قـائمـة بـالمتكلم[3]، وليس هـو نفس الـرب المتكلم، فـإن الـرب المتكلم هـو الذي يسمونه الأب، والمسيح ليس هو الأب عندهم، بـل الابن، فضلوا في قولهم من جهات:

منهـا: جعل الأقانيم ثلاثة، وصفات الله لا تختص بثلاثة.

ومنها: جعل الصفة خالقة، والصفة لا تخلق.

ومنهـا: جعلهم المسيح نفس الكلمـة، والمسيح خلق بـالكلمـة، فقيـل له: كن فكـان، كما سيـأتي ـ إن شاء الله تعـالى ـ تفسير ذلـك، وإنما خص المسيح بتسميته كلمة الله دون سائر البشـر، لأن سائـر البشر خلقوا على الوجه المعتاد في المخلوقات يخلق الـواحد من ذريـة آدم من نـطفـة، ثم علقـة، ثم مضغـة، ثم ينفـخ فيـه الـروح، وخلقـوا من مـاء الأبوين: الأب والأم.

والمسيح ـ عليه السـلام ـ لم يخلق من ماء رجـل، بل لمـا نفخ روح القـدس في أمه حبلت بـه، وقال الله: كن فكـان، ولهذا شبهـه الله بآدم في قوله:

---

(١) في س (يدعا) بدلاً من (يدعو).

(٢) في أ (فالكلام) بدلاً من (والكلام).

(٣) في ط (المتكلم) بسقوط (بـ).

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[1].

فـإن آدم ـ عليه السـلام ـ خُلق من تراب ومـاء، فصـار طينـاً ثم أيبس الطين، ثم قال له: كن فكان، وهو حين نفخ الروح فيه صـار بشراً تاماً، لم يحتج بعد ذلك إلى ما احتـاج إليه أولاده بعـد نفخ الـروح، فإن الجنين بعد نفخ الروح يكمل خلق جسده في بطن أمه، فيبقى في بطنها نحو خمسة أشهر[2]، ثم يخرج طفلاً يرتضع، ثم يكبر شيئـاً بعد شيء، وآدم ـ عليـه السلام ـ حين خلق جسـده قيل لـه كن فكـان بشـراً تـامـاً بنفخ[3] الروح فيـه، ولكن لم يسم كلمة الله لأن جسـده خلق من التراب والمـاء، وبقي مدة طـويلة ـ يقال: أربعين سنـة، فلـم يكن خلق جسـده إبداعياً في وقت واحد، بل خلق شيئـاً فشيئاً، وخلق الحيـوان من الطين معتاد[4] في الجملة.

وأمـا المسيح ـ عليـه السلام ـ فخُلق جسـده خلقاً إبـداعياً بنفس نفخ روح القدس في أمه، قيل له: كن فكان. فكان له من الاختصـاص بكونه خلق بكلمـة الله ـ ما لم يكن لغيـره من البشر، ومن الأمـر المعتاد في لغة العرب وغيرهم أن الاسم العام إذا كان له نـوعان خصت[5] أحـد النوعين باسم وأبقت الاسم العام مختصاً بالنوع. كلفظ الدابة والحيوان، فإنه عام في كل ما يدب، وكل حيوان، ثم لمـا كان لـلآدمي اسم يخصه

---

(١) سورة آل عمران: من الآية ٥٩.

(٢) أي بعد نفخ الروح فيه، ومعلوم أن الروح تنفخ فيه بعد ثلاثة أشهر، والله أعلم.

(٣) في ط (ينفخ).

(٤) في أ، ك (معتاداً) بزيادة (أ).

(٥) في أ (خص) بسقوط (ت).

بقي لفظ[1] الحيوان يختص به البهيم، ولفظ الدابة يختص به الخيل أو هي والبغال والحمير ونحو ذلك، وكذلك لفظ الجائز والممكن، وذوي الأرحام، وأمثال ذلك، فلما كان لغير المسيح ما يختص به، أبقي اسم الكلمة العامة مختصاً بالمسيح.

الطريق الثاني: أن ما ذكروه حجة عليهم، فإن الله إذا لم يكلم أحداً من الأنبياء إلَّا وحياً أو من وراء حجاب. فالمسيح عيسى بن مريم يجب أن لا يكلمه إلَّا وحياً، أو من وراء حجاب، أو يرسل إليه رسولاً.

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾[2].

يعم كل بشر: المسيح وغيره.

وإذا[3] امتنع (أن يكلمه الله إلَّا وحياً أو من وراء حجاب)[4] فامتناع أن يتحد به (أو يحل فيه أولى وأحرى.

فإن ما اتحد به)[5] وحل فيه كلمة الله[6] من غير حجاب بين اللاهوت والناسوت، وهم قد سلموا أن الله لا يكلم بشراً إلَّا من وراء حجاب.

---

(١) في ط، ك، س (كلفظ) بزيادة (كـ).
(٢) سورة الشورى: من الآية ٥١.
(٣) في أ (فإذا) بدلاً من (وإذا).
(٤) ما بين القوسين ساقط من ك.
(٥) ما بين القوسين ساقط من س.
(٦) في ك، ط سقط لفظ الجلالة (الله).

الوجه الثالث: أن قوله:

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾[1].

يقتضي أن يكون الحجاب حجاباً يحجب البشر كما حجب موسى، فيقتضي ذلك أنهم لا يرونه في الدنيا، وإن كلمهم كما أنه كلم موسى ولم يره موسى بل سأل الرؤية فقال:

﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2].

قيل[3]: (أنا أول من آمن أنه لا يراك أحد في الدنيا)[4] وعندهم في التوراة[5]: (أن الإنسان لا يمكنه أن يرى الله في الدنيا فيعيش)[6]،

---

(١) سورة الشورى: من الآية ٥١.
في س، أ، ك (ما كان لبشر) بسقوط الواو.

(٢) سورة الأعراف: من الآية ١٤٣.

(٣) الجملة هنا لا تتم إلّا إذا كانت كما يلي (قيل: قال «أنا أول من آمن. . .» إلخ).
لكنها كتبت هكذا في سائر النسخ.

(٤) وجدت في تفسير ابن كثير: «وكذا قال أبو العالية: فد كان قبله مؤمنون ولكن يقول أنا أول من آمن بك أنه لا يراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة، وهذا قول حسن له اتجاه. . .».
انظر: تفسير ابن كثير ـ طبعة الحلبي ٢/٢٤٥.

(٥) (التوراة) ساقطة من س.

(٦) ما بين القوسين كتبت في أ هكذا: (لن تراني إن الإنسان لا يمكن رؤيتي في الدنيا فيعيش).
في ك كتبت هكذا: (أنه ما رآه حي إلّا مات ولا يابس إلّا تدهده، قلت لفظ التوراة لن تراني، أن الإنسان لا يمكنه يرى الله في الدنيا فيعيش).
* وفي سفر الخروج ـ الإصحاح ٣٣ (٢٠ ـ قال: لا تقدر أن ترى وجهي لأن =

وكذلك قال عيسى لمّا سألوه عن رؤية الله فقال: (إن الله لم يره أحد قط)[1]. وهذا معروف عندهم. وإذا كان كذلك فلا بد أن يكون الحجاب الحاجب للبشر ليس هو من البشر، وهذا يبطل قول النصارى فإنهم يقولون: إن الرب احتجب بحجاب بشري، وهو الجسد الذي ولدته مريم فاتخذه حجاباً، وكلم الناس من ورائه، والقرآن يدل على أن الحجاب ليس من البشر.

يبين هذا **الوجه الرابع**: وهو أن ذلك الجسد الذي ولدته مريم هو من جنس أجسام بني آدم. فإن جاز أن يتحد به، ويحل فيه، ويطيق الجسد البشري ذلك في الدنيا بما يجعله الله فيه من القوة، جاز أن يتحد بغيره من الأجسام بما يجعله فيها من القوة. وإذا جاز أن يتحد بها جاز أن يكلمها بغير حجاب بينه وبينها بطريق الأولى والأحرى، وهذا خلاف ما ذكروه وخلاف القرآن.

فتبين أن نفي الأنبياء لأن يراه المرء في الدنيا هو نفي لمماسته ببشر بطريق الأولى والأحرى. والناسوت المسيحي[2] هو بشر فإذا لم يمكنه أن يرى الله فكيف يمكنه أن يتحد به، ويماسه ويصير هو وإياه كاللبن والماء، والنار والحديد، أو كالروح والبدن؟

الوجه[3] الخامس: أنه من المعلوم أن رؤية الآدمي له أيسر من

= الإنسان لا يراني ويعيش) وهو بمعناه.
انظر: العهد القديم ص ١٤٢.

(١) في إنجيل يوحنا ــ الإصحاح الأول: (١٨ ــ الله لم يره أحد قط).
انظر: العهد الجديد ص ١٤٥.

(٢) (المسيحي) ساقطة من س.

(٣) في ط (والوجه) بزيادة واو.

اتحاده به، وحلوله فيه، وأولى بالإمكان فإذا كانت الرؤية في الدنيا قد نفاها الله، ومنعها على ألسن[1] رسله موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم وسلامه فكيف يجوز اتصاله بالبشر واتحاده به.

الوجه السادس: أنه لو كان حلوله في البشر مما هو ممكن وواقع، لم يكن لاختصاص واحد من البشر بذلك دون من قبله وبعده معنى[2]، فإن القدرة[3] شاملة والمقتضى ـ وهو وجود[4] الله وحاجة الخلق[5] ـ موجودة، ولهذا لما كانت الرسالة ممكنة أرسل من[6] البشر غير واحد. ولما كان سماع كلامه للبشر ممكناً سمع كلامه غير واحد. ورؤيته في الدنيا بالأبصار لم تقع لأحد باتفاق علماء المسلمين، لكن لهم في النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قولان، والذي عليه أكابر العلماء وجمهورهم أنه لم يره بعينه، كما دل على ذلك الكتاب والسنة.

والخلة لما كانت ممكنة اتخذ إبراهيم خليلاً، واتخذ محمداً أيضاً خليلاً كما في الصحيح[7] من غير وجه عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً»[8]، وقال ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «لو كنت متخذاً من أهل الأرض ـ خليلاً

---

(١) في أ (النبيين) بدلاً من (ألسن).

(٢) (معنى) ساقطة من ط، س، ك.

(٣) في ط (القدوة) بدلاً من (القدرة).

(٤) في س، ك (جود) بسقوط الواو.

(٥) (وحاجة الخلق) ساقطة من س، ك.

(٦) (من) ساقطة من س، ك.

(٧) في س، ط (الصحيحين) بدلاً من (الصحيح).

(٨) انظر:

* صحيح البخاري ـ كتاب الأنبياء ـ باب ٩.
* وسنن ابن ماجه ـ المقدمة ـ باب ١١ ـ عن عبد الله بن عمرو. بلفظه.

لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الله»[1] يعني نفسه.

الوجه السابع: قولهم: وإذا كانت اللطائف لا تظهر إلاَّ في الكثائف[2] مثل الروح وغيرها، فكلمة الله التي بها خلقت الكثائف[3] تظهر في غير كثيف[4] كلا؟

فيقال لهم ظهور اللطائف في الكثائف[5] كلام مجمل، فإن أردتم أن روح الإنسان تظهر في جسده، أو الجنى يتكلم على لسان المصروع ونحو ذلك فليس هذا مما نحن فيه، وإن أردتم أن الله تعالى نفسه يحل في البشر، فهذا محل النزاع فأين الدليل عليه؟ وأنتم لم تذكروا إلاَّ ما يدل على نقيض ذلك.

الوجه[6] الثامن: أن هذا أمر لم يدل عليه عقل ولا نقل، ولا نطق نبي من الأنبياء بأن الله يحل في بشر، ولا ادعى صادق قط حلول الرب فيه، وإنما يدعي ذلك[7] الكذابون، كالمسيح الدجال الذي يظهر في آخر الزمان، ويدعى الإلٰهية فينزل الله تبارك وتعالى عيسى ابن مريم

---

(١) انظر:

* صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ٥ عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ بلفظه.

* وفي الترمذي أبواب المناقب، باب ٥٠ مناقب أبي بكر عن عبد الله بن مسعود بلفظه.

(٢) في أ، (الكتايف)، وفي ك غير منقوطة الثاء.

(٣) في أ، (الكتايف)، وفي ك غير منقوطة الثاء.

(٤) في أ، س (كتيف).

(٥) في أ، (الكتايف)، وفي ك غير منقوطة الثاء.

(٦) في ط، س (والوجه) بزيادة واو في أولها.

(٧) (ذلك) ساقطة من ط.

مسيح الهدى، فيقتل مسيح الهدى ـ الذي ادعيت فيه الإلٰهية بالباطل ـ المسيح[1] الدجال الذي ادعى الإلٰهية بالباطل، ويبين أن البشر لا يحل فيه رب العالمين.

ولهذا لما أنذر النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بالمسيح الدجال، وقال «ما من نبي إلاَّ وقد أنذر أمته المسيح الدجال حتى نوح أنذر قومه به»[2].

وذكر النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ له ثلاث دلائل ظاهرة تظهر[3] لكل مسلم تبين كذبه:

أحدها: قوله (مكتوب بين عينيه كافر «ك ف ر» يقرأه[4] كل مؤمن: قارىء وغير قارىء)[5].

---

(١) في أ، س (للمسيح) بدلاً من (المسيح).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) في أ (يظهر) بدلاً من (تظهر).
في ك، س غير منقوطة التاء.

(٤) في ط (ويقرأه) بزيادة (و).

(٥) انظر:

* صحيح مسلم ـ كتاب الفتن ـ باب ٢٠، حديث ١٠١ ـ ١٠٢ ـ ١٠٣ عن أنس بن مالك بلفظه، وحديث ١٠٥، عن حذيفة بمعناه، وباب ١٩، حديث ٣/٩٥ عن عبد الله بن عمرو بلفظه.
* صحيح البخاري ـ كتاب الفتن ـ باب ٢٦ عن عبد الله بن عمر جملة: «أنه أعور وربكم ليس بأعور» وكتاب الأنبياء ـ باب ٨، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.
* سنن ابن ماجه ـ كتاب الفتن ـ باب ٣٣ ـ حديث ٤٠٧٧، عن أبي أمامة من حديث طويل بلفظه.
* مسند الإمام أحمد ٣٨/٥ عن أبي بكرة بلفظه.
* سنن الترمذي ـ كتاب الفتن ـ باب ما جاء في الدجال ـ حديث ٢٣٣٦، عن ابن عمر بلفظه.

الثاني: قوله: (واعلموا أن أحداً منكم[1] لن يرى ربه حتى يموت)[2] فبين أن الله لا يراه أحد في الدنيا بعينيه، وكل بشر[3] فإنه يرى في الدنيا بالعين فعلم أن الله لا يتحد ببشر.

الثالث: قوله: (أنه أعور وأن ربكم ليس بأعور) ودلائل نفي الربوبية. عنه كثيرة.

لكن[4] لما كان حلول اللاهوت في البشر واتخاذه به مذهباً ضل به طوائف كثيرون من بني آدم النصارى وغيرهم، وكان المسيح الدجال يأتي بخوارق عظيمة، والنصارى احتجوا على إلٰهية المسيح بمثل ذلك، ذكر[5] النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من علامات كذبه أموراً ظاهرة لا يحتاج فيها إلى بيان موارد النزاع التي ضل فيها خلق كثير من الآدميين، فإن كثيراً من الناس بل أكثرهم تدهشهم الخوارق حتى يصدقوا صاحبها [6] قبل النظر في إمكان دعواه، وإذا صدقوه صدقوا النصارى في دعوى إلٰهية المسيح، وصدقوا أيضاً من ادعى الحلول

---

(١) (منكم) ساقطة من أ.

(٢) انظر:

* صحيح مسلم ـ كتاب الفتن ـ باب ١٩ ـ حديث ٣/٩٥، عن عمر بن ثابت الأنصاري بلفظه.
* سنن الترمذي ـ كتاب الفتن ـ باب ما جاء في الدجال ـ حديث ٢٣٣٦، عن ابن عمر بلفظه.
* سنن ابن ماجه كتاب الفتن، باب ٣٣، حديث ٤٠٧٧، عن أبي أمامة بمعناه.

(٣) في ك (مرئي) بدلاً (بشر).

(٤) في ط (ولكن) بزيادة واو.

(٥) في ط (وذكر) بزيادة واو.

(٦) في أ (ما فيها) بدلاً من (صاحبها).

والاتحاد في بعض المشايخ، أو بعض أهل البيت أو غيرهم من أهل الإفك والفجور.

وبهذا يظهر الجواب عما يورده بعض أهل الكلام كالرازي[1] على هذا الحديث حيث قالوا: دلائل كون الدجال ليس هو الله ظاهرة، فكيف يحتج النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ على ذلك بقوله إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور؟ وهذا السؤال يدل على جهل قائله بما يقع فيه بنو آدم من الضلال وبالأدلة البينة التي تبين فساد الأقوال الباطلة، وإلَّا فإذا كان بنو إسرائيل في عهد موسى ظنوا أن العجل هو إله موسى، فقالوا: هذا إلٰهكم وإله موسىٰ، وظنوا أن موسى نسيه.

والنصارى مع كثرتهم يقولون: أن المسيح هو الله، وفي المنتسبين إلى القبلة خلق كثير يقولون: ذلك في[2] كثير من المشايخ، وأهل البيت حتى إن كثيراً من أكابر شيوخ المعرفة والتصوف يجعلون هذا نهاية التحقيق والتوحيد وهو أن يكون الموحِّد هو الموحَّد وينشدون:

ما وحَّد الواحد من واحد	إذ كل من وحَّده جاحد
توحيد من يخبر عن نعته	عارية أبطلها الواحد
توحيده إياه توحيده	ونعت من ينعته لاحد[3]

فكيف يستبعد مع إظهار الدجال هذه الخوارق العظيمة أن يعتقد فيه أنه الله، وهو يقول: أنا الله، وقد اعتقد ذلك فيمن لم يظهر فيه مثل خوارقه من الكذابين، وفيمن لم يقل: أنا الله كالمسيح، وسائر الأنبياء والصالحين.

---

(١) سبقت الترجمة له في ٣/ ٢٨٢.
(٢) (في) ساقطة من ط.
(٣) هذه الأبيات منسوبة لابن عربي الطائي. ذكرها في مدارج السالكين ٣/٥١٣.

الوجه التاسع: قولهم فكلمة الله التي بها خلقت اللطائف تظهر في غير كثيف[1] كلا، فيقال لهم: كلمة الله التي يدعون ظهورها في المسيح، أهي كلام الله الذي هو صفته، أو ذات الله المتكلمة أو مجموعها؟ فإن قلتم: الظاهر فيه نفس الكلام فهذا يراد به شيئان:

إن أريد به أن الله أنزل كلامه على المسيح، كما أنزله على غيره من الرسل، فهذا حق اتفق عليه أهل الإيمان، ونطق به القرآن.

وإن أريد به أن كلام الله فارق ذاته وحل في المسيح أو غيره، فهو باطل مع أن هذا لا ينفع النصارى، فإن المسيح عندهم إلٰه خلق السماوات والأرض، وهو عندهم ابن آدم وخالق آدم، وابن مريم وخالق مريم، ابنها بناسوته وخالقها بلاهوته.

وإن أرادوا بظهور الكلمة ظهور ذات الله أو ظهور ذاته وكلامه في الكثيف الذي هو الإنسان، فهذا أيضاً يراد به ظهور نوره * في قلوب المؤمنين، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿... ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ...﴾. إلى قوله: ﴿... كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ...﴾[2] الآية.

وكما (ظهر الله[3] من طور سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من

---

(١) في س، أ (كتيف) بدلاً من (كثيف).

(٢) سورة النور: الآية (٣٥)
في أ قد أورد الآيات كاملة من قوله: ﴿الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري﴾.

(٣) لفظ الجلالة ساقط من ك.

جبال فاران)[1]، (وكما تجلى لإبراهيم، كما ذكره في التوراة)[2]، فهذا لا يختص بالمسيح، بل هو لغيره[3] كما هو له.

وإن أرادوا أن ذات الرب حلت في المسيح، أو في غيره *[4] فهذا محل النزاع، فأين دليلهم على إمكان ذلك، ثم وقوعه؟ مع أن جماهير العقلاء من أهل الملل وغيرهم يقولون: هذا غير واقع، بل هو[5] ممتنع.

الوجه العاشر: قولهم: فكلمة الله التي بها خلقت اللطائف تظهر في غير كثيف كلا. كلام باطل.

فإن ظهور ما يظهر من الأمور الإلٰهية إذا أمكن ظهوره فظهوره[6] في اللطيف أولى من ظهوره في الكثيف، فإن الملائكة تنزل بالوحي على الأنبياء عليهم السلام، وتتلقى كلام الله من الله، وتنزل به على الأنبياء عليهم السلام، فيكون وصول كلام الله إلى ملائكة قبل وصوله إلى البشر، وهم الوسائط كما قال ــ تعالى ــ:

﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾[7].

---

(1) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/ ١٤٥.

(2) انظر: العهد القديم ــ الإصحاح ١٢، سفر التكوين (وظهر الرب لإبرام وقال لنسلك أعطى هذه الأرض).

(3) في ط، ك (كغيره) بدلاً من (لغيره).

(4) ما بين النجمتين ساقط من س.

(5) في أ (هذا) بدلاً من (هو).
في س (على هذا) بدلاً من (بل هو).

(6) في ك (بظهوره) بدلاً من (فظهوره).

(7) سورة الشورى: من الآية ٥١.

والله ــ تعالى ــ أيَّد رسله من البشر حتى أطاقوا التلقي عن الملائكة، وكانت الملائكة تأتيهم أحياناً في غير الصورة البشرية، وأحياناً في الصورة البشرية، فكان ظهور الأمور الإلٰهية باللطائف ووصولها إليهم أولى منه بالكثائف، ولو جاز أن يتحد الرب سبحانه بحي من الأحياء، ويحل فيه، لكان حلوله في ملك من الملائكة واتحاده به أولى من حلوله واتحاده بواحد من البشر.

الوجه الحادي عشر: أن الناسوت المسيحي عندهم الذي اتحد به هو البدن والروح معاً، فإن المسيح كان له بدن وروح، كما لسائر البشر، واتحد به عندهم اللاهوت، فهو عندهم اسم يقع على بدن وروح آدميين وعلى اللاهوت، وحينئذ فاللاهوت على رأيهم إنما اتحد في لطيف وهو الروح، وكثيف وهو البدن، لم يظهر[1] في كثيف فقط. ولولا اللطيف الذي كان مع الكثيف، وهو الروح لم يكن للكثيف فضيلة ولا شرف.

الوجه الثاني عشر: أنهم يشبهون اتحاد اللاهوت بالناسوت باتحاد الروح بالبدن، كما شبهوا هنا ظهوره فيه بظهور الروح في البدن، وحينئذ فمن المعلوم أن ما يصيب البدن من الآلام تتألم به الروح، وما تتألم به الروح يتألم به البدن، فيلزمهم[2] أن يكون الناسوت لما صلب وتألم وتوجع الوجع الشديد كان اللاهوت أيضاً متألماً متوجعاً، وقد خاطبت بهذا بعض النصارى فقال لي: الروح بسيطة، أي لا يلحقها ألم، فقلت له: فما تقول في أرواح الكفار بعد الموت، أمنعمة أو معذبة؟ فقال: هي في العذاب، فقلت: فعلم أن الروح المفارقة تنعم وتعذب. فإذا

(١) في ك (تظهر) بدلاً من (يظهر).

(٢) في ك، س (فيلزم) بدلاً من (فيلزمهم).

شبهتم اللاهوت في الناسوت بالروح في البدن لزم أن تتألم إذا تألم الناسوت كما تتألم الروح إذا تألم البدن، فاعترف هو وغيره بلزوم ذلك.

الوجه الثالث عشر: أن قولهم: وإذا كانت اللطائف لا تظهر إلَّا في الكثائف فكلمة الله لا تظهر إلَّا في كثيف كلا.

تركيب فاسد لا دلالة فيه، وإنما يدل إذا بينوا أن كل لطيف يظهر في كثيف، ولا يظهر في غيره حتى يقال: فلهذا ظهر الله في كثيف ولم يظهر في لطيف، وإلَّا فإذا قيل: (إنه لا يحل لا[1] في لطيف، ولا كثيف، أو قيل)[2] إنه يحل فيهما بطل قولهم بوجوب حلوله في المسيح الكثيف دون اللطيف[3] وهم لم يؤلفوا الحجة تأليفاً منتجاً، ولا دلوا على مقدماتها بدليل، فلا أتوا بصورة الدليل، ولا مادته، بل مغاليط لا تروج إلَّا على جاهل يقلدهم.

ولا يلزم من حلول الروح في البدن أن يحل كل شيء في البدن، بل هذه دعوى مجردة، فأرواح[4] بني آدم تظهر في أبدانهم، ولا تظهر في أبدان البهائم، بل ولا في الجن، والملائكة تتصور في صورة الآدميين، وكذلك الجن. والإنسان لا يظهر في غير صورة الإنسان، فأي دليل من كلامهم على أن الرب يحل في الإنسان الكثيف، ولا يحل في اللطيف؟

والقوم شرعوا يحتجون على تجسيم كلمة الله الخالقة فقالوا: وأما تجسيم كلمة الله الخالقة بإنسان مخلوق وولادتهما معاً، أي الكلمة مع

---

(١) (لا) ساقطة من ط.

(٢) ما بين القوسين ساقط من س.

(٣) (دون اللطيف) ساقطة من ك.

(٤) في ط، س، ك (وأرواح) بدلاً من (فأرواح).

الناسوت، فإن الله لم يكلم أحداً من الأنبياء إلَّا وحياً، أو من وراء حجاب، وليس فيما ذكروه قط دلالة لا[1] قطعية ولا ظنية على تجسيم كلمة الله الخالقة، وولادتها[2] مع الناسوت.

الوجه الرابع عشر: أنهم قالوا: وأما تجسيم كلمة الله الخالقة، ثم قالوا: فكلمة الله التي بها خلقت اللطائف، فتارة يجعلونها خالقة، وتارة يجعلونها مخلوقاً بها، ومعلوم أن الخالق ليس هو المخلوق به، والمخلوق به ليس هو الخالق، فإن كانت الكلمة خالقة، فهي خلقت الأشياء، ولم[3] تخلق الأشياء بها. وإن كانت الأشياء خلقت بها، فلم تخلق الأشياء، بل خلقت الأشياء بها. ولو قالوا: إن الأشياء خلقت بها بمعنى أن الله إذا أراد أمراً[4] فإنما يقول له: كن فيكون، لكان هذا حقاً، لكنهم[5] يجعلونها خالقة، مع قولهم بما يناقض ذلك.

الوجه الخامس عشر: أن يقال لهم: إذا كان الله لم يخاطب بشراً إلَّا وحياً أو من وراء حجاب، أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء، فتكليمه للبشر بالوحي ومن وراء حجاب، كما كلم موسى، وبإرسال ملك كما أرسل الملائكة، إمَّا أن يكون كافياً في حصول مراد الرب من الرسالة إلى عباده، أو ليس كافياً، بل لا بد من حلوله نفسه في بشر، فإن كان ذلك كافياً أمكن أن يكون المسيح مثل غيره فيوحي الله إليه أو يرسل إليه ملكاً فيوحي بإذن الله ما يشاء، أو يكلمه من وراء حجاب كما كلم

---

(1) (لا) ساقطة من أ.
(2) في س (ولا أنها) بدلاً من (وولادتها).
(3) في س، أ، ك (لم) بسقوط الواو.
(4) في ط (شيئاً) بدلاً من (أمراً).
(5) في ك (لكن) بدلاً من (لكنهم).

موسى، وحينئذ فلا حاجة به إلى اتحاده ببشر مخلوق، وإن كان[1] التكلم ليس كافياً وجب أن يتحد بسائر الأنبياء، كما اتحد بالمسيح فيتحد بنوح وإبراهيم وموسى وداود وغيرهم، يبين هذا:

الوجه السادس عشر: وهو أنه من المعلوم أن الأنبياء الذين كانوا قبل المسيح أفضل من عوام النصارى الذين كانوا بعد المسيح، وأفضل من اليهود الذين كذبوا المسيح، فإذا كان الرب قد يفضل باتحاده في المسيح حتى كلم عباده بنفسه فيتحد بالمسيح محتجباً ببدنه الكثيف، وكلم بنفسه اليهود المكذبين للمسيح وعوام النصارى، وسائر من كلمه المسيح، فكان أن يكلم من هم أفضل من هؤلاء من الأنبياء والصالحين بنفسه أولى وأحرى، مثل أن[2] يتحد بإبراهيم الخليل، فيكلم إسحاق ويعقوب ولوطاً محتجباً ببدن (الخليل، أو يتحد بيعقوب فيكلم أولاده أو غيرهم محتجباً ببدن)[3] يعقوب، أو يتحد بموسى بن عمران فيكلم هارون ويوشع بن نون وغيرهما محتجباً ببدن موسى، فإذا كان هو[4] سبحانه لم يفعل ذلك، إمَّا لامتناع ذلك، وإما لأن عزته وحكمته أعلى من ذلك مع عدم الحاجة إلى ذلك، علم أنه لا يفعل ذلك في المسيح بطريق الأولى والأحرى.

الوجه السابع عشر: أنه إذا أمكنه أن يتحد ببشر فاتحاده بملك من الملائكة أولى وأحرى، وحينئذ فقد كان اتحاده بجبريل الذي أرسله إلى الأنبياء أولى من اتحاده ببشر يخاطب اليهود، وعوام النصارى.

● ● ●

---

(١) في أ (كان ذلك) بزيادة (ذلك).

(٢) في ط (من) بدلاً من (أن).

(٣) ما بين القوسين ساقط من س، أ.

(٤) في ط (هو كان) بدلاً من (كان هو).

فصل

تفنيد مراد النصارى بظهور الله في عيسى

قالوا: ولذلك ظهر في عيسى بن مريم، إذ الإنسان أجلّ ما خلقه الله، ولهذا خاطب الخلق، وشاهدوا[1] منه ما شاهدوا.

فيقال: إن ادعيتم ظهوره في عيسى كما ظهر في إبراهيم وموسى ومحمد ــ صلوات الله عليهم وسلامه ــ، وكما يظهر في بيوته التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وذلك بظهور نوره ومعرفته، وذكر أسمائه وعبادته ونحو ذلك من غير[2] حلول ذاته في البشر ولا اتحاده به. فهذا أمر مشترك بين المسيح وغيره، فلا اختصاص للمسيح بهذا، وهذا أيضاً قد يسمى حلولاً، وعندهم أن الله يحل في الصالحين، وهذا مذكور عندهم في بعض الكتب الإلّهية. كما في كتبهم في المزمور الرابع من الزبور، يقول داود ــ عليه السلام ــ في مناجاته لربه: (وليفرح المتوكلون عليك إلى الأبد، ويبتهجون، وتحل فيهم ويفتخرون)[3] فأخبر أنه يحل في الصالحين المذكورين، فعلم أن هذا لا اختصاص للمسيح به. وليس المراد بهذا باتفاقهم، واتفاق المسلمين أن ذات الله نفسه تتحد بالبشر، ويصير اللاهوت والناسوت كالنار والحديد، والماء واللبن،

---

(١) في ط (وشهدوا) بدلاً من (وشاهدوا).

(٢) (غير) ساقطة من ط .

(٣) في المزمور الخامس (ويفرح جميع المتوكلين عليك إلى الأبد يهتفون وتظللهم ويبتهج بك محبو اسمك) بلفظه إلا كلمة (يهتفون وتظللهم).
انظر: العهد القديم ص ٨٢٦.

ونحـو ذلك ممـا يمثلون به الاتحـاد، بل هـذا يراد بـه حلول الإيمان بـه ومعرفته، ومحبته وذكره وعبادته، ونوره وهداه.

وقد يعبر عن ذلك بحلول المثال العلمي، كما قال ــ تعالى ــ :

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾[1].

وقال ــ تعالى ــ[2] :

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾[3].

﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[4].

فهو ــ سبحانه ــ له المثل الأعلى في قلوب أهل السمـاوات وأهل الأرض.

ومن هذا الباب ما يرويه النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ عن ربـه قـال: «يقول الله: أنـا مع عبـدي ما ذكـرني، وتحركت بـي شفتـاه»[5]، فـأخبر أن شفتيـه تتحـرك بـه أي بـاسمـه، وكـذلـك قـولـه في الحـديث الصحيح: «عبدي مرضت فلم تعدني، فيقـول العبد: رب كيـف أعـودك وأنت رب العالمين؟ فيقول: أما علمت أن عبدي فـلاناً مـرض فلو عدتـه لوجدتني عنده».

---

(١) سورة الزخرف: من الآية ٨٤.

(٢) (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله)، وقال (تعالى) ساقط من س وط.

(٣) سورة الأنعام: من الآية ٣.

(٤) سورة الروم: من الآية ٢٧.

(٥) انظر:

* صحيح البخاري ــ كتاب التوحيـد ــ باب ٤٣ ــ عن أبـي هـريرة بلفـظه مع زيـادة كلمة (حيث) بدلاً من (ما تحركت).

فقال: (لوجدتني عنده) ولم يقل: لوجدتني إياه، وهو عنده أي في قلبه، والذي في قلبه المثال العلمي.

وقال ـ تعالى ـ : «عبدي جعت فلم تطعمني، فيقول: وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ فيقول: أما علمت أن عبدي فلاناً جاع، فلو أطعمته لوجدت ذلك عندي»[1]، ولم يقل: لوجدتني قد أكلته.

وكذلك قوله في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري، عن أبي هريرة، عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: يقول الله ـ تعالى ـ : «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها»[2].

وفي رواية: «فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولإن سألني لأعطينه، ولإن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته»[3].

---

(١) تخريج هذا الحديث:
انظر: صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب ـ باب ١٤ ـ الحديث رقم ٤٣ ـ عن أبي هريرة من حديث طويل بمعناه.

(٢) انظر:
* صحيح البخاري ـ كتاب الرقاق ـ باب ٣٨ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بمعناه.
* سنن ابن ماجه ـ كتاب الفتن ـ حديث رقم ٣٩٨٩ ـ عن معاذ بن جبل، وذكر من جملة «وإن من عادى الله ولياً فقد بارزه بالمحاربة» فقط.

(٣) هذه بقية الحديث السابق تخريجه.

وهـذا الحديث قـد يحتج بـه القائلون بـالحلول العام، أو الاتحـاد العام، أو وحدة الوجود[1]، وقد يحتج به من يقول: بالخاص من ذلـك، كأشباه النصارى.

والحديث حجة على الفريقين، فإنـه قال: «من عـادى لي ولياً فقـد آذنته بالحرب» فأثبت ثـلاثة: وليـاً له، وعـدواً يعادي وليـه[2]، وميز بين نفسـه وبين وليـه، وعـدو وليـه، فقـال: «من عـادى لي وليـاً فقـد آذنتـه بالحرب»، ولكن دل ذلك على أن وليه، الذي والاه فصار يحب ما يحب ويبغض ما يبغض، ويوالي من يوالي، ويعادي من يعادي، فيكـون الرب مؤذناً بالحرب لمن عاداه، بأنه معادٍ لله.

ثم قـال تعـالى: «ومـا تقـرب إلى عبـدي بمثـل أداء مـا افتـرضت عليـه»، ففـرق بين العبـد المتقـرب، والـرب المتقـرب إليـه، ثم قـال: «ولا يـزال عبدي يتقـرب إلي بالنـوافل حتى أحبـه»، فبين أنه يحبـه بعـد تقربه بالنوافل والفرائض.

ثم قال: «فإذا أحببتـه كنت سمعه الـذي يسمع بـه، وبصره الـذي يبصـر به، ويـده التي يبـطش بهـا، ورجله التي يمشي بهـا» وعنـد أهـل الحلول والاتحـاد العام أو الـوحدة هـو صـدره وبـطنـه[3] وظهـره ورأسـه وشعـره، وهو كـل شيء، أو في كـل شيء قبـل التقـرب وبعـده، وعنـد الخاص وأهل الحلول[4] صار هو، وهو كالنار والحديد[5] والماء واللبن، لا يختص بذلك آلة الإدراك والفعل.

(١) في س، أ، ك (الوجوه) بدلاً من (الوجود).
(٢) في ط (ولياله) بدلاً من (وليه).
(٣) (وبطنه) ساقطة من س، ك، أ.
(٤) (وأهل الحلول) ساقطة من س، ك.
(٥) في أ (كالحديد والنار) بدلاً من (كالنار والحديد).

ثم قال ـ تعالى ـ : «فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي»، وعلى قول هؤلاء، الرب هو الذي يسمع ويبصر ويبطش ويمشي، والرسول إنما قال: «فبي» ثم قال: «ولئن سألني لأعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه»، فجعل العبد سائلاً[1] مستعيذاً، والرب مسؤلاً مستعاذاً به[2]، وهذا يناقض الاتحاد، وقوله: «فبي يسمع» مثل قوله: «ما تحركت بي شفتاه» يريد به المثال العلمي.

وقول الله: «فيكون الله في قلبه» أي معرفته ومحبته وهداه وموالاته، وهو المثل العلمي، فبذاك الذي في قلبه يسمع ويبصر ويبطش ويمشي.

والمخلوق إذا أحب المخلوق أو عظمه أو[3] أطاعه يعبر عنه بمثل هذا، فيقول: أنت في قلبي وفي فؤادي، وما زلت بين عيني، ومنه قول القائل[4]:

مثالك في عيني وذكرك[5] في فمي ... ومثواك في قلبي فأين تغيب[6]

وقول الآخر:

ومن عجبي أني أحن إليهم ... وأسأل عنهم من لقيت وهم معي
وتطلبهم عيني وهم في سوادها ... ويشتاقهم[7] قلبي وهم بين أضلعي[8]

---

(١) في أ (ومستعيذاً) بزيادة واو.
(٢) (به) ساقطة من ك، أ.
(٣) في س، أ (وأطاعه) بسقوط (أ).
(٤) في أ (الشاعر) بدلاً من (القائل).
(٥) في ط، س، ك (وذكراك) بدلاً من (وذكرك).
(٦) لم أهتد إلى قائل هذا البيت بالرغم من البحث الطويل.
(٧) في ط، س، ك (ويطلبهم) بدلاً من (ويشتاقهم).
(٨) لم أهتد إلى قائل هذه الأبيات بالرغم من البحث الطويل.

ومثل هذا كثير مع علم العقلاء أن نفس المحبوب المعظم هو في نفسه ليست ذاته في عين محبه ولا في قلبه، ولكن قد يشتبه هذا بهذا حتى يظن الغالطون أن نفس المحبوب المعبود في ذات المحب العابد.

ولذلك غلط بعض الفلاسفة حتى ظنوا أن ذات المعلوم المعقول يتحد بالعالم العاقل، فجعلوا المعقول والعقل والعاقل شيئاً واحداً، ولم يميزوا بين حلول مثال المعلوم[1]، وبين حلول ذاته، وهذا يكون لضعف العقل وقوة سلطان المحبة والمعرفة، فيغيب الإنسان بمعبوده عن عبادته، وبمحبوبه عن محبته، وبمشهوده عن شهادته، وبمعروفه عن معرفته، فيفنى من لم يكن عن شهود العبد لا أنه نفسه يعدم ويفنى في من لم يزل في شهوده، ومن هذا المقام إذا غلط قد يقول[2] مثل ما يحكى عن أبي يزيد البسطامي[3]: سبحاني[4]، أو ما في الجبة

(١) في ط (المعلول) بدلاً من (المعلوم).

(٢) في ط (يقول مسلماً) بزيادة (مسلماً).

(٣) (البسطامي) ساقطة من ك.

وهو طيفور بن عيسى بن آدم بن عيسى بن علي البسطامي الزاهد المشهور، أبو يزيد كان جده مجوسياً ثم أسلم، أصله من بلدة بسطام بين خراسان والعراق، وقد ولد بها سنة ١٨٨هـ.

قال الذهبي في ميزان الاعتدال: أبو يزيد البسطامي شيخ الصوفية له نبأ عجيب وحال غريب، ومات سنة ٢٦١هـ في بلدة بسطام وله من العمر ثلاث وستون سنة.

ومن أحسن ما نقل عنه قوله: «إذا نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتفع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة.

انظر: ميزان الاعتدال للذهبي ٣٤٦/٢؛ وحلية الأولياء ٣٣/١٠؛ وفيات الأعيان ٥٣١/٢؛ وشذرات الذهب ١٤٣/٢.

(٤) في ط (سبحاني) مكررة.

انظر: الفتوحات المكية لابن عربي ٣٥٤/١.

إلّا الله، وفي هذا تذكر حكاية، وهو أن شخصاً كان يحب آخر، فألقى المحبوب نفسه في ماء، فألقى المحب نفسه خلفه، فقال: أنا وقعت فلم وقعت أنت؟ فقال: غبت بك عني، فظننت أنك أني. فهذا العبد المحب لما استولى على قلبه سلطان المحبة صار قلبه مستغرقاً في محبوبه، لا يشهد قلبه غير ما في قلبه وغاب عن شهود نفسه وأفعاله، فظن أنه هو نفس المحبوب، وهذا أهون من أن يظن أن ذات المحبوب نفسه.

فهذا الظن لاتحاد الذات أو لحلولها ظن غالط وقع فيه كثير من الناس، فالذين قالوا: إن المسيح أو غيره من البشر هو الله، أو أن الله حال فيه قد يكون غلطهم[1] من هذا الجنس لما سمعوا كلاماً يقتضي أن الله في ذات الشخص، وجعلوا فعل هذا فعل هذا، ظنوا ذاك اتحاد الذات وحلولها.

وإنما المراد أن معرفة الله فيه، واتحاد المأمور به، والمنهي عنه والموالي والمعادي، كقوله ــ تعالى ــ :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾[2].

وقوله:

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[3].

وليس[4] ذلك[5] لأن الرسول هو الله، ولا لأن نفسه حال في

(١) في ط (غلطتهم) بدلاً من (غلطهم).

(٢) سورة الفتح: من الآية ١٠.

(٣) سورة النساء: من الآية ٨٠.

(٤) في أ (ليس) بسقوط الواو.

(٥) في س، ك (ذاك) بدلاً من (ذلك).

الرسول، بل لأن الرسول يأمر[1] بما أمر الله به، وينهى عما ينهى[2] الله عنه، ويحب ما يحبه الله، ويبغض ما يبغضه الله، ويوالي أولياء الله، ويعادي أعداء الله.

فمن بايعه على السمع والطاعة، فإنما بايع الله على السمع والطاعة، ومن أطاعه فإنما أطاع الله.

وكذلك المسيح، وسائر الرسل إنما يأمرون بما يأمر الله به، وينهون عما ينهى[3] الله عنه[4] ويوالون أولياء الله، ويعادون أعداء الله، فمن أطاعهم فقد أطاع الله، ومن صدقهم فقبل منهم ما أخبروا به، فقد قبل عن الله، ومن والاهم فقد والى الله، ومن عاداهم وحاربهم فقد عادى الله وحارب الله. ومن تصور هذه الأمور تبين له أن لفظ الحلول قد يعبر به[5] عن معنى صحيح، وقد يعبر به[5] عن معنى فاسد.

وكذلك حلول كلامه في القلوب، ولذلك كره أحمد بن حنبل[6]

---

(١) في ط (أمر) بسقوط (يـ).

(٢) في س (نهى) بسقوط (يـ).

(٣) في أ (ينهى) بزيادة (يـ).

(٤) (عنه) ساقطة من أ.

(٥) في ط، س، ك (بها) بدلاً من (به).

(٦) أحمد بن حنبل هو: هو الإمام أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس الشيباني، أصله من مرو، ولد ببغداد سنة ١٦٤هـ. فنشأ منكباً على طلب العلم وسافر في سبيل ذلك أسفاراً كثيرة وقد أوذي في فتنة خلق القرآن وضرب ولكنه ثبت وصمد حتى قيل بأن الله حفظ الإسلام بأبي بكر يوم الردة وبأحمد بن حنبل يوم الفتنة، وله مصنفات كثيرة منها «كتاب المسند» وله كتب في الرد على من ادعى التناقض في القرآن الكريم، وله «كتاب الزهد».

انظر: تاريخ بغداد ٤/٤١٢؛ والبداية والنهاية ١٠/٣٢٥؛ وحلية الأولياء ٩/١٦١؛ وطبقات الحنابلة ١/٤؛ وسير أعلام النبلاء ١١/١٧٧؛ وتهذيب التهذيب ١/٧٢؛ ووفيات الأعيان ١/٦٣.

الكلام في لفظ حلول القرآن في القلوب، كما قد[1] ذكر في غير هذا الموضع.

ومما يوضح هذا أن الشيء له وجود في نفسه هو[2]، وله وجود في المعلوم والأذهان، ووجود في اللفظ واللسان ووجود في الخط والبيان[3]، ووجود عيني شخصي، وعلمي ولفظي، ورسمي، وذلك كالشمس مثلاً فلها تحقق في نفسها، وهي الشمس التي في السماء، ثم يتصور بالقلب الشمس ثم ينطق اللسان بلفظ الشمس، ويكتب بالقلم الشمس.

والمقصود بالكتابة مطابقة اللفظ، وباللفظ مطابقة العلم، وبالعلم مطابقة المعلوم، فإذا رأى الإنسان في كتاب خط الشمس أو سمع قائلاً يذكر قال: هذه الشمس قد جعلها الله سراجاً وهاجاً، وهذه الشمس تطلع من المشرق وتغرب في المغرب، فهو يشير إلى ما سمعه من اللفظ ورآه من الخط، وليس مراده نفس اللفظ والخط، فإن ذلك ليس هو الشمس التي تطلع وتغرب، وإنما مراده ما يقصد بالخط واللفظ ويراد بهما وهو المدلول[4] المطابق لهما، وكذلك قد يرى اسم الله مكتوباً في كتاب، ومعه اسم صنم، فيقول: آمنت بهذا، وكفرت بهذا، ومراده أنه مؤمن بالله كافر بالصنم، فيشير إلى اسمه المكتوب ومراده المسمى بهذا الاسم، وكذلك إذا سمع من يذكر أسماء الله الحسنى قال: هذا رب العالمين، ومراده المسمى بتلك الأسماء، ومن هذا قول أنس بن

---

(١) (قد) ساقطة من ط.

(٢) (هو) مكررة في س، ك، أ.

(٣) في أ(البنان) بدلاً من (البيان).

(٤) في ك (للدلول) بدلاً من (المدلول).

مالك[1]: كان نقش خاتم النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ثلاثة أسطر: محمد رسول الله، محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر[2].

ومراده بهذه الأسماء الخط لهذا وهذا وهذا، لا اللفظ ولا المسمى.

ومما يشبه هذا ما يرى في المرآة أو الماء، مثل أن يرى الشمس أو غيرها في ماء أو مرآة، فيشار إلى المرئي، فيقال: هذا الشمس، وهذا وجهي أو وجه فلان، (وليس مراده أن نفس الشمس أو وجهه أو وجه فلان)[3] حل في الماء أو المرآة، ولكن لما كان المقصود بتلك الرؤية هو الشمس وهو الوجه ذكره، ثم قد يقال: رآه رؤية مقيدة في الماء، أو المرآة، وقد يقال: رآه بواسطة الماء والمرآة، وقد يقال: رأى مثاله وخياله المحاكي له، ولكن المقصود بالرؤية هو نفسه، ومثل هذا كثير.

ومعلوم أن ما في القلوب من المثال العلمي المطابق للمعلوم أقرب إليه من اللفظ، واللفظ أقرب من الخط، فإذا كان قد[4] يشار إلى اللفظ والخط، والمراد هو نفسه، وإن لم يكن الخط واللفظ هو ذاته، بل به ظهر وعرف، فلأن يشار إلى ما في القلب[5]، ويراد به المعروف الذي ظهر للقلب وتجلى للقلب، وصار نوره في القلب بطريق الأولى.

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) انظر:

* صحيح البخاري ـ كتاب اللباس ـ باب ٥٥ ـ عن أنس بن مالك بلفظه.
* وسنن الترمذي ـ أبواب اللباس ـ باب ما جاء في نقش الخاتم ـ عن أنس بن مالك بلفظه.

(٣) ما بين القوسين ساقط من س.

(٤) (قد) ساقطة من ط.

(٥) في أ (القلوب) بدلاً من (القلب).

والعقلاء إنما تتوجه قلوبهم إلى المقصود المراد دون الوسائل، ويعبرون بعبارات تدل على ذلك لظهور مرادهم بها، كما يقولون لمن يعرف علم غيره، أو لمن يأمر بأمره، ويخبر بخبره، هذا فلان، فإذا كان مطلوبهم علم عالم أو طاعة أمير، فجاء نائبه القائم مقامه في ذلك، قالوا هذا فلان، أي المطلوب منه هو مع هذا[1]، فالاتحاد المقصود بهما يعبرون عن أحدهما بلفظ الآخر.

كما يقال: (عكرمة[2]: هو ابن عباس[3]، وأبو يوسف[4]: هو

---

(١) (هذا) ساقطة من أ.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) ابن عباس: هو: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي، حبر الأمة والصحابي الجليل وابن عم رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ، ولد بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين ونشأ في عصر النبوة ولازم الرسول ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ وروى عنه أحاديث كثيرة وشهد مع علي الجمل وصفين وكف بصره في آخر عمره فسكن الطائف وتوفي بها سنة ٦٨هـ، وقد دعا له النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ بقوله: «اللّهم فقه في الدين وعلمه التأويل»، وكان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يقدمه ويكرمه ويستشيره ويأخذ برأيه، قال مجاهد كان ابن عباس يسمى البحر من كثرة علمه، وأخذ عنه العلم خلق كثير في مقدمتهم مولاه عكرمة البربري.
انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٢/٣٣٠؛ والاستيعاب في معرفة الأصحاب بهامش الإصابة ٢/٣٥٠؛ وحلية الأولياء ١/٣١٤؛ وتهذيب التهذيب ٥/٢٧٦؛ والطبقات الكبرى ٣/٦٢؛ وشذرات الذهب ١/٧٥.

(٤) أبو يوسف: هو: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي، وهو صاحب الإمام أبي حنيفة كان فقيهاً عالماً حافظاً، وقد سكن بغداد وتولى القضاء بها لثلاثة من الخلفاء المهدي والهادي ثم هارون الرشيد، وكان مولده سنة ١١٣هـ، ومات سنة ١٨٢هـ ببغداد، ومن كلامه المأثور عنه قوله: «من طلب المال بالكيمياء أفلس ومن تتبع غريب الحديث كذب ومن طلب العلم بالكلام تزندق».
انظر: البداية والنهاية ١٠/١٨٠؛ ووفيات الأعيان ٦/٣٧٨؛ وشذرات الذهب ١/٢٩٨؛ وسير أعلام النبلاء ٨/٥٣٥.

أبو حنيفة[1])[2]، ومن هذا الباب ما يذكر عن المسيح ـ عليه السلام ـ أنه قال: (أنا وأبي واحد من رآني فقد رأى أبي)[3].

وقوله ـ تعالى ـ فيما حكاه عن رسوله: «عبدي مرضت فلم تعدني، عبدي جعت فلم تطعمني»، ويشبهه قوله:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾[4].

فينبغي أن يعرف هذا النوع من الكلام، فإنه تنحل به إشكالات كثيرة، فإن هذا موجود في كلام الله ورسله وكلام المخلوقين، في عامة الطوائف، مع ظهور المعنى ومعرفة المتكلم والمخاطب أنه ليس المراد أن ذات أحدهما اتحدت بذات الآخر.

بل أبلغ من ذلك يطلق لفظ الحلول والاتحاد، ويراد به معنى صحيح، كما يقال فلان وفلان بينهما اتحاد، إذا كانا متفقين فيما يحبان ويبغضان، ويواليان ويعاديان، فلما اتحد مرادهما ومقصودهما صار يقال هما متحدان، وبينهما اتحاد، ولا يعني بذلك أن ذات هذا اتحدت بذات الآخر، كاتحاد النار والحديد، والماء واللبن، أو النفس والبدن، وكذلك لفظ الحلول، والسكنى، والتخلل وغير ذلك كما قيل:

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) ما بين القوسين كتب في أ (أبو يوسف أبو حنيفة ويقال عن عكرمة هذا ابن عباس).

(٣) في إنجيل يوحنا الإصحاح العاشر قوله: (أنا والآب واحد).
انظر: العهد الجديد ص ١٦٧.
في الإصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا أيضاً: (الذي رآني فقد رأى الآب فكيف تقول أنت أرنا الآب * ألست تؤمن أني أنا في الآب والآب في).
انظر: العهد الجديد ص ١٧٥.

(١) سورة الفتح: من الآية ١٠.

قــد تخللت مسلك الـروح مني ... وبــذا سمى الخليــل خليــلاً[1]

والمتخلل مسلك الروح منه هو محبته له وشعوره بـه، ونحو ذلـك لا نفس ذاته، وكذلك قول الآخر:

ســاكـن فـي الـقـلب يـعـمـره ... لـســت أنــســاه فـأذكـره[2]

والساكن في القلب هو مثاله العلمي ومحبتـه ومعرفتـه[3]، فتسكن في القلب معرفته ومحبته لا عين ذاته، وكذلك قول[4] الآخر:

إذا سكن الغــديــر على صفــاء ... وجنب أن يـحــركـه[5] النسيـم

بــدت فيـه السمــاء بـلا امتــراء ... كــذاك الشمس تبــدو والنجــوم

كــذاك قـلوب أربــاب التـجـلي ... يـرى في صفوهـا الله العـظيم[6]

وقد يقال: فلان ما في قلبه إلَّا الله، وما عنده إلَّا الله، يراد بذلك: إلَّا ذكره ومعرفتـه ومحبته وخشيتـه وطاعته، وما يشبـه ذلك، أي ليس في قلبه ما في قلب غيره من المخلوقين، بل ما في قلبه إلَّا الله وحده، ويقال: فلان ما عنده إلَّا فلان إذا كان يلهج بذكره، ويفضله على غيره.

وهـذا بـاب واسـع، مـع علم المتكلم والمستمــع أن ذات فـلان لم تحل في هذا، فضلاً عن أن تتحد به، وهو[7] كما يقال عن المرآة إذا

---

(١) هـذا البيت لم أهتد إلى قـائله ولا إلى مكانـه بـالـرغم من البحث الشـديـد في كتب التراجم، وبالذات تراجم الصـوفية. وكـذا في أغلب كتب الشعر وآمـل أن أوفق إلى ذلك مستقبلاً.

(٢) انظر: الهامش السابق.

(٣) (ومحبته ومعرفته) ساقطة من أ.

(٤) (قول) ساقطة من ط.

(٥) في أ، س، ك (تحركه) بدلاً من (يحركه).

(٦) لم أهتد إلى قائل هذه الأبيات ومكانها.

(٧) في ط (وهذا) بدلاً من (وهو).

لم تقابل إلَّا الشمس: ما فيها إلَّا الشمس، أي لم يظهر فيها غير الشمس.

وأيضاً فلفظ الحلول يراد به حلول ذات الشيء تارة، وحلول معرفته ومحبته ومثاله العلمي تارة[1] كما تقدم ذكره، وعندهم في النبوات أن الله حل في غير المسيح من الصالحين، وليس المراد به أن ذات الرب حلت فيه، بل يقال: فلان ساكن في قلبي، وحال في قلبي، وهو في سري، وسويداء قلبي، ونحو ذلك، وإنما حل فيه مثاله[2] العلمي، وإذا كان كذلك فمعلوم أن المكان إذا خلا ممن يعرف الله ويعبده لم يكن هناك ذكر الله ولا حلت فيه عبادته ومعرفته، فإذا صار في المكان من يعرف الله ويعبده ويذكره ظهر فيه ذكره، والإيمان به وحل فيه الإيمان بالله وعبادته وذكره، وهو بيت الله ـ عز وجل ـ، فيقال: إن الله فيه، وهو حال فيه.

كما يقال: إن الله في قلوب العارفين، وحال فيهم، والمراد به حلول معرفته والإيمان به ومحبته، ونحو ذلك. وقد تقدم شواهد ذلك، فإذا كان الرب في قلوب عباده المؤمنين، أي نوره ومعرفته، وعبر عن هذا بأنه حال فيهم، وهم حالون في المسجد قيل: إن الله في المسجد، وحال فيه بهذا المعنى، كما يقال: الله في قلب فلان، وفلان ما عنده إلَّا الله، كما قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في الحديث الصحيح: «أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلو عدته لوجدتني عنده».

ومما يزيد ذلك إيضاحاً ما يراه النائم من بعض الأشخاص في

---

(١) (تارة) ساقطة من ك، س.

(٢) في س، ك (مثله) بدلاً من (مثاله).

منامه، فيخاطبه ويأمره وينهاه ويخبره بأمور كثيرة، وهو يقول: رأيت فلاناً في منامي فقال لي: كذا، وقلت له: كذا، وفعل كذا، وفعلت كذا. ويذكر أنواعاً من الأقوال والأفعال.

وقد يكون فيها علوم وحكم وآداب ينتفع بها غاية المنفعة، وقد يكون ذلك الشخص الذي رأى في المنام حياً، وهو لا يشعر بأن ذاك رآه في منامه فضلاً عن أن يكون شاعراً بأنه قال أو فعل، وقد يقص الرائي عليه رؤياه، ويقول له الرائي: يا سيدي رأيتك في المنام فقلت لي: كذا، وأمرتني بكذا، ونهيتني عن كذا، والمرئي لا يعرف ذلك، ولا يشعر به، لأن المرئي الذي حل في قلب الرائي هو المثال العلمي المطابق للعيني، كما يرى الرائي في المرآة أو الماء الشخص الموجود في الخارج فهو المقصود، وبعض المرئيين في المنام قد يدري بأنه رؤى[1] في المنام ويكاشف بذلك الرائي كما قد يكاشفه بأمور أخرى لا لأنه نفسه حل فيه.

والرؤيا إذا كانت صادقة كان ذلك القول والعمل مناسباً لحال المرئي، مما هو[2] عادته يقوله ويفعله بنفسه، فمثل للرائي مثاله قائلاً له وفاعلاً ليعلم أنه نفسه يقوله ويفعله فينتفع بذلك الرائي، كما يحكى للإنسان قول غيره وعمله ليعرف بذلك نفس القول والعمل المحكي، فإن كثيراً من الأشياء لا يعرفه[3] الناس أو أكثرهم إلاَّ بالمثل المضروب له إما في اليقظة وإما في المنام، مع العلم بأن عين هذا ليس عين هذا،

---

(١) في ك (رأى) بدلاً من (رؤى).

(٢) في أ (ما هو مما) بدلاً من (مما هو).

(٣) في ط (تعرفه) بدلاً من (يعرفه).

ومن توهم أنه إذا رأى شخصاً في منامه بأن[1] ذاته نفسها حلت فيه دل على جهله فإن المرئي كثيراً ما يكون حياً وهو لا يشعر بمن[2] رآه، ذلك لا روحه تشعر ولا جسمه[3]، فلا يتوهم أن ذات روحه تمثلت في صورته الجسمية[4] للنائم، بل الممثل في نفس الرائي مثال مطابق له وجسمه وروحه حيث هما.

ثم الرؤيا قد تكون من الله، فتكون حقاً وقد تكون من الشيطان، كما ثبت تقسيمها إلى هذين في الأحاديث الصحيحة، والشيطان كما قد يتمثل في المنام بصورة شخص (فقد يتمثل أيضاً في اليقظة بصورة شخص)[5] يراه كثير من الناس، يضل بذلك من لم يكن من أهل العلم والإيمان، كما يجري لكثير من مشركي[6] الهند وغيرهم إذا مات ميتهم يرونه قد جاء بعد ذلك وقضى ديوناً، ورد ودائع وأخبرهم بأمور عن موتاهم، وإنما هو شيطان تصور في صورته وقد يأتيهم في صورة من يعظمونه من الصالحين، ويقول: أنا فلان[7]، وإنما هو شيطان.

وقد يقوم شيخ من الشيوخ، ويخلف موضعه شخصاً في صورته يسمونه روحانية الشيخ ورفيقه[8]، وهو جني تصور في صورته، وهذا

---

(١) في أ (فإن) بدلاً من (بأن).

(٢) في ط (بما) بدلاً من (بمن).

(٣) في أ (جسده) بدلاً من (جسمه).

(٤) في ط (الجسيمة) بدلاً من (الجسمية).

(٥) ما بين القوسين ساقطة من ط.

(٦) في س، أ، ك (المشركين) بدلاً من (مشركي).

(٧) في ط (فلاناً) بدلاً من (فلان).

(٨) في أ، ك (رفيقته) بدلاً من (رفيقه).

يقع لكثير من الرهبان وغير الرهبان من[1] المنتسبين إلى الإسلام، وقد يرى أحدهم في اليقظة من يقول له: أنا الخليل، أو أنا موسى، أو أنا المسيح، أو محمد، أو أنا فلان لبعض الصحابة، أو الحواريين، ويراه طائراً في الهواء[2]، وإنما يكون ذلك من الشياطين، ولا تكون تلك الصورة مثل صورة[3] ذلك الشخص.

وقد قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «من رآني في المنام فقد رآني حقاً، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي»[4]، فرؤيته في المنام حق، وأما في اليقظة فلا يرى بالعين هو، ولا أحد من الموتى، مع أن كثيراً من الناس قد يرى في اليقظة من يظنه نبياً من الأنبياء إما عند قبره، وإما عند غير قبره.

وقد يرى القبر انشق، وخرج منه صورة إنسان فيظن أن الميت نفسه خرج من قبره، أو أن روحه تجسدت وخرجت من القبر، وإنما[5] ذلك جني[6] تصور في صورته ليضل ذلك الرائي، فإن الروح ليست مما

---

(١) في أ (ومن) بزيادة واو.

(٢) في س، ك (الهوى) بدلاً من (الهواء).

(٣) (صورة) ساقطة من أ.

(٤) انظر:

* صحيح البخاري، كتاب تعبير الرؤيا، باب ١٠، عن أنس بن مالك وأبي هريرة بلفظه بدون كلمتي (حقاً)، و(صورتي).

* صحيح مسلم، كتاب الرؤيا، باب ١، حديث ١٠، ١١، عن أبي هريرة بمعناه، وحديث ١٢، ١٣، عن جابر بن عبد الله بمعناه.

* سنن الترمذي أبواب الرؤيا، باب ٣ ما جاء في قول النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من رآني في المنام، عن عبد الله بن مسعود بلفظه، بدون كلمتي (حقاً) و (صورتي).

(٥) في أ (فإنما) بدلاً من (وإنما).

(٦) (جنى) ساقطة من س.

تكـون تحت التراب وينشق عنهـا التراب، فـإنهـا وإن كـانت قـد تتصـل بـالبدن، فـلا يحتـاج في ذلـك إلى شق التـراب، والبـدن لـم ينشق عنـه التراب، وإنما ذلك تخييل من الشيـطان، وقد جـرى مثل هـذا لكثير من المنتسبين إلى المسلمين، وأهل الكتاب، والمشركين.

ويـظن كثير من النـاس أن هذا من كـرامات عبـاد الله الصـالحين، ويكون من إضلال الشياطين، كما قد بسط الكلام في هذا الباب في غير هذا الكتاب، مثل (الفرقان بين أولياء الرحمن، وأولياء الشيطان)[1] وغير ذلك.

• • •

(١) انـظر: الفـرقـان بين أوليـاء الـرحمن وأوليـاء الشيـطان ـ لشيـخ الإسـلام ابن تيميـة ص ١٣٦، ١٣٧ ـ المكتب الإسلامي ـ دمشق/ بيروت.

فصل

وإن أردتم بقولكم ظهر في عيسى حلول ذاته واتحاده بالمسيح أو غيره فهذه دعوى مجردة من غير دليل متقدم ولا متأخر، وكون الإنسان أجل ما خلقه الله لو كان مناسباً لحلوله فيه أمر لا يختص به المسيح، بل قد قام الدليل على أن غير عيسى ـ عليه السلام ـ أفضل منه مثل إبراهيم ومحمد ـ صلَّى الله عليهما[1] وسلَّم ـ، وهذان اتخذهما الله خليلين، وليس فوق الخلة مرتبة، فلو[2] كان يحل في أجلٍّ ما خلقه الله من الإنسان لكونه أجل مخلوقاته لحل في أجل هذا النوع، وهو الخليل، ومحمد ـ صلَّى الله عليهما وسلَّم ـ، وليس معهم قط حجة على أن الجسد المأخوذ من مريم إذا لم يتحد باللاهوت على أصلهم أنه أفضل من الخليل وموسى.

وإذا قالوا: إنه لم يعمل خطيئة، فيحيى بن زكريا لم يعمل خطيئة (ومن عمل خطيئة وتاب منها فقد يصير بالتوبة أفضل مما كان قبل الخطيئة) وأفضل ممن لم يعمل تلك الخطيئة[3]، والخليل وموسى أفضل من يحيى الذي يسمونه «يوحنا المعمداني»[4].

وأما قولهم: ولهذا خاطب الخلق، فالذي خاطب الخلق هو

---

(١) في ط، ك (عليه) بدلاً من (عليهما).

(٢) في أ (ولو) بدلاً من (فلو).

(٣) (وأفضل ممن لم يعمل تلك الخطيئة) كتبت في س متقدمة عما بين القوسين.

(٤) سبقت ترجمته.

عيسى بن مريم، وإنما سمع الناس صوته لم يسمعوا غير صوته، والجنى إذا حل في الإنسان وتكلم على لسانه يظهر للسامعين أن هذا الصوت ليس هو صوت الآدمي، ويتكلم بكلام، يعلم الحاضرون أنه ليس كلام الآدمي.

والمسيح ـ عليه السلام ـ لم يكن يسمع منه إلّا ما يسمع[1] من مثله من الرسل، ولو كان المتكلم على لسان الناسوت هو جنياً أو ملكاً لظهر ذلك، وعرف أنه ليس هو البشر، فكيف إذا كان المتكلم هو رب العالمين؟ فإن هذا لو كان حقاً لظهر ظهوراً أعظم من ظهور كلام الملك والجني على لسان البشر بكثير كثير.

وأما ما شاهدوه[2] من معجزات المسيح عليه الصلاة والسلام، فقد شاهدوا من غيره ما هو مثلها وأعظم منها، وقد أحيا غيره الميت وأخبر بالغيوب أكثر منه، ومعجزات موسى أعظم من معجزاته أو أكثر، وظهور المعجزات على يديه يدل على نبوته ورسالته، كما دلت المعجزات على نبوة غيره، ورسالتهم، لا تدل على الإلهية.

والدجال لما ادعى الإلهية لم يكن ما يظهر على يديه من الخوارق دليلاً عليها، لأن دعوى الإلهية ممتنعة، فلا يكون في ظهور العجائب ما يدل على الأمر الممتنع.

• • •

(١) في أ (سمع) بدلاً من (يسمع).
(٢) في أ (يشاهدونه) بدلاً من (شاهدوه).

فصل

قالوا: وقد[1] قال الله على أفواه الأنبياء والمرسلين، الذين تنبؤوا على ولادته من العذراء الطاهرة مريم، وعلى جميع أفعاله التي فعلها في الأرض، وصعوده إلى السماء، وهذه النبوات جميعها عند اليهود مقرين[2] ومعترفين بها ويقرؤنها في كنائسهم، ولم ينكروا منها كلمة واحدة.

فيقال: هذا كله[3] مما لا ينازع المسلمون فيه[4]، فإنه لا ريب أنه ولد من مريم العذراء البتول التي لم يمسها بشر قط، وأن الله أظهر على يديه الآيات، وأنه صعد إلى السماء، كما أخبر الله بذلك في كتابه، كما تقدم ذكره، فإذا كان هذا مما أخبرت به الأنبياء في النبوات التي عند اليهود لم ينكروا ذلك، وإن كان اليهود يتأولون ذلك على غير المسيح، كما في النبوات من البشارة بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فهو حق، وإن كان الكافرون به من أهل الكتاب يتأولون ذلك على غيره.

• • •

---

(١) في ط (قد) بسقوط الواو.

(٢) في أ (مقرين بها) بزيادة (بها).

(٣) في ط (كل) بدلاً من (كله).

(٤) في ط (فيه المسلمون) بدلاً من (المسلمون فيه).

فصل

مناقشتهم فيما نقلوه عن الأنبياء حول مجيء المسيح ـ عليه السلام ـ وبيان وجه الدلالة فيها

قالوا: وسبيلنا[1] أن نذكر من بعض قول الأنبياء الذين تنبوا على السيد المسيح، ونزوله إلى الأرض، قال (عزرا)[2] الكاهن حيث سباهم «بختنصر الفريدي»[3] إلى أرض بابل[4] إلى أربعمائة واثنين وثمانين سنة: (يأتي المسيح ويخلص الشعوب والأمم)[5]، وفي كمال هذه المدة أتى السيد المسيح، (وقال أرميا[6] النبي عن ولادته في ذلك الزمان:

(١) في ط، ك (وسئلنا) بدلا من (وسبيلنا).

(٢) عزرا: هو: الكاهن ابن سرايا، لُقب بالكاتب إذ أنه كان موظفاً في بلاط إمبراطور الفرس (إرتحشتا) ومستشاراً له في شؤون الطائفة اليهودية التي كانت تقيم فيما بين النهرين منذ أيام السبي وهو يعتبر مؤسس نظم اليهودية المتأخرة ولقب بالكاهن.
انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٦٢١.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) بابل: مدينة قديمة بأرض الرافدين كانت قاعدة إمبراطورية بابل وتقع على الفرات إلى الشمال من المدن التي ازدهرت في جنوب أرض الرافدين منذ الألف الثالثة قبل الميلاد لم تبلغ أهميتها إلاّ بعد أن جعلها حمورابي عاصـ ـة له، بها حدائق بابل المعلقة إحدى عجائب الدنيا السبع، وجرى صيتها مجرى الأساطير منذ أيام نبوخذ نصر (ت ٥٦٢ ق. م)، وعرفت بين الإغريق بأنها مكان المسرات، ويقال بها بئر هاروت وماروت.
انظر: آثار البلاد وأخبار العباد ص ٣٠٤؛ والموسوعة العربية الميسرة ص ٢٩٦.

(٥) في سفر عزرا ـ الإصحاح ٢: (وهؤلاء هم بنو الكورة الصاعدون من سبي المسبيين الذين سباهم نبوخذ نصر ملك بابل إلى بابل ورجعوا إلى أورشليم...).
انظر: العهد القديم ص ٧٢٩.

(٦) أرميا بن حلقيا الكاهن من عناثوث، وقد دعاه الرب للقيام بالعمل النبوي في رؤيا رآها وهو بعد حدث فأحس بأنه قليل الخبرة فقال له الرب: جعلت كلامي في فمك =

«يقوم لداود ابن هو ضوء النور يملك الملك ويعلم ويفهم ويقيم الحق والعدل في الأرض ويخلص من آمن به من اليهود من بني إسرائيل وغيرهم، ويبقى بيت المقدس بغير مقاتل ويسمى الإلّه»، وأما[1] قوله: «ابن لداود» لأن مريَم كانت من نسل داود ولأجل ذلك قال النبي: «يقوم لداود ابن»)[2].

فيقال: أما قول عزرا الكاهن فليس فيه إلاّ إخباره بأنه يأتي المسيح ويخلص الشعوب والأمم، وهذا مما لا ينازع[3] فيه المسلمون، فإنهم يقرون بما أخبر الله به في كتابه من إتيان المسيح ـ عليه السلام ـ ، وتخليص الله به كل من آمن به من الشعوب والأمم إلى أن بعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ .

فكل من كان مؤمناً بالمسيح، متبعاً لما أنزل عليه من غير تحريف ولا تبديل، فإن الله خلصه بالمسيح من شر الدنيا والآخرة، كما خلص الله ـ تعالى ـ[4] بموسى من اتبعه من بني إسرائيل.

= وأقمتك اليوم على الشعوب والممالك لتقطع وتهدم وتبني وتغرس، وقد دامت خدمته ثمان عشرة سنة وثلاثة أشهر.

انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٥٢.

(١) (وأما) ساقطة من ك.

(٢) ما بين القوسين ساقط من س، و ط. وقد وجدت في التوراة ما يلي:
(ها أيام تأتي يقول الرب، وأقيم لداود غصن بر فيملك ملك وينجح ويجري حقاً وعدلاً في الأرض، في أيامه يخلص يهوذا ويسكن إسرائيل آمناً وهذا هو اسمه الذي يدعونه به الرب برنا).
انظر: العهد القديم ـ الإصحاح الثالث والعشرون ص ١١٠٩.

(٣) في ط (يتنازع) بدلاً من (ينازع).

(٤) (الله) لفظ الجلالة ساقط من أ.

(٥) في س، ك (محمد) بسقوط (أ)؛ في أ (بمحمد) بدلاً من (محمداً).

ومن حرف وبدل فلم يتبع المسيح، ومن كذب محمداً[٥] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فهو كمن كذب المسيح بعد أن كان مقراً بموسى ـ عليه السلام ـ .

ولكن هذا النص وأمثاله حجة على اليهود الذين يتأولون ذلك على أن هذا ليس هو المسيح ابن مريم، وإنما هو مسيح ينتظر، وإنما ينتظرون المسيح الدجال مسيح الضلالة، فإن اليهود يتبعونه ويقتلهم المسلمون معه (حتى يقول الشجر والحجر: يا مسلم هذا يهودي ورائي تعال فاقتله)[١] وهكذا يقال في النبوة الثانية التي ذكروها عن «أرميا» النبي ـ عليه السلام ـ .

● ● ●

---

(١) انظر:

* صحيح البخاري ـ كتاب المناقب ـ باب ٢٥ ـ عن عبد الله بن عمر بلفظه دون كلمة (شجر)؛

* وصحيح مسلم ـ كتاب الفتن ـ باب ١٨ ـ حديث رقم ٨٢ ـ عن أبي هريرة بمعناه؛

* ومسند الإمام أحمد ١/٣٧٥ ـ عن عبد الله بن مسعود بمعناه؛ و ٣/٣٦٧ ـ عن جابر بن عبد الله بمعناه.

فصل[1]

قالوا: وقال «أرميا» النبي عن ولادته في ذلك الزمان: (يقوم لداود ابن، وهو ضوء النور يملك الملك، ويعلم ويفهم ويقيم الحق والعدل في الأرض، ويخلص من آمن به من اليهود، من[2] بني إسرائيل وغيرهم ويبقى بيت المقدس بغير مقاتل، ويسمى الإلّه)، وأما قوله: (ابن لداود) لأن مريم كانت من نسل داود، ولأجل[3] ذلك قال: (ويقوم لداود ابن)[4].

والجواب أن يقال: قد قال فيه: (ويخلص من آمن به من[5] اليهود، ومن بني إسرائيل)[6]، وهو كما فسرنا به التخليص الذي نقله عن عزرا[7] الكاهن.

وأما قوله (واسمه الإلّه) فهذا يدل على أنه ليس هو الله رب العالمين، وإنما لفظ الإله اسم سمي[8] به كما سمي[9] موسى إلّهاً

---

(١) (فصل) ساقطة من أ.

(٢) في س، ك، ط (ومن) بزيادة واو.

(٣) في أ (من أجل) بدلاً من (لأجل).

(٤) في س، ك، أ (ابناً) بزيادة (أ) (وسبق تخريج النص في الصفحة قبل السابقة).

(٥) (من) ساقطة من ط .

(٦) في أ (إسرائيل وغيرهم) بزيادة (وغيرهم).

(٧) في ط (عذراً) بدلاً من (عزرا).

(٨) في أ (تسمى) بدلاً من (سمي).

(٩) في ط، س، ك (يسمى) بدلاً من (سمى)؛ في ك (سمى به) بزيادة (به).

لفرعون عندهم في التوراة[1]، إذ لو كان هو الله رب العالمين لكان أجل من أن يقال ويسمى الإآله، فإن الله ـ تبارك وتعالى ـ لا يعرف بمثل هذا، ولا يقال فيه: إن الله يسمى الإآله، ولقال: يأتي الله بنفسه فيظهر، وقال[2] يملك[3] الملك، ورب العالمين ما زال ولا يزال مالكاً للملك ـ سبحانه ـ .

وأيضاً فإنه قال: (يقوم لداود ابن هو ضوء النور)، ومعلوم أن الابن الذي من نسل داود الذي اسم أمه مريم هو الناسوت فقط، فإن اللاهوت ليس هو[4] من نسل البشر، وقد تبين أن هذا الناسوت الذي هو ابن داود، يسمى[5] الإآله، فعلم أن هذا اسم للناسوت المخلوق لا للإآله الخالق.

وأيضاً فإنه قال: وهو ضوء النور لم يجعله النور نفسه، بل جعله ضوء النور، والله ـ تعالى ـ منور كل نور، فكيف يكون هو ضوء النور، والله ـ تعالى ـ قد سمى محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ سراجاً منيراً، ولم يكن بذلك خالقاً، فكيف إذا سمي ضوء النور؟

وأيضاً فإنه لم يجعل القائم إلَّا ابن داود، وابن داود مخلوق،

---

(١) ورد في العهد القديم ص ٩٦ ـ سفر الخروج: (قال الرب لموسى انظر أنا جعلتك إلٓهاً لفرعون).

(٢) في ط، ك، س (يقال) بزيادة (يـ).

(٣) في س، ك (ملك) بسقوط (يـ).

(٤) (هو) ساقطة من ط.

(٥) في ط، س، أ (ويسمى) بزيادة واو.

وأضاف الفعل إلى هذا المخلوق، ولو كان هذا هو الله رب العالمين قد اتحد بالناسوت البشري لبين «أرميا»[1]، وغيره[2] من الأنبياء ذلك بياناً قاطعاً للعذر، ولم يكتفوا بمثل هذه الألفاظ التي هي إما صريحة أو ظاهرة في نقيض ذلك، أو مجملة لا تدل على ذلك، فإنه من المعلوم أن إخبارهم بإتيان نبي من الأنبياء أمر معتاد ممكن، ومع هذا يذكرون فيه من البشارات والدلائل الواضحة ما يزيل الشبهة.

وأما الإخبار بمجيء الرب نفسه وحلوله، أو اتحاده بناسوت بشري فهو: إما ممتنع غير ممكن كما يقوله أكثر العقلاء من بني آدم، ويقولون: يعلم بصريح العقل أن هذا ممتنع.

وإما ممكن كما يقوله بعض الناس، وحينئذٍ فإمكانه خفي على أكثر العقلاء وهو أمر غير معتاد، وإتيان الرب بنفسه أعظم من إتيان كل رسول ونبي، لا سيما إذا كان إتيانه باتحاده ببشر لم يظهر على يديه من الآيات ما يختص بالإلّهية، بل لم يظهر على يديه إلّا ما ظهر على يد غيره من الأنبياء ما هو مثله أو أعظم منه، والله ـ تعالى ـ لما كان يكلم موسى ولم يكن موسى يراه ولا يتحد لا بموسى ولا بغيره، ومع هذا فقد أظهر من الآيات على ذلك، وعلى نبوة موسى ما لم يظهر مثله ولا قريب[3] منه على يد المسيح.

فلو كان هو بذاته متحداً بناسوت بشري لكان الأنبياء يخبرون بذلك إخباراً صريحاً بيناً لا يحتمل التأويلات، ولكان الرب يظهر على ذلك من الآيات ما لم يظهر على يد رسول ولا نبي، فكيف والأنبياء

---

(١) في أ (داود وأرميا) بزيادة (داود).

(٢) في أ (وغيرهما) بدلاً من (وغيره).

(٣) في أ (قريباً) بدلاً من (قريب).

لم ينطقوا[1] في ذلك بلفظ صريح. بل النصوص الصريحة تدل على أن المسيح مخلوق ولم تأتِ آية على خلاف ذلك، بل إنما تدل الآيات على نبوة المسيح.

• • •

(١) في ط (ينطلقوا) بدلاً من (ينطقوا).

فصل

قالوا: وقال «أشعيا» النبي: (قل لصهيون[١] هنا تفرح وتتهلل، فإن الله يأتي ويخلص الشعوب، ويخلص من آمن به وبشعبه[٢] ويخلص مدينة بيت المقدس، ويظهر الله ذراعه الطاهر فيها لجميع الأمم المبددين ويجعلهم أمة واحدة، ويبصرون جميع أهل الأرض من خلاص الله، لأنه يمشي معهم وبين يديهم[٣] ويجمعهم إله إسرائيل)[٤].

فيقال: هذا محتاج[٥] أولاً أن يعلم من[٦] هذه النبوة أن[٧] هذا الكلام نقل[٨] بلا تحريف للفظه، ولا غلط في الترجمة ولم يثبت ذلك،

(١) في ك، أ (صبهون) بدلاً من (لصهيون).

(٢) في س، أ، ك (ولشعبه) بدلاً من (وبشعبه)؛ وفي ط (ويشبعه) بدلاً من (وبشعبه).

(٣) في أ: (أيديهم) بزيادة (أ).

(٤) وجدت في سفر أشعيا الإصحاح ٥٢، ولكنه بلفظ مخالف (٩ ـ أشيدي ترنمي معايا خرب أورشليم لأن الرب قد عزى شعبه فدى أورشليم. ١٠ ـ قد شمر الرب عن ذراع قدسه أمام عيون كل الأمم فترى كل أطراف الأرض خلاص إلهنا. ١١ ـ اعتزلوا اعتزلوا اخرجوا من هناك لا تمسوا نجساً اخرجوا من وسطها تطهروا يا حاملي آنية الرب. ١٢ ـ لأنكم لا تخرجون بالعجلة ولا تذهبون هاربين لأن الرب سائر أمامكم وإله إسرائيل يجمع ساقتكم) بمعناه.
انظر: العهد القديم ص ١٠٥٦.

(٥) في ط، س (يحتاج) بدلاً من (محتاج).

(٦) في ط، ك، س (أن في) بدلاً من (من).

(٧) (أن) ساقطة من س.

(٨) (نقل) ساقطة من س، ك.

وإذا ثبت ذلك فحينئذٍ هو نظير ما في التوراة من قوله: (جاء الله[1] من طور سينا، وأشرف من ساعير، واستعلن من جبال فاران)[2].

ومعلوم أنه ليس في هذا ما يدل على أن الله حال في موسى بن عمران، ومتحد[3] به، ولا أنه حال في جبل فاران، ولا أنه متحد بشيء من طور سينا، ولا ساعير.

وكذلك هذا اللفظ لا يدل على أنه حال في المسيح ومتحد به، إذ كلاهما سواء، وإذا قيل: المراد بذلك قربه ودنوه كتكليم موسى، وظهور نوره وهداه وكتابه ودينه، ونحو ذلك من الأمور التي وقعت، قيل: وهكذا في المسيح ـ عليه السلام ـ.

وقوله: (ويظهر الله ذراعه الطاهر لجميع الأمم المبددين)، قد قال في التوراة مثل هذا في غير موضع، ولم يدل ذلك على اتحاده بموسى ـ عليه السلام ـ[4].

وأما قوله عن الأمم المبددين فيجعلهم أمة واحدة، فهم الذين اتبعوا المسيح، فإنهم كانوا متفرقين مبددين فجعلهم أمة واحدة.

وأما قوله: ويبصرون جميع أهل الأرض خلاص الله، لأنه يمشي معهم وبين يديهم،ويجمعهم إله إسرائيل، فمثل هذا في التوراة في غير موضع، ولم يدل ذلك على اتحاده بموسى ولا حلوله فيه، كقوله في السفر الخامس من التوراة يقول موسى لبني إسرائيل: (لا تهابوهم

---

(١) في ط (الرب) بدلاً من (الله).

(٢) سبق الإشارة إلى هذا النص ٣/ ١٤٥.

(٣) في ط (لا متحد به) بزيادة (لا).

(٤) في جميع النسخ و ط (عليه السلام كقوله) بزيادة (كقوله)، وقد حذفنا (كقوله) ليستقيم المعنى.

ولا تخافوهم، لأن الله ربكم السائر[1] بين أيديكم هو يحارب[2] عنكم)[3].

وفي موضع قال موسى: (إن الشعب هو شعبك، فقال: أنا أمضي أمامك فارتحل، فقال: إن لم تمضِ أنت أمامنا وإلّا فلا تصعدنا من ههنا، وكيف أعلم أنا وهذا الشعب أني وجدت أمامك نعمة كذا[4] إلّا بسيرك معنا)[5].

وفي السفر الرابع من الفصل الثالث عشر: (إن أصعدت[6] هؤلاء من بينهم بقدرتك، فيقولون لأهل هذه الأرض الذين[7] سمعوا أنك الله فيما بين هؤلاء القوم، يرونه عيناً بعين، وغمامك يقيم عليهم، وبعمود غمام يسير بين أيديهم نهاراً، وبعمود نار ليلاً)[8].

---

(١) في ط (سائر) بسقوط (ال).

(٢) في س، ك، ط (محارب) بدلاً من (يحارب).

(٣) وجدت في سفر التثنية الإصحاح الأول (٢٩ ـ فقلت لكم لا ترهبوا ولا تخافوا منهم. ٣٠ ـ الرب إلهكم السائر أمامكم هو يحارب عنكم) بنصه.
انظر: العهد القديم ص ٢٧٨.

(٤) في ط (كذا بعلمك) بزيادة (بعلمك)؛ في ك (بعلمك) بدلاً من (نعمة كذا).

(٥) وجدت في سفر الخروج ـ الإصحاح الثالث والثلاثون (١٣ ـ وانظر إن هذه الأمة شعبك. ١٤ ـ فقال وجهي يسير فأريحك. ١٥ ـ فقال له: إن لم يسر وجهك فلا تصعدنا من هنا. ١٦ ـ فإنه بماذا يعلم أني وجدت نعمة في عينيك أنا وشعبك أليس بمسيرك معنا) النص بمعناه.
انظر: العهد القديم ص ١٤٣.

(٦) في ط (ربي أصعدن) بدلاً من (إن أصعدت)؛ في أ (إني أسعدت) بدلاً من (إن أصعدت).

(٧) في ك، س (الذي) بدلاً من (الذين).

(٨) وجدت في سفر العدد ـ الإصحاح الرابع عشر (١٣ ـ فقال موسى للرب فيسمع المصريون الذين أصعدت بقوتك هذا الشعب من وسطهم. ١٤ ـ ويقولون لسكان هذه الأرض الذين قد سمعوا أنك يا رب في وسط هذا الشعب الذين أنت يا رب قد =

وفي التوراة أيضاً: يقول الله لموسى: (إني آتٍ إليك في غلظ الغمام لكي يسمع القوم مخاطبتي[1] لك)[2].

ثم قوله: (اجمع سبعين رجلاً من شيوخ بني إسرائيل، وخذهم إلى خباء العزب يقفون معك حتى أخاطبهم)[3].

• • •

= ظهرت لهم عيناً لعين وسحابتك واقفة عليهم وأنت سائر أمامهم بعمود سحاب نهاراً وبعمود نار ليلاً) النص بمعناه.
انظر: العهد القديم ص ٢٣٤.

(١) في ك، س (مخالطتي) بدلاً من (مخاطبتي).

(٢) وجدت في سفر الخروج ـ الإصحاح التاسع عشر (٩ ـ فقال الرب لموسى ها أنا آتٍ إليك في ظلام السحاب لكي يسمع الشعب حينما أتكلم معك) النص بمعناه.
انظر: العهد القديم ص ١١٩.

(٣) وجدت في سفر العدد ـ الإصحاح الحادي عشر (١١ ـ فقال الرب لموسى اجمع لي سبعين رجلاً من شيوخ إسرائيل الذين تعلم أنهم شيوخ الشعب وعرفاؤه وأقبل بهم إلى خيمة الاجتماع فيقفوا هناك معك فأنزل أنا وأتكلم معك هناك وآخذ من الروح الذي عليك وأضع عليهم...) النص بمعناه.
انظر: العهد القديم ص ٢٢٩.

فصل

قالوا: وقال: «زكريا»[1] النبي: (افرحي يا بيت صهيون، لأني آتيك وأحل فيك وأترايا، قال الله: ويؤمن بالله في ذلك اليوم الأمم الكثيرة، ويكونون له شعباً واحداً، ويحل هو وهم فيك، وتعرفين أني أنا الله القوي الساكن فيك، ويأخذ الله في ذلك اليوم الملك من يهوذا[2]، ويملك[3] عليهم إلى الأبد)[4].

فيقال مثل هذا قد ذكر عندهم عن إبراهيم وغيره من الأنبياء أن الله تجلى له، واستعلن له، وترايا له، ونحو هذه العبارات، ولم يدل ذلك على حلوله فيه واتحاده به[5].

---

(١) زكريا: هو زكريا بن برخيا بن عَدّو، النبي ـ كاهن من فرقة أبيا، وهو أبو يوحنا المعمدان كان ورعاً باراً.
انظر: العهد القديم ـ الإصحاح الأول ـ زكريا ـ ص ١٣٤٠؛ وقاموس الكتاب المقدس ص ٤٢٧.

(٢) في ط، أ، ك (يهودا) بدلاً من (يهوذا).

(٣) في أ (ويملكه) بدلاً من (ويملك).

(٤) وجدت في سفر زكريا ـ الإصحاح الثاني (١٠ ـ ترنمي وافرحي يا بنت صهيون لأني هاأنذا آتي وأسكن في وسطك يقول الرب ـ ١١ ـ فيتصل أمم كثيرة بالرب في ذلك اليوم ويكونون لي شعباً فأسكن في وسطك فتعلمين أن رب الجنود قد أرسلني إليك. والرب يرث يهوذا نصيبه في الأرض المقدسة ويختار أورشليم بعد) النص بمعناه.
انظر: العهد القديم ص ١٣٤٢.

(٥) (واتحاده به) ساقطة من ط.

وكذلك إتيانه، وهو لم يقل إني أحل في المسيح وأتحد به، وإنما قال عن بيت صهيون: (آتيك وأحل فيك) كما قال مثل ذلك عندهم في غير هذا ولم يدل على حلوله في بشر، وكذلك قوله: (وتعرفين أني أنا الله القوي الساكِن فيك)، لم[1] يرد بهذا اللفظ حلوله في المسيح، فإن المسيح لم يسكن بيت المقدس، وهو قوي بل كان يدخلها وهو مغلوب مقهور حتى أخذ وصلب أو شبهه، والله سبحانه إذا حصلت معرفته والإيمان به في القلوب اطمأنت وسكنت.

وكان بيت المقدس لما ظهر فيه دين المسيح ـ عليه السلام ـ بعد رفعه حصل فيه من الإيمان بالله ومعرفته ما لم يكن قبل ذلك.

وجماع هذا أن النبوات المتقدمة والكتب الإلهية كالتوراة والإنجيل والزبور وسائر نبوات الأنبياء لم تخص المسيح بشيء يقتضي اختصاصه باتحاد اللاهوت به وحلوله فيه، كما يقوله النصارى، بل لم تخصه إلاَّ بما خصه الله به على لسان محمد (ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في قول الله ـ تعالى ـ :)[2].

﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾[3].

فكتب الأنبياء المتقدمة، وسائر النبوات موافقة لما أخبر به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يصدق بعضها[4] بعضاً، وسائر ما تستدل به

---

(١) في ط (ولم) بزيادة (و).

(٢) هذه العبارة وردت في المطبوعة وسائر النسخ (محمد صلَّى الله عليه وسلَّم في قوله) وهذا نقص يحيل المعنى ويجعل الآية التالية منسوبة للنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ. في أ (محمداً) بدلاً من (محمد).

(٣) في سورة النساء: من الآية ١٧١.

(٤) في س (بعضه) بدلاً من (بعضها).

النصارى على إلٰهيته من كلام الأنبياء قد يوجد مثل تلك الكلمات في حق غير المسيح، فتخصيص المسيح بالإلٰهية ودون غيره باطل، وذلك مثل اسم الابن والمسيح ومثل حلول روح القدس فيه، ومثل تسميته إلٰهاً، ومثل ظهور الرب أو حلوله فيه أو سكونه فيه أو في مكانه.

فهذه الكلمات وما أشبهها موجودة في حق غير المسيح عندهم[1]، ولم يكونوا بذلك آلهة.

ولكن القائلون بالحلول والاتحاد في حق جميع الأنبياء والصالحين قد يحتجون بهذه الكلمات.

وهذا المذهب باطل باتفاق المسلمين واليهود والنصارى، وهو باطل في نفسه عقلاً ونقلاً، وإن كان طوائف من أهل الإلحاد والبدع المنتسبين إلى المسلمين واليهود والنصارى تقول به، فهؤلاء اشتبه عليهم ما يحل في قلوب العارفين به من أهل الإيمان به ومعرفته ونوره وهداه والروح منه، وما يعبر عنه بالمثل الأعلى، والمثال العلمي.

وظنوا أن ذلك ذات الرب، كمن يظن أن نفس اللفظ بالاسم هو المعنى الذي في القلب، أو نفس الخط هو نفس اللفظ، ومن يظن أن ذات المحبوب حلت في ذات المحب واتحدت به أو نفس المعروف المعلوم حل في ذات العالم العارف به واتحد به، مع العلم اليقيني أن نفس المحبوب المعلوم باين عن ذات المحب روحه وبدنه، لم يحل واحد منها في ذات المحب.

وقد قال الله ـ تعالى ـ :

---

(١) في ط (وعندهم) بزيادة (و).

﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾[3].

فالمؤمنون يعرفون الله ويحبونه ويعبدونه ويذكرونه ويقال هو في قلوبهم، والمراد معرفته ومحبته وعبادته، وهو المثل العلمي ليس المراد نفس ذاته، كما يقول الإنسان لغيره: أنت في قلبي، وما زلت في قلبي وبين[4] عيني، ويقال:

ساكن في القلب يعمره ... لست أنساه فأذكره[5]

ويقال[6]:

إن بيتاً أنت ساكنه ... غير محتاج إلى السرج[7]

ومن قول القائل:

ومن عجبي أن أحن إليهم ... وأسأل عنهم من لقيت وهم معي

---

(١) سورة الروم: من الآية ٢٧.

(٢) سورة الزخرف: من الآية ٨٤.

(٣) سورة الأنعام: من الآية ٣.
في ك (في السماوات والأرض) بدلاً (في السماوات وفي الأرض).

(٤) (بين) ساقطة من س.

(٥) هذا البيت سبقت الإشارة إليه.

(٦) في ط، ك، أ (وقال) بدلاً من (ويقال).

(٧) هذا البيت ينسب لعبد الصمد بن المعذل.
انظر: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق ٤/٢٣١.

وتطلبهم عيني وهم في سوادها ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي[1]

وقال:

مثالك في عيني وذكرك في فمي ومثواك في قلبي فأين تغيب؟[2]

والمساجد: هي بيوت الله التي فيها يظهر ذلك، ولهذا قال ـ تعالى ـ:

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾[3].

قال أبي بن كعب: مثل نوره في قلوب المؤمنين[4].

ثم قال: ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾[5].

ثم قال:

﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾[6].

فذكر سبحانه نوره في قلوب المؤمنين، ثم ذكر[7] ذلك في بيوته، كذلك ما ذكر في الكتب الأولى.

وأما الإتيان والمجيء والتجلي فعندهم في التوراة يقول الله لموسى: «إني آتي إليك في غلظ الغمام لكي يسمع القوم مخاطبتي لك»[8]، ثم قوله: «اجمع سبعين رجلاً من شيوخ بني إسرائيل، وخذهم

---

(١) سبقت الإشارة إلى هذين البيتين.

(٢) سبقت الإشارة إلى هذا البيت.

(٣) سورة النور: من الآية ٣٥.

(٤) سبقت الإشارة إلى هذا النص.

(٥) سورة النور: من الاية ٣٦.

(٦) سورة النور: من الآية ٣٦.

(٧) (ذكر) ساقطة من س، د.

(٨) سبقت الإشارة إلى هذا النص.

إلى خباء العرب يقفون معك حتى أخاطبهم»[1].

وفي السفر الرابع لما تكلم مريم وهارون في موسى: (حينئذ تجلى الله بعمود الغمام قائماً على باب الخباء ونادى يا هارون ويا مريم، فخرجا كلاهما فقال: اسمعا كلامي إني أنا الله فيما بينكم»[2].

وفي الفصل الثالث عشر: (إن أصعدت هؤلاء من بينهم بقدرتك فيقولون لأهل هذه الأرض الذين سمعوا أنك الله فيما بين هؤلاء القوم يرونه عيناً بعين وغمامك يقيم عليهم، وبعمود غمام يسير بين أيديهم نهاراً، وبعمود نار ليلاً)[3].

وفي السفر الخامس قول موسى لبني إسرائيل: (لا تهابوهم ولا تخافوهم، لأن الله ربكم السائر بين أيديكم، وهو يحارب عنكم)[4].

وفي موضع آخر قال موسى: (إن الشعب هو شعبك، فقال: يا موسى[5] أنا أمضي أمامك فأرتحل، فقال: إن لم تمض أنت معنا وإلاَّ فلا تصعدنا من ههنا، وكيف أعلم أنا وهذا الشعب أني وجدت أمامك نعمة كذا[6] بعلمك إلاَّ بسيرك معنا)[7].

---

(١) سبقت الإشارة إلى هذا النص.

(٢) وجدت في السفر الرابع ـ سفر العدد ـ الإصحاح الثاني عشر: (٥ ـ فنزل الرب في عمود سحاب ووقف في باب الخيمة ودعا هارون ومريم فخرج كلاهما ـ ٦ ـ فقال: اسمعا كلامي إن كان منكم نبي للرب فبالرؤيا أستعلن له في الحلم وأكلمه).

انظر: العهد القديم ص ٣٤٠.

(٣) هذا النص سبقت الإشارة إليه.

(٤) سبقت الإشارة إلى هذا النص.

(٥) (يا موسى) ساقطة من س، ك.

(٦) (نعمة كذا) ساقطة من أ.

(٧) هذا النص سبقت الإشارة إليه.

وفي المزمور الرابع من الزبور عندهم يقول: (وليفرح المتكلون[1] عليك إلى الأبد ويبتهجون ويحل فيهم ويفتخرون)[2] فأخبر أنه يحل في جميع الصديقين، أي معرفته ومحبته فإنهم متفقون على أن ذات الله لم تحل في الصديقين، وكذلك في رسائل يوحنا[3] الإنجيلي: (إذا أخفا[4] بعضنا بعضاً نعلم أن الله يلبث فينا)[5]، أي محبته، ونظائره كثيرة.

• • •

(١) في أ، س (المتكلمون) بدلاً من (المتكلون).

(٢) وجدت في سفر المزامير ـ المزمور الرابع والخمسون: (١٠ ـ يفرح الصديق بالرب ويحتمي به ويبتهج كل المستقيمي القلوب).
انظر: العهد القديم ص ٨٧٦.

(٣) يوحنا الإنجيلي: سبقت ترجمته.

(٤) في أ (أحفا) بدون نقط. وفي ك (أحفا).

(٥) وجدت في رسائل يوحنا ـ رسالة يوحنا الأولى ـ الإصحاح الرابع (٢٠ ـ إن أحب بعضنا بعضاً فالله يثبت فينا).
انظر: العهد الجديد ص ٣٨٩.

فصل

قالوا: وقال «عاموص»(1) النبي: (ستشرق الشمس على الأرض، ويهتدي بها الضالون ويضل عنها بنو إسرائيل)(2)، قالوا: فالشمس هو السيد المسيح، والضالون الذين(3) اهتدوا به هم النصارى المختلفة ألسنتهم، الذين كانوا من قبله عابدين الأصنام وضالين عن معرفة الله، فلما أتوهم التلاميذ وأنذروهم بما أوصاهم السيد المسيح فتركوا عبادة الأصنام واهتدوا باتباعهم السيد المسيح.

فيقال: هذا مما لا ينازع فيه المسلمون، وإنما ينازع في مثل هذا وأمثاله اليهود المكذبون للمسيح ـ عليه السلام ـ، كما ينازع كفار أهل الكتاب في محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ.

وأما المسلمون فيؤمنون بجميع كتب الله ورسله، وأن المسيح

---

(1) عاموص سبقت ترجمته، وأما سفره فكتبه في عهد بريعام الثاني ينقسم إلى ثلاثة أجزاء: حكم الله على الوثنيين وعلى إسرائيل، وثلاث عظات خاصة بحساب إسرائيل، وخمس رؤى في الهلال.

انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١١٧٤؛ وقاموس الكتاب المقدس ص ٥٩٠.

(2) وجدت في سفر (عاموص) الإصحاح الثامن (٩ ـ يقول السيد الرب: إني أغيب الشمس في الظهر، وأقتم الأرض في يوم نور، وأحول أعيادكم نوحاً وجميع أغانيكم مراثي...).

انظر: العهد الجديد ص ١٢١١.

(3) (الذين) ساقطة من س.

ـ عليه الصلاة والسلام ـ أشرق نوره على الأرض! كما أشرق قبله نور موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، وأشرق بعده نور محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ .

وقد قال الله تعالى لمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ :

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[1].

فسماه الله[2] سراجاً منيراً[3]، وسمى الشمس سراجاً وهاجاً، والسراج المنير أكمل من السراج الوهاج، فإن الوهاج له حرارة تؤذي، والمنير يهتدي بنوره من غير أذى بوهجه.

وقال تعالى لمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ :

﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾[5].

---

(١) سورة الأحزاب: الآيتان ٤٥، ٤٦.

(٢) لفظ الجلالة (الله) ساقط من أ، ك.

(٣) (فسماه الله سراجاً منيراً) ساقطة من س.

(٤) سورة الأعراف: من الآية ١٥٧.

(٥) سورة الشورى: الآيتان ٥٢، ٥٣.

والمسلمون مقرون بأن كل من كان متبعاً لدين المسيح ـ عليه السلام ـ الذي لم يغير ولم يبدل، فإنه اهتدى بالمسيح من الضلالة، ومن كفر به من بني إسرائيل فإنه ضال، بل كافر، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴾[2] .

وقوله: «ستشرق الشمس على الأرض ويهتدي بها الضالون ويضل عنها بنو إسرائيل»، يناسب قوله في التوراة: (جاء الله[3] من طور سينا وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران)[4]، فإن إشراقه من ساعير هو ظهور نوره بالمسيح، كما أن مجيئه من طور سينا: هو ظهور نوره

---

(١) سورة آل عمران: الآيات ٥٥ ـ ٥٧.
في س، أ، ك (وإذ قال الله يا عيسى) بزيادة (و).

(٢) سورة الصف: من الآية ١٤.
في ك، أ (كونوا أنصاراً لله) وهي قراءة.

(٣) في ط (الرب) بدلاً من (الله).

(٤) سبقت الإشارة إلى هذا النص.

بموسى، واستعلانه من جبال فاران هو ظهور نوره بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ .

وبهذه الأماكن الثلاثة أقسم الله في القرآن بقوله:

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾[1].

فبلد التين والزيتون هي الأرض المقدسة التي بعث منها المسيح، وكان بها أنبياء بني إسرائيل، وأسرى[2] بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إليها وظهرت[3] بها نبوته، وطور سينين المكان الذي كلم الله فيه موسى بن عمران، وهذا البلد الأمين هو بلد مكة التي بعث الله منه محمداً[4] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأنزل عليه القرآن.

● ● ●

---

(١) سورة التين: الآيات ١ ـ ٣.

(٢) في أ (فأسرى) بدلاً من (وأسرى).

(٣) في أ، ك، س (وظهر) بسقوط (ت).

(٤) في أ، س (محمد) بدلاً من (محمداً).

فصل

قالوا: وقال في السفر الثالث من أسفار الملوك: (والآن يا رب إله إسرائيل لتحقق كلامك لداود، لأنه[1] حق أن يكون، إنه سيسكن الله مع الناس على الأرض، اسمعوا أيتها الشعوب كلكم، ولتنصت الأرض، وكل من فيها فيكون الرب عليها شاهداً من بيته القدوس، ويخرج من موضعه وينزل ويطأ على مشاريق الأرض في شأن خطيئة بني يعقوب هذا كله)[2].

فيقال هذا السفر يحتاج إلى أن يثبت أن الذي تكلم به نبي، وأن ألفاظه ضبطت وترجمت إلى العربية ترجمة مطابقة، ثم بعد ذلك يقال فيه ما يقال في أمثاله من الألفاظ الموجودة عندهم، وليس فيها ما يدل على اتحاده بالمسيح، فإن قوله: (إن الله سيسكن مع الناس في الأرض) لا يدل على المسيح، إذ كان[3] المسيح لم يسكن مع الناس في الأرض، بل لما أظهر الدعوة لم يبق[4] في الأرض إلا مدة قليلة،

(١) في ك، أ (ولأنه) بزيادة (و).

(٢) وجدت في سفر ـ أخبار الأيام الثاني ـ (١٧ ـ والآن أيها الرب إله إسرائيل. فليتحقق كلامك الذي كلمت به عبدك داود ـ ١٨ ـ لأنه هل يسكن حقاً مع الإنسان على الأرض) وهذا من نص طويل بمعناه.
انظر: العهد القديم ـ الإصحاح السادس ص ٦٨٧.

(٣) (كان) ساقطة من أ.

(٤) في س، ك (يبقى) بزيادة (ي).
في أ (يقم) بدلاً من (يبق).

ولم يكن ساكناً في موضع معين، وقبل ذلك لم يظهر عنه شيء من دعوى النبوة فضلاً عن الإلٓهية، ثم إنه بعد ذلك رفع إلى السماء فلم يسكن مع الناس في الأرض، وأيضاً فإذا قالوا سكونه هو ظهوره في المسيح ـ عليه السلام ـ قيل لهم: أما الظهور الممكن المعقول، كظهور معرفته ومحبته ونوره، وذكره وعبادته، فهذا لا فرق فيه بين المسيح وغيره.

وحينئذ فليس في هذا اللفظ ما يدل على أن هذا السكون كان بالمسيح دون غيره، وإن كان بالمسيح فليس هذا من خصائصه ـ عليه السلام ـ ، وليس في ظهوره فيه أوحلول معرفته ومحبته ومثاله العلمي ما يوجب اتحاد ذاته به[1].

وأما قوله: (فيكون الرب عليها شاهداً)، فيقال أولاً شهود الله على عباده لا يستلزم حلوله، أو اتحاده ببعض مخلوقاته، بل هو شهيد على العباد بأعمالهم كما قال:

﴿ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾[2].

ولفظ النص: (ولتنصت الأرض، وكل من[3] فيها فيكون الرب عليها شاهداً)، وهذا كما في التوراة: أن موسى لما خاطب بني إسرائيل أشهد عليهم[4]، وكذلك محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كان يقول لأمته لما بلَّغ الناس بقول: «ألا هل بلغت؟ فيقولون: نعم، فيقول:

---

(١) في ك، س (اتحاده به) بدلاً من (اتحاد ذاته به).

(٢) سورة يونس: من الآية ٤٦.

(٣) في ك (كلمن) بدلاً من (كل من).

(٤) وفي التوراة (وأخذ كتاب العهد وقرأ في مسامع الشعب. . .) إلى أن قال: (. . . هو ذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال).
انظر: العهد القديم ـ سفر الخروج ـ الإصحاح الرابع والعشرون ـ ص ١٢٥.

اللهم أشهد»[1].

وحينئذ فليس في هذا تعرض لكون المسيح هو الله، وقد يقال أيضاً: ليس فيه أن المراد بلفظ الرب هنا هو الله، ولفظ الرب يراد به السيد المطاع، وقد غاير بين اللفظين، فقال: هناك أنه سيسكن الله مع الناس، فقال: فيكون الرب عليها شاهداً، والأنبياء يشهدون على أممهم، كما قال المسيح ـ عليه السلام ـ :

﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّادُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾[4].

---

(١) انظر:

* صحيح البخاري ـ كتاب الحج ـ باب ١٣٣ ـ عن أبي بكرة بلفظه وفي أكثر من موضع في صحيح البخاري.
* صحيح مسلم ـ كتاب القسامة ـ باب ٩ ـ حديث رقم ٣١ ـ عن أبي بكرة بلفظه.
* سنن ابن ماجه ـ كتاب المناسك ـ باب ٧٦ ـ باب الخطبة يوم النحر عن عمرو بن الأحوص بلفظه وزيادة «يا أمتاه»؛ وكتاب الفتن ـ باب ٢ ـ عن أبي سعيد بلفظه.

(٢) سورة المائدة: من الآية ١١٧.

(٣) سورة المزمل: من الآية ١٥.

(٤) سورة النساء: من الآية ٤١.

وقال ـــ تعالى ـــ :

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾[1]

وحينئذ فيكون الرب الشهيد هو المسيح، الذي هو الناسوت، وهو الـذي جاء من بيت المقـدس، وخرج من مـوضعه، ونـزل ووطىء على الأرض من أجل خطيئة بني يعقوب فـإنهم لما أخـطأوا وبدلـوا أرسل الله إليهم المسيح ـــ عليه السـلام ـــ يدعـوهم إلى عبادة الله وحـده وطاعتـه، فمن آمن به كان سعيداً مستحقاً للثواب، ومن كفر بـه كان شقيـاً مستحقاً للعذاب.

• • •

(١) سورة النحل: من الآية ٨٩.

فصل

قالوا: وقال «ميخا»[1] النبي: (وأنت يا بيت لحم قرية يهودا بيت أفراتا[2]، يخرج لي رئيس الذي يرعى[3] شعبي إسرائيل، وهو من قبل أن تكون الدنيا، لكنه لا يظهر إلاّ في الأيام التي تلده[4] فيها الوالدة، وسلطانه من أقاصي الأرض إلى أقاصيها)[5].

والجواب: أن عامة ما يذكرونه عن الأنبياء ــ عليهم الصلاة

---

(1) ميخا: سادس الأنبياء الصغار ويسمى المورشتي من مسقط رأسه ــ مورشة قرية بقرب جت، تنبأ في ملك يوثام وآحاز وحزقيا ملوك يهوذا سنة ٧٥١ ــ ٦٩٣ق. م، كان معاصراً لأشعيا الذي يشبهه في أسلوبه ونهج كتابته، ويتضمن سفر ميخا نبوات بخصوص السامرة وأورشليم وتنبأ بخراب السامرة تماماً وبخراب أورشليم وسبي سكانها، ونبواته بخصوص المسيح دقيقة، حيث قال: «إن المسيح سيولد في بيت لحم اليهودية».
انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٩٣٦.

(2) في ط، ك (أقرانا) بدلاً من (أفراتا)؛ في س، أ (أفرانا) غير منقوطة.
ونحن أثبتناها كما في التوراة. انظر: عزو النص.

(3) في ك، أ، س (يرعا) بدلاً من (يرعى).

(4) في س (تلد) بسقوط (ه).

(5) وجدت في سفر ميخا ــ الإصحاح الخامس (٢ ــ أما أنت يا بيت لحم أفراته وأنت صغيرة أن تكون بين ألوف يهوذا فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطاً على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل. ٣ ــ لذلك يسلمهم إلى حينما تكون قد ولدت والدة ثم ترجع بقية إخوته إلى بني إسرائيل. ٤ ــ ويقف ويرعى بقدرة الرب بعظمة اسم الرب إلهه ويثبتون لأنه الآن يتعظم إلى أقاصي الأرض).
انظر: العهد القديم ص ١٣٢٢.

والسلام ـ حجة عليهم، لا لهم كما ذكروه عن المسيح ـ عليه السلام ـ في أمر التثليث، فإنه حجة عليهم لا لهم، وهكذا تأملنا عامة ما يحتج به أهل البدع والضلالة من كلام الأنبياء فإنه إذا تدبر حق التدبر وجد حجة عليهم لا لهم، فإن كلام الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ هدى وبيان، وهم معصومون لا يتكلمون بباطل.

فمن احتج بكلامهم على باطل فلا بد أن يكون في كلامهم ما يبين به أنهم أرادوا الحق لا الباطل، وهذا مثل قوله في هذه النبوة: (منك يخرج لي رئيس)، فهذا صريح في أن هذا الذي يخرج هو رئيس الله ليس هو الله، بل هو رئيس له كسائر الرؤساء الذين لله وهم الرسل والأنبياء المطاعون مثل: داود، وموسى، وغيرهما.

ولهذا قال: (الذي يرعى شعبي إسرائيل)، ولو كان هو، لكان هو راعي شعب نفسه، وأما قوله: (وهو من قبل أن تكون الدنيا) فهذا مثل قول النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في حديث ميسرة الفجر[1]، وقد قيل له: يا رسول الله متى كنت نبياً؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد» وفي لفظ: متى كتبت نبياً؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد»[2]، وفي

---

(١) ميسرة الفجر: صحابي جليل، ذكره البخاري والبغوي وابن السكن كما يقول ابن حجر في الإصابة، وقال ابن عبد البر: له صحبة نزل البصرة وليس له إلَّا هذا الحديث، عن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «قلت يا رسول الله متى كنت نبياً؟ قال: وآدم بين الروح والجسد...» الحديث.
انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٣/ ٤٧٠؛ والاستيعاب بهامش الإصابة ٣/ ٥١٨.
وقال في الطبقات: ميسرة الفجر وهو أبو بيل بن ميسرة العقيلي الذي روى عنه عبد الله بن شقيق، ثم ساق الحديث السابق.
انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٦٠.

(٢) انظر:
* مسند الإمام أحمد ٤/ ٦٦ ـ عن عبد الله بن شقيق، عن رجل من أصحاب النبي

مسند الإمام أحمد، عن العرباض بن سارية[1]، عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أنه قال: «إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين، وأن آدم لمنجدل[2] في طينته وسأنبئكم بأول أمري، أنا[3] دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى»، ورؤيا أمي رأت حين ولدتني أنه خرج منها نور أضاء له قصور الشام»[4] فقد أخبر ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أنه كان نبياً، وكتب نبياً[5] وآدم بين الروح والجسد، وأنه مكتوب عند الله خاتم النبيين وآدم منجدل في طينته.

ومراده ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أن الله كتب نبوته، وأظهرها وذكر اسمه، ولهذا جعل ذلك في ذلك الوقت بعد خلق جسد آدم وقبل نفخ

= بلفظ: متى جعلت نبياً؟ قال: وآدم بين الروح والجسد فقط؛ و ٥٩/٥ عن ميسرة الفجر باللفظ الثاني؛ و ٣٧٩/٥ برواية عبد الله بن شقيق السابقة.

* وسنن الترمذي ــ أبواب المناقب ــ باب ٢٠ ــ حديث رقم ٣٦٨٨ ــ عن أبي هريرة بلفظ «متى وجبت لك النبوة؟ قال: وآدم بين الروح والجسد».

(١) هو العرباض بن سارية الأسلمي أبو نجيح ــ صحابي مشهور من أهل الصفة ــ وهو ممن نزل فيهم قوله تعالى: ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم...﴾ سورة التوبة: الآية ٩٢، وحديثه في السنن الأربعة.
انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٤٧٣/٢.

(٢) في س (منجدل) بسقوط (لـ).

(٣) (أنا) ساقطة من ط، س.

(٤) انظر:

* مسند الإمام أحمد ١٢٨/٤ ــ عن العرباض بن سارية بمعناه؛ و ٢٦٢/٥ ــ عن أبي أمامة بلفظ: «قلت يا نبي الله ما كان أول بدء أمرك؟ قال: دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منه قصور الشام» فقط.

* وسنن الدارمي المقدمة.

(٥) (وكنت نبياً) ساقطة من س، أ.

الروح فيه، كما يكتب رزق المولود وأجله وعمله، وشقى هو أو سعيد بعد خلق جسده، وقبل نفخ الروح فيه.

وكذلك قول القائل في المسيح ـ عليه السلام ـ وهو من قبل أن تكون الدنيا، فإنه مكتوب مذكور من قبل أن تكون الدنيا.

فإنه قد ثبت في الصحيح عن عبد الله بن عمرو[1]، عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء»[2].

وفي صحيح البخاري، عن عمران بن حصين[3]، عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، ثم خلق السماوات

---

(١) عبد الله بن عمرو: هو عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد القرشي، أسلم قبل أبيه فكان ـ رضي الله عنه ـ صحابياً جليلاً عالماً فاضلاً. قال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: ما كان أحد أحفظ لحديث رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مني إلَّا عبد الله بن عمرو بن العاص فإنه كان يكتب ولا أكتب، توفي بمصر وقيل بالطائف سنة خمس وستين ـ رضي الله عنه ـ.
انظر: أسد الغابة ٣/٢٣٤.

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد ٢/١٦٩ ـ عن عبد الله بن عمرو بلفظ: «قدر الله المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة».

(٣) عمران بن حصين: هو عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي، أسلم عام خيبر، روى عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وعن معقل بن يسار، وروى عنه ابنه نجيد وأبو الأسود الدؤلي وغيرهم، تولى القضاء في الكوفة وسكن البصرة وبها، توفي سنة اثنين وخمسين من الهجرة.
انظر: طبقات ابن سعد ٤/٢٨٧؛ تهذيب التهذيب ٨/١٢٦؛ تذكرة الحفاظ ١/٢٩.

والأرض»[1].

وهو قد قال قبل أن تكون الدنيا، ولم يقل إنه كان قديماً أزلياً مع الله لم يزل، كما يقول النصارى: إنه صفة الله الأزلية. بل وقت ذلك بقوله: «قبل أن تكون الدنيا» ولا يحسن أن يقال في رب العالمين كان قبل أن تكون الدنيا فإنه سبحانه قديم أزلي، ولا ابتداء لوجوده فلا يوقت بهذا المبدأ، لا سيما إن أريد بكون الدنيا عمارتها بآدم وذريته، فإن الدنيا قد لا تدخل فيها السماوات والأرض، بل يجعل من الآخرة، وأرواح المؤمنين في الجنة في السماوات، ويراد بالدنيا الحياة الدنيا أو الدار الدنيا.

ولهذا قال: لكنه لا يظهر إلاَّ في الأيام التي تلده فيها الوالدة كما يظهر غيره من الأنبياء بعد أن تلده أمه.

والوالدة إنما ولدت الناسوت، وأما[2] اللاهوت فهو عندهم مولود من الله القديم الأزلي، وإذا قالوا فهي ولدت اللاهوت مع الناسوت كان هذا معلوم الفساد من وجوه كثيرة، وإذا قيل: لم خص عيسى المسيح ــ عليه السلام ــ[3] بالذكر؟ قيل: كما خص محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بالذكر، لأن أمر المسيح كان أظهر وأعظم ممن قبله من الأنبياء بعد موسى.

وكذلك أمر محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ كان أظهر وأعظم من

(١) انظر: صحيح البخاري ــ كتاب بدء الخلق ــ باب ١ ــ عن عمران بن حصين بلفظه؛ ومسند الإمام أحمد ٤/٤٣١، ٤٣٢ ــ عن عمران بن حصين بمعناه.

(٢) في أ (فأما) بدلاً من (وأما).

(٣) (ــ عليه السلام ــ) ساقطة من أ.

أمر[1] جميع الأنبياء قبله، وإذا[2] عظم الشيء كان ظهوره في الكتاب أعظم.

وظن بعض[3] النصارى أن المراد بذلك وجود ذات المسيح، يضاهي ظن طائفة من غلاة المتسبين إلى الإسلام وغيرهم الذين يقولون: إن ذات النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كانت موجودة قبل خلق آدم.

ويقولون: إنه خلق من نور رب العالمين، ووجد قبل خلق آدم، وأن الأشياء خلقت منه حتى قد يقولون في محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[4] من جنس قول النصارى في المسيح، حتى قد يجعلون[5] مدد العالم منه، ويروون[6] في ذلك أحاديث وكلها كذب، مع أن هؤلاء لا يقولون إن المتقدم هو اللاهوت، بل يدعون تقدم حقيقته وذاته، ويشيرون إلى شيء لا حقيقة له، كما تشير النصارى إلى تقدم لاهوت[7] اتحد به لا حقيقة له.

ومن هؤلاء الغلاة من يروي عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «من قال إني كلي[8] بشر فقد كفر، ومن قال لست ببشر فقد

(١) (أمر) ساقطة من ط.
(٢) في أ (فإذا) بدلاً من (وإذا).
(٣) (بعض) ساقطة من أ.
(٤) (ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ) ساقطة من س، أ، ك.
(٥) في أ، س (يجعلوا) بدلاً من (يجعلون)؛ وفي أ، أخرت جملة (حتى قد يجعلون مدد العالم منه) بعد جملة (ويروون في ذلك أحاديث وكلها كذب).
(٦) في ط، س (يرون) بواو واحدة.
(٧) في أ (اللاهوت) بزيادة (الـ).
(٨) (كلي) ساقطة من أ.

كفر»[1]، ويحتجون بقوله ــ تعالى ــ:

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾[2].

فيجعلون فيه شيئاً من اللاهوت مضاهاة[3] للنصارى.

وهذا الحديث كذب باتفاق أهل العلم بالحديث، وقد ثبت عنه ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في الحديث الذي في الصحيحين، أنه قال: لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، فإنما أنا عبد (فقولوا: عبد[4]) الله ورسوله[5].

وقد قال ــ تعالى ــ عنه[6]:

﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾[7].

وهذا من جنس الغلاة الذين يقولون: إن الرب يحل في الصالحين، ويتكلم على ألسنتهم، وأن الناطق في أحدهم هو الله لا نفسه، وقول هؤلاء من جنس قول النصارى في المسيح، ويقول أحدهم: إن الموحد هو الموحد، وينشدون:

---

(١) هذا الحديث لم أعثر عليه بالرغم من البحث الدقيق في كتب السنَّة وكشافاتها، وبخاصة كتب الموضوعات، ويظهر من متن الحديث أنه موضوع لتناقضه، والله أعلم.

(٢) سورة الأحزاب: من الآية ٤٠.

(٣) في س، ك (مضاها) بسقوط (ة).

(٤) (فقولوا: عبد) ساقطة من ط.

(٥) سبقت الإشارة لهذا الحديث.

(٦) (عنه) ساقطة من ط، ك، أ.

(٧) سورة الإسراء: من الآية ٩٣.

ما وحد الواحد من واحد إذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته عارية أبطالها الواحد
توحيده إيّاه توحيده ونعت من ينعته لاحد[1]

وهو من جنس قول الذين يجعلون روح الإنسان قديمة أزلية، ويقولون: هي صفة الله فيجعلون نصف الإنسان لاهوتاً، ونصفه ناسوتاً، لكن اللاهوت عندهم هو روحه، لا لاهوت واحد كما يقوله النصارى، وعلى قول هؤلاء مع قول النصارى يكون في المسيح، وأمثاله ممن ادعى فيه اتّحاد اللاهوت به لاهوتان: روحه لاهوت، والكلمة لاهوت ثانٍ. ومن جنس هؤلاء من ينشد ما يحكى عن الحلاج[2] أنه أنشد:

سبحان من أظهر ناسوته سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهراً في صورة الآكل والشارب
حتى لقد عابته خلقه كلحظة الحاجب للحاجب[3]

ولو قدر أن نفسه هي التي كانت قبل أن تكون الدنيا، فهذا لا يدل على أنه الله أو صفة الله، بل إذا قال من يدعي أن روحه كانت موجودة[4] حينئذٍ المراد روحه، كان هذا أقرب من قول النصارى، وفي الجملة ما يخبر عن المسيح أنه كان قبل أن تكون الدنيا بمنزلة ما عند أهل الكتاب. عن سليمان أنه قال: (كنت قبل أن تكون الدنيا)[5] ثم قد ثبت

---

(١) سبقت الإشارة إلى هذه الأبيات.
(٢) سبقت ترجمته.
(٣) هذه الأبيات ذكرها ابن الجوزي في كتابه تلبيس إبليس منسوبة إلى الحسين بن منصور، الحلاج.
انظر: تلبيس إبليس ص ١٧١، إدارة الطباعة المنيرية.
(٤) في أ (مخلوقة موجودة) بزيادة (مخلوقة).
(٥) وجدت في سفر الأمثال ـ الإصحاح الثامن (٢٧ ـ لما ثبت السماوات كنت هناك أنا

باتفاق الخلائق أن سليمان لم يكن اللاهوت متحداً به، فعلم أن مثل هذا الكلام لا يوجب اتحاد اللاهوت به، بل المسلمون يعدلون في القول، ويفسرون كلام الله في كتبه بعضه ببعض، ويجعلون كلامه يصدق بعضه بعضاً لا يناقض بعضه بعضاً.

وأما أهل الضلال من النصارى وغيرهم فيفضلون المفضول على من هو أفضل منه، ويبخسون[1] الفاضل حقه، ويغلون في المفضول ويبخسون الأنبياء حقوقهم، مثل تنقصهم لسليمان، فإن كثيراً من اليهود والنصارى يطعنون فيه.

منهم من يقول: كان ساحراً، وأنه سحر الجن بسحره.

ومنهم من يقول: سقط عن درجة النبوة فيجعلونه حكيماً لا نبياً، ولهذا ذكر الله في القرآن تبرئة سليمان عن ذلك. وذلك أن سليمان سأل الله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فسخر لسليمان الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب، والشياطين كل بناء وغواص، وآخرين مقرنين في الأصفاد، فسخر له الريح غدوها شهر، ورواحها شهر، ولما طلب من الملأ أن يأتوه بعرش «بلقيس»[2] ملكة اليمن، وكان هو بالشام:

لما رسم دائرة على وجه الغمر. ٢٨ ـ لما أثبت السحب من فوق لما تشددت ينابيع الغمر. ٢٩ ـ لما وضع للبحر حده فلا تتعدى المياه تُخْمَهُ لما رسم أسس الأرض كنت عنده ضائعاً. . .).

انظر: العهد القديم ص ٩٤٥.

(١) في ط (ينقصون) بدلاً من (يبخسون).

(٢) **بلقيس ملكة اليمن**: هي بلقيس بنت الهدهاد بن شرحبيل من بني يعفر بن سكسك من حمير، ملكة سبأ يمانية من أهل مأرب، أشير إليها في القرآن الكريم، وليت بعهد من أبيها في مأرب.

انظر: الأعلام للزركلي ٢/٥١.

﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾[١].

فلما مات سليمان[٢] عمدت الشياطين إلى أنواع من الشرك فكتبوها ووضعوها تحت كرسيه، وقالوا: كان سليمان يسخر[٣] الجن بهذا، فصار هذا فتنة لمن صدق بذلك وصاروا طائفتين، طائفة علمت أن هذا من الشرك والسحر، وأنه لا يجوز فطعنت في سليمان، كما فعل ذلك كثير من أهل الكتاب اليهود والنصارى.

وطائفة قالت: سليمان نبي، وإذا كان قد سخر الجن بهذا[٤] دل على أن هذا جائز، فصاروا يقولون ويكتبون من الأقوال التي فيها الشرك والتعزيم والإقسام بالشرك والشياطين ما[٥] تحبه الشياطين وتختاره ويساعدونهم لأجل ذلك على بعض مطالب الإنس إما إخباراً بأمور غائبة يخلطون فيها كذباً كثيراً، وإما تصرف في بعض الناس، كما يقتل الرجل أو يمرض بالسحر، أو تسرق الشياطين له بعض الأموال، ونحو ذلك مما فيه إعانة الشياطين للإنس على أمور تريدها الإنس، لأجل مطاوعة الإنس وموافقتهم للشياطين على ما تريده الشياطين من الكفر والفسوق والعصيان.

---

(١) سورة النمل: الآيات ٣٨ ـ ٤٠.

(٢) (سليمان) ساقطة من ط، س، ك.

(٣) في أ، ك (يسحر) بدلاً من (يسخر).

(٤) في أ (فهذا) بدلاً من (بهذا).

(٥) في أ (مما) بدلاً من (ما).

وكثير منهم يضيف ذلك إلى سليمان وإلى «آصف بن برخيا»[1] ويصورون[2] خاتم سليمان، وقد يأخذون الرجل الذي صار من إخوانهم إلى مواضع فيرونه[3] شخصاً، ويقولون: هذا سليمان بن داود، كما قد جرى مثل ذلك لمن نعرفه من المشايخ الذين كانت تقترن بهم الشياطين، وكان لهم خوارق شيطانية من جنس خوارق السحرة والكهان.

فنزه الله ـ تعالى ـ سليمان[4] من كذب هؤلاء، وهؤلاء الذين جعلوه يسخر الشياطين بنوع من الشرك والسحر، هؤلاء جرحوه، وهؤلاء زعموا أنهم يتبعونه فقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢) وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾[5].

---

(١) هو آصف بن برخيا، وكان صدّيقاً يعلم الاسم الأعظم مؤمناً من الإنس من بني إسرائيل، ذكر أنه أمر سليمان ـ عليه السلام ـ أن ينظر إلى اليمن التي فيها العرش ثم قام فتوضأ ودعا باسم الله الأعظم فمثل العرش بين يدي سليمان ـ عليه السلام ـ انظر تفسير ابن كثير ٣/٣٦٤ طبعة بولاق.

(٢) في أ (يصورون) بسقوط (و).

(٣) في أ (فيروونه) بدلاً من (فيرونه).

(٤) (سليمان) ساقطة من س.

(٥) سورة البقرة: الآيتان ١٠٢، ١٠٣.

ومثل هذا كثير يحكى عن بعض الأنبياء، أو بعض أهل العلم والدين، من أمور ليست من شرع الله فيصدق بها بعض الناس، وتصير فتنة لطائفتين مصدقتين بها:

طائفة تقدح في ذلك النبي أو[1] الرجل الصالح بما هو منه بريء.

وطائفة تقول إنها تتبعه فيم يقول، وهذا موجود في كثير مما يحكيه أهل الكتاب عن الأنبياء، فإن اليهود تذكر[2] عنهم ما يقدح في[3] نبوتهم.

والنصارى تجعل ذلك قدوة لهم فيما يبتدعونه، وهذا مبسوط في موضع آخر، فالمقصود[4] هنا أن الكلام الذي وصف به المسيح إما وصفه به الأنبياء قبله، أو أخبر به عن نفسه، موجود مثله في حق غيره، ولم يكن أحدهم بذلك لاهوتاً وناسوتاً، ولا اتحد اللاهوت بالناسوت، ولا استحق أحدهم بذلك أن يعبد ويصلى له ويسجد ويدعا كما يدعا الله، ويضاف إليه ما يضاف إلى الله من الخلق والبعث والثواب والعقاب، وليس للمسيح ـ صلوات الله عليه ـ آية[5] خارقة إلَّا ولغيره مثلها وأعظم منها، ولا قيل فيه كلمة، إلَّا قيل في غيره مثلها وأعظم منها، إلَّا ما خصه فيه القرآن[6].

• • •

(١) في ط، ك (والرجل) بدلاً من (أو الرجل).
(٢) في ط، ك (يذكر) بدلاً من (تذكر).
(٣) في ط، ك (من) بدلاً من (في).
(٤) في أ (والمقصود) بدلاً من (فالمقصود).
(٥) في أ (أنه) بدلاً من (آية).
(٦) (إلَّا ما خصه فيه القرآن) ساقطة من ك، س.

فصل

قالوا: وقال: «حبقوق»[1] النبي: (إن الله في الأرض يتراءى، ويختلط مع الناس ويمشي معهم)[2].

وقال «أرميا» النبي: (الله بعد هذا في الأرض يظهر وينقلب مع البشر، فيقول: أنا الله رب الأرباب)[3].

والجواب: أن هذا يحتاج إلى تثبيت نبوة هذين، وإلى ثبوت النقل عنهما، وثبوت الترجمة الصحيحة المطابقة، وبعد هذا يكون حكم هذا الكلام حكم نظائره، ففي التوراة ما هو من هذا الجنس، ولم يدل ذلك باتفاق المسلمين واليهود والنصارى على أن الله حل في موسى، ولا في غيره من أنبياء بني إسرائيل، بل قوله يتراءى هو بمنزلة يتجلى ويظهر، وقد ذكر في التوراة أنه تجلى وتراءى لإبراهيم وغيره من الأنبياء

---

(١) في ط، ك: (حيقوق)، بدلاً من (حبقوق).

(٢) وجدت في سفر حبقوق ـ الإصحاح الثالث: (٥ ـ قدامه ذهب الوباء، وعند رجليه خرجت الحمى. ٦ ـ وقف وقاسى الأرض نظر فرجف الأمم ودكت الجبال الدهرية وخف آكام القدم مسالك الأزل له. . .).
انظر: العهد القديم ص ١٣٣١.
وفي سفر التثنية ـ الإصحاح التاسع (٣ ـ فاعلم اليوم أن الرب إلهك هو العابر أمامك ناراً آكلة. . .).
انظر العهد القديم ص ٢٩٣.

(٣) هذا النص لم أعثر عليه بالرغم من البحث الدقيق في العهد القديم ولعل ذلك مرجعه اختلاف النسخ.

ـ عليهم السلام ـ من غير أن تكون ذاته حلت بأحد منهم، وما في القلوب من المثال العلمي وبمعرفته ومحبته وذكره يطلق عليه ما يطلق على المعروف بنفسه، لعلم الناس أن المراد به المثال العلمي.

وما في القلوب من معرفة[١] المعروف ومحبته ليس المراد به نفس المعروف المحبوب، فإذا قال القائل: أنت والله في قلبي أو في سويداء قلبي، أو قال[٢] له: والله ما زلت في قلبي، وما زلت في عيني، ونحو ذلك علم جميع الناس أنه لم يرد ذاته، فإذا رأوا من يذكر عالماً مشهوراً أو شيخاً مشهوراً، فيذكر علمه وعمله، ويحيى ذلك بين الناس، قالوا: قد صار فلان، ـ يعني المعروف المذكور ـ عندنا وبين أظهرنا لعلم المخاطبين بالمراد.

ويقول أحدهم لمن مات والده: أنا والدك أي قائم مقامه، ويقولون للولد القائم مقام أبيه: من خلف مثلك ما مات. وإذا رأوا عكرمة مولى ابن عباس الذي معه علمه يقولون: جاء ابن عباس، وابن عباس بين الناس، لأن مولاه نائب عنه، وقائم[٣] مقامه، وإذا بعث الملك نائباً قائماً[٤] مقامه يقولون: جاء الملك الفلاني، لأن هذا النائب قائم مقامه مظهر لأمره ونهيه وأحواله.

وفي الحديث الصحيح، عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يقول الله: «عبدي مرضت فلم تعدني، فيقول العبد: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ فيقول: أما علمت أن عبدي فلاناً[٥] مرض

---

(١) في ط (معرفته) بدلاً من (معرفة).

(٢) في ك، س (وقال) بدلاً من (أو قال).

(٣) في ط، ك، س (وقام) بدلاً من (وقائم).

(٤) في س، ك (قائم) بدلاً من (قائماً).

(٥) في س، أ (فلان) بدلاً من (فلاناً).

فلم تعده، أما لو عدته لوجدتني عنده. عبدي، جعت فلم تطعمني، فيقول: يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ فيقول: أما علمت أن عبدي فلاناً جاع فلو أطعمته لوجدت ذلك عندي. عبدي، عطشت فلم تسقني، فيقول: رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ فيقول: أما علمت أن عبدي استسقاك فلم تسقه، أما لو سقيته لوجدت ذلك عندي»[1].

فجعل جوع عبده جوعه، ومرضه مرضه، لأن العبد موافق لله فيما يحبه ويرضاه ويأمر به وينهى عنه، وقد عرف أن الرب نفسه لا يجوع ولا يمرض.

ومعلوم أن وصفه بالجوع والمرض أبعد من وصفه بالمشي بين الناس والاختلاط[2] بهم، ولهذا نظائر كثيرة موجودة في كلام الأنبياء وغير الأنبياء من الخاصة والعامة[3]، ولا يفهم عاقل من ذلك أن ذات المذكور اتحدت بالآخر، أو حلت فيه إلَّا من هو جاهل كالنصارى.

والناس يرون الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك في الماء الصافي، وفي المرآة المجلوة، ونحو ذلك.

ويقول أحدهم: رأيت وجه فلان[4] في هذه المرآة، ورأيت الشمس والقمر في المرآة أو في[5] الماء، مع علم كل عاقل أن نفس

---

(١) سبقت الإشارة إلى هذا الحديث.

(٢) في أ (فالاحلاط) بدلاً من (والاختلاط).

(٣) في أ (العامة والخاصة) تقديم وتأخير.

(٤) في ط (فلاناً) بدلاً من (فلان).

(٥) في أ (وفي)؛ بدلاً من (أو في).

الشمس والقمر وغيرهما لم تحلا لا في المرآة ولا في الماء، ولكن هذه رؤية مقيدة رآها بواسطة المثال الذي تمثل[1] في المرآة أو الماء، سواء كان ذلك شعاعاً منعكساً أو غير ذلك، ومن هذا الباب قول القائل:

إذا ظهر الغدير على صفاء ... وجنّب أن يحركه النسيم

ترى فيه السماء بلا امتراء ... كذاك الشمس تبدو والنجوم

كذاك قلوب أرباب التجلي ... يرى في صفوها الله العظيم[2]

فقد أخبر أن الله يرى في قلوب العارفين، كما ترى الشمس والنجوم في الماء الصافي، بل يتصور أحدهم صورة من يعرفه بحمرة أو خضرة[3] أو سواد، فيقول: والله هذا هو فلان بعينه مع علمه، وعلم كل من سمعه أنه مثاله المطابق لصورته لا عينه، وذلك لمماثلة تلك الصورة لصورته[4] يريد أن هذا تمثيل مطابق له لا مخالف[5].

ومن هذا قول النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «من رآني في المنام فقد رآني حقاً، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي»[6]، لم يرد أنه رأى جسدي الذي في القبر، وروحي التي في الجنة حالة في ذاته، فإن هذا ممتنع لوجوه كثيرة، فلهذا[7] قال: «فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي».

---

(١) في أ (مثل)؛ بدلاً من (تمثل).

(٢) سبقت الإشارة إلى هذه الأبيات.

(٣) في أ (أو صفرة) بدلاً من (أو خضرة).

(٤) (لصورته) ساقطة من س.

(٥) في ط (لا يخالف) بدلاً من (لا مخالف).

(٦) سبقت الإشارة إليه.

(٧) في أ (ولهذا) بدلاً من (فلهذا).

ولما دخل جماعة من الصحابة على المقوقس[1] ملك النصارى بمصر، واستخبرهم عن دينهم فأخبروه بذلك، فإذا عنده شبه الربعة[2] العظيمة مذهبة، وإذا فيها أبواب صغار ففتح منها باباً فاستخرج منه خرقة حرير سوداء فيها صورة بيضاء[3]، فإذا رجل طوال أكثر الناس شعراً، فقال[4]: أتعرفون هذا؟ قالوا: قلنا: لا، فقال: هذا آدم.

ثم أعاد وفتح باباً آخر، فاستخرج حريرة سوداء فيها صورة بيضاء، فإذ رجل ضخم الرأس عظيم[5] له[6] شعر كشعر النبط[7] أحمر العين، فقال: أتعرفون هذا[8]؟ فقلنا: لا، فقال: هذا نوح.

ثم أعاد وفتح باباً آخر فاستخرج حريرة سوداء فيها صورة بيضاء، فإذارجل أبيض الرأس واللحية، كأنه يبتسم، فقال: أتعرفون هذا؟ فقلنا: لا، فقال هذا إبراهيم.

ثم أعاد وفتح باباً آخر فاستخرج حريرة سوداء فيها[9] صورة بيضاء، قال: أتعرفون هذا[10]؟ قلنا: النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ،

---

(١) المقوقس: جريج بن مينا القبطي، صاحب الإسكندرية وهو الذي أهدى إلى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ كسوة وبغلة وجاريتين.
انظر: البداية والنهاية ٤/٢٧٢.

(٢) في أ (الرقعة) بدلاً من (الربعة)؛ وفي س (الرونة) بدلاً من (الربعة).

(٣) في أ (شعياء) بدلاً من (بيضاء).

(٤) في أ (قال) بسقوط (فـ).

(٥) في س (عظم) بدلاً من (عظيم).

(٦) (له) ساقطة من ط.

(٧) في ط (القبط) بدلاً من (النبط).

(٨) في أ (من هذا؟) بزيادة (من).

(٩) في أ (فإذا فيها) بدلاً من (فإذا).

(١٠) (أتعرفون هذا) ساقطة من أ.

قال: هذا والله محمد رسول الله.

قال: والله يعلم أنه قام ثم قعد ثم قال: الله بدينكم إنه نبيكم[1]، قلنا: الله بديننا إنه نبينا كأنما ننظر إليه.

ثم قال: أما إنه كان آخر الأبواب، ولكني[2] عجلته لكم لأنظر ما عندكم.

ثم أعاد وفتح باباً باباً وهو يقول: هذا موسى، هذا هارون، هذا داود، هذا سليمان، هذا عيسى.

وهذا كله لظهور المراد به[3] ومعرفة الناس بمقصود المتكلم، كما يقال لمن كتب اسمه في كتاب: هذا فلان.

ومعلوم أن الموجود في الكتاب اسمه المكتوب، لا ذاته الموجودة في الخارج، ومن هذا الباب قوله تعالى:

﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴾[4].

وإنما في الزبر ذكر أعمالهم وكتابة ذلك، ويقال في كتابة الوثائق: هذا ما أصدق فلان، وهذا ما يقاضي عليه فلان وفلان، (ويقال: هذا ذكر ما أصدق فلان أو يقاضي عليه فلان وفلان)[5]، فيشار[6] إلى الموجود تارة، وإلى ذكره تارة.

---

(١) في ط (بينكم) بدلاً من (نبيكم).

(٢) في أ (ولكن) بدلاً من (ولكني).

(٣) (به) ساقطة من ط، أ.

(٤) سورة القمر: من الآية ٥٢.

(٥) ما بين القوسين ساقط من أ.

(٦) في أ (ويشار) بدلاً من (فيشار).

ومعلوم أن الموجود في الكتاب ذكره لا عينه، بل ذلك وجود الخط في الأذهان[1] المطابق لذكره باللفظ.

والشيء لـه وجود في الأعيـان، ووجـود في الأذهـان، ووجـود في اللسان، ووجود في البنـان، ووجود عيني وعلمي ورسمي ولفـظي، وفي كل من الأربعة يذكر، ويشار إليه مع القرائن والضمائر التي تبين تـارة أن المشـار إليه هـو الخط المـطابق للفظ، وتـارة تكـون الإشـارة إلى اللفظ المطابق للمعنى.

ومعلوم أن المعنى الذي في القلب أقرب إلى الموجود في الخارج من اللفظ والخط، فإذا أشير إلى ما في قلب العارف بعين[2] المحب لـه الذاكر له، بأنه[3] المعروف المحبوب، كان أقـرب، لا سيما وقـد يغلب الـذكر والمعـرفة والمحبـة على القلب حتى يغيب بموجـوده عن وجوده، وبمعروفه عن معـرفته[4]، ويمـذكوره عن ذكـره، حتى يقول أحـدهم في هذه الحال: سبحاني، أو ما في هذه الجبة إلّا الله[5].

ومعلوم أن ذات الله ــ تبارك وتعالى ــ ليست الـذي في قلبه، بـل في قلبه مثاله العلمي ومعرفته ومحبته، فغاب بذلك عن نفسه، هـذا وإن كـان يقولـه الغالط، فيقـول من ليس بغالط: الله في قلب فـلان، وفلان مـا عنـده إلّا الله، ومن أراد الله فليـذهب إلى فـلان، وليس مـرادهم أن

---

(١) (في الأذهان) ساقط من س، أ، ك.

(٢) في أ، س (بغيره) بدلاً من (بعين).

(٣) في ط، س، ك (معروفه) بدلاً من (معرفته).

(٤) في ط، ك، س (فإنه) بدلاً من (بأنه).

(٥) هذا الكلام منسوب لأبي يزيد البسطامي.
وسبقت الإشارة إليه.

ذات الله في قلبه، بل مثاله العلمي ومعرفته وذكره ومحبته، وأنه لا يعبد إلّا الله، (ولا يرجو إلّا إياه، ولا يخاف إلّا إياه، ولا يعمل إلّا للّه)[1][2] ولا يأمر إلّا بطاعته فيفنى بعبادته عن عبادة ما سواه، وبطاعته عن طاعة ما سواه، وبمحبته عن محبة ما سواه.

فما قيل في المسيح ـ عليه السلام ـ وأمثاله من هذا فهو حق لكن لا اختصاص للمسيح بهذا.

وإذا كان مثل هذا الكلام كثيراً موجوداً في كلام الأنبياء وغيرهم، بل هو المعروف في كلامهم، ولا يوجد قط عن أحد من الأنبياء أنه جعل ذات الله في قلب أحد من البشر، علم أن النصارى تركوا المحكم من كلام الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، وتمسكوا بالمتشابه كأمثالهم من الضلال، فاشتبه[3] عليهم المعلوم بالقلوب المذكور بالألسن بالموجود[4] في نفسه، فظنوا أن نفس المثال العلمي هو الموجود[5] العيني، كما يظن ذلك كثير من الغالطين، وهؤلاء يقولون بالحلول تارةً، وبالاتحاد أخرى، ولا يفرقون بين حلول الإيمان والمعرفة والمحبة[6] والمثال العلمي في القلب، وبين حلول الذات المعلومة المحبوبة.

ولهذا يعتقد كثير من هؤلاء أنهم يكلمون الله ويكلمهم، ويقول أحدهم: أوقفني، وقال لي، وقلت له، وتكون[7] مخاطبته ومناجاته مع

---

(١) في ط (بالله) بزيادة (بـ).

(٢) ما بين القوسين ساقط من أ.

(٣) في س (واشتبه) بدلاً من (فاشتبه).

(٤) في أ (الموجود) بسقوط (بـ).

(٥) في ط، س، ك (الوجود) بدلاً من (الموجود).

(٦) (المحبة) ساقطة من ط .

(٧) في ك (ويكون) بدلاً من (وتكون).

هذا المثال العلمي بحسب ما عندهم من الاعتقاد في الله ـ تعالى ـ ، وكثير منهم يتمثل له الشيطان ويقول: أنا ربك فيخاطبه[1] ويظنه ربه، وإنما هو الشيطان.

ومنهم: من يرى عرشاً عليه نور، أو يرى ما يظنه الملائكة وهم شياطين، وذلك[2] شيطان.

وكثير من هؤلاء يظن أنه أفضل من الأنبياء، وأنه يدخل إلى الله بلا إذن، خلاف الأنبياء ويكون ذلك الإله الذي يعتقده هو الشيطان، والذين لا يتمثل لهم الشيطان يخاطب أحدهم من في قلبه فتخاطبه تلك الصورة العلمية ويقدر أنها تخاطبه، ويظن ذلك مخاطبة الحق له.

وهذا كالرجل يذكر بعض أصحابه فيمثله في قلبه ويخاطبه مخاطبة من يعاتبه[3] أو يعتذر إليه، ويقدر خطاب تلك الصورة، ويقول قلت لك: كذا، وقلت لي: كذا.

ونفس الشخص لا يكلمه ولا يسمع كلامه[4]، وإنما هو المثال، كما قد يصور صورة الإنسان ويخاطبها[5] الإنسان ويقدر ذلك مخاطبة لصاحب الصورة.

والنصارى أدخل في هذا من غيرهم، فإنهم يخاطبون الصور الممثلة في الكنائس كصورة مريم والمسيح والقديسين، ويقولون: إنما

---

(١) في أ (ويخاطبه) بدلاً من (فيخاطبه).
(٢) في أ (وذاك) بدلاً من (وذلك).
(٣) في أ (يعاينه) بدلاً من (يعاتبه).
(٤) في أ (لا تكلمه ولا تسمع كلامه) بدلاً من (لا يكلمه ولا يسمع كلامه).
(٥) في أ (فيخاطبها) بدلاً من (ويخاطبها)؛ في ط (يخاطبها) بسقوط (و).

نقصد خطاب أصحاب تلك الصور[1] نستشفع[2] بهم.

وهذا مما حرمه الله على ألسن جميع النبيين ولم يشرع لأحد أن يدعو الملائكة ولا الأنبياء ولا[3] الصالحين الأموات، فكيف بالصور الممثلة لهم كما قد بسط في موضع آخر.

والمقصود هنا أنه[4] كثيراً ما يوجد في كلام الناس الأنبياء وغيرهم من ذكر ظهور الله ــ عز وجل ــ ، والمراد به ظهوره في قلوب عباده بالمعرفة والمحبة والذكر.

ولهذا لما كان يقصد بذكر اسمه ذكر المسمى صار يقول من يقول: إن الاسم هو المسمى، أن المراد[5] المقصود من الاسم هو المسمى، لا أن نفس اللفظ هو المسمى. فإن هذا لا يقوله عاقل، وتنزيه الاسم وتسبيحه تنزيه للمسمى[6] وتسبيح له.

كما قال ــ تعالى ــ :

﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾[7]. وقال:

﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾[8].

---

(١) في ط، س، ك (الصورة) بزيادة (ة).

(٢) في أ (ونستشفع) بزيادة (و).

(٣) (لا) ساقطة من ط، س، ك.

(٤) في ط (أن) بدلاً من (أنه).

(٥) في ط، ك (أي أن المراد) بزيادة (أي).

(٦) في أ، س (المسمى) بدلاً من (للمسمى)؛ وقد ذكر في ط الآية التي بعدها فقط.

(٧) سورة الأعلى: الآية ١.

(٨) سورة الواقعة: من الآية ٩٦.

وقـال:

﴿ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾[1].

وجاء في الحديث: «لا تقوم القيامة حتى لا يعبد الله[2] اسم»[3]، أي لا يعبد الله باسم من أسمائه، فإنه إذا قيل: دعوت الله وعبدته، فإنما في اللفظ الاسم، والمقصود هو المسمى.

وهذا الذي ذكرناه من تفسير ظهور اللاهوت في المسيح وغيره بأن المراد ظهور ما في القلوب من توحيد الله ومعرفته ومحبته وذكره ونوره وهداه وروحه، هو مما يفسر به ذلك كثير من علماء النصارى، فإنهم يفسرون اتحاد اللاهوت بالناسوت بظهور اللاهوت فيه كظهور نقش الخاتم في الشمع والطين.

ومعلوم أن الحال في الشمع والطين هو مثال نقش الخاتم لا أن[4] في الشمع والطين شيئاً من الخاتم، بل ظهر فيه نقش الخاتم.

وكذلك[5] يظهر نور الله وروحه في الأنبياء والصالحين، وهذا المعنى لا يختص به المسيح ـ عليه السلام ـ، بل يشترك هو[6] فيه وسائر الرسل، بل وكل مؤمن له من هذا نصيب بحسب إيمانه.

● ● ●

---

(١) سورة الرحمن: من الآية ٧٨.

(٢) في س، ك (لله) بدلاً من (الله).

(٣) انظر: صحيح مسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب ٦٦ ـ حديث رقم ٢٣٤ ـ عن أنس بن مالك، مسند الإمام أحمد ٨٧/٣، عن أبي سعيد بلفظ: (لتضربن مضر عباد الله حتى لا يعبد الله اسم).

(٤) في أ (أنه) بدلاً من (أن).

(٥) في أ (فكذلك) بدلاً من (وكذلك).

(٦) (هو) ساقطة من ط.

فصل

قالوا: وقال «أشعيا» النبي: (ها هي العذراء تحبل وتلد[1] ابناً ويدعى اسمه عمانويل)[2].

و[3] عمانويل: كلمة عبرانية تفسيرها بالعربي «الهنا معنا» فقد شهد النبي أن مريم ولدت اللاهوت المتحد بالناسوت كلاهما[4].

(فيقال: ليس في هذا الكلام أن مريم ولدت اللاهوت المتحد بالناسوت)[5]، وأنها ولدت خالق السماوات والأرض. بل هذا الكلام يدل على أن المولود ليس هو خالق السماوات والأرض، فإنه قال: تلد ابناً.

وهذا نكرة في الإثبات كما يقال في سائر النساء: إن فلانة ولدت ابناً، وهذا دليل على أنه ابن من البنين. ليس هو خالق السماوات

---

(١) (وتلد) ساقطة من س.

(٢) * في سفر أشعيا ـ الإصحاح السابع ـ العهد القديم (١٤) ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل.

انظر: العهد القديم ص ١٠٠٠.

* وفي إنجيل متى ـ الإصحاح الأول ـ كما يلي: (٢٣) هو ذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه ـ عمانوئيل. بلفظه مع زيادة في بعض الحروف.

انظر: العهد الجديد ص ٣.

(٣) في س (عمانويل) بسقوط الواو.

(٤) (كلاهما) ساقطة من أ.

(٥) ما بين القوسين ساقط من أ.

والأرضين[1]. ثم قال: ويدعى اسمه «عمانويل» فدل بذلك على[2] أن هذا اسم يوضع له، ويسمى به كما يسمي الناس أبناءهم بأسماء الأعلام، أو الصفات التي يسمونهم بها.

ومن تلك الأسماء ما يكون مرتجلاً ارتجلوه.

ومنها ما يكون جملة يحكونها، ولهذا كثير من أهل الكتاب يسمى ابنه عمانويل[3]، ثم منهم من يقول العذراء المراد بها غير مريم، ويذكرون في ذلك قصة جرت.

ومنهم من يقول: بل المراد بها مريم، وعلى هذا التقدير فيكون المراد أحد معنيين:

إما أنه يريد أن إلهنا معنا بالنصر والإعانة، فإن بني إسرائيل كانوا قد خذلوا بسبب تبديلهم، فلما بعث المسيح ـ عليه السلام ـ بالحق كان الله مع من اتبع المسيح، والمسيح نفسه لم يبق معهم، بل رفع إلى السماء ولكن الله كان مع من اتبعه بالنصر والإعانة.

كما قال ـ تعالى ـ:

﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَـٰهِرِينَ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[5].

---

(١) في أ (والأرض) بدلاً من (الأرضين).

(٢) (على) ساقطة من س، أ، ك.

(٣) من المعروف في بلاد الغرب تصوير لعبة رجل يرقص، يلعب بها الأطفال، يسمونها (بابا نويل) ويقصدون منها تحبيب الأطفال لهذا الاسم وتعودهم عليه.

(٤) سورة الصف: من الآية ١٤.

(٥) سورة آل عمران: من الآية ٥٥.

وهذا أظهر. و[1] إما أن (يكون)[2] يسمى[3] المسيح إلهاً، كما يقولون: إنه يسمى موسى إله فرعون[4]، أي هو الآمر الناهي له المسلط عليه.

وقد حرف بعضهم معنى هذه الكلمة، فقال: معناها الله معنا، فقال من رد عليهم من[5] علمائهم يقال لهم[6]: أهذا هو القائل أنا الرب لا إله غيري أنا[7] أميت وأنا أحيي، أم هو القائل لله: إنك أنت الإله الحق وحدك و[8] الذي أرسلت يسوع المسيح؟ وإذا كان الأول باطلاً، والثاني هو الذي شهد به الإنجيل وجب تصديق الإنجيل وتكذيب من كتب في الإنجيل أن «عمانويل» (وتأويله «الله معنا» بل تأويل عمانويل)[9] «معنا إله» وليس المسيح مخصوصاً بهذا الاسم، بل عمانويل اسم يسمى به النصارى واليهود من قبل النصارى.

وهذا موجود في عصرنا هذا، في أهل الكتاب من سماه أبوه عمانويل يعني[10] «شريف القدر» وكذلك السريان أكثرهم يسمون أولادهم عمانويل[11].

---

(1) في أ (فأما) وهو تصحيف.

(2) (يكون) موجودة في سائر النسخ، ولكن وجودها جعل العبارة ركيكة، فلو حذفت استقام المعنى أكثر.

(3) في أ (مسمى) بدلاً من (يسمى).

(4) سبقت الإشارة إلى ذلك.

(5) (من) ساقطة من ط.

(6) (لهم) ساقطة من أ.

(7) في ط (وأنا) بزيادة الواو.

(8) في ط (الذي) بسقوط الواو.

(9) ما بين القوسين ساقط من س.

(10) في ط (معنى) بدلاً من (يعني).

(11) يبدو أنه هنا انتهى ردّ علماء النصارى.

قلت: ومعلوم أن الله مع المتقين والمحسنين والمقسطين بالهداية والنصر والإعانة، ويقال للرجل في الدعاء: الله معك، فإذا (سمى الرجل بقول: «الله معك» كان هذا تبركاً)[1] بمعنى هذا الاسم، وإذا قيل إن المسيح سمى (الله معنا) أو (إلهنا معنا)[2] ونحو ذلك، كان ذلك[3] دليلاً على أن الله مع من اتبع المسيح وآمن به، فيكون الله هاديه وناصره ومعينه.

• • •

(١) ما بين القوسين كتب:
في أ هكذا (سمى الرجل يقول: «الله معك» كان هذا شريكاً).
وفي س هكذا (سمى للرجل فقوله: «الله معك» كان هذا تبركاً).
وفي ك مثل المثبت، إلاَّ كلمة (الرجل) جاءت بلام (للرجل).
(٢) (إلهنا معنا) ساقطة من أ.
(٣) (ذلك) ساقطة من أ.

فصل

في كلام أشعيا بشارة بالنبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ

قالوا[1]: وقال أشعيا أيضاً: (إن غلاماً ولد لنا، وابنا أعطيناه الذي رياسته (على عاتقيه وبين منكبيه)[2] ويدعى اسمه ملكاً، عظيم المشية مسيراً (عجيباً، إلهاً)[3] قوياً مسلطاً رئيس السلامة (في)[4] كل الدهور، وسلطانه كامل ليس له فناء)[5].

فيقال: ليس في هذه البشارة دلالة بينة أن المراد به المسيح ـ عليه السلام ـ، ولو كان المراد به المسيح لم يدل على مطلوبهم، بل قد يقال المراد بها محمد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ، فإنه الذي رياسته على عاتقيه وبين منكبيه من جهتين:

من جهة خاتم النبوة على بعض كتفيه، وهو علامة[6] من أعلام النبوة الذي أخبرت به الأنبياء وعلامة ختمهم.

---

(١) في ط (وقالوا) بزيادة واو.

(٢) ما بين القوسين كتب في أ (على عاتقه منكبيه). وفي س (على منكبيه).

(٣) ما بين القوسين كتب في أ (ملاك عجيباً لأمر).

(٤) في أ (أبو) بدلاً من (في).

(٥) في العهد القديم ـ سفر أشعيا ـ الإصحاح التاسع: (٦) لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام، (٧) لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن وإلى الأبد.
انظر: الكتاب المقدس ـ العهد القديم ص ١٠٠٢.

(٦) (علامة) ساقطة من س، أ، ك.

ومن جهة أنه بعث بالسيف الذي يتقلد به على عاتقه ويرفعه، إذا ضرب به على عاتقه، ويدل على ذلك قوله: (مسلط[1] رئيس قوى السلامة[2]).

(وهذه صفة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ المؤيد المنصور المسلط رئيس السلامة)[3] فإن دينه الإسلام ومن اتبعه سلم من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، ومن استيلاء عدوه عليه.

والمسيح ـ عليه السلام ـ لم يسلط على أعدائه، كما سلط محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، بل كان أعداؤه بحيث يقدرون على صلبه، وعند النصارى قد صلبوه، وعند المسلمين ألقى الله شبهه على غيره، فصلب ذاك المشبه، فبهذه الطريق دفع الله الصلب عنه لا بقهر أعدائه، وإهلاكهم وذلهم له، كما نصر الله محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على أعدائه.

وقال: (في[4] كل الدهور سلطانه كامل ليس له فناء) وهذا صفة خاتم[5] الرسل الذي لا يأتي بعده نبي ينسخ شرعه. وسلطانه بالحجة واليد، كامل لا يحتاج فيه إلى الاستعانة بشرع آخر، وشرعه ثابت باق إلى آخر الدهر.

● ● ●

---

(١) (مسلط) ساقطة من أ.

(٢) (السلامة) ساقطة من أ.

(٣) ما بين القوسين ساقط من أ.

(٤) في أ، س (أبو) بدلاً من (في).
وفي ك (أن) بدلاً من (في).

(٥) في ط (ختم) بدلاً من (خاتم).

فصل

قالوا: وقال «أشعيا»: (أيضاً يخرج عصاه من بيت يسّي[1] ينبت نور[2] منها، ويحل فيه روح القدس روح الله، روح الحكمة والفهم، روح الحيل[3] والقوة، روح العلم وخوف الله.

وفي تلك الأيام يكون أصل يسّي[4] آية للأمم، وبه يؤمنون وعليه يتوكلون، ويكون لهم التاج[5] والكرامة إلى دهر الداهرين)[6].

---

(١) في أ، س، ك، (سي).
وفي ط (يسبى). لكن صحتها من نص التوراة «أدناه».

(٢) في ط (أور) بدلاً من (نور).

(٣) في أ (الجبل) بدلاً من (الحيل).

(٤) في أ (يسي) بدلاً من (يسّي).
وفي س (يسي) بدلاً من (يسّي) بدون تشديد.وفي ك (يسى) بدون نقط.
وقد سبق تصحيحها من التوراة حسب الهامش الأخير من هذه الصفحة.

(٥) في ط (النتاج) بدلاً من (التاج).
وفي س (الناج).
وفي أ، ك (التتاح) بدون نقط.
لكن ترجح عندي أنها (التاج) رمزاً للملك والقوة كما يقابلها في نص التوراة «راية الشعوب».

(٦) بالرجوع إلى العهد القديم وجدت في سفر أشعيا الإصحاح الحادي عشر ـ الآتي (١) ويخرج قضيب من جزع يسّى وينبت غصن من أصوله ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب... إلى أن قال في نفس الإصحاح (١٠) ويكون في ذلك اليوم أن أصل (يسّى) القائم رايه للشعوب إياه تطلب الأمم ويكون محله مجداً.
انظر: العهد القديم ص ١٠٠٥، ١٠٠٦.

والجواب: إن هذا الكلام بعد المطالبة بصحة نقله عن النبي، وصحة الترجمة له باللسان العربي هو حجة على النصارى لا لهم، فإنه لا يدل على أن المسيح هو خالق السماوات والأرض، بل يدل عل مثل ما دل عليه القرآن من أن المسيح ـ عليه السلام ـ أيد بروح القدس، فإنه قال: (ويحل فيه روح القدس، وروح الله، وروح الحكمة والفهم، وروح الحيل والقوة، روح العلم وخوف الله)، ولم يقل تحل فيه حياة الله فضلاً عن أن يقول حلّ فيه الله أو اتحد به، ولكن جعل روح القدس هي روح الله، وهي[1] روح الحكمة والفهم والعلم، وهي روح الحيل والقوة.

كما أن[2] عندهم في التوراة (أن الذين كانوا يعملون في قبة الزمان حلت فيهم روح الحكمة روح الفهم، روح[3] العلم)[4].

وبالرجوع إلى العهد القديم ـ أيضاً ـ وجدت في ـ سفر أشعيا ـ الإصحاح الرابع من العهد القديم ـ الآتي (٤) إذا غسل السيد قذر بنات صهيون ونقى دم أورشليم من وسطها بروح القضاء وبروح الإحراق (٥) يخلق الرب على كل مكان من جبل صهيون وعلى محفلها سحابة نهاراً ودخاناً ولمعان نار ملتهبة ليلاً لأن على كل مجد غطاء (٦) وتكون مظلة للفيء نهاراً من الحر لملجأ من السيل والمطر.

انظر: العهد القديم ٩٩٦.

(١) (وهي) ساقطة من ك.

(٢) (أن) ساقطة من س، أ، ك.

(٣) في ط (وروح) بزيادة واو.

(٤) وجدت في سفر أشعيا ـ الإصحاح الحادي عشر الآتي:

(٢ ـ ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب).

انظر: العهد القديم ص ١٠٠٥.

فهي ما يحصل به الهدى والنصر، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾[1].

فقال: هي روح الله، وهذا كقوله ـ تعالى ـ :

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ ﴾[2].

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ ﴾[3].

(وقال ـ تعالى ـ : ﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ ﴾[4].

فما أنزله يسمى هدي الله، وروح الله، ووحي الله، ونور الله، ونحو ذلك)[5].

وقال ـ تعالى ـ لما ذكر أنبياءه من ذرية إبراهيم فقال:

﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي

---

(١) سورة صٓ: الآية ٤٥.

(٢) سورة المجادلة: من الآية ٢٢.

(٣) سورة الشورى: من الآية ٥٢.

(٤) سورة النحل: من الآية ٢.
في أ (تنزل) بدلاً من (ينزل) وهو خطأ.

(٥) ما بين القوسين ساقط من س.

بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ (١).

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ (٢).

وسماه نور الله كقوله ــ تعالى ــ :

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٣).

فهذا هدي الله، ونور الله هو روح الله كما قال ــ تعالى ــ :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ (٤).

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ (٥).

● ● ●

---

(١) سورة الأنعام: الآيات ٨٤ ــ ٨٨.
في س (وكل من الصالحين) بزيادة واو. وهو خطأ.
(٢) سورة طه: من الآية ١٢٣.
(٣) سورة النور: الآية ٣٥.
(٤) سورة الشورى: من الآية ٥٢.
(٥) سورة المجادلة: من الآية ٢٢.

فصل

قالوا: وقال أشعيا أيضاً: «من أعجب[1] الأعاجيب أن رب الملائكة سيولد من البشر»[2].

فيقال: مثل هذا الكلام لا بد أن يكون قبله كلام وبعده كلام، وهو منقول من لغة إلى لغة، ونحن نعلم قطعاً أنه لم يرد أن رب العالمين يولد من البشر، ولو أراد ذلك لم يقل رب الملائكة فقط، فإن الله رب كل شيء لكن قد يريد[3] أنه يولد من البشر من سيكون سيد الملائكة تخدمه وتكرمه، كما سجدت الملائكة لأبي البشر آدم.

والنصارى يسلمون أن اللاهوت ما هو متولد من البشر، وإنما المتولد من البشر هو الناسوت، وليس هو رب العالمين بالاتفاق، فعلم أنه لا حجة لهم في ظاهر اللفظ إن قدر سلامته من التغيير.

ونظير هذا ما عندهم في إنجيل متى: (أن ابن الإنسان يرسل ملائكته، ويجمعون كل الملوك رُبّاً على الأمم فيلقونهم في أتون النار)[4] قال بعض علماء أهل الكتاب: لم يرد بذلك أن المسيح هو رب

---

(١) في س (العجائب) بدلاً من (أعجب).

(٢) لم نعثر على هذا النص في العهد القديم الحالي وربما يكون في نسخ أخرى قديمة.

(٣) في أ (يراد به) بدلاً من (يريد).

(٤) في إنجيل متى ــ الإصحاح الثالث عشر (يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من كل ملكوته جميع المعاثر وفاعلي الإثم * ويطرحونهم في أتون النار).
انظر: العهد الجديد ص ٢٥.

الأرباب، ولا أنه خالق الملائكة، بل رب الملائكة، أوصى الملائكة بحفظ المسيح بشهادة النبي القائل: (إن الله يوصي ملائكته بك ليحفظوك)[1].

ثم شهادة «لوقا»[2] أن الله أرسل له ملكاً من السماء ليقويه، قال: «وإذا شهد الإنجيل باتفاق الأنبياء والرسل بأن الله يوصي ملائكته بالمسيح فيحفظونه، علم أن الملائكة تطيع للمسيح بالأمر، وهو والملائكة في خدمة رب العالمين».

وقال المسيح لتلاميذه: «من قبلكم فقد قبلني، ومن قبلني فقد قبل من أرسلني»[3].

وقال المسيح: «من أنكرني قدام الناس أنكرته قدام ملائكة الله»[4].

---

(١) في سفر المزامير ـ المزمور الحادي والتسعون (لأنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك).
انظر: العهد القديم ص ٨٩٨.

(٢) شهادة لوقا: في إنجيل لوقا ـ الإصحاح السابع: (٢٧ ـ هذا هو الذي كتب عنه ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيء طريقك قدامك).
انظر: العهد الجديد ص ١٠٤.

(٣) في إنجيل يوحنا ـ الإصحاح الثالث عشر: (الحق الحق أقول لكم الذي يقبل من أرسله يقبلني والذي يقبلني يقبل الذي أرسلني) وهو بمعناه.
انظر: العهد الجديد ص ١٧٤.

(٤) * في إنجيل متى ـ الإصحاح العاشر (ولكن من ينكرني قدام الناس أنكره قدام أبي الذي في السماوات). وهو بمعناه.
انظر: العهد الجديد ص ١١٠.
* وفي إنجيل لوقا ـ الإصحاح الثاني عشر (ومن أنكرني قدام الناس ينكرني قدام الملائكة الله). بلفظه.
انظر: العهد الجديد ص ١١٧.

وقال للذي ضرب عبد رئيس الكهنة: «أغمد سيفك، ولا تظن أن لا أستطيع أن أدعو الله الأب فيقدم لي أكثر من اثني عشر جوقاً من الملائكة»[1].

• • •

---

(١) في إنجيل متى ـ الإصحاح السادس والعشرون: (فقال له يسوع رد سيفك إلى مكانه لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون * أتظن أني لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبي فيقدم لي أكثر من اثني عشر جيشاً من الملائكة. وهو بمعناه.
انظر: العهد الجديد ص ٥٠.

فصل

قالوا: ومثل هذا القول في كتب الله المنزلة على أفواه الأنبياء والرسل شيء[1] كثير عند النصارى جميعهم، المختلفة ألسنتهم المفرقين في سبعة أقاليم العالم المتمسكين بدين النصرانية، قول واحد ونص واحد، على ما تسلموه من الحواريين حين أنذروهم وردوهم عن عبادة الأصنام إلى معرفة الله تعالى، سلموها إليهم كل أمة بلسانها، وهي على هيئتها إلى يومنا هذا.

والجواب عن هذا من وجوه:

أحدها: أن القول في سائر ما يذكرونه من النصوص كما تقدم وقد تكلم على هذا من تكلم عليه من علماء النصارى الذين هداهم الله، وبينوا ما وقع في ذلك من تحريفهم لمعاني الكتب التي عندهم، وذكروا مما عندهم من النصوص الصريحة بأن المسيح عبد الله ليس هو الله، ما يتبين به بطلان قولهم، وأنهم ممن تركوا المحكم من الآيات واتبعوا المتشابه، ولهذا أنزل الله فيهم:

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[2].

---

(1) في س، أ، ك (شيئاً) بدلاً من (شيء).

(2) سورة آل عمران: من الآية ٧.

وهذا كقول المسيح ـ عليه السلام ـ لما سئل عن علم الساعة فقال: (لا يعلمها إنسان ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلاَّ الآب فقط)[1] فنفى عن نفسه علم الساعة، وهذا يدل على شيئين: على أن اسم الابن إنما يقع على الناسوت دون اللاهوت، فإن اللاهوت لا يجوز أن ينفى عنه علم الساعة، ويدل[2] على أن الابن لم يكن يعلم ما يعلمه الله، وهذا يبطل قولهم بالاتحاد، فإنه لو كان الاتحاد حقاً كما يزعمون[3] لكان الابن يعلم ما يعلمه الله[4] ويقدر على ما يقدر عليه، فإنه هو الله عندهم والناسوت لا يتميز عندهم عن اللاهوت فيما يوصف به المسيح من كونه عالماً قادراً يحيي ويميت.

وقال المسيح لتلاميذه: (آمنوا بالله وآمنوا بي)[5]، وقال أيضاً: (من يؤمن بي فليس يؤمن بي فقط، بل وبالذي أرسلني)[6]، وهم يذكرون أن المسيح ـ عليه السلام ـ استصرخ الله[7] قائلاً: (إلَهي إلَهي

---

(١) في العهد الجديد ـ إنجيل متى ـ الإصحاح الرابع والعشرون: (٣٦ ـ وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا ملائكة السماوات ولا أبي وحده) بمعناه.
انظر: العهد الجديد ص ٤٥؛ وإنجيل مرقس العهد الجديد ـ الإصحاح الثالث عشر ص ٨٢.

(٢) (ويدل) ساقطة من س، ك.

(٣) في أ (يزعمونه) بدلاً من (يزعمون).

(٤) لفظ الجلالة (الله) ساقط من أ.

(٥) في إنجيل يوحنا ـ الإصحاح الثاني عشر: (الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني).
انظر: العهد الجديد ص ١٧٢.

(٦) في إنجيل يوحنا ـ الإصحاح الثاني عشر: (الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني).
انظر: الكتاب المقدس ـ العهد الجديد ص ١٧٢.

(٧) لفظ الجلالة (الله) ساقط من أ.

انظر لماذا تركتني[1] وتباعدت عن خلاصي)[2].

الوجه الثاني: أن[3] قولهم إن هذه الكتب التي بأيديهم من التوراة والإنجيل، وسائر النبوات تسلموها[4] من الحواريين كل أمة بلسانها، وهي على هيئتها، قول لم يقيموا على صحته دليلاً، بل ادعوا ذلك دعوى مجردة.

ومثل هذا النقل إن لم يثبت بالتواتر لم يحتج به في المسائل العلمية، لا سيما إذ قيل في **الوجه الثالث**: إن هذا كذب ظاهر، فإن كثيراً من الألسنة ليس عند أهله إنجيل قديم، ومن ذلك لسان العرب، فإن العرب النصارى كثيرون قبل الإسلام، ولا تعرف[5] توراة ولا[6] إنجيل ولا[7] نبوات عربية، إلاَّ ما عرب من النسخ العبرية والرومية والسريانية، ونحن نطالبهم بهذه الكتب التي هي بالعربية[8] التي في زمن الحواريين أين[9] هي، ومن رآها؟ ولو قدر أنها كانت بالعربية،

---

(١) في س (تركي) بدلاً من (تركتني).

(٢) في إنجيل متى ـ الإصحاح السابع والعشرون: (إيلي إيلي لما شبقتني).
ومعناه إلَهي إلَهي لماذا تركتني.
انظر: العهد الجديد ص ٥٣.
وكذلك في إنجيل مرقس بنفس النص ـ الإصحاح الخامس عشر ص ٨٧.

(٣) (أن) ساقطة من ط، س، ك.

(٤) في أ (فيستلمونها) بدلاً من (تسلموها).

(٥) في أ (يعرف) بدلاً من (تعرف).

(٦) (لا) ساقطة من س، أ، ك.

(٧) (لا) ساقطة من س، أ، ك.

(٨) في أ (بالعبرية) بدلاً من (بالعربية).

(٩) في س، ك (كيف) بدلاً من (أين).

فهذه النسخ اليوم العربية الموجودة بأيدي الناس هي مما[1] عرب مما بأيديهم، وحينئذٍ فلا تعرف[2] صحتها إن لم تعرف[3] صحة الترجمة، ويثبت نقل تلك عن المسيح ـ عليه السلام ـ ، وهكذا القول في سائر الألسن.

الوجه الرابع: أن التوراة والنبوات التي[4] نقلت من نسخ اليهود والأناجيل هي أربعة كتبت بعد المسيح ـ عليه السلام ـ ، اثنان[5] ممن كتبها لم يريا المسيح، وهما لوقا[6]، ومرقس[7]، واثنان رأياه وهما يوحنا[8]، ومتى[9].

والنسخ إنما كثرت عن الأربعة، وما ينقله الأربعة لا يجب أن يكون متواتراً معلوماً، وإذا كثرت الألسن بها فمن بعد الأربعة، لا أن الذين سمعوها من المسيح ـ عليه السلام ـ تكلموا باثنين وسبعين لساناً، فإن هذا لم يقله أحد، ولا يقوله عاقل، إذ الحواريون[10] كانوا اثني[11] عشر لم يكونوا اثنين وسبعين، فإذا قيل: إنه نقلها اثنان[12]

---

(١) في أ (ما) بدلاً من (مما).
(٢) في أ (يعرف) بدلاً من (تعرف).
(٣) في أ(يعرف) بدلاً من (تعرف).
(٤) (التي) ساقطة من س، أ، ك.
(٥) في ط، س، ك (واثنان) بزيادة واو.
(٦) سبقت ترجمته.
(٧) سبقت ترجمته.
(٨) سبقت ترجمته ٣/ ٢١.
(٩) سبقت ترجمته.
(١٠) في س، أ، ك (الحواريين) بدلاً من (الحواريون).
(١١) في أ (اثنا) بدلاً من (اثني).
(١٢) في أ، س، د (اثنين) بدلاً من (اثنان).

وسبعون[1] فهم نقلوها عمن نقلها إليهم من الحواريين، وهم إنما يسندون نقلها إلى أربعة.

الوجه الخامس: أن الحواريين ليسوا معصومين، بل يجوز على أحدهم الغلط في بعض ما ينقله، وما ينقل من خوارقهم للعادات، فمن الناس من يكذبه، ومنهم من يصدقه ولا دلالة فيه على عصمتهم، إلاَّ أن يثبت أنهم ادعوا النبوة، وأقاموا المعجزات الدالة على نبوتهم، ولم يكن الأمر كذلك، وإلاَّ فالصالحون إذا كانت لهم كرامات لم تدل كراماتهم على أنهم معصومون كالأنبياء، بل يجوز عليهم الغلط مع ثبوت كراماتهم.

والحواريون عندهم ليسوا بأنبياء وإن سموهم رسلاً، فهم رسل المسيح لا رسل الله ــ تبارك وتعالى ــ .

الوجه السادس: أن في هذه الكتب التي بأيديهم ما يناقض قولهم من الأقوال الصريحة الكثيرة ما[2] هو أكثر وأصرح مما احتجوا به على قولهم.

والواجب حينئذٍ التمسك بالصريح المحكم، ورد المتشابه إليه[3]، ولا يجوز التمسك بالمتشابه، ورد المحكم إليه.

الوجه السابع: أنه بتقدير أن يكون في الأرض هذه الكتب باثنين وسبعين لساناً سواء كانت كلها[4] منقولة عن الحواريين نقلاً صحيحاً،

---

(١) في س، أ (سبعين) بدلاً من (سبعون).
(٢) في أ (مما) بدلاً من (ما).
(٣) (إليه) ساقطة من ط .
(٤) (كلها) ساقطة من ط، س، ك.

أو كان نقل أكثرها أو أكثر منها ــ مترجمة[1] من لغة إلى لغة.

فمعلوم[2] أنه بكل لسان عدة نسخ، ولو لم يكن بها إلّا لسان واحد مع كثرة النسخ بها في مشارق الأرض ومغاربها، لم يمكن أحداً أن يقطع بأن جميع النسخ على لفظ واحد ونص واحد، كما ادعاه هؤلاء في الاثنين وسبعين لساناً، حيث قالوا:

(ومثل[3] هذا القول في كتب الله المنزلة على أفواه الأنبياء والرسل كثير[4] عند النصارى جميعهم، المختلفة ألسنتهم، المتفرقين في سبعة[5] أقاليم العالم، المتمسكين بدين النصرانية، قول واحد ونص واحد[6] على ما تسلموه من الحواريين، وردوهم عن عبادة الأصنام فسلموها إليهم كل أمة بلسانها، وهي على هيئتها إلى يومنا هذا).

فإن هذا الكلام يتضمن عدة دعاوى ليس فيها ما يمكن قائله أن يكون عالماً به، فعلم أن هؤلاء تكلموا بهذا الكلام بلا علم، بل بالجهل والضلال[7]، كما هو عادتهم، فإنه يقال لهم: من الذي جمع كل نسخة في العالم من جميع[8] التوراة والإنجيل والزبور وسائر النبوات الأربعة والعشرين بلسان واحد كالعربي مثلاً، وهل ميز[9] جميع النسخ

---

(١) في أ (مترجماً) بدلاً من (ترجمة).
(٢) في أ (ومعلوم) بدلاً من (فمعلوم).
(٣) في ط، س (مثل) بسقوط (و).
(٤) (كثير) ساقطة من أ.
(٥) في أ (سبع) بدلاً من (سبعة).
(٦) (واحد) ساقطة من ط .
(٧) في أ (الضلال) بسقوط (و).
(٨) في أ (لجميع)، وفي س، ك (بجميع).
(٩) في أ (وبين) بدلاً من (وهل ميز).

فلم يجد نسخة تزيد على نسخة ولا تنقص عنها؟

ومعلوم إن كان هذا[1] ممكناً أمكن أن يقال: جمعها[2] جامع وغير بعض ألفاظها، فلا يمكنهم دعوى بقائها بلا تغيير[3]، وإن لم يمكن ذلك لم يمكن أحد أن يقول: أنا أعلم موافقة كل نسخة من نسخ هذه الكتب لكل[4] نسخة توجد في سبعة أقاليم العالم بذلك اللسان، فضلاً عن اثنين وسبعين لساناً، فضلاً[5] عن أن يقال: أنا أعلم أن هذه الألسن كلها تكلمت بها الحواريون، وهي باقية على لفظهم إلى اليوم.

ومعلوم أن الإنسان إذا أمكنه جمع نسخ كتاب واحد من جميع الفنون من[6] كتب الطب والحساب والهندسة والنحو والفقه والحديث، كان إمكان تغيير بعض ألفاظ تلك[7] النسخ[8] أيسر عليهم من مقابلة ألفاظ كل نسخة بألفاظ تلك النسخ مثلها.

فإن هذا لا يقدر عليه في العادة، بل هو[9] متعذر أو متعسر، ولا سيما[10] والمقابلة[11] إن كانت بين اثنين فكل منهما ينقل للآخر لفظ

---

(١) في أ (إن هذان كان) بدلاً من (إن كان هذا).

(٢) في أ (جميعها) بدلاً من (جمعها).

(٣) في ط، س، ك (تغير) بدلاً من (تغيير).

(٤) في أ (فكل) بدلاً من (لكل).

(٥) في أ (وفضلاً) بزيادة واو.

(٦) في أ (مثل) بدلاً من (من).

(٧) (تلك) ساقطة من س، أ، ك.

(٨) في أ (النسخ جميعها) بزيادة (جميعها).

(٩) في أ(وهو) بدلاً من (بل هو).

(١٠) في س، أ، ك (لا سيما) بسقوط الواو.

(١١) في ط (المقابلة) بسقوط الواو.

نسخته فيكون مدار المقابلة على خبر واحد، لم يقترن بخبره[1] ما يعلم به صدقه، فقد يغلطان أو يكذبان جميعاً.

وإن كانت بين عدد يحصل بهم العلم احتاجت كل نسخة بكل لسان إلى[2] أن يشهد بلفظها جمع يحصل بهم العلم، وأولئك بأعيانهم يشهدون بلفظ كل نسخة بكل لسان، ويشهدون[3] بلفظ كل نسخة، ويشهد لهم من هو[4] مثلهم بلفظ النسخة الأخرى (وموافقتها لها، وهؤلاء أو مثلهم بموافقة النسخة الثانية)[5].

ومعلوم أن هذا لم يفعله أحد ولا يقدر عليه أحد، بل لو اجتمع جميع ملوك النصارى على ذلك (وعلماء بلادهم على ذلك)[6] لم يقدروا عليه، فإن[7] من النسخ ما هو عند المسلمين، ومنها ما هو في بلاد لا حكم لهم عليها، وأيضاً فقد يكون في بلادهم من النسخ ما لم يظهرها أصحابها.

فكل من شهد من النصارى وغيرهم بأن كل نسخة في العالم بهذه الكتب توافق جميع النسخ فهو شاهد زور شهد بما لا يعلم، بل شهد بما يعلم أنه كاذب فيه.

---

(١) في س (فخبره) بدلاً من (يخبره).
(٢) (إلى) ساقطة من س، ك.
(٣) في ط، س، ك (وشهدوا) بدلاً من (ويشهدون).
(٤) في أ (ويشهدون هم أو) بدلاً من (ويشهد لهم من هو)، وفي س، ك (ويشهدون لهم من هو) بدلاً من (ويشهد لهم من هو).
(٥) ما بين القوسين ساقط من س، ك.
(٦) ما بين القوسين ساقط من س، ك.
(٧) في س، أ، ك (فإنه) بدلاً من (فإن).

وكذلك لـو شهد بمثـل هذا[١] لنسـخ أي كتاب كـان، فإن العـادة المعروفة أن نسخ الكتب تختلف ويزيد بعضها وينقص بعضهـا. والقرآن المنقـول بالتـواتر لم يكن الاعتمـاد في نقله على نسخ المصـاحف، بـل الاعتماد على حفظ أهل التواتر له في صدورهم.

ولهذا إذا وجد مصحف يخالف حفظ الناس أصلحوه، وقد يكـون في بعض نسخ المصاحف غلط، فلا يلتفت إليه مـع أن المصاحف التي كتبهـا الصحابـة قد قيـد الناس صـورة الخط ورسمه، وصـار ذلك أيضـاً منقولاً بالتواتر فنقلوا بالتواتـر لفظ القرآن حفـظاً، ونقلوا رسم المصاحف أيضاً بالتواتر[٢].

ونحن لا ندعي اتفاق جميع نسخ المصاحف كما لا نـدعي أن كل من يحفظ القرآن لا يغلط، بل ألفاظه منقولة بالتواتر حفظاً ورسماً فمن[٣] خرج عن ذلك علم الناس أنهِ غلط لمخالفته[٤] النقل المتواتر، بخلاف هذه الكتب، فإن النصارى لم يحفظوها كلها[٥] في قلوبهم تلقيـاً لها عن الحوارين حفظاً منقولاً بالتواتر، بـل لم يكن أحد منهم يحفظها[٦] كلهـا، فضلاً عن أن يحفظها كلها أهـل التواتـر، فضلاً عن أن يحفظ كـل لسان منها من تواتر بهم ذلك اللسان.

---

(١) في أ (هذه).

(٢) في أ (بالتواتر أيضاً) بتقديم (التواتر) على (أيضاً).
وفي س، ك (أيضاً بالتواتر أيضاً) بزيادة (أيضاً) بعد (بالتواتر).

(٣) في أ (حفظها ورسمها فمن) بدلاً من (حفظاً ورسماً فمن).
وفي س، ك (من) بدلاً من (فمن).

(٤) في أ (لمخالفة) بدلاً من (لمخالفته).

(٥) (كلها) ساقطة من أ.

(٦) في أ (حفظها) بدلاً من (يحفظها).

وهذا أمر معلوم لجميع النصارى وغيرهم أنه لم يحفظها كلها بكل لسان من زمن الحواريين عدد التواتر، بل ولا في زمن من الأزمان، بل بعد انتشار النصارى وكثرتهم وتفرقهم في الأقاليم السبعة لا يكاد يوجد فيهم من يحفظها كلها عن قلبه، كما يحفظ صبيان مكاتب[1] المسلمين القرآن، فكيف يحفظها في كل زمان أهل التواتر؟ فكيف يحفظ كل لسان من الاثنين وسبعين أهل التواتر؟

وإذا[2] كان اعتمادهم إنما هو على الكتب، وهم لا يمكنهم معرفة اتفاق جميع النسخ بلسان واحد فضلاً عن جميع الألسنة، علم أن دعواهم أنها لم تزل متفقة على نص واحد ولفظ واحد، وأن جميع نسخها متفقة في هذا الزمان، وفيما قبله، كلام مجازف يتكلم بلا علم. بل يتكلم بما يعلم أنه باطل.

الوجه الثامن[3]: أن هذا لو قدر إمكانه، فإنما يكون منقولاً لو لم يعلم أنه كذب فكيف مع العلم بأنه كذب؟ فإنه يوجد في هذا الزمان نسخ التوراة والإنجيل والزبور والنبوات مختلفة متناقضة.

والنسخ التي عند النصارى مختلفة، وهي أيضاً تخالف نسخ اليهود والسامرة في مواضع، وحينئذ فإذا قالت النصارى: نسخنا هي الصحيحة لم يكن هذا أولى من قول اليهود: نسخنا هي الصحيحة.

بل معلوم أن اعتناء اليهود بالتوراة أعظم من اعتناء النصارى، (ثم بعد هذا ماذكروه لا يكفي إن لم يعلم أن نسخهم توافق النسخ التي عند اليهود حتى السامرة، وهذا غير معلوم.

وإن قالوا: إذا خالف نقل اليهود لنقل الحواريين لم يلتفت إليه

---

(١) (مكاتب) ساقطة من أ. وفي ك، س (المكاتب) بزيادة (ال).

(٢) في أ (فإذا) بدلاً من (وإذا).

(٣) في أ (السابع) بدلاً من (الثامن).

لأنهم معصومون كل هذا مبيناً على دعوى عصمتهم، وقد عرف فساده)[1]، وإذا[2] قالت النصارى: نحن ننقلها عن الحواريين المعصومين، قالت اليهود: نحن ننقلها عن موسى المعصوم باتفاق أهل الملل، أو عن العارف[3] المعصوم باتفاق اليهود والنصارى، وكثير من المسلمين. فالتوراة باتفاق الخلق مأخوذة عن موسى بن عمران وهو معصوم، وإنما يطعن من يطعن في نقل بعضها، لانقطاع التواتر في أثناء المدة لما خرب بيت المقدس[4]، ولم يبق فيه ساكن[5] أكثر من[6] سبعين سنة، فيقول بعض الناس: إن بعض ألفاظها غيّر حينئذ، ويقول بعضهم: لم تغير[7] ألفاظ جميع النسخ، وإنما غير ألفاظ بعض النسخ، وانتشرت النسخ المغيرة عند كثير من الناس حتى لا يعرفوا[8] غيرها.

ثم بنوا إسرائيل لم يزل فيهم نبي بعد نبي حتى جاء المسيح، وبعد المسيح فلم يزالوا[9] خلقاً كثيراً لا يمكن[10] تواطؤهم ــ في مشارق الأرض ومغاربها ــ على تغيير نسخ التوراة، بخلاف الإنجيل فإنه إنما نقلة أربعة، ومن كتب التوراة والزبور والنبوات من أتباع المسيح، فإنما كتبوها من النسخ التي كانت بأيدي اليهود.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من س، ك.

(٢) في أ (فإذا) بدلاً من (وإذا).

(٣) (العارف) ساقطة من س، أ.

(٤) في ط، س، ك (البيت القدس) بدلاً من (بيت المقدس).

(٥) (ولم يبق فيه ساكن) ساقط من أ.

(٦) (أكثر من) ساقط من أ.

(٧) في أ، ك (يغيّر) بدلاً من (تغير).

(٨) في ط (يعرفون) بدلاً من (يعرفوا).

(٩) في ط (لم يزاولوا) بدلاً من (فلم يزالوا).

(١٠) في س، أ (لكن) بدلاً من (لا يمكن).

وإذا[1] قالوا: كانوا معصومين، فهذا ممنوع عند المسلمين واليهود، وعلى تقدير[2] تسليمه فاليهود ينقلونها[3] أيضاً عن المعصوم قبل هؤلاء، فلا يمكن مع هذا[4] أن يدعى مدع[5] أن النبوات التي عند النصارى تواترت[6] عن المعصوم أعظم من تواتر ما عند اليهود، بل لا يشك العقلاء العادلون أن نقل حروف التوراة أصح من نقل حروف الإنجيل.

وهذا أمر يعرف من وجوه متعددة[7]، فإن[8] التوراة أخذت عن المعصوم باتفاق أهل الملل، وكانت منقولة قبل المسيح بين الأنبياء وبين[9] بني إسرائيل أعظم من نقل الإنجيل، وبعد المسيح نقلها اليهود والنصارى.

وإذا كان كذلك، فإذا وجد ما عند اليهود والسامرة من نسخ النبوات يخالف ما عند النصارى في بعض الألفاظ كان هذا دليلاً على أن هذه الكتب ليست ألفاظها منقولة عن نص واحد، وأنه ليس كل لفظ[10] من ألفاظها متواتراً[11]، والله أعلم.

---

(١) في أ (فإن) بدلاً من (وإذا).
(٢) في أ (وبتقدير) بدلاً من (على تقديرة).
(٣) في أ (نقلوها) بدلاً من (ينقلونها).
(٤) (هذا) ساقطة من أ.
(٥) في س، ك (مدعي) بدلاً من (مدع).
(٦) (تواترت) ساقطة من أ.
(٧) في أ (متعدد) بدلاً من (متعددة).
(٨) في أ (بأن) بدلاً من (فإن).
(٩) (وبين) ساقطة من أ.
(١٠) في س (لفظة) بدلاً من (لفظ).
(١١) في س، أ، ك (متواتر) بدلاً من (متواتراً).

الوجه التاسع[1]: أن جميع ما عندهم من النصوص الصحيحة لا يدل على مذهبهم ألبتة نصاً، بل غاية[2] ما يدعون فيها الظهور، * وهم منازعون[3] في ذلك حتى يقال: بل الظاهر فيما يحتجون به خلاف قولهم.

ومعلوم أن أصول الإيمان التي يؤمن أهل الإيمان بها، ويكفرون من خالفها لا بد أن تكون معلومة عندهم عن الأنبياء، والعلم لا يحصل بلفظ[4] محتمل، فعلم أنه لا علم عندهم عن الأنبياء عليهم (السلام، وهو)[5] محل النزاع.

الوجه العاشر[6]: أن أصرح ما عندهم من التثليث، هو قوله: (عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس)، وعلى هذا القول بنوا قولهم بالتثليث، وأثبتوا لله ثلاثة أقانيم.

ولفظ الأقانيم لم ينطق به[7] أحد من الأنبياء، ولا أحد من الحواريين باتفاقهم، بل هو مما ابتدعوه. قيل[8]: إنه لفظ رومي معناه: الأصل، ثم أقنوم الابن تارة، يقولون: «هو علم الله» وتارة يقولون: «هو حكمة الله» وتارة يقولون: «هو كلمة الله» وتارة يقولون: «هو نطق الله»،

---

(١) في أ (الوجه السابع)، وفي س (الوجه الثامن) وذكر حوالي سطر ونصف إلى قوله (يدعون فيها)، ثم ذكر صحة الكلام (الوجه التاسع) وما بعدها.

(٢) في ك (نهاية) بدلاً من (غاية).

(٣) في أ (ينازعون) بدلاً من (منازعون).

(٤) في ط (بلفظ علم) بزيادة (علم).

(٥) ما بين القوسين ساقط من س.

(٦) في أ (الثامن) بدلاً من (العاشر).

(٧) في أ (بها) بدلاً من (به).

(٨) في أ (وقيل) بزيادة واو.

وروح القدس[1] تارة[2] يقولون: «هو حياة الله» وتارة يقولون: «هو قدرة الله».

والكتب المنقولة عن الأنبياء عندهم ليس فيها تسمية شيء من صفات الله لا باسم ابن ولا باسم روح القدس، فلا[3] يوجد أن أحداً من الأنبياء سمى[4] علم الله وحكمته وكلامه ابناً، ولا سمى حياة الله أو قدرته روح القدس، بل روح القدس في كلام الأنبياء يراد بها معنى ليس هو حياة الله، كما يراد بها ملك الله أو ما ينزله في قلوب الأنبياء والصالحين من هداه ونوره وتأييده، ونحو ذلك.

وإذا كان كذلك، علم أن ما فسروا به قول المسيح عليه السلام: (عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس)، كذب صريح عليه[5]، وكذلك ما فسروا به كلام الأنبياء من إثبات الأقانيم الثلاثة كذب صريح عليهم، كقولهم: إلٰه إبراهيم وإلٰه إسحاق وإلٰه يعقوب، أرادوا[6] به[7] إثبات ثلاثة آلهة، فإن هذا مما يعلم بالضرورة ضلالهم فيه وافتراءهم على الأنبياء، ويعلم[8] أن إلٰه الثلاثة هو إلٰه واحد ليس إلٰه إبراهيم إلٰهاً[9] آخر غير إلٰه إسحاق حتى لو قيل بالأقانيم، فلا يقول عاقل: إن أحد الأقانيم إلٰه هذا، والأقنوم الآخر إلٰه الآخر، فإن هذا

---

(١) في ط (هو نطق الله وروح القدس) جميعها داخل قوس واحد.
(٢) في ط (وتارة) بزيادة واو.
(٣) في أ (ولا) بدلاً من (فلا).
(٤) في ط، س (يسمى) بدلاً من (سمى).
(٥) في ط (عليهم) بدلاً من (عليه).
(٦) في أ (أراد) بدلاً من (أرادوا).
(٧) في س (أنه) بدلاً من (به).
(٨) في أ (واعلم) بدلاً من (ويعلم).
(٩) في ط، أ (إلٰه) بدلاً من (إلٰهاً).

لم يقله أحد من العقلاء، لا النصارى ولا غيرهم *[1]، لا[2] يقولون: إن الأب إله إبراهيم مثلاً، والابن إله إسحاق، وروح القدس إله يعقوب، بل هم متفقون مع قولهم بالتثليث أن الجميع إله واحد لجميع المرسلين[3]، ليس إله هذا أقنوماً[4] وإله الآخر أقنوماً[5] آخر، فعلم أن ما يفسرون به كلام الأنبياء كذب، لا يصح لا على تثليثهم الذي ابتدعوه، ولا قول أهل التوحيد المتبعين[6] لرسل الله ـ تعالى ـ.

• • •

(١) ما بين هذه النجمة والنجمة التي في الصفحة قبل السابقة ساقط من س.
(٢) (لا) ساقطة من ط، س.
(٣) في أ (الرسل) بدلاً من (المرسلين).
(٤) في س، أ، ك (أقنوم) بدلاً من (أقنوماً).
(٥) في س، أ (أقنوم) بدلاً من (أقنوماً).
(٦) (المتبعين) ساقطة من س، ك، ط.

فصل

رأي النَّصارى في عدم إيمان اليهود بالمسيح بالرغم مما ذُكر عندهم من النبوّات عن ظهوره، وبيان أنَّ النَّصارى شابهوهم في موقفهم من محمَّد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ

قال الحاكي عنهم: فقلت لهم: إذا كانت هذه النبوات عند اليهود، وهم مقرون معترفون بها أنها حق وأنها عتيدة[1] أن تكمل عند مجيء المسيح، فأي حجة لهم يحتجون بها عن الإيمان به؟

أجابوا قائلين: إن الله اختار بني إسرائيل واصطفاهم على الناس له شعباً في ذلك الزمان، وحيث كانوا في أرض مصر في عبودية فرعون أرسل إليهم موسى النبي دلهم على معرفة الله، ووعدهم أن الله يخلصهم من عبودية فرعون، ويخرجهم من مصر ويريهم أرض الميعاد التي هي أرض بيت المقدس، فطلب موسى من الله وعمل العجائب قدام عيونهم.

وضرب أهل مصر العشر ضربات، وهم يرون ذلك جميعه، ويعلمون أن الله يصنعه لأجلهم، وأخرجهم من مصر بيد قوية وشق لهم البحر وأدخلهم فيه، وصار لهم الماء حائطاً عن يمينهم، وحائطاً عن شمالهم ودخل فرعون وجميع جنوده في البحر وبنو إسرائيل ينظرون ذلك، فلما برز موسى وبنو إسرائيل من البحر، وخلفهم فرعون بجنوده فيه، أمر الله لموسى أن يرد عصاه إلى[2] الماء فعاد الماء كما كان، وغرق فرعون وجميع جنوده في البحر، وبنو إسرائيل يشهدون ذلك.

(١) في ط، أ (عنيدة) بدلاً من (عتيدة).

(٢) في أ (على) بدلاً من (إلى).

فلما غاب عنهم موسى إلى[1] الجبل ليناجي ربه، وأخذ لهم التوراة من يد الله، تركوا[2] عبادة الله، ونسوا جميع أفعاله، وكفروا به وعبدوا رأس العجل من بعد ذلك، ثم عبدوا الأصنام مراراً كثيرة ليس مرة واحدة، وذبحوا لها الذبائح ليست حيوانات بل بنيهم مع البنات، حسبما ذكر فيما قبل ذلك، وجميع أفعالهم مكتوبة في أخبار بني إسرائيل، فلما رأى الله قساوة قلوبهم وغلظ رقابهم وكفرهم به، ورأى أفعالهم النجسة الخبيثة، غضب عليهم[3] وجعلهم مرذولين، وطبع على قلوبهم فلا يؤمنون، وجعلهم مهانين في جميع الأمم، وليس[4] لهم ملك ولا بلاد ولا نبي ولا كاهن إلى الأبد حسبما تنبئت عليهم الأنبياء على ما ذكرناه قبل[5]، وتشهد به كتبهم التي في أيديهم إلى[6] يومنا هذا.

وكذا قال الله لأشعيا: (اذهب إلى هذا الشعب، فقل لهم تسمعون سماعاً ولا تفهمون، وينظرون نظراً ولا تبصرون، لأن قلب هذا الشعب قد غلظ وقد سمعوا بأفهامهم سمعاً ثقيلاً، وقد غمضوا أعينهم لئلا يبصروا بها، وسمعوا بآذانهم ولا يفهمون بقلوبهم، ويرجعون إلي فأرحمهم)[7].

---

(١) في ط، ك (أتى) بدلاً من (إلى).

(٢) في ط (وتركوا) بزيادة واو.

(٣) في ط (عليها) بدلاً من (عليهم).

(٤) في أ (ليس) بسقوط (و).

(٥) (قبل) ساقطة من أ.

(٦) (إلى) ساقطة من س، أ، ك.

(٧) في سفر أشعيا ـ الإصحاح السادس: (٩ ـ فقال اذهب وقل لهذا الشعب: اسمعوا سمعاً ولا تفهموا وأبصروا إبصاراً ولا تعرفوا. ١٠ ـ غلظ قلب هذا الشعب وثقل أذنيه واطمس عينيه لألاّ يبصر بعينيه ويسمع بأذنيه ويفهم بفكيه ويرجع فيشفى).
انظر: العهد القديم ص ٩٩٩.

وقال أشعيا: (قال الله: هكذا مقتت[1] نفسي سبوتكم ورؤوس شهوركم صارت عندي مرذولة[2][3] وقال: (وفي ذلك اليوم يقول الله: سأبطل السبوت والأعياد كلها وأعطيكم سنَّة جديدة مختارة لا كالسنَّة التي أعطيتها لموسى عبدي «يوم حوريب»[4] يوم الجمع الكثير، بل سنة جديدة مختارة أمر بها وأخرجها من صهيون)[5] فصهيون هي أورشليم، والسنَّة الجديدة المختارة: هي السنَّة التي تسلمناها نحن معشر النصارى من يدي الرسل الحواريين الأطهار الذين خرجوا من أورشليم، وداروا في سبعة أقاليم العالم وأنذروا بهذه السنَّة الجديدة فأي بيان يكون أوضح وأصح من هذا البيان، إذ قد أوردناه من قول الله، ولا سيما وأعداؤنا اليهود المخالفون لديننا شهدوا[6] لنا بصحة ذلك جميعه.

وأما حجة اليهود في هذه النبوات يقولون ويعتقدون أنها حق وأنها قول الله[7] لكن يقولون: إنها عتيدة (فهذه النبوات مثلما هي عند اليهود كذلك هي عندنا معشر النصارى في اثنين وسبعين لساناً، فيراهم جميع

---

(١) في ط، ك (مقت) بدلاً من (مقتت).

(٢) في ط (مرذلة) بدلاً من (مرذولة).

(٣) في سفر أشعيا ـ الإصحاح الأول: (١٣ ـ لست أطيق الإثم والاعتكاف. ١٤ ـ رؤوس شهوركم وأعيادكم بغضتها نفسي).
انظر: العهد القديم ص ٩٩٢.

(٤) في ط، ك (خوريب) بدلاً من (حوريب).

(٥) في سفر أشعيا ـ الإصحاح الأول: (لذلك يقول السيد رب الجنود عزيز إسرائيل: آه إني أستريح من خصمائي وأنتقم من أعدائي).
انظر: العهد القديم ص ٩٩٢.

(٦) في س، (يشهدوا) بدلاً من (شهدوا).

(٧) في أ (الله تعالى) بزيادة (تعالى).

الأمم قولاً واحداً وأنها قول الله، وقالت اليهود نحن مصدقون بهـا)[1] أن تكمـل وتتم[2] عند مجيء المسيـح، لكن المسيح لم يجيء بعد[3]، وأن الـذي جاء ليس هـو المسيح. هـذا قـولهم وكفـاهم أنهم يكفـرون ويفجـرون[4] مع الكفـر، ويقولـون إن المسيح كـان ضالاً مضـلاً، وأمـا المسيح الحق[5] فعتيد أنـه يأتي ويكمـل نبوات الأنبيـاء إذا جاء، وإذا[6] جـاء اتبعناه وكنـا أنصاره، وهـذا رأيهم واعتقـادهم في السيـد المسيـح، فماذا يكون أعظم من هذا الكفر الذي هم عليه؟

ولأجـل[7] (ذلـك في هـذا الكتـاب سمـاهم المغضـوب عليهم لأجل)[8] خلافهم لقول الله[9] الذي أرسل[10] نطقـه على أفواه الأنبيـاء، ولما كنا نحن النصارى متمسكين بما أمرتنا به[11] الرسل الأطهار سمـانـا في هـذا الكتاب المنعم عليهم، وأمـا قـولنـا في الله: ثـلاثـة أقـانيم إلّـه واحد، فهو أن الله نطق به وأوضحه في التوراة، وفي كتب الأنبيـاء، ومن ذلك ما جاء في السفر الأول من التـوراة يقول: (حيث شـاء الله أن يخلق

---

(١) ما بين القوسين ساقط من ط، س، ك.

(٢) (تتم) ساقطة من أ.

(٣) «لم يجيء بعد» سـاقطة من ط، س، ك. وكتب بـدلاً منها: «ينكرون مجيئه ويقـولون بعدما جاء».

(٤) في ط (ويفتخرون)، وفي س، ك (ويتفخرون) بدلاً من (ويفجرون).

(٥) (الحق) ساقطة من أ.

(٦) في أ (فإذا) بدلاً من (وإذا).

(٧) في أ (لأجل) بسقوط (و).

(٨) ما بين القوسين ساقط من أ.

(٩) لفظ الجلالة (الله) ساقط من ط.

(١٠) (أرسل) ساقطة من س، أ، ك.

(١١) في ط (أمرنا)، وفي س، ك (أمرونا) بدلاً من (أمرتنا).

آدم قال[1]: * لنخلق خلقاً على[2] شبهنا ومثالنا)[3]، فمن هو شبهه ومثاله سوى كلمته وروح قدسه[4]، وحين خالف آدم وعصى ربه (ها آدم قد صار كواحد منا)[5].

(وهذا واضح أن الله قال هذا القول لابنه، أي كلمته وروح قدسه، وقال هذا القول يستهزىء بآدم، أي طلب أن يصير كواحد منا)[6] صار عرياناً مفتضحاً.

وقال الله عندما أخسف بسدوم[7] وعامورة[8]، قال[9] في التوراة: (وأمطر الرب عند الرب من السماء على سدوم وعامورة ناراً وكبريتاً)[10]،

---

(١) في أ (قال الله) بزيادة لفظ الجلالة (الله).

(٢) في ط (عن) بدلاً من (على).

(٣) في سفر التكوين ـ الإصحاح الأول: (٢٦ ـ وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا ـ فيتسلطون على سمك وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدبّ على الأرض. ٢٧ ـ فخلق الله الإنسان على صورته ـ على صورة الله خلقه ذكراً وأنثى خلقهم وباركهم الله) بمعناه.
انظر: العهد القديم ص ٤.

(٤) في أ (وروح القدس)، وفي س (وروح قدسيه) بدلاً من (وروح قدسه).

(٥) وفي سفر التكوين ـ الإصحاح الثالث: (٢٢ ـ وقال الرب الإلّه هوذا الإنسان قد صار كواحد منا. . .) وهو بلفظه.
انظر: العهد القديم ص ٧.

(٦) ما بين القوسين ساقط من س.

(٧) سدوم: مدينة من مدائن قوم لوط.
انظر: معجم البلدان ٣/٢٠٠.

(٨) عامورة: (عاموراء) كلمة عبرانية، وهي من قرى قوم لوط.
انظر: معجم البلدان ٤/٧٠.

(٩) في ط (وقال) بزيادة (و).

(١٠) في سفر التكوين ـ الإصحاح التاسع: (فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من عند الرب من السماء) بلفظه.
انظر: العهد القديم ص ٢٨.

أوضح بهذا ربوبية الآب[1] والابن بذكر ثالث *[2].

والجواب: أن يقال أما كفر اليهود كلهم لما أرسل المسيح ـ عليه السلام ـ إليهم فلم يؤمنوا به وكفر من كفر منهم قبل ذلك، إما بقتل النبيين، وإما بتكذيبهم، إما بالشرك، وإما بغير ذلك مما كفروا فيه[3] بما أنزل الله فهذا حق.

وهذا[4] هو نظير كفر النصارى كلهم الذين بلغتهم دعوة[5] محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وأقام الله عليهم الحجة به فلم يؤمنوا به، وكفر من كفر منهم قبل ذلك بما أنزل الله إما بتكذيب بعض ما أنزله، وإما بتبديله بغيره[6]، وإما بجعل ما لم ينزله الله منزلاً[7] منه، وإما بغير ذلك مما فيه كفر بما أنزل الله ـ عز وجل ـ.

وكذلك ما ذكر من[8] أن الله أقام[9] سنَّة جديدة وعهداً جديداً، وهو ما بعث به المسيح ـ عليه السلام ـ من الشريعة التي بعث بها[10] وفيها تحليل بعض ما حرم الله في التوراة، كما قال[11] في القرآن عن المسيح:

﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾[12].

فهذا أيضاً حق.

● ● ●

(1) في س (الابن) بدلاً من (الآب).
(2) ما بين النجمتين ساقط من أ.
(3) في ط (فيه) مكررة.
(4) (هذا) ساقطة من أ، س.
(5) في أ (الدعوة دعوة) بزيادة (الدعوة).
(6) (بغيره) ساقطة من ط، ك.
(7) في س (منزل) بدلاً من (منزلاً).
(8) (من) ساقطة من س.
(9) في س (أنزل) بدلاً من (أقام).
(10) (بها) ساقطة من ك.
(11) (قال) ساقطة من ط، س، ك.
(12) سورة آل عمران: من الآية ٥٠.

فصل[1]

وأما قولكم: السنَّة الجديدة المختارة هي السنَّة التي تسلمناها من يدي الرسل الأطهار، على ما تسلموها هم[2] من المسيح ـ عليه السلام ـ.

فيقال: لو كنتم على[3] تلك السنَّة لم تغيروها[4]، لم ينفعكم المقام عليها إذا كذبتم الرسول النبي الأمي الذي بعث إليكم وإلى سائر الخلق بسنَّة أخرى أكمل من السنن[5] التي كانت قبله، كما لم ينفع اليهود، ولو[6] تمسكوا بسنَّة التوراة، ولم يتبعوا سنَّة المسيح الذي أرسل إليهم، بل من كذب برسول واحد فهو كافر.

كما قال ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾[7].

---

(1) (فصل) ساقطة من ك.

(2) (هم) ساقطة من ط.

(3) في س (عن) بدلاً من (على).

(4) (لم تغيروها) ساقطة من ك.

(5) في أ (السنتين) بدلاً من (السنن).

(6) في أ (إذ) بدلاً من (ولو)، وفي س (لو) بسقوط الواو.

(7) سورة النساء: الآية ١٥٠.
في س (ألم ترَ إلى) بدلاً من (إن) وهذا خطأ.

فإنه، وإن كانت السنَّة التي جاء بها المسيح ـ عليه السلام ـ حقاً، وكل من كان متبعاً له[1] فهو مؤمن مسلم، من أولياء الله، من أهل الجنة الذين لا خوف عليهم، ولا هم يحزنون، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ ۖ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾[3].

فمن اتبع المسيح كان مؤمناً، ومن كفر به كان كافراً.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٥٥) فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ (٥٦) وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾[4].

---

(١) في س، أ (لها) بدلاً من (له).

(٢) سورة البقرة: الآية ٦٢.

من (كما قال تعالى) إلى نهاية الآية ساقطة من س.

(٣) سورة الصف: من الآية ١٤.

(٤) سورة آل عمران: الآيات ٥٥، ٥٧. في أ، ك (فنوفيهم) بدلاً من (فيوفيهم).

لكن غيرتموها وبدلتموها قبل مبعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، (فصرتم كفاراً بتبديل شريعة المسيح، وتكذيب شريعة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ)[1]، كما كفرت اليهود بتبديل شريعة التوراة، وتكذيب شريعة الإنجيل، ثم كفروا بتكذيب شريعة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وعلى[2] سائر رسل الله أجمعين.

فإن المسيح لم يسن لكم التثليث والقول بالأقانيم، ولا القول بأنه رب العالمين، ولا سن لكم استحلال الخنزير وغيره من المحرمات، ولا ترك الختان، ولا الصلاة إلى المشرق، ولا اتخاذ أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، ولا الشرك، واتخاذ التماثيل والصليب، ودعاء الموتى والغائبين من الأنبياء والصالحين وغيرهم، وسؤالهم الحوائج، ولا الرهبانية، وغير ذلك من المنكرات التي أحدثتموها ولم يسنّها لكم المسيح، ولا ما أنتم عليه هي السنَّة التي تسلمتموها[3] من رسل المسيح.

بل عامة ما أنتم عليه من السنن أمور محدثة مبتدعة بعد الحواريين كصومكم خمسين يوماً زمن الربيع، واتخاذكم عيداً يوم الخميس والجمعة والسبت، فإن هذا لم يسنه المسيح ولا أحد من الحواريين، وكذلك عيد[4]: الميلاد والغطاس، وغير ذلك من أعيادكم.

بل عيد الصليب إنما ابتدعته «هيلانة»[5] الحرانية القندقانية[6]

---

(١) ما بين القوسين ساقط من أ.

(٢) (على) ساقطة من أ.

(٣) في ط (سلمتموها) بدلاً من (تسلمتموها).

(٤) في ط، ك (عيد الحواريين) بزيادة (الحواريين).

(٥) سبقت ترجمتها.

(٦) في أ (الفندقانية) بدلاً من (القندقانية).

أم قسطنطين، فأنتم[1] تقولون: إنها هي التي أظهرت الصليب وصنعت لوقت ظهوره عيداً، وذلك بعد المسيح والحواريين بمدة طويلة زمن الملك قسطنطين[2] بعد المسيح بأكثر من ثلثمائة سنة.

وفي ذلك الزمان[3] أحدثتم الأمانة[4] لنصوص الأنبياء في غير موضع[5] وأظهرتم[6] استحلال الخنزير وعقوبة من لم[7] يأكله، (وابتدعتم في ذلك الزمان تعظيم)[8] الصليب وغير ذلك من بدعكم، وكذلك كتب القوانين التي عندكم جعلتموها سنّة وشريعة فيها شيء عن الأنبياء والحواريين، وكثير مما فيها ابتدعه من بعدهم لا ينقلونه لا[9] عن المسيح ولا عن الحواريين، فكيف تدّعون أنكم على السنّة والشريعة التي كان عليها المسيح ـ عليه السلام ـ وهذا مما يعلم بالاضطرار والتواتر أنه كذب بيّن.

● ● ●

(١) في أ (فإنهم) بدلاً من (فأنتم).

(٢) (زمن الملك قسطنطين) أخرت في س، ووضعت بعد قوله (ثلثمائة سنة).

(٣) المقصود به سنة ٣٢٥م، مجمع نيقية الذي اجتمع فيه ٣١٨ بطركاً منهم لوضع الأمانة.

(٤) سبق التعريف بها.

(٥) (في غير موضع) ساقطة من أ.

(٦) في أ (فاظهرتم) بدلاً من (وأظهرتهم).

(٧) (لم) ساقطة من أ.

(٨) في أ (وأحدثتم ذلك الزمان وابتدعتم تعظيم) بدلاً من (وابتدعتم في ذلك الزمان تعظيم).

(٩) في أ (لا يتلقونه عن) بدلاً من (لا ينقلونه لا).

فصل[1]

ردّ استدلالهم بما ورد في التوراة عن خلق آدم على رأيهم في المسيح

قالوا: وأما قولنا في الله ثلاثة أقانيم إلٰه واحد، فهو أن الله نطق به وأوضحه في التوراة، وفي كتب الأنبياء، ومن ذلك ما جاء في السفر الأول من التوراة يقول حيث شاء الله أن يخلق آدم، قال الله: «لنخلق[2] خلقاً[3] على شبهنا ومثالنا»، فمن هو شبهه ومثاله سوى كلمته وروحه؟

وحين خالف آدم وعصى ربه، قال الله ـ تعالى[4] ـ: «ها آدم قد صار كواحد منا»، وهو قول واضح أن الله قال هذا القول لابنه وروح قدسه.

والجواب: أن استدلالهم بهذا على قولهم في المسيح هو في غاية الفساد والضلال، فإن لفظ التوراة: (نصنع آدم كصورتنا وشبهنا)، وبعضهم يترجمه (نخلق[5] بشراً على صورتنا وشبهنا[6]).

والمعنى واحد، وهذا[7] كما قال النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ: «أن الله خلق آدم على صورته»، وفي رواية «على صورة

(١) (فصل) ساقطة من ك.
(٢) في أ (ليخلق) بدلاً من (لنخلق).
(٣) في أ (خلقنا) بدلاً من (خلقاً).
(٤) (تعالى) ساقطة من س، أ.
(٥) في أ (يخلق) بدلاً من (نخلق).
(٦) في أ (يشبهنا) بدلاً من (شبهنا).
(٧) في ط، ك (وهو) بدلاً من (وهذا).

الرحمن»[1] فقولهم: من هو شبهه ومثاله[2] سوى كلمته وروحه من أبطل الباطل[3] من وجوه:

أحدها: أن الله ليس كمثله شيء، وليس لفظ النص «على مثالنا».

الثاني: أنه لا اختصاص للمسيح بما ذكر على تقدير حق وباطل، فإنه[4] بأي تفسير فسر قوله: (سنخلق بشراً على صورتنا شبهنا[5])، لم يخص ذلك المسيح[6].

الثالث: أنهم[7] إن أرادوا بالكلمة التي هي شبهه ومثاله صفته، التي هي العلم القائم به، والحياة القائمة به مثلاً[8]، فالصفة لا تكون مثلاً[9] للموصوف، إذ الموصوف هو الذات القائمة بنفسها، والصفة قائمة بها، والقائم بغيره لا يكون مثل القائم بنفسه.

وإن[10] أرادوا به شيئاً غير صفاته، مثل بدن المسيح وروحه،

---

(١) * صحيح البخاري ــ كتاب الإستئذان ــ عن أبي هريرة بمعناه.
* وصحيح مسلم ــ كتاب البر والصلة والآداب ــ باب ٣٢ ــ النهي عن ضرب الوجه ــ حديث رقم (١١٥) عن أبي هريرة ــ بمعناه.
* وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل ــ ٢٥١/٢ ــ عن أبي هريرة بمعناه.

(٢) (مثاله) ساقطة من أ.

(٣) في ط (الأباطيل) بدلاً من (الباطل).

(٤) (فإنه) ساقطة من ط، ك.

(٥) في أ (يشبهنا) بدلاً من (شبهنا).

(٦) في أ (بالمسيح) بزيادة (ب).

(٧) (أنهم) ساقطة من س.

(٨) (مثلاً) ساقطة من س، أ، ك.

(٩) في ط (مثالاً) بدلاً من (مثلاً).

(١٠) في أ (وإذا) بدلاً من (وإن).

فذلك مخلوق له، والمخلوق لا يكون مثل الخالق، وكذلك روح القدس سواء أريد به ملك أو هدي وتأييد، ليس مثلاً لله ــ عز وجل ــ .

الرابع: أنه قال (لنخلق[1] خلقاً) أو قال: (نخلق آدم أو نخلق بشراً على صورتنا وشبهنا[2])، وعلى ما قالوه: (نخلق خلقاً * على شبهنا ومثالنا)، وبكل حال، فهذا وكلمة الله وروحه عندهم *[3] غير مخلوق فامتنع أن يكون المراد بذلك كلمته وروحه.

وإن[4] قالوا: أراد بذلك الناسوت المسيحي، فلا فرق بين ذلك الناسوت وسائر النواسيت، مع أن المراد بذلك النص آدم أبو البشر باتفاق الأمم، والناسوت نفسه ليس هو كلمة الله وروحه.

الخامس: أنه لو قدر أنه أريد بذلك أن كلام الله يشبه[5] ذاته من بعض الوجوه، مثل كونه قديماً بقدمه، لم يكن في ذلك ما يدل على الأقانيم الثلاثة.

وكذلك اللفظ المعروف وهو قوله: (سنخلق بشراً على صورتنا شبهنا[6]) فهذا لا يدل على التثليث بوجه من الوجوه، وشبه الشيء بالشيء يكون لمشابهته له من بعض الوجوه، وذلك لا يقتضي التماثل الذي يوجب أن يشتركا فيما يجب ويجوز ويمتنع، وإذا قيل هذا حي

---

(١) في أ (ليخلق) بدلاً من (لنخلق).

(٢) انظر: سفر التكوين الإصحاح الأول ص ٣.

(٣) ما بين النجمتين ساقط من س، ك.

(٤) في أ (فإن) بدلاً من (وإن).

(٥) في أ (وشبيه) بدلاً من (يشبه).
وفي ك (ويشبه) بزيادة واو.

(٦) في س، أ (يشبهنا) بدلاً من (شبهنا).

عليم قدير، وهذا حي عليم قدير، فتشابها في مسمى الحي والعليم والقدير، لم يوجب ذلك أن يكون هذا المسمى مماثلاً لهذا المسمى فيما يجب ويجوز ويمتنع.

بل هنا ثلاثة أشياء:

أحدها: القدر المشترك، الذي تشابها فيه، وهو معنى كلي لا يختص به أحدهما، ولا يوجد كلياً عاماً مشتركاً إلاَّ في علم العالم.

والثاني: ما يختص به هذا، كما يختص الرب بما يقوم[1] به من الحياة والعلم والقدرة.

والثالث: ما يختص به (ذاك، كما يختص به)[2] العبد من الحياة والعلم والقدرة، فما اختص[3] به الرب ـ عز وجل ـ لا يشركه فيه العبد، ولا يجوز عليه شيء[4] من النقائص التي تجوز على صفات العبد، وما يختص به العبد لا يشركه فيه الرب، ولا يستحق شيئاً من صفات الكمال التي يختص بها[5] الرب ـ عز وجل ـ .

وأما القدر المشترك كالمعنى الكلي الثابت في ذهن الإنسان فهذا لا يستلزم خصائص الخالق ولا خصائص المخلوق، فالاشتراك فيه لا محذور فيه.

---

(١) (بما يقوم) ساقط من ط، ك.
(٢) (ذاك، كما يختص به) ساقطة من ط، س.
(٣) في أ، س، ك (خص) بدلاً من (اختص).
(٤) في س (شيئاً) بدلاً من (شيء).
(٥) في ط (به) بدلاً من (بها).

ولفظ التوراة فيه: (سنخلق بشراً على صورتنا يشبهنا)[1]، لم يقل: على مثالنا وهو كقول النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ في الحديث الصحيح «لا يقولن أحدكم: قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، فإن الله ـ تعالى ـ خلق آدم على صورته»[2] فلم يذكر الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ كموسى ومحمد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ إلاّ لفظة «شبه» دون لفظ «مثل».

وقد تنازع الناس: هل لفظ الشبه والمثل بمعنى واحد أو معنيين، على قولين:

أحدهما: أنهما بمعنى واحد، وأن ما دل عليه لفظ المثل مطلقاً ومقيداً يدل عليه لفظ الشبه، وهذا قول طائفة من النظار.

والثاني: أن معناها مختلف عند الاطلاق لغة وشرعاً وعقلاً، وإن كان مع التقيد والقرينة يراد بأحدهما ما يراد بالآخر، وهذا قول أكثر الناس، وهذا الاختلاف مبني على مسألة عقلية، وهو أنه هل يجوز أن يشبه الشيء الشيء من وجه دون وجه، وللناس في ذلك قولان: فمن منع أن يشبهه[3] من وجه دون وجه قال: المثل والشبه واحد، ومن قال إنه قد يشبه الشيء الشيء من وجه دون وجه فرق بينهما عند الإطلاق،

---

(١) في سفر (التكوين) الإصحاح الأول (٢٩ ـ وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا).
انظر: العهد القديم ص ٤.

(٢) انظر:
* صحيح مسلم ـ كتاب البر والصلة والآداب ـ كتاب ٣٢، ٣٣ ـ حديث رقم (١١٥)، عن أبي هريرة بمعناه.
* وفي مسند الإمام أحمد ٢/٢٥١ ـ عن أبي هريرة بلفظه.

(٣) في ط (يشبه) بدلاً من (يشبهه).

وهـذا قول جمهـور الناس، فـإن العقل يعلم أن الأعـراض مثـل الألـوان تشتبه في كونها ألواناً مع أن السواد ليس مثل البيـاض، وكذلـك الأجسام والجواهر عنـد جمهور العقـلاء تشتبه في مسمى الجسم والجـوهر، وإن كـانت حقـائقهـا ليست متمـاثلة، فليست حقيقـة المـاء ممـاثلة لحقيقـة التـراب، ولا حقيقـة النبـات ممـاثلة لحقيقـة الحيـوان، ولا حقيقـة النـار مماثلة لحقيقـة الماء وإن اشتـركا في أن كـلا منهما جـوهـر وجسم وقائم بنفسه.

وأيضاً فمعلوم في اللغة أنه[1] يقال: هذا يشبه هذا، وفيه شبـه من هذا، إذا أشبهه من بعض الوجوه، وإن كان مخالفاً له في الحقيقة.

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا﴾[2].

وقال[3]:

﴿مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾[4].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَـٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[5].

---

(١) في ط (أن) بدلاً من (أنه).

(٢) سورة البقرة: من الآية ٢٥.

(٣) في ط، أ، ك (وقوله) بدلاً من (وقال).

(٤) سورة آل عمران: من الآية ٧.
في ط (فيبيعون) بدلاً من (فيتبعون) وهذا خطأ.

(٥) سورة البقرة: من الآية ١١٨.

فوصف القولين بالتماثل، والقلوب بالتشابه لا بالتماثل، فإن القلوب، وإن اشتركت، في هذا القول فهي مختلفة لا متماثلة، وقال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «الحلال بين والحرام بين، وبين ذلك أمور متشابهات لا يعلمهن كثير من الناس»[1].

فدل على أنه يعلمها بعض الناس، وهي في نفس الأمر ليست متماثلة، بل بعضها حرام وبعضها حلال[2].

والوجه السادس[3]: أن قوله: (سنخلق خلقاً على شبهنا) لا يتناول صفته، مثل كلامه وحياته القائمة به، فإن ذلك ليس بمخلوق، وحينئذ فهذا لا يتناول اللاهوت الذي يزعمون أنه تدرع بالناسوت[4]، فإن اللاهوت ليس بمخلوق.

وأما الناسوت فهو كسائر نواسيت الناس لا اختصاص له، بأن يكون شبيهاً لله دون سائر النواسيت، فقوله[5]: فمن هو الشبه المخلوق سوى كلمته وروحه؟ باطل على كل تقدير.

وأما قوله: (ها آدم قد صار كواحد منا)، وقولهم: إن هذا قول

---

(١) انظر:
* صحيح البخاري ـ كتاب الإيمان ـ باب ٣٩ ـ عن النعمان بن بشير، بمعناه.
* وفي صحيح مسلم ـ كتاب المساقاة ـ باب ٢٠ ـ حديث رقم (١٠٧)، (١٠٨)، عن النعمان بن بشير، بمعناه.
* وفي مسند الإمام أحمد ـ ٤/٢٦٧ ـ عن النعمان بن بشير، بمعناه.

(٢) في أ، س (بعضها حلال وبعضها حرام) بتقديم (حلال) على (حرام).

(٣) في س، أ (الخامس) بدلاً من (السادس) وهو خطأ.

(٤) في ط (الناسوت).

(٥) في أ (بقوله) بدلاً من (فقوله).

واضح[1] أن الله قال: هذا القول لابنه روح قدسه، فإن أرادوا أنـه يجعل الذي صار كواحد منا لابنه، كان هذا من أبـطل الكلام، فـإن هذا الابن إن كـان المراد بـه الكلمة التي هي صفـة لله، فتلك لم يخلق[2] لها أمـر يصير كواحد منهم، وتلك لا تسمى آدم ولا سماها الله ابناً.

وإن أريـد به نـاسـوت المسيـح فـذاك مخلوق مبتـدع[3] يمتنـع أن يكون[4] كالقديم الأزلي، وأيضاً فإن الله قال هذا عن آدم، وآدم ليس هو المسيـح، ولا يجوز أن يقـال: آدم ويراد بـه المسيح، كمـا لا يجـوز أن يقال: عصى آدم ويراد به المسيح، وأيضاً فإنه قال: (ها آدم قد صـار[5] كـواحد منـا) هذه إشـارة إلى أمر قـد كان في الـزمن الماضي، ليس هـو إشارة إلى ما سيكون بعد ذلـك بألـوف من[6] السنين، وإن أرادوا أن الله قال لابنه الذي هو كلمته وروحه، وهـذا هو مـرادهم، كقولهم: إنـه قال هذا[7] القول يستهزىء بآدم، أي أنه طلب أن يصير كـواحد منـا[8] صار هكـذا عريـاناً مفتضحـاً، ويكون شبهتم قـولـه: «منـا» لأنـه عبّـر بصيغـة الجمع[9]، (وكذلـك إن أرادوا هذا بقـولـه «نخلق بشـراً على صـورتنـا وشبهنا» فاحتجوا على التثليث بصيغة الجمع)[10].

---

(١) في أ (فاضح) بدلاً من (واضح).
(٢) في أ، س (يحدث) بدلاً من (يخلق).
(٣) (مبتدع) ساقطة من س، أ.
(٤) في س، أ (يصير) بدلاً من (يكون).
(٥) (قد صار) ساقطة من ط.
(٦) (من) ساقطة من ط، ك.
(٧) (هذا) ساقطة من ط.
(٨) (منا) ساقطة من ط.
(٩) (الجمع) ساقطة من ك.
(١٠) ما بين القوسين ساقط من أ.

وهـذا مما احتـج به نصـارى نجران على النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ فاحتجوا بقوله تعالى (إنّا)، (نحن)، قالوا: وهذا يدل على أنهم ثلاثة، وكان هذا من المتشـابه الـذي اتبعوه ابتغـاء الفتنة وابتغـاء تأويله، وتركوا المحكم المبين، الـذي لا يحتمل إلاَّ واحـداً، فإن الله في جميـع كتبه الإِلٰهية قد بين أنه إلٰه واحد، وأنه لا شريك له، ولا مثل له.

وقوله: (إنّا)، (نحن) لفظ يقع في جميع اللغات على من كـان[1] له شركاء وأمثال، وعلى الواحد المطاع العظيم الذي له أعوان يطيعـونه، وإن لم يكونوا شركاء ولا نظراء، والله تعالى خلق كل ما سواه، فيمتنع[2] أن يكـون لـه شـريـك أو مثـل، والمـلائكـة وسـائـر العـالمين جنــوده ــ تعالى ــ[3].

قال ــ تعالى ــ:

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[4].

وقال ــ تعالى ــ:

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[5].

فإذا كان الواحد من الملوك يقـول: إنا، ونحن، ولا يـريدون أنهم ثلاثة ملوك، فمالك الملك رب العالمين، ورب[6] كل شيء ومليكـه هو أحق بأن يقول: إنا، ونحن، مع أنه ليس له شـريك، ولا مثيـل، بل لـه جنود السماوات والأرض.

---

(١) (كان) ساقطة من س.

(٢) في ط (فيمنع) بدلاً من (يمتنع).

(٣) (تعالى) ساقطة من ط، ك.

(٤) سورة المدثر: من الآية ٣١.

(٥) سورة الفتح: من الآية ٧.

(٦) في أ (رب) بسقوط الواو.

وأيضاً فمن المعلوم أن[1] آدم لم يطلب أن يصير مثل الله ولا مثل صفاته كعلمه وحياته[2]، وأيضاً فليس في ظاهر اللفظ أن الله خاطب صفاته بتلك.

وأيضاً فالصفة القائمة بالموصوف لا تخاطب ولا تخاطب، وإنما يخاطب[3] الموصوف[4]، ولم يكن قد خلق آدم ناسوت المسيح، ولا غيره من البشر حتى يخاطبه[5]، فعلم أن دعواهم أن الله خاطب صفته التي سموها ابناً وروح قدس كلام باطل، بل قد يخاطب[6] ملائكته.

وآدم ــ عليه السلام ــ أراد ما أطمعه الشيطان من الخلد والملك، كما قال ــ تعالى ــ:

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾[7].

● ● ●

---

(١) (أن) ساقطة من ط.

(٢) في ط، ك (وصفاته) بدلاً من (وحياته).

(٣) في س (يخاطب) مكررة.

(٤) في س، ك (المؤمنون) بدلاً من (الموصوف).

(٥) في ط، ك، أ (يخاطب) بدلاً من (يخاطبه).

(٦) في أ (خاطب) بدلاً من (يخاطب).

(٧) سورة طه: من الآية ١٢٠.
في أ، س، ك (لهما) بدلاً من (إليه) وهو خطأ.

فصل[1]

ردّ استدلالهم بما ورد في الأمر بإهلاك قوم لوط على ربوبية الابن

قالوا: وقال الله عندما أخسف بسدوم وعامورة، قال في التوراة: (وأمطر الرب من عند الرب من السماء على سدوم وعامورة ناراً وكبريتاً) أوضح بهذا ربوبية[2] الأب والابن.

والجواب: أن احتجاجهم بهذا من أبطل الباطل[3]، لوجوه:

أحدها: أن تسمية الله[4] علمه وحياته ابناً ورباً تسمية باطلة، لم يسم موسى في التوراة شيئاً من صفات الله باسم الابن ولا باسم الأب[5]، فدعوى المدعي أن موسى ـ عليه السلام ـ أراد بالرب شيئاً من صفات الله، أو أن له صفة تسمى ابنه كلام باطل.

الثاني: أنه لو قدر أن صفة الله تسمى بذلك، فمعلوم[6] أن الذي أمطر، هو[7] الذي كان المطر عنده، لم يكن المطر عند أحدهما (والآخر هو الممطر، كما لا يجوز أن يقال خلق أحدهما)[8] من شيء عند الآخر، ولا أنزل أحدهما المطر من سحاب الآخر.

---

(١) (فصل) ساقطة من ك.
(٢) في أ (وسوسه) غير منقوطة.
(٣) في ط (الأباطيل) بدلاً من (الباطل).
(٤) (الله) لفظ الجلالة ساقط من أ.
(٥) في ط، ك، س (الرب) بدلاً من الأب.
(٦) في ط، أ، ك (معلوم) بسقوط (فـ).
(٧) في ط، أ، ك (كان هو) بزيادة (كان).
(٨) ما بين القوسين ساقط من س.

الثالث: أن الصفة لا تفعل شيئاً، ولا عندها شيء، بل هي قائمة بالموصوف، والذات المتصفة بالصفة[1] هي التي تفعل، وعندها يكون ما يكون.

الرابع: أن هذا بمنزلة قوله: (أمطر الرب من عنده) لكن جعل الاسم الظاهر موضع المضمر إظهاراً، لأن الأمر له وحده في هذا وهذا.

ومثل هذا في القرآن كقوله:

﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾[2].

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾[4].

﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[5].

والله هو المنزل ولم يقل مني.

● ● ●

(١) في س (فالصفة) بدلاً من (بالصفة).

(٢) سورة الحاقة: الآيتان ١، ٢.

(٣) سورة القارعة: الآية ١، ٢.

(٤) سورة غافر: الآية ٢.
في س، أ، ك أورد آية سورة الزمر، وهو قوله ـ تعالى ـ: ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾.

(٥) سورة فصلت: الآية ٢.

فصل[1]

ردّ استدلالهم بما ورد عن داود على ربوبية المسيح

قالوا: نذكر ثالثاً[2]، وقال داود في الزبور في المزمور المئة والتسعة قائلاً: (قال لرب: لربي أجلس عن يميني حتى أضع أعداءك تحت موطأ قدميك)[3].

والجواب من وجوه:

أحدها: أنه لا يجوز أن يراد «بربي» شيئاً من صفات الله، فإنه لم يسم داود ولا أحد من الأنبياء شيئاً من صفات الله رباً ولا ابناً، ولا قال أحد لشيء من صفات الله[4]: يا رب ارحمني، ولا قال لعلم الله أو كلامه أو قدرته: يا رب، وإذا لم يكونوا يسمون صفات الله رباً، ولو[5] كان المسيح صفة من صفاته لم يجز أن يكون هو المراد بلفظ الرب، فكيف وناسوته أبعد عن اللاهوت أن يراد بذلك؟

فعلم أنهم لم يريدوا بذلك لا اللاهوت ولا الناسوت.

الثاني: أنه قال: قال الرب لربي، فأضاف إليه الثاني دون الأول

---

(١) (فصل) ساقطة من ك.

(٢) في س، أ، ك (ثالث) بدلاً من (ثالثاً).

(٣) في المزمور المائة والعاشر: (١ ـ قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك) انظر: العهد القديم ص ٩١٢.

(٤) (ابن، ولا قال أحد بشيء ـ صفات الله) زيادة في س بعد قوله (صفات الله).

(٥) وردت في جميع النسخ (فلو) والأصح (ولو).

وأنه هو ربه الذي خلقه، وعامة ما عند النصارى من الغلو أن يقولوا: إلٰـه حق من إلٰـه حق، ويجعلونـه خـالقـاً، أمـا أن[1] يجعلوه أحق من الأب بكونه رب داود، فهذا لم يقولوه، وهو ظاهر البطلان.

الثالث: أنه ليس في هذا ذكر الأقانيم[2] الثلاثة، غايته لو كان كما تأولوه أن يكون فيه ذكر الابن، وأما الأقـانيم الثلاثـة فلم ينطق بهـا شيء من كتب الله التي بأيديهم، فضلاً عن القرآن لا بلفـظها ولا معنـاها، بـل ابتـدعوا لفظ الأقنـوم، وعبروا بـه عن ما جعلوه مـدلـول كتب الله، وهي لا تدل على ذلك، فكانوا في ذلك مترجمين لكـلام الله، وهم لم يفهموا معناه، ولا عبروا عنه بعبارة تدل على المراد.

الرابع: أنه قال لربـي، وهذا يراد به السيد، كما قال يوسف:

﴿ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ ﴾[3].

وقال لغلام الملك:

﴿ ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ[5]:

﴿ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ ﴾[6].

ولهذا ذكر الأول مـطلقاً والثـاني مقيداً، فيكـون المعنى: وقال الله لسيـدي: قـال رب العـالمين لسيـدي، وسمـاه سيـداً تـواضعـاً من داود وتعظيماً له، لاعتقاده[7] أنه أفضل منه.

• • •

---

(1) في ط (بأن) بدلاً من (أما أن).

(2) في س (للأقانيم) بدلاً من (الأقانيم).

(3) سورة يوسف: من الآية ٢٣.

(4) سورة يوسف: من الآية ٤٢.

(5) في أ (قال تعالى) بسقوط الواو، وفي س (قال الله تعالى) بزيادة لفظ الجلالة (الله).

(6) سورة يوسف: من الآية ٤٢.

(7) في أ (لا اعتقاده) بدلاً من (لاعتقاده).

فصل

قالوا: نذكر رابعاً[1]، وقال في المزمور[2] الثاني: (الذي قال لي: أنت ابني وأنا اليوم ولدتك)[3].

والجواب من وجوه:

أحدها: أن هذا ليس فيه تسمية صفات الله: علمه وحياته ابناً، ولا فيه[4] ذكر الأقانيم الثلاثة، فليس فيه حجة لشيء مما تدعونه.

والثاني: أن هذا حجة عليهم، فإنه هو[5] سمى[6] داود ابنه، فعلم أن اسم[7] الابن ليس مختصاً بالمسيح ـ عليه السلام ـ، بل سمى[8] غيره من عباده ابناً، فعلم أن اسم[9] الابن ليس اسماً[10] لصفاته، بل هو اسم لمن رباه من عبيده.

---

(1) في س، أ، ك (رابع) بدلاً من (رابعاً).

(2) في ط، أ، ك (الزبور) بدلاً من (المزمور).

(3) في المزمور الثاني (١ ـ قال لي أنت ابني أنا اليوم ولدتك) وهو مذكور بلفظه. انظر: العهد القديم ص ٨٣٤.

(4) في ط (في) بدلاً من (فيه).

(5) (هو) ساقطة من ط، س، ك.

(6) في أ، س، ك (سمّا) بدلاً من (سمى).

(7) (اسم) ساقطة من ك.

(8) في س، أ، ك (سما) بدلاً من (سمى).

(9) (أن اسم) أزيل من س.

(10) (اسما) ساقطة من ط.

وحينئذٍ فلا تكون تسمية المسيح[1] ابناً لكون الرب أو صفته اتحدت به، بل كما سمى داود ابناً، وكما سمى إسرائيل[2] إبناً فقال: (أنت[3] ابني بكري)[4].

وهذا في كتبهم، كما ذكر[5]، (فإن كان ما في كتبهم قول الله فلا حجة فيه، لأنه أراد المربى، وإن لم يكن قول الله ورسله)[6] فلا حجة فيه، لأن قول غير المعصوم ليس بحجة.

الثالث: أن قوله: (وأنا اليوم ولدتك) يدل على حدوث هذا الفعل، وعندهم تولد الكلمة التي يسمونها[7] الابن من الأب قديم أزلي، كما قالوا في أمانتهم (وبرب واحد[8] يسوع المسيح ابن الله الوحيد، المولود من الأب قبل كل الدهور نور[9] من نور إلٓه حق من إلٓه حق من جوهر أبيه، مولود غير مخلوق، مساوٍ الأب في الجوهر الذي به كان كل شيء).

فهذا الابن عندهم مولود من الأب قبل كل الدهور، وذاك ولد[10]

---

(١) (المسيح) ساقطة من ط، ك وكتبت (يكون تسميته ابناً).
(٢) في س (يعقوب) بدلاً من (إسرائيل).
(٣) (أنت) ساقطة من أ.
(٤) في سفر الخروج ــ الإصحاح الرابع: (٢٢ ــ هكذا يقول الرب إسرائيل ابني بكري) وهو بلفظه.
انظر: العهد القديم ص ٩٢.
(٥) في ط (ذلك) بدلاً من (ذكر).
(٦) ما بين القوسين ساقط من ط، ك.
(٧) في ك، ط، أ (سموها) بدلاً من (يسمونها).
(٨) في س، أ، ك (واحداً) بدلاً من (واحد).
(٩) في أ (ونور) بزيادة واو.
(١٠) في ط، أ، ك (ولده).

في يوم خاطبه بعد خلق داود فلم يكن في هذا المحدث دليل على وجود ذلك القديم.

الوجه الرابع: أنه إذا كان الأب في لغتهم هو الرب الذي يربي[1] عبده، أعظم مما يربي الأب ابنه، كان معنى لفظ الولادة مما يناسب معنى هذه الأبوة، فيكون المعنى: اليوم جعلتك مرحوماً مصطفى مختاراً.

والنصارى قد يجعلون الخطاب الذي هو ضمير لغير المسيح، يراد به المسيح، فقد يقولون: المراد بهذا المسيح، وهذا باطل[2] لا يدل اللفظ عليه، وبتقدير صحته، فهو يدل على أن المسيح هو الناسوت المخلوق، وهو المسمى بالابن، لقوله[3] (وأنا اليوم ولدتك).

واللاهوت عندهم مولود من قبل الدهور، وحينئذٍ فإن كان المراد به يوم ولادته، فالمعنى خلقتك، وإن كان يوم اصطفاه، فالمراد اليوم اصطفيتك وأحببتك[4]، كأنه قال: اليوم جعلتك ولداً[5] وابناً على لغتهم.

● ● ●

---

(١) في س، أ، ك (يرب).
(٢) في س (باطلاً) بدلاً من (باطل).
(٣) في ط، س، ك (كقوله).
(٤) في أ (أصطفيك وأجتبيك).
(٥) في ط، ك (والداً).

فصل

ردّ استدلالهم بما ورد في التوراة من كلام الله لموسى، وما يفيده ذلك من تعدد ألوهيته سبحانه

قالوا: نذكر خامساً(١)، وفي السفر الثاني من التوراة وكلّم الله موسى من العليقة(٢) قائلاً: (أنا إلّه(٣) إبراهيم وإلّه إسحاق وإلّه يعقوب)(٤) ولم يقل أنا إلّه إبراهيم وإسحاق ويعقوب(٥)، بل كرر اسم الإلّه ثلاث دفوع قائلاً: أنا إلّه(٦) وإلّه لتحقق مسألة الثلاث أقانيم في لاهوته(٧).

والجواب: أن الاحتجاج بهذا على الأقانيم الثلاثة من أفسد الأشياء، وذلك يظهر من وجوه:

أحدها: أنه لو أريد بلفظ الإلّه أقنوم الوجود، وبلفظ الإلّه مرة ثانية أقنوم الكلمة، وبالثالث أقنوم الحياة، لكان(٨) الأقنوم الواحد إلّه إبراهيم، والأقنوم الثاني إلّه إسحاق، والأقنوم الثالث إلّه يعقوب، فيكون

---

(١) في س، أ، ك (خامس).

(٢) العليقة: الشجرة.

(٣) (إلّه) ساقطة من ط.

(٤) سفر الخروج ـ الإصحاح الثالث: (١٥ ـ . . . يهوه إلّه آبائكم إلّه إبرهيم وإلّه إسحاق وإلّه يعقوب) بلفظه.
انظر: العهد القديم ص ٩٠.

(٥) (إلّه إبراهيم وإسحاق ويعقوب) بدلاً منها، في ط (إلّه إسحاق)، وفي أ (أنا الله).

(٦) في ك (أنا إلّه إبراهيم وإلّه) بزيادة كلمة (إبراهيم).

(٧) في أ (اللاهوتية)، وفي س، ك (لاهوتيه).

(٨) في ط (لكن) بدلاً من (لكان).

كل من الأقانيم الثلاثة إلـه أحد الأنبيـاء الثلاثـة، والأقنومين ليسـا بإلهين له.

وهـذا كفر عنـدهم، وعند جميـع أهل الملل، وأيضـاً فيلزم[1] من ذلـك أن يكون الآلهـة ثلاثـة[2]، وهم يقـولـون: إلـه واحـد، ثم هم إذا قالوا: كل من الأقانيم إله[3] واحد، فيجعلون الجميع إله كل نبي، فإذا احتجوا بهذا النص على قولهم لزم أن يكون إله كـل نبـي، ليس هو إلـه النبـي الآخر، مع كون الآلهة ثلاثة.

الوجه الثاني: أنه[4] يقال: إن الله رب العالمين، ورب السماوات ورب الأرض ورب العـرش ورب كـل شيء، أفيلزم[5] أن يكـون (رب السماوات ليس هو رب الأرض)[6]، رب كل شيء[7].

وكذلك[8] يقال: إله مـوسى وإله محمـد، مع قـولنا: إلـه إبراهيم وإسحاق، ويعقوب[9]، (أفتكون الآلهة خمسة، وقد قـال يعقوب لبنيـه: «مـا تعبدون من بعـدي»، قالـوا: نعبـد إلهـك وإلـه آبـائك[10] إبـراهيم وإسماعيل وإسحاق)[11].

---

(١) في س (يلزم) بسقوط (فـ).
(٢) في ط، ك (الثلاثة ثلاثة) بزيادة (الثلاثة).
(٣) في س، أ (وهم إله).
(٤) في أ (أن) بدلاً من (أنه).
(٥) في ط (فيلزم) بسقوط الألف.
(٦) (رب السماوات ليس هو رب الأرض) ساقطة من ط، ك.
(٧) (رب كل شيء) ساقط من س، أ.
(٨) (كذلك) ساقطة من ط، ك.
(٩) (يعقوب) ساقطة من ط، ك.
(١٠) (آبائك) ساقطة من أ.
(١١) ما بين القوسين ساقط من ط، ك.

أفتراه أثبت إلّهين: أحدهما إلّهه، والآخر إلّه الثلاثة؟!

الوجه الثالث: أن العطف يكون تارة لتغاير الذوات، وتارة لتغاير الصفات، كقوله ـ تعالى ـ:

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴾[1].

والذي خلق هو الذي قدر وأخرج، وكذلك قوله:

﴿ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ ﴾[2].

وهو هو سبحانه، وقال إبراهيم الخليل ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ لقومه[3]:

﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۝٧٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٧ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ۝٨١ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾[4].

والذي خلقه هو الذي يطعمه ويسقيه، وهو الذي يميته ثم يحييه.

---

(١) سورة الأعلى: الآيات من ١ ـ ٥.

(٢) سورة البقرة: من الآية ١٣٣.

(٣) في ط (لقوله) بدلاً من (لقومه).

(٤) سورة الشعراء: الآيات ٧٥ ـ ٨٢.
في س (يهديني) بدلاً من (يهدين)، (والذي هو يطعمني) سقطت (هو) من ك، في س (يسقني) بدلاً من (يسقين)، في ك (يسقيني) بدلاً من (يسقين)، في س، ك (يشفيني) بدلاً من (يشفين)، (والذي هو يطعمني ويسقين. وإذا مرضت فهو يشفين) ساقطة من أ، في س (يحييني) بدلاً من (يحيين)، (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) ساقطة من س.

فقوله في التوراة: إلّه إبراهيم وإلّه إسحاق، وإلّه يعقوب، هو من هذا الباب، ولا يختص هذا بثلاثة، بل يقال في الاثنين والأربعة والخمسة بحسب ما يقصد المتكلم ذكره من الصفات، وفي هذا من الفائدة ما ليس في قوله: إلّه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فإنه لو قيل ذلك لم يفد إلاّ أنه معبود الثلاثة، لا يدل على أنهم عبدوه مستقلين، كل منهم عبده عبادة اختص بها، لم تكن هي نفس عبادة الأول.

وأيضاً فإنه إذا قيل: إلّه إبراهيم وإسحاق ويعقوب دل على عبادة كل منهم باللزوم[1]، وإذا قال: وإلّه دل على أنه[2] معبود كل من الثلاثة، فأعاده باسم الإلّه الذي يدل على العبادة دلالة باللفظ المتضمن لها، وفي ذلك من ظهور المعنى للسامع وتفرعه بصورة له من غير فكر ما ليس في دلالة الملزوم.

• • •

---

(١) في س، أ، ك (بالملزوم).

(٢) (أنه) ساقطة من ط.

فصل

ردّ استدلالهم بشهادة أشعيا بتحقيق الثالوث

قالوا: وكذلك شهد (أشعيا) بتحقق[1] الثالوث بوحدانية[2] جوهره، وذلك بقوله: (رب القوات)[3]، وبقوله: (رب السماوات والأرض)[4] ومثل هذا القول في التوراة والمزامير شيء كثير حتى اليهود يقرون[5] هذه النبوات، ولا يعرفون لها تأويلاً، وهم معترفون[6] بذلك، ولا ينكرون منه كلمة واحدة، وإنما قلوبهم مغلوقة عن فهمه لقساوتها على ما ذكرنا قبل ذلك، وأنهم إذا اجتمعوا في كنيستهم كل سبت يقف

---

(١) في ط، ك (يتحقق).

(٢) في س (ووحدانية).

(٣) وجدت في سفر أشعيا ـ الإصحاح الحادي والخمسون: (أنا الرب إلّهك مزعج البحر فتعج لججه. ورب الجنود اسمه) بمعناه.
انظر: العهد القديم ص ١٠٥٥.

(٤) وجدت في سفر أشعيا ـ الإصحاح الحادي والخمسون: (وتنسى الرب إلّهك صانعك (باسط السماوات ومؤسس الأرض).
* انظر: المرجع السابق.
* وفي سفر المزامير ـ المزمور التاسع والخمسون: (وأنت يا رب إلّه الجنود).
انظر: العهد القديم ص ٨٧٢.
* وفي سفر أشعيا ـ الإصحاح الثاني والأربعون (هكذا يقول الله الرب خالق السماوات وناشرها باسط الأرض).
انظر: العهد القديم ص ١٠٤٢.

(٥) في ط، ك (يقرأون).

(٦) في ط، ك (مقرون).

الحران أمامهم، ويقول كلاماً عبرانياً هذا تفسيره، ولا يجحدونه: (نقدسك[1]، ونعظمك[2]، ونثلث لك تقديساً مثلثاً كالمكتوب على لسان نبيك)[3].

فيصرخ الجميع مجاوبين: (قدوس قدوس قدوس، رب القوات، ورب السماوات والأرض)[4].

فما أوضح إقرارهم بالثالوث، وأشد كفرهم بمعناه، فنحن لأجل هذا البيان الواضح الذي قاله الله في التوراة، وفي كتب الأنبياء فجعلوه[5] ثلاثة أقانيم جوهراً[6] واحداً، طبيعة[7] واحدة إلهاً واحداً رباً[8] واحداً، خالقاً واحداً، وهو الذي نقوله: أب وابن وروح قدس.

والجواب: أما ما في كتب الأنبياء ـ عليهم السلام ـ من تثنية[9] اسم الرب عند إضافته إلى مخلوق آخر فهو من نمط تثنية[9] اسم الإلّه،

(١) في س، أ (بقدسك) بدلاً من (نقدسك).

(٢) في أ (ويعظمتك) بدلاً من (ونعظمك).

(٣) في سفر أشعيا ـ الإصحاح ٥: (ويتعالى رب الجنود بالعدل (ويتقدس الإلّه القدوس بالبر).
انظر: العهد القديم ص ٩٩٧.

(٤) وجدت في سفر أشعيا ـ الإصحاح السادس: (قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض).
انظر: العهد القديم ص ٩٩٨.

(٥) في س، أ (تجعله) بدلاً من (فجعلوه).

(٦) في س (وجوهراً) بزيادة (و).

(٧) في ط، ك (طبعة) بدلاً من (طبيعة).

(٨) في ط، ك، أ (أباً) بدلاً من (رباً).

(٩) في ط (تسميته) في ك (تسمية).

وهذا لا يقتضي تعدد الأرباب والآلهة، ولهـذا لا[1] يقتضي جعلهم اثنين وأربعة إذا ذكر اللفظ مرتين وأربعة.

فكذلك إذا ذكر[2] ثلاث مرات لا يقتضي أن الأرباب ثـلاثة، وهم أيضاً لا يقولـون بثلاثـة[3] أرباب وثـلاثة آلهـة * فلو كان هـذا يدل على ثلاثة أرباب وثلاثة آلهة[4] * لدل[5] على نقيض قولهم، بل هم يزعمون أنهم إنما يثبتون إلّهاً واحداً، ولكنهم يتناقضون فيصـرّحون بثـلاثة آلهـة، ويقولون هم إلّه واحد.

والكتب لا تـدل على قولهم المتنـاقض بوجـه من الـوجـوه، وأمـا ما ذكروه[6] من اعتراف اليهود بألفاظ هذه النبوات، ودعواه أنهم لا يعرفـون لها تأويلاً، فإن أرادوا[7] بالتأويل تفسيرها وما يدل عليه لفظها، فهذا ظاهـر لا يخفى على الصبيان من اليهود وغيرهم.

ولكن النصارى ادعوا ما لا [8] يدل عليـه اللفظ[9] * وإن[10] أرادوا بالتأويل معنى يخالف ظاهر اللفظ* [11]فهـذا إنما يحتـاج إليه ــ إن كـان

---

(١) (لا) ساقطة من ط .

(٢) في ط، ك (كان) بدلاً من (ذكر).

(٣) في س(ثلاثة) بسقوط (بـ).

(٤) ما بين النجمتين ساقط من ط، ك.

(٥) في ط (تدل) بدلاً من (لدل)، في ك (يدل) بدلاً من (لدل).

(٦) في س (ذكر).

(٧) في ط، أ، ك (أراد).

(٨) (لا) ساقطة من ط، ك.

(٩) في ط ، كررت جملة (فهذا إنما يحتاج إليه) التي ذكرت بعد ذلك.

(١٠) في ط (إن) بسقوط (و).

(١١) ما بين النجمتين ساقط من ك.

يحتـاج إليـه ـ إذا كـان ظـاهـره معنى بـاطـلاً، لا يجـوز إرادتـه. وليس ماذكروا[1] هنا من هذا البـاب، بل الكتب الإلّهيـة يكثر فيهـا مثـل هـذا الكـلام عند أهـل الكتاب وعنـد المسلمين، ولا يفهم منها ثـلاثة أربـاب أو ثلاثة آلهة إلاَّ من اتبع هواه بغير هدى من الله، وقال قولاً مختلفاً يؤفك عنه من أوفك، ومثل هذا مـوجود في سـائر الكـلام، يقال[2] : هـذا أمير البلد الفـلاني، وأميـر البلد الفـلاني، وأميـر البلد الفـلاني، وهـو أميــر واحد.

ويقـال: هـذا رســول إلى الأميين، ورســول إلى أهــل الكتـاب، ورسول إلى الجن والإنس، وهو رسول واحد.

● ● ●

(١) في ط، أ، ك (ذكر).
(٢) في ط، ك (فقال) بدلاً من (يقال).

فصل

وأما قولهم: (نقدسك، ونعظمك، ونثلث لك تقديساً مثلثاً، كالمكتوب على لسان نبيك أشعيا).

وقولهم[1]: (قدوس، قدوس، قدوس، رب القوات، ورب السماوات والأرض)[2]، فيقال: هذا الكلام صريح في أن المثلث هو نفس التقديس لا نفس الإلّه المقدس.

وكذلك قولهم: (قدوس، قدوس، قدوس). قدسوه ثلاث مرات، فإنه قال: (نقدسك، ونثلث لك تقديساً مثلثاً)، فنصب التثليث[3] على المصدر الذي ينصب بفعل التقديس، فقال: نقدسك تقديساً مثلثاً.

(فنصب التقديس على المصدر)[4]، كما تقول[5]: سبحتك تسبيحاً مثلثاً، أي سبحتك ثلاث مرات، وقال: نثلث لك أي نثلث تقديساً[6] لك، لم يقل أنت ثلاثة[7]، بل جعلوا أنفسهم هم الذين يقدسون التقديس المثلث، وهم يثلثون له، وهذا صريح في أنهم يسبحونه ثلاث مرات، ولا يسبحون ثلاثة آلهة، ولا ثلاثة أقانيم.

---

(١) في ط (قولهم) بسقوط (و).

(٢) انظر ٣/ ٤٦٢.

(٣) في س، أ (التقديس) بدلاً من (التثليث).

(٤) ما بين القوسين ساقط من أ، ك.

(٥) في أ (يقول) بدلاً من (تقول).

(٦) في أ (تقديسنا) بدلاً من (تقديساً).

(٧) في أ (ثلاثة بادنة) بزيادة (بادنة).

وهـذا كمـا في السنن عن ابن مسعـود[1]، عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أنه قال: «إذا قال العبد في ركوعـه: سبحان ربـي العـظيم ثلاثاً فقدتم ركوعه، وذلك أدناه، وإذا قال في سجـوده[2]: سبحان ربـي الأعلى ثـلاثاً فقـد تم سجوده وذلـك أدناه»[3] والتسبيـح هو تقـديس الرب وأدناه أن يقدسه ثلاث مرات، فمعناه[4] قدسوه ثلاث مرات: لا تقتصروا على مرة واحدة.

ولهذا يقولون[5] مجاوبين: قـدوس، قدوس، قـدوس، فيقدسـونه ثـلاث مـرات، فعلم أن[6] المـراد تثليث[7] التقـديس[8] حيث[9] مـا دل عليه[10] لفظه، وما يفعلونه ممتثلين لهذا الأمر، ومـا يفعل في نـظير ذلـك من[11] تثليث تقـديسه، وأن يقـدس ثلاث مـرات، لا أن يكون المقـدس ثـلاث أقـانيم، فـإن هـذا أمـر لم ينـطق نبـي مــن الأنـبيـاء بـه لا لفـظاً

---

(١) سبقت ترجمته .

(٢) (في سجوده) ساقطة من س.

(٣) انظر:

* سنن ابن ماجه ــ كتـاب إقامـة الصلاة والسنَّـة ــ باب ٢٠ ــ عن ابن مسعـود قال: قال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إذا ركع . . . الحديث بلفظه.

* وسنن أبـي داود ــ ص ٣٣٠ ــ باب ما يقول الرجـل في ركوعـه وسجوده ــ كتـاب الصلاة ــ عن عقبة بن عامر . . . الحديث بمعناه.

* وفي مسند الإمام أحمد ــ عن ابن عباس ــ الحديث بمعناه.

(٤) في ك (فمعلوم) وفي ط (فمعنى) بدلاً من فمعناه.

(٥) في ط، ك (قالوا) بدلاً من (يقولون).

(٦) (أن) ساقطة من ك.

(٧) في س، أ (بتثليث).

(٨) (تثليث التقديس) ساقطة من ط .

(٩) في ط (ومكنون) بدلاً من (حيث).

(١٠) في ط، ك (على) بدلاً من (عليه).

(١١) (من) ساقطة من ط .

ولا معنى، بـل جميع الأنبيـاء ـ عليهم السلام ـ أثبتـوا إلَهـاً واحـداً لـه الأسماء الحسنى.

وأسماؤه متعددة تدل على صفاته المتعددة، ولا يختص ذلك بثلاثة أسماء، ولا بثلاث[1] صفات، (وليست الصفات أقنومـاً هو ذات وصفـة، بـل ليس إلَّا ذات واحدة لهـا صفات)[2] متعـددة، فالتعـدد في الصفات لا في الذات التي[3] يسمونهـا[4] الجوهـر، ولا في الذات والصفـة التي يسمونها الأقنوم.

● ● ●

---

(١) في أ (ثلاثة)، وفي ط (وبثلاثة) بدلاً من (بثلاث).

(٢) ما بين القوسين مكرر في ك.

(٣) (التي) ساقطة من ك.

(٤) في ط، ك (سموها) بدلاً من (يسمونها).

فصل

ردُّ تأكيدهم إقرار اليهود بالثالوث، وكفرهم بمعناه، وشرح كفر اليهود والنصارى

قالوا: فما أعظم[1] إقرارهم في الثالوث، وأشد كفرهم بمعناه.

فيقال: هذا من الافتراء الظاهر على اليهود، وإن كان اليهود[2] كفاراً فلم يكن كفرهم لأجل إنكار الثالوث، بل لو أقروا به لكان[3] زيادة في[4] كفرهم يزيد به عذابهم.

كما أن النصارى لما كفروا لم يكن كفرهم بإقرارهم بأن المسيح المبشر به الذي قد ظهر ليس هو المسيح الدجال الذي تنتظره اليهود، وإذا[5] خرج كانوا شيعته ويقتلهم المسلمون معه شر قتلة حتى إن الشجر والحجر يقول: يا مسلم هذا يهودي ورائي تعال فاقتله[6].

بل لو كفروا بالمسيح كما كفرت اليهود لكان ذلك زيادة في كفرهم.

وعند اليهود، وعندهم[7] في التوراة من التوحيد المحض الذي[8]

---

(١) في أ، س (أوضح) بدلاً من (أعظم).

(٢) في ط (وجعلهم) بدلاً من (وإن كان اليهود)، (وإن كان اليهود) ساقطة من ك.

(٣) في ط، أ، ك (كان) بدلاً من (لكان).

(٤) (في) ساقطة من ط .

(٥) في س (إذا) بسقوط الواو.

(٦) هذا إشارة إلى حديث سبق ذكره.

(٧) في ص، أ (وعندكم).

(٨) في ط (مما)، (الذي) ساقط من ك.

يبطل تثليثكم ما لا يخفى إلَّا عمن[1] أعـرض عن ذكر الله الـذي أنزلـه، وهداه الذي هدى به عباده[2].

•••

(١) في س (من) بدلاً من (عمن).

(٢) في ط (يهدي)، وفي ك (وهدا به عباده).

فصل

رجوعهم مرة أخرى إلى التمسُّك بالتثليث لما سبق أن نقلوه وأشاروا إليه من كلام الأنبياء

قالوا: فمن أجل[1] هذا البيان الواضح الذي قاله الله في التوراة، وفي كتب الأنبياء نجعل ثلاثة[2] أقانيم: جوهراً واحداً، إلَهاً واحداً، خالقاً واحداً.

وهو الذي نقوله[3]: أب، وابن، وروح قدس.

والجواب من وجوه:

أحدها: أن في التوراة والكتب الإلَهية من إثبات وحدانية الله، ونفى تعدد الآلهة، ونفى إلَهية ما سواه، ما هو صريح في إبطال قول النصارى ونحوهم، وليس فيها ذكر الأقانيم لا لفظاً ولا معنى، حيث يجعلون الأقنوم اسماً[4] للذات مع الصفة، والذات واحدة، والتعدد في الصفات لا في الذات.

ولا يمكن أن تتحد صفة دون الأخرى، ولا دون الذات فيمتنع اتحاد أقنوم أو حلوله بشيء من المخلوقات دون الأقنوم الآخر، ولا إثبات ثلاثة أقانيم ولا إثبات ثلاث صفات دون ما سواها في شيء من الكتب الإلَهية، ولا كلام الحواريين، ولا إثبات إلَه حق من إلَه حق، ولا تسمية صفات الله مثل كلامه وحياته، لا ابناً، ولا إلَهاً، ولا رباً، ولا إثبات

(١) في ط، ك (ولأجل).
(٢) في س، أ (ثلاث).
(٣) في ط (نقول).
(٤) في أ (قسيماً).

اتحـاد[1] الرب خـالق السماوات والأرض بشيء من الآدميين، ولا حلول ذات وصفـة دون ذات مع الصفـات[2] الأخـرى، بـل[3] ولا حلول نفس الصفة القائمـة به[4] في غيـره لا[5] علمه ولا كـلامه ولا حيـاته، ولا غيـر ذلك.

بل جميع ما أثبتوه[6] من التثليث والحلول والاتحـاد ليس في كتب الأنبياء التي بأيديهم ما يدل عليه، بـل فيها أقـوال كثيرة صـريحة بنقيض ذلك مع القرآن والعقل، فهم مخالفون للمعقول وكتب الله المنزلة[7].

الثاني: أنهم[8] يقولون: إنما نثـبت إلَهاً واحداً، ثم يقـولون[9] في أمانتهم وأدلتهم وغير ذلك من كلامهم ما هو صـريح بـإثبات ثـلاثة آلهـة فينقضون كلامهم[10] بعضهم ببعض، ويقـولـون من الأقـوال المتنـاقضـة ما يعلم بطلانه كل عاقل تصوره.

وهـذا لا ينضبط لهم قول مـطرد، كما يقـول من يقـول من عقـلاء الناس: إن النصارى ليس لهم قول يعقله عاقل، وليس أقوالهم منصوصة

---

(١) في س (حلول).
(٢) في س، أ (الصفة).
(٣) (بل) ساقطة من ط، ك.
(٤) في أ (به) بدلاً من (القائمة به)، في ط، ك (ببدنه) بدلاً من (القائمة به).
(٥) في ط، ك (ولا) بزيادة واو.
(٦) في س، أ (ابتدعوه).
(٧) في ك (المنزلة واحداً) بزيادة (واحداً).
(٨) في س، أ (أنكم) بدلاً من (أنهم).
(٩) في أ (ويقولون) بزيادة واو.
(١٠) في ط (كلام) بدلاً من (كلامهم).

عن الأنبياء، فليس معهم لا سمع ولا عقل[١]، كما قال الله ـ تعالى ـ عن أصحاب النار:

﴿ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[٢].

وهم أيضاً يبطنون خلاف ما يظهرون، ويفهم جمهور الناس من[٣] مقالاتهم خلاف[٤] ما يزعم بعضهم أنه مرادهم، فإنه قد تقدم آنفاً من استدلالهم بالتوراة، وقوله: (وكلم الله موسى من العليقة قائلاً: أنا إلّه إبراهيم، وإلّه إسحاق، وإلّه يعقوب)[٥]. قالوا: ولم يقل: أنا إلّه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، بل كرر اسم إلّه ثلاث دفوع قائلاً: أنا إلّه وإلّه وإلّه لتتحقق مسألة الثلاث أقانيم في لاهوته، فيقال لهم: وإن كان هذا التكرير لا يقتضي إلاَّ إثبات إلّه واحد فلا حجة لكم فيه، كما[٦] لو قال أنا[٧] إلّه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وإن كان يقتضي إثبات ثلاثة آلهة: فقد أثبتم ثلاثة آلهة، وأنتم تقولون: لا نثبت إلاَّ إلّهاً واحداً، وإن كان المعنى: إنه إلّه واحد موصوف بأنه معبود إبراهيم، ومعبود إسحاق، ومعبود يعقوب، فلا حجة لكم فيه على[٨] التثليث والأقانيم، (بحيث[٩] تجعلون الأقنوم اسماً للذات مع صفة والذات[١٠] واحدة، فالتعدد في

---

(١) في س، أ (لا عقل ولا سمع) بتقديم عقل على سمع.

(٢) سورة الملك: من الآية ١٠.

(٣) (من) ساقطة من أ، ط، ك.

(٤) في أ، (حلاف) غير منقوطة.

(٥) هذا النص سبقت الإشارة إليه في ٣/ ٤٥٧.

(٦) (كما) ساقطة من ط.

(٧) في س، ك (يا) بدلاً من (أنا).

(٨) (على) ساقطة من ط.

(٩) في ط (وحيث).

(١٠) في ط (الذات) بسقوط الواو.

الصفات لا في الذات، ولا يمكن أن تتحد صفة دون أخرى، ولا دون الذات فيمتنع اتحاد أقنوم وحلوله بشيء من المخلوقات دون الأقنوم الآخر[1].

الوجه الثالث: قولهم: وهو الذي نقوله[2]: أب وابن وروح القدس، قد تقدم أن هذا القول هم معترفون بأنهم لم يقولوه ابتداء، ولا علموا بالعقل التثليث الذي قالوه في أمانتهم، ثم عبروا عنه بهذه العبارة، بل هذه العبارة منقولة عندهم في بعض الأناجيل: أن المسيح ـ عليه الصلاة والسلام ـ أمر أن يعمدوا الناس بها، وحينئذٍ، فالواجب إذا كان المسيح قالها أن ينظر ما أراد بها، وينظر سائر ألفاظه[3] ومعانيها، فيفسر[4] كلامه بلغته التي تكلم بها تفسيراً يناسب سائر كلامه.

/ وهؤلاء حملوا كلام المسيح والأنبياء ـ عليهم السلام ـ على شيء لا يدل عليه كلامهم، بل يدل على نقيضه فسموا كلام الله، أو علمه أو حكمته، أو نطقه ابناً، وهذه تسمية ابتدعوها لم يسم أحد من الأنبياء شيئاً من صفات الله باسم الابن، ولا باسم الرب، ولا باسم الإله، ثم لما أحدثوا هذه التسمية قالوا: مراد المسيح بالابن هو[5] الكلمة، وهذا افتراء على المسيح ـ عليه السلام ـ، وحمل لكلامه على معنى لا يدل عليه لفظه.

---

(١) ما بين القوسين ساقطة من س.
(٢) في س (يقوله) بدلاً من (نقوله).
(٣) في أ (ألفاظها) بدلاً من (ألفاظه).
(٤) في أ (ليفسر) بدلاً من (فيفسر).
(٥) (هو) ساقطة من ط.

ولفظ الابن عندهم في كتبهم يراد به من رباه الله ـ تبارك[1] وتعالى ـ ، فلا[2] يطلق عندهم في كلام الأنبياء لفظ الابن قط[3]، إلاَّ على مخلوق محدث[4]، ولا يطلق إلاَّ على الناسوت دون اللاهوت، فيسمى[5] عندهم[6] إسرائيل ابناً وداود ابناً لله، والحواريون كذلك، بل عندهم في إنجيل[7] يوحنا * في ذكر المسيح إلى خاصته، أي وخاصته لم يقبلوه، والذين قبلوه أعطاهم ليكونوا أبناء الله الذي ليس من دم ولا من[8] مشبه لحم، ولا من مشبه رجل، بل[9] من الله ولد.

فهذا إخبار بأنهم يكونون جميعاً أبناء الله، وهم معترفون بأنه[10] ليس فيهم لاهوت يتحد بناسوت، بل كل منهم ناسوت محض، فعلم أن الكتب ناطقة بأن لفظ ابن الله يتناول الناسوت فقط، وليس[11] معهم لفظ ابن الله، والمراد به صفة من صفات الله.

فقولهم: إن المسيح أراد بلفظ الابن اللاهوت كذب بين عليه*[12] والمسيح لا يسمى ابناً بهذا[13] الاعتبار، وروح القدس لم يعبر

---

(١) (تبارك) ساقطة من أ.

(٢) في أ (ولا).

(٣) (قط) ساقطة من ط .

(٤) في ط (يحدث).

(٥) في ط (فلا يسمى).

(٦) في أ (عند) .

(٧) في س، ك (الإنجيل).

(٨) (من) ساقطة من ط .

(٩) (بل) ساقطة من س.

(١٠) في س (بأنهم) .

(١١) في س (ليس) بسقوط الواو.

(١٢) ما بين النجمتين مكتوب في ك في وريقة صغيرة ملحقة بصفحة ٣٦٥ من المخطوطة.

(١٣) في س، أ، ك (بهذه).

بها أحد من[1] الأنبياء عن حياة الله التي هي صفته، بل روح القدس في كتب الله يراد بها المَلَك، ويراد بها الهدى والوحي والتأييد، فيقال: روح الله، كما يقال: نور الله، وهدى الله، ووحي الله، ومُلَكُ الله، ورسول الله، لم يرد به أحد من الأنبياء، بقوله: روح الله، وروح[2] القدس ما يريده الإنسان بقوله: «روحي».

فالإنسان مركب من روح وبدن[3]، وفي بدنه بخار يخرج من القلب، ويسري في بدنه، وله جوف يخرج منه هواء ويدخل فيه، فإذا قيل: روح الإنسان فقد يراد بها الروح التي بها البخار اللطيف الذي في البدن، وقد يراد بها الريح الذي يخرج من جوف البدن، ويدخل فيه.

والله[4] ــ تبارك وتعالى ــ ــ بإجماع المسلمين واليهود والنصارى ــ ليس هو روحاً وبدناً كالإنسان، وهو ــ سبحانه ــ أحد صمد، لا جوف له، ولا يدخل فيه شيء، ولا يخرج منه شيء[5]، لا بخار، ولا هواء متردد[6].

وقد يعبر بعض الناس بلفظ الروح عن الحياة، والله ــ تعالى ــ حي له حياة، لكن[7] لم ترد الأنبياء ــ عليهم السلام ــ بقولهم: روح القدس حياة الله، بل أرادوا به ما يجعله الله في قلوب الأنبياء

---

(١) (من) ساقطة من ط .

(٢) في س، أ (أو روح).

(٣) في أ (من بدن وروح).

(٤) في ط (الله) بسقوط الواو.

(٥) (ولا يخرج منه شيء) ساقطة من ط .

(٦) في أ (يتردد) بدلاً من (متردد).

(٧) في ط (ولكن) بزيادة واو.

ويؤيدهم[1] به، كما يراد بنور الله ذلك. قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[2].

فضرب الله مثلاً للمؤمن الذي جعل صدره كالمشكاة، وقلبه كالزجاجة في المشكاة، ونور الإيمان الذي في قلبه، وهو نور الله كالمصباح الذي في الزجاجة، وذلك النور الذي في قلبه ليس هو نفس صفة الله القائمة به.

فتبين أن العارف كلما تدبر ما قالته الأنبياء، وما قاله أهل البدع من النصارى وغيرهم، لم يجد لهم في كلام الأنبياء إلاَّ[3] ما يدل على نقيض ضلالهم لا ما يدل على ضلالهم.

• • •

---

(١) في ط، ك (وأيدهم).

(٢) سورة النور: الآية ٣٥.

في أ كتبت آخر الآية هكذا: ﴿نور على نور كذلك يضرب الله الأمثال﴾ وهو خطأ.

(نور على نور) ساقطة من ط.

(٣) (إلاَّ) ساقطة من ط.

فصـل

ردّ زعمهم أنه لا يلزمهم عبادة ثلاثة آلهة، وأنه لا لوم عليهم في التثليث لما سبق لهم من شهادات الأنبياء

قالوا: وقد علمنا أنه لا يلزمنا إذا قلنا * هذا، عبادة ثلاثة الهة، بل إلـه واحد، كما لا يلزمنا إذا قلنا *[1]: الإنسان ونطقه وروحه ثلاثة[2] أناسي[3]، بل إنسان واحد، ولا إذا قلنا لهيب[4] النار وضوء النار وحرارة النار، ثلاثة نيران، ولا إذا قلنا قرص الشمس، وضوء الشمس وشعاع الشمس ثلاثة شموس، وإذا كان هذا[5] رأينا في الله تقدست أسماؤه وجلت آلاؤه فلا لوم علينا، ولا ذنب لنا إذ لم نهمل ما تسلمناه ولا نرفض ما تقلدناه ونتبع ما سواه. (ولا سيما أن لنا هذه الشهادات البينات والدلائل الواضحات من الكتاب الذي أتى به هذا الرجل)[6].

والجواب من وجوه:

أحدها: أنكم صرحتم بتعدد الآلهة والأرباب[7] في[8] عقيدة إيمانكم وفي استدلالكم وغير ذلك من كلامكم، فليس ذلك[9] شيئاً

(١) ما بين النجمتين ساقط من س.

(٢) في أ (ثلاث) بدلاً من (ثلاثة).

(٣) في ط (أناس) بدلاً من (أناسي).

(٤) في أ (النار وليهيب) بدلاً من (لهيب).

(٥) (هذا) ساقطة من ط.

(٦) ما بين القوسين زيادة في س. وساقط من ط.
ويؤكد لنا إضافته هنا ذكر الشيخ له في الفصل التالي.

(٧) في ط، ك (الأرباب) بسقوط الواو.

(٨) في ط (عن) بدلاً من (في).

(٩) في ط (ذلكم) بدلاً من (ذلك).

ألزمكم الناس به، بل أنتم تصرحون بذلك، كما تقدم من قولكم نؤمن بإله واحد، أب[1]، ضابط الكل، خالق ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد * المولود من الأب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه يولد غير مخلوق مساو الأب في الجوهر وبروح[2] القدس الرب المحيي المنبثق من الأب الذي مع[3] الآب[4]، مسجود له وممجد.

فهذا تصريح بالثلاثة أرباب، وأن الابن إله حق من إله حق ومع[5] تصريحكم بثلاثة أرباب وتصريحكم بأن هذا إله حق من إله حق، تقولون إن ذلك إله واحد، وهذا تصريح بتعدد الآلهة مع القول بإله واحد *[6].

ولو لم تذكروا ما يقتضي أنه جوهر آخر، لأمكن أن يحمل كلامكم على عطف الصفة، لكن يكون كلامكم أعظم كفراً، فتكونون قد جعلتم المسيح هو نفس الإلـه[7] الواحد الأب، خالق ما يرى وما لا يرى، وهذا أعظم من[8] كفركم مع أن هذا حقيقة قولكم، فإنكم تقولون: المسيح هو الله، وتقولون: هو ابن الله (كما ذكر الله القولين عنكم في كلامه، وكفركم بذلك، وليس هذا قول طائفة، وهذا قول

---

(١) (أب) ساقطة من ط، ك.
(٢) في ط (بروح) بدون (و).
(٣) في ط، ك (معه).
(٤) في ك (الآن).
(٥) في ط (مع) بسقوط (و).
(٦) ما بين النجمتين ساقط من س.
(٧) في ط، ك (إله) بدلاً من (الإله).
(٨) في ط، ك (من أعظم) تقديم وتأخير.

طائفة)[1] كما يقوله بعض الناس، بل القولان جميعاً يقولهما[2] فرق النصارى كالنسطورية[3] واليعقوبية[4] والملكية[5] ونحوهم، وهذا أيضاً من تناقضكم، فإنه إن كان هو الله لم يكن هو ابن الله سواء عبر بالابن عن الصفة أو غيرها[6]، فإن الأب هو الذات، والذات[7] ليست هي الصفة، وإن عنى بالابن الذات مع صفة الكلام، كما تفسرون الأقنوم بذلك، فهذه الذات متصفة مع ذلك بالحياة، والكلام سواء عنوا به العلم أو البيان مع العلم هو مع الحياة قائم بالأب، والصفة ليست عين[8] الموصوف، بل ولا يعبر عنها بأنها ابن الموصوف، ولا عبر بذلك أحد من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ .

والمقصود أنهم لم يريدوا بقولهم، وبرب واحد يسوع المسيح عطف الصفة، وأن[9] هذا هو الأب كما قال: إلٰه إبراهيم، وإلٰه إسحاق، وإلٰه يعقوب، فهذا إلٰه واحد، والعطف لتغاير الصفة، فلو كان المراد بالابن نفس الأب لكان هذا خلاف مذهبهم، ويكونون قد جعلوه إلٰهاً من نفسه فقالوا: إلٰهان، بل ثلاثة وهو واحد.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من ط. وجملة (وهذا قول طائفة) الثانية ساقطة من ك.
(٢) في أ، س (تقولها)، وفي ك (يقولها) بدلاً من (يقولهما).
(٣) راجع ٣/ ٣٠.
(٤) راجع ٣/ ٥٥.
(٥) راجع ٣/ ٥٥.
(٦) (أو غيرها) ساقط من أ، س.
(٧) (والذات) ساقطة من ط.
(٨) في ط، ك (غير) بدلاً من (عين).
(٩) في س (فأن) بدلاً من (وأن).

فهذا لو أرادوه لكان أعظم في[1] الكفر، بل قالوا: وبرب[2] واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل[3] كل الدهور، نور من نور، إله حق، من إله حق، من جوهر أبيه، مولود غير مخلوق فصرحوا بأنه رب، وأنه إله حق، من إله حق، وصرحوا[4] بإله[5] ثان مع الإله الأول.

وقالوا[6]: مع ذلك إنه مولود من الأب قبل كل الدهور، وأنه مولود غير مخلوق فامتنع أن يريدوا بذلك الناسوت، فإن الناسوت مخلوق.

وهم يقولون: إن[7] الكلمة هي المتولدة من الأب، والكلمة صفة المتكلم وقائمة به، والكلام ليس برب ولا بإله، بل هو كلام الرب الإله، كما أن سائر كلام الله كالتوراة والإنجيل والقرآن ليس هو الرب والإله، ثم قلتم مساو الأب في الجوهر فاقتضى هذا أن يكون المولود الذي هو الكلمة جوهراً وأنه مساو الأب في الجوهر والمساوى ليس هو[8] المساوي[9].

وهذا يقتضي إثبات جوهر ثان[10] مساو[11] الجوهر الأول، [12]وهو

(١) في ط (من) بدلاً من (في).

(٢) في ط (برب) بسقوط (و).

(٣) (قبل) ساقطة من ط.

(٤) في س، أ، (فصرحوا) بدلاً من (وصرحوا).

(٥) في س، أ (بأنه) بدلاً من (بإله).

(٦) في ط (قالوا) بسقوط الواو.

(٧) في س، أ (إن) ساقطة.

(٨) (هو) ساقطة من ط.

(٩) في س، أ (المساوا) بدلاً من (المساوى).

(١٠) في س، أ (ثاني) بدلاً من (ثان).

(١١) في ك (مساوى) بدلاً من (مساو).

(١٢) (الذي هو الذات) زيادة قبل (وهو صريح) في ك.

صريح بإثبات إلٰهين، ويقولون مع ذلك: إنه إلٰه واحد جوهر واحد، ولا يقال الجوهر مع العلم الذي يعبرون[1] عنه بالأقنوم مساو الجوهر الذي هو الذات، فإن الجوهر هو الذات وليس هنا جوهران، أحدهما مجرد عن العلم، والآخر متصف به، حتى يقال: إن أحدهما مساو للآخر، بل الرب ـ تعالى ـ هو الذات المتصفة بالعلم، فإن كان الأب هو الذات المجردة، فالابن أكمل من الأب، وهو الذات مع العلم، والأب بعض الابن.

وكذلك يلزمهم أن يكون الابن هو بعض روح القدس، فإنهم في أمانتهم جعلوا روح القدس هو الرب المحيي، والرب المحيي[2] هو الذات المتصفة بالحياة، والذات المجردة بعض ذلك، فإن كان الأب هو الذات المجردة فالابن[3] بعض روح القدس.

ثم قلتم في أقنوم روح القدس الذي جعلتموه الرب المحيي أنه منبثق من الأب مسجود له[4] ممجد، ناطق في الأنبياء، فإن كان المنبثق رباً حياً، فهذا إثبات إلٰه ثالث، وقد جعلتم الذات الحية منبثقة من الذات المجردة، وفي كل منهما من الكفر والتناقض ما لا يخفى.

ثم جعلتم هذا الثالث مسجوداً[5] له، والمسجود له هو الإلٰه المعبود، وهذا تصريح بالسجود لإلٰه ثالث مع ما فيه من التناقض، ثم جعلتموه ناطقاً بالأنبياء[6]، وهذا تصريح بحلول هذا الأقنوم الثالث،

---

(١) في ط (تعتبرون).

(٢) (الرب المحيي) ساقطة من ط.

(٣) في ط، ك (فالأب).

(٤) (له) ساقطة من ط.

(٥) في ط، ك (سجود).

(٦) في س، أ (في الأشياء).

بجميع الأنبياء، فيلزمكم أن تجعلوا كل نبي[1] مركباً من لاهوت وناسوت، وأنه إله تام وإنسان تام، كما قلتم في المسيح إذ لا فرق بين حلول الكلمة وحلول روح القدس. كلاهما أقنوم.

وأيضاً فيمتنع حلول إحدى الصفتين دون الأخرى، وحلول الصفة دون الذات، فيلزم أن يكون[2] الإله الحي الناطق بأقانيمه الثلاثة حالاً في كل نبي، ويكون كل نبي هو رب العالمين، ويقال مع ذلك هو ابنه وفي هذا من الكفر الكبير والتناقض العظيم ما لا يخفى، وهذا لازم للنصارى لزوماً لا محيد عنه، فإن ما ثبت للشيء[3] ثبت لنظيره، ولا يجوز التفريق بين المتماثلين[4]، وليس لهم أن يقولوا: الحلول أو الاتحاد في المسيح ثبت بالنص، ولا نص في غيره، لوجوه:

أحدها: أن النصوص لم تدل على شيء من ذلك، كما قد تبين.

الثاني: أن في غير المسيح من النصوص ما شابه النصوص الواردة فيه كلفظ الابن، ولفظ حلول روح القدس فيه، ونحو ذلك.

الثالث: أن الدليل لا ينعكس فلا يلزم من عدم الدليل المعين عدم المدلول، وليس كل ما علمه الله وأكرم به أنبياءه أعلم به الخلق بنص صريح، بل من جملة الدلالات دلالة الالتزام.

وإذا ثبت الحلول والاتحاد في أحد النبيين بمعنى مشترك بينه وبين النبي الآخر، وجب التسوية بين المتماثلين، كما إذا[5] ثبت أن النبي

---

(١) في س، أ (شيء).

(٢) (أن يكون) ساقطة من ط.

(٣) (ثبت للشيء) ساقطة من ط.

(٤) في ط (المماثلين).

(٥) في ط (إذ).

يجب تصديقه لأنه[1] نبي.

ويكفر[2] من كذبه لأنه نبي فيلزم من ذلك أنه[3] يجب تصديق كل نبي وتكفير من كذبه.

الرابع: هب أنه لا دليل على ثبوت ذلك في الغير، فيلزم تجويز ذلك في الغير إذ لا دليل على انتفائه، كما يقولون: إن ذلك كان ثابتاً في المسيح قبل إظهاره الآيات على قولهم[4]، وحينئذ فيلزمهم أن يجوزوا في كل نبي أن يكون الله قد جعله إلـٰهاً تاماً وإنساناً تاماً كالمسيح وإن لم يعلم ذلك.

الخامس: أنه[5] لو لم يقع ذلك، لكنه جائز عندهم، إذ لا فرق في قدرة الله بين اتحاده بالمسيح واتحاده بسائر الآدميين، فيلزمهم تجويز أن يجعل الله كل إنسان إلٰهاً تاماً وإنساناً تاماً ويكون كل إنسان مركباً من لاهوت وناسوت، وقد تقرب إلى هذا اللازم الباطل من قال بأن أرواح بني آدم من ذات الله، وأنها لاهوت قديم أزلي فيجعلون نصف كل آدمي لاهوتاً، ونصفه ناسوتاً[6]، وهؤلاء يلزمهم من المحالات أكثر مما يلزم النصارى من بعض الوجوه، والمحالات التي تلزم النصارى أكثر من بعض الوجوه.

الوجه الثاني[7]: قولهم: ولا يلزمنا إذا قلنا هذا عبادة ثلاثة آلهة بل

---

(١) في ط (لأن).

(٢) في ط(ربه ويكفر) بزيادة (ربه).

(٣) (أنه) ساقطة من ط.

(٤) (على قولهم) ساقطة من ك.

(٥) (أنه) ساقطة من ط.

(٦) (ونصفه ناسوتاً) ساقطة من ط.

(٧) سبق الوجه الأول في أول هذا الفصل.

إلٰه واحد، كما لا يلزمنا إذا قلنا: الإنسان وروحه ونطقه ثلاث أناسي، ولا إذا قلنا: النار وحرها وضوؤها ثلاث نيران، ولا إذا قلنا: الشمس وضوؤها وشعاعها ثلاث شموس.

فيقال: هذا تمثيل باطل لوجوه:

أحدها: أن حر النار وضوؤها القائم بها ليس ناراً من نار، ولا جوهراً من جوهر، ولا هو[1] مساوي النار والشمس في الجوهر، وكذلك نطق الإنسان ليس هو إنساناً[2] من إنسان، ولا هو مساو الإنسان في الجوهر، وكذلك الشمس وضوؤها القائم بها وشعاعها القائم بها ليس شمساً ولا جوهراً قائماً بنفسه، وأنتم قلتم إلٰه حق من إلٰه حق، فقلتم في الأمانة: (نؤمن بإلٰه واحد أب ضابط الكل وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور، نور من نور، إلٰه حق من إلٰه حق، من جوهر أبيه مساوى الأب في الجوهر). وقلتم في روح القدس: (إنه رب ممجد مسجود له)[3] فأثبتم ثلاثة أرباب.

والثاني[4]: أن الضوء في الشمس والنار يراد[5] به نفس الضوء القائم بها، ويراد به الشعاع القائم بالأرض والجدران، وهذا مباين لها ليس قائماً بها، ولفظ النور يعبر به عن هذا وهذا، وكلاهما صفة قائمة بغيرها وعرض، وقد يراد بلفظ النور نفس النار ونفس الشمس والقمر،

---

(١) (هو) ساقطة من ك.

(٢) في س، أ (إنسان).

(٣) في س، أ (أنه مسجود له ممجد).

(٤) في ط (الثاني) بسقوط الواو.

(٥) في ك (فيراد).

فيكون النور جوهراً قائماً بنفسه، وإذا[1] كان كذلك فهم جعلوا الأب رباً جوهراً قائماً بنفسه * والابن أيضاً رباً جوهراً قائماً بنفسه[2]، وروح القدس رباً جوهراً قائماً بنفسه *[3].

ومعلوم أن ضوء النار والشمس وحرارتها ليس كل منهما[4] شمساً وناراً قائماً بنفسها، ولا جوهراً قائماً بنفسه، فلو أثبتوا حياة الله وعلمه أو[5] كلامه صفتين قائمتين به ولم يجعلوا هذا رباً جوهراً قائماً بنفسه، وهذا رباً جوهراً قائماً بنفسه لكان قولهم حقاً وتمثيلهم مطابقاً، ولكنهم لم يقتصروا على مجرد جعلهما صفتين لله حتى جعلوا كلا منهما ربا وجوهراً وخالقاً، بل صرحوا بأن المسيح الذي يزعمون اتحاد أحدهما به إلهاً واحداً وخالقاً، فلو كان نفس كلمة الله وعلمه لم يكن[6] إلهاً خالقاً، فإن كلام الله وعلمه ليس إلهاً خالقاً، فكيف والمسيح مخلوق بكلمة الله، ليس هو نفس كلمة الله؟

الوجه الثالث: أن قولهم الشمس وشعاعها وضوؤها، إن أرادوا بالضوء ما يقوم بها، وبالشعاع ما ينفصل عنها فليس هذا مثال النار وحرها ولهبها إذ كلاهما يقوم بها، وعلى هذا فالشمس لم تقم بها إلاَّ[7] صفة واحدة لا صفتين، فلا يكون التمثيل بها مطابقاً، وإن أرادوا بالضوء والشعاع كلاهما ما يقوم بها، أو كلاهما، ما ينفصل عنها فكلاهما صفة

---

(١) في س، أ (فإذا) بدلاً من (وإذا).
(٢) من النجمة السابقة إلى هنا ساقط من س.
(٣) ما بين النجمتين ساقط من أ.
(٤) في أ (منها).
(٥) في س، أ (و).
(٦) في س، أ، ك، وط (تكن).
(٧) في ط (إلى).

واحدة ليس هما صفتان كالحياة والعلم، فعلم أن تمثيلهم بالشمس خطأ، وبعضهم يقول: الشمس وحرها وضوؤها، كما يقولون مثل ذلك في النار.

وهذا التمثيل أصح لو ثبت أن في جرم الشمس حرارة تقوم بها[١] فإن هذا لم يقم عليه دليل، وكثير من العقلاء ينكره، ويزعم أن جرم الشمس والقمر والكواكب لا توصف بحرارة ولا برودة[٢]، وهو قول أرسطو[٣] وأتباعه.

وأما تمثيلهم بروح الإنسان ونطقه، فإن أرادوا بالروح حياته، فليس هذا هو مفهوم الروح، وإن أرادوا بالروح التي تفارق بدنه بالموت وتسمى النفس الناطقة فهذه جوهر قائم بنفسه ليس عرضاً من أعراضه، وحينئذ فيلزم أن تكون[٤] روح الله جوهراً قائماً بنفسه مع جوهر آخر نظير بدن الإنسان ويكون الرب سبحانه وتعالى[٥] مركباً من بدن وروح كالإنسان، وليس هذا قول أهل الملل، لا المسلمين ولا اليهود ولا[٦] النصارى بل هو كفر عندهم[٧]، فتبين أن تمثيلهم بالثلاثة باطل.

والوجه الرابع[٨]: أن التمثيل إما أن يقع بصفات الشمس والنار والإنسان أو النفس القائمة بهذه الجواهر أو بما هو مباين لذلك، كالضوء

---

(١) (بها) ساقطة من ط.
(٢) في س، أ (ببرودة) بزيادة (ب).
(٣) أرسطو. سبقت ترجمته.
(٤) في س، أ (يكون).
(٥) (سبحانه وتعالى) ساقطة من س.
(٦) (لا) ساقطة من س، أ، ك.
(٧) (بل هو كفر عندهم) ساقطة من أ، و ط.
(٨) في س، أ، ك (الوجه) بسقوط (و).

الـذي يقع على الأرض والحيطان والهواء، وغير ذلك من الأجسام إذا قابلت الشمس أو النار أو الإنسان أو النفس القائمة بهذه الجواهر[1] فإن أريد هذا[2] فهذا شعاع[3] منعكس، وضوء[4] منقلب، وليس[5] صفة قائمة بالشمس والنار.

وإذا أريد بما حل في المسيح هذا[6]، وهذا يسمى[7] نوراً وروحاً ويسمى نور الله كما قال ـ تعالى ـ[8]:

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾[9].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ ﴾[10].

فأخبرنا أنه جعل الروح الذي أوحاه نوراً يهدي به من يشاء.

---

(١) (أو الإنسان أو النفس القائمة بهذا الجوهر) ساقطة من س، أ، ك.

(٢) في ط (بهذا) بدلاً من (هذا).

(٣) في أ، س (الشعاع).

(٤) في س، أ (وهو ضوء) بزيادة (وهو).

(٥) في س، أ، ك (ليس) بسقوط (و).

(٦) في ط (فهذا).

(٧) في ك (ويسمى) بزيادة (و).

(٨) (تعالى) ساقطة من ك.

(٩) سورة النور: من الآية ٣٥.

(١٠) سورة الشورى: من الآية ٥٢.

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾[1].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ﴾[2].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ﴾[3].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾[4].

فإذا أريد ما حل في المسيح من الروح والكلمة بهذا[5] المعنى فلا اختصاص للمسيح بذلك، فإن هذا يحل في جميع الأنبياء والمؤمنين، وإن كانوا متفاضلين فيه بحسب درجاتهم، وليس هذا الحال فيهم نفس صفة الله القائمة به، وإن كان ذلك حاصلاً عنها ومسبباً عنها، لكن ليس هو نفس صفة الله وإن كان من الناس من يقول: بل صفة الله التي اتصف بها حلت في العبد. فهذا القول خطأ، فإن صفة الموصوف القائمة به يمتنع[6] قيامها بعينها بغيره. ولكن الإنسان إذا تعلم علم

---

(١) سورة المجادلة: من الآية ٢٢. في س، ك، ط كتبت الآية هكذا: ﴿أولئك الذين كتب الله في قلوبهم الإيمان. . .﴾ وهو خطأ.

(٢) سورة الأعراف: من الآية ١٥٧.

(٣) سورة الحديد: من الآية ٢٨.

(٤) سورة النور: من الآية ٤٠.

(٥) في أ (هذا) بسقوط (ب).

(٦) في ط (يمنع) بدلاً من (يمتنع).

غيره، وبلغ كلام غيره يقال: هذا علم فلان، وكلامه لأن هذا الثاني بلغه عنه. والمقصود هو علم الأول، وكلامه مع العلم بأن نفس ما قام بذات الأول ليس هو عين ما قام بذات الثاني، وإن كان قد يكون مثله، وقد يكون الأول هو المقصود بالثاني مثل من بلغ كلام غيره، فكلام المبلغ هو المقصود بالتبليغ.

وصفات المبلغ كحركته وصوته التي[1] بها يحصل التبليغ، ليس هو نفس المقصود، وإذا قيل هذا كلام المبلغ عنه، فالإشارة إلى حقيقة الكلام المقصود بالتبليغ، لا إلى ما يختص به المبلغ من أفعاله وصفاته، ولهذا شبه الناس من قال بحلول صفة الرّب في عبده بالنصارى القائلين بالحلول وهو شبيه بهم من بعض الوجوه.

لكن النصارى لا يقولون بحلول صفة مجردة، بل بحلول الأقنوم الذي هو ذات متصفة بالصفة، ويقولون: إن المسيح خالق ورازق، وهو خالق آدم ومريم، وهو ولد آدم ومريم، وهو خالق لهما بلاهوته ابن لهما بناسوته.

ويقولون: هو ابن الله، وهو الله بلاهوته، ويقولون أيضاً: باللاهوت والناسوت لأجل الاتحاد، والله كفرهم بقولهم: ﴿إن الله هو المسيح ابن مريم﴾. ونحو ذلك.

وإن أرادوا بتمثيلهم بصفات الشمس والنار والنفس التمثيل بنفس ما يقوم بالشمس والنار والنفس من الضوء والحياة والنطق، وجعلوا ما يثبتونه[2] من الأب والابن وروح القدس صفات الله، كما أن هذه

---

(١) (التي) ساقطة من ط.

(٢) في س، ك (ما يثبتون).

صفات لهذه[1] المخلوقات.

قيل لهم أولاً: لم يعبر أحد من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ عن صفات الله باسم الأب[2] والابن وروح القدس، فليس لكم إذا وجدتم في كلام المسيح ـ عليه السلام ـ ، أو غيره من الأنبياء ذكر الإيمان بالأب والابن وروح القدس أن تقولوا[3] مرادهم بذلك صفة الله التي هي الكلمة والعلم، ولا حياة الله، إذ كانوا لم يريدوا هذا المعنى بهذا اللفظ، وإنما أرادوا باسم الابن وروح القدس ما هو بائن عن الله ـ عز وجل ـ .

والبائن عن الله ليس صفة لله، فضلاً عن أن يكون هو الخالق، فضلاً عن أن يكون البشر المتحد به خالقاً، فقد ضللتم ضلالاً بعد ضلال، ضلالاً حيث جعلتم مراد المسيح وغيره بالابن وروح القدس صفة الرب، ثم ضلالاً ثانياً حيث جعلتم الصفة خالقاً ورباً، ثم ضلالاً ثالثاً حيث جعلتم الصفة تتحد ببشر هو عيسى، ويسمى المسيح ويكون هو الخالق رب العالمين فضللتم في الحلول ضلالاً مثلثاً بعد ضلالكم في التثليث أيضاً ضلالات أخر، حيث أثبتم ثلاث صفات دون غيرها، وجعلتموها جواهراً أرباباً، ثم قلتم إلّه واحد فضللتم ضلالاً مثلثاً في التثليث، وضلالاً مثلثاً في الاتحاد.

وقيل لكم ثانياً: إذا جعلتم ذلك صفات لله[4]، كما أن الضوء والنطق والحرارة صفات لما تقوم بها امتنع أن تحل بغيرها، وامتنع مع

---

(١) في أ (بهذه).
(٢) (الأب و) ساقط من س، ك.
(٣) في س، أ، ك (يقولوا) بدلاً من (تقولوا).
(٤) في ط (الله) بدلاً من (لله).

الحلول أن تكون فاعلة فعل النار والشمس والنفس، وأنتم جعلتم الكلمة والحياة حالة بغير الله، وجعلتم ما يحل به إلّهاً خالقاً، بل هو الإلّه الخالق، ومعلوم أن أحداً من العقلاء لا يجعل ما يحصل فيه ضوء النار ناراً، ولا ما يحصل فيه شعاع الشمس شمساً، ولا ما يحصل فيه نطق زيد وعلمه هو نفس زيد، فكان جعلكم المسيح هو الخالق للعالم مخالفاً لتمثيلكم.

وتبين بذلك أن ما ذكرتموه لا يطابقه شيء من الأمثلة، إذ كان كاملاً باطلاً متناقضاً يمتنع تحققه، فلا تمثيل[1] بشيء من الموجودات الثابتة المعلومة، إلّا كان تمثيلاً غير مطابق.

ولهذا يشبهون الحلول والاتحاد تارةً بحلول الماء في الظرف، وتارةً بحلول النار في الحديد، وتارةً بالنفس والبدن، وتارةً يقولون بأنهما جوهر واحد اختلطا كاختلاط الماء واللبن، وكل هذه الأمثال التي ضربوها لله أمثال باطلة، فإن الماء في الظرف وغيره من الأوعية محتاج إلى وعائه لو انخرق وعاؤه لتبدد، وهو محيط به[2] ولا يتصف الظرف بشيء من صفات الماء، والرب ـ تعالى ـ يمتنع أن يحتاج إلى شيء من مخلوقاته لا إلى العرش، ولا إلى[3] غيره، أو يحيط به شيء من الموجودات إذ هو الظاهر، فليس فوقه شيء.

كما ثبت في الصحيح[4]، عن النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ أنه قال: «أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء،

---

(١) في أ (يمثل).

(٢) (به) ساقطة من ط، س.

(٣) (إلى) ساقطة من ط، أ، ك.

(٤) في ط، س، ك، (الصحيحين).

وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء»[1]، فهو[2] غني عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه، ولهذا[3] لم يكن ما وصف الله[4] به نفسه مماثلاً لصفات المخلوقين، كما لم تكن ذاته كذوات المخلوقين فهو[5] مستوٍ على عرشه، كما أخبرنا عن[6] نفسه مع غناه عن العرش.

والمخلوق[7] المستوي على السرير أو الفلك أو الدابة لو ذهب ما تحته لسقط لحاجته إليه، والله غني عن كل ما سواه، وهو الحامل بقدرته[8] للعرش ولحملة العرش.

وفرق النصارى الثلاثة يقولون بالاتحاد فلا ينفعهم التمثيل بحلول الماء في الظرف، ولو قدر أنهم قالوا بالحلول المجرد مع أن الرب لا يحتاج إلى الناسوت لا[9] يحويه ولا يمسه، بل كما خاطب موسى من الشجرة، فهذا يوجب أن الناسوت لا يتصف بشيء من الإلّهية كالشجرة،

---

(١) انظر:
* صحيح مسلم ـ كتاب الذكر ٤٨ ـ باب ١٧ ـ حديث رقم ٦١ ـ عن سهيل قال: كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام. . . الحديث بلفظه.
* مسند الإمام أحمد ٥٣٦/٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ. الحديث بلفظه.

(٢) في أ (وهو).

(٣) في أ (هذا).

(٤) في ط، س، ك سقط لفظ الجلالة (الله).

(٥) في ط (فهل).

(٦) في ك (عنه).

(٧) في أ (فالمخلوق).

(٨) (بقدرته) ساقطة من ط، س، ك.

(٩) في أ (ولا) بزيادة واو.

ثم إنه معلوم بالضرورة أن الصوت الذي كان يسمع هو صوت الناسوت، فالتمثيل بالشجرة أيضاً باطل، كما بسط في موضعه.

وأما الحديد والخشب وغيرهما إذا ألقى في النار فإنه يستحيل ناراً لاتصاله بالنار، لا أن النار الذي استحال إليها كانت موجودة فحلت به، فهذا[1] استحالة بلا حلول. والنار الذي صارت في الحديد حادثة عن تلك النار[2] ليست إياها، ثم تلك الحديدة إذا طرقت وقع التطريق على النار، وكذلك إذا ألقيت في الماء، فلو كان هذا تمثيلاً مطابقاً لكان[3] الضرب والصلب[4] والإهانة وقع على اللاهوت، وكان[5] اللاهوت هو الذي يغتسل بالماء، وهو الذي يأكل ويشرب، وهذا من أعظم الكفر.

ويحكى عن بعض[6] طائفة منهم ـ كاليعقوبية ـ أنه[7] يقول: بهذا الكفر، وإن كان كثير منهم كالملكية والنسطورية ينكره، فهو لازم لهم، وكذلك إذا شبهوه بالنفس والبدن، فإن النفس تتألم تألم البدن، وتستحيل صفاتها بكونها[8] في البدن، وتكتسب عن البدن أخلاقاً، وصفات، فلو كان هذا تمثيلاً مطابقاً لزم تألم اللاهوت بآلام البدن، وأن يكون متألماً بجوع البدن وعطشه وضربه وصلبه، وأن يكون مستحيلاً لما

---

(١) في ط (هنا)، وفي س، ك (فهنا).
(٢) في أ (الحرارة).
(٣) في أ (كان).
(٤) (الصلب) ساقطة من س، ك.
(٥) في أ (فكان).
(٦) (بعض) ساقطة من أ.
(٧) في أ (أنهم).
(٨) في أ (لكونها).

اكتسبه من صفات الناسوت الذي هو[1] عندهم بمنزلة البدن للنفس، وأما قولهم إذ لم نهمل ما تسلمناه، ولم نرفض ما تقلدناه فقولهم في ذلك بمنزلة قول اليهود للمسيح: إنّا لا نهمل ما تسلمناه، ولا نرفض ما تقلدناه من موسى ـ عليه السلام ـ.

وجواب الطائفتين من وجهين:

أحدهما: أنكم بدلتم وحرفتم الكتاب الذي أنزل إليكم، والشرع الذي شرع لكم، وتبديل[2] المعاني والأحكام لا ريب فيه عند جميع عقلاء الأنام، وما كان عليه اليهود بعد التبديل لم يكن هو الشرع الذي شرعه موسى ـ عليه السلام ـ، وما كان عليه النصارى بعد التبديل لم يكن هو الشرع الذي شرعه المسيح ـ عليه السلام ـ.

والثاني: أنكم كذبتم بالكتاب الآخر، والرسول الآخر الذي أرسل إليكم[3] ومن كذب ما أنزل إليه من ربه، والرسول الذي أرسل إليه كان كافراً مستحقاً لعذاب الدنيا والآخرة، وإن كان قبل ذلك متبعاً لشرع رسول[4]، وكتاب غير مبدل، فكيف إذا كان قد بدل ما بدل[5] من أحكامه ومعانيه؟

● ● ●

(١) (هو) ساقطة من ط.
(٢) في ط (وتدليل).
(٣) (إليكم) ساقطة من ط.
(٤) (رسول) ساقطة من أ، في ط (رسول الله) بزيادة لفظ الجلالة (الله).
(٥) (ما بدل) ساقطة من ط.

فصل

إسقاط احتجاجهم بشيء من القرآن مرة أخرى على باطلهم وأنّ القرآن يؤخذ كلّه

وأما قولهم: ولنا هذه الشهادات والدلائل من الكتاب[١] الذي في أيدي هؤلاء القوم.

فيقال: لا يصح استشهادهم بهذا الكتاب، واستدلالهم به بوجه[٢] من الوجوه، فإن[٣] الذي قد[٤] جاء به، قد[٥] تواتر عنه أنه أخبر أنه[٦] مرسل إليهم، وأنهم كفار[٧] إذا لم يؤمنوا به، مستحقون للجهاد، ومن لم يستحل جهادهم فهو كافر، والقرآن مملوء بكفرهم، فإن كان هذا رسولاً من الله، وقد أخبر بكفرهم ثبت أنهم كفار.

فإن الرسول لا يقول على الله إلاَّ حقاً لا يكذب على الله في شيء، ومن كذب على الله ولو في كلمة واحدة، فهو من الكذابين المفترين على الله الكذب، مستحق لعقوبة الكذابين، كما[٨] قال

---

(١) يقصدون القرآن الكريم.

(٢) (بوجه) ساقطة من ط.

(٣) في ط، س، ك (فإنه).

(٤) (قد) ساقطة من أ.

(٥) في ط (وقد) بزيادة واو.

(٦) (أنه) ساقطة من ط.

(٧) في س، ك (كفاراً).

(٨) (كما) ساقطة من س، ك.

ــ تعالى ــ :

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾[(١)] .

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ۚ ﴾[(٢)] .

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ۙ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[(٣)] .

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ۙ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۖ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[(٤)] .

فمتى كانت كلمة من كلمات هذا الكتاب كذباً على الله لم يكن كتاب الله ، ولم يكن جاء به رسول الله ، فإن الكاذب قد يصدق في أكثر

---

(١) سورة الحاقة: الآيات ٤٤ ــ ٤٧ .

(٢) سورة الشورى: من الآية ٢٤ .

(٣) سورة النحل: الآيتان ١٠١ ، ١٠٢ .

(٤) سورة يونس: الآيتان ١٥ ، ١٦ .

في أ (بقربان) بدلاً من (بقرآن) .

ما يقوله، لكن إذا كذب في بعض ما يقوله كان كاذباً، والله ـ تعالى ـ لا يرسل من يكذب عليه، فإن المخلوق لا يرضى أن يرسل[1] من يعلم أنه[2] يكذب عليه، ولو فعل ذلك دل على جهله أو عجزه[3]، فكيف يرسل رب العالمين من يعلم أنه يكذب عليه.

وحينئذ فمتى كذبوا بكلمة واحدة مما في الكتاب لم يصح استشهادهم واستدلالهم بشيء مما في الكتاب، وإن[4] صدقوا بالكتاب كله لزمهم الإيمان بما جاء به واتباع شريعته، والاعتراف بكفر الذين كذبوه، وكفر الذين يقولون: إن الله هو المسيح ابن مريم، وإن الله ثالث ثلاثة.

وهذا بخلاف من آمن بالرسول، ولم يثبت عنده بعض ما نقل عنه، أو لم[5] يعرف معناه فإن هذا لا يقدح في أصل إيمانه بالرسول[6].

فالمسلمون إذا كذّبوا ببعض ما نقل عن موسى والمسيح فهو لطعنهم في الناقل، لا في النبي المنقول عنه.

وأما النصارى فيعلمون أن محمداً جاء بالقرآن فطعنهم في بعضه طعن في الرسول نفسه وكفر به، وليس هذا بمنزلة ما مثلوا به من الوثيقة التي كتب وفاؤها في ظهرها، فإن الذي له الدين[7] أقر بالاستيفاء المسقط له، فلم يبق هناك حق له يدعيه، بخلافه ما يخبر به الذي

---

(١) في س (يعلم).
(٢) (يعلم أنه) ساقطة من ك، س، أ.
(٣) في أ (وعجزه).
(٤) في أ (فإن).
(٥) في س، (لو لم).
(٦) (الرسول) ساقطة من أ.
(٧) في أ (التين).

يقول: إنه رسول الله، فإنه يقول: إن الله أنزل عليّ هذا الكتاب كله، وأرسلني بكذا وكذا إلى كذا وكذا، فإن كذب في شيء مما أخبر به عن الله لم يكن الله أرسله، فإن الذي أرسله هو الذي جعله يبلغ عنه ما يقوله بلا زيادة ولا نقص، وإرسال الله للرسول يتضمن شيئين:

إنشاء الله للرسالة[1]، والله حكيم، وهو أعلم حيث يجعل رسالاته[2] لا يجعلها إلاَّ فيمن هو من[3] أكمل الخلق وأصدقهم.

ويتضمن إخبار الله عنه بأنه صادق عليه، فيما يبلغه عنه مما يقول إن الله أرسله به فكما صدقه بالآيات المعجزات في قوله: إنه أرسلني، فقد صدقه بما يقول إنه أرسلني به، إذ التصديق بكونه أرسله من غير معرفة بصدقه فيما يخبر به لا فائدة فيه، ولا يحصل به مقصود الإرسال.

والله ـ تعالى[4] ـ عليم بما يشهد به لمن أرسله بخلاف المخلوق الذي يبعث من يظنه يصدق فيما يبلغه عنه، فيظهر أنه كذب عليه، والله يعلم عواقب الأمور، والرسالة صادرة من علمه وحكمته، وهو عليم حكيم[5]، ومن يكذب على الله ولو في كلمة لم يبلغ عنه ما يقوله على هذا الوجه[6] فلا يكون رسوله.

ولهذا اتفق أهل الملل على أن الرسل معصومون فيما يبلغونه عن الله، لا يكذبون عليه عمداً ولا خطأً، فإن هذا مقصود الرسالة فكان تمثيل هذا بالوثيقة تمثيلاً باطلاً، فإن المدعى للإسقاط لم يدع كلاماً

---

(١) في أ (إنشاء الرسالة).
(٢) في ط (رسالته).
(٣) (من) ساقطة من س، ك.
(٤) (تعالى) ساقطة من ط، س، ك.
(٥) (حكيم) ساقطة من ط.
(٦) (الوجه) ساقطة من أ.

متناقضاً، بل قال: أقررت بهذا[1] الدين، ثم وفيتك إياه وأنت تقر بوفائه، وإقرارك مكتوب في ظهرها، فليس لك أن تحتج بإقراري بالدين[2] دون إقرارك بالوفاء، بل إما أن تعتبر ما في الوثيقة من إقراري وإقرارك وإما أن تبطل الأمرين المتعارضين[3].

وهذا كلام عدل كالشريكين المتفاوضين مثل شريكي العنان، إذا قال لصاحبه: إن حصل[4] ربح فهو لي ولك، وإن لم يحصل ربح فلا لي ولا لك.

وكذلك البائع والمؤاجر الذي يقول: إن كان بيننا معاوضة فعليك تسليم ما بذلته، وعلي تسليم ما بذلته، لا يستحق هذا إلاَّ بهذا، فهذا كله كلام عادل وإنصاف، بخلاف الشخص الذي يقال فيه: إنه رسول الله، والكتاب الذي يقال: إنه كلام الله، وأن الله أنزله، فإن هذا إن كان رسولاً صادقاً فجميع ما بلغه من الله حق، وإن كان كاذباً لم يكن الله أرسله، فجميع ما بلغه عن الله كذب على الله، فلا يجوز بمجرد خبره أن ينسب إلى الله شيء ولا يحتج بما يخبر[5] به عن الله على شيء.

ألا ترى أن من ادعى الرسالة وعلم أنه كاذب كالأسود العنسي[6]

---

(١) (بهذا) ساقطة من ط.

(٢) في ط (بإقرار الدين).

(٣) في ط (المتفاوضين).
وفي أ (والمتعارضين) بزيادة واو.

(٤) في أ (تحصل).

(٥) في ط (يخبره).

(٦) الأسود العنسي: هو عيهلة بن كعب بن عوف العنسي المذحجي ذو الخمار، متنبىء مشعوذ من أهل اليمن، أسلم لما أسلمت اليمن، وارتد في أيام النبي ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ ، فكان أول مرتد في الإسلام، وادعى النبوة، وتغلب على نجران =

ومسيلمة الكذاب[1] وطليحة الأسدي[2]، والحارث الدمشقي[3]، وبابا الرومي[4]، وغير هؤلاء لا يجوز لأحد أن يحتج بشيء مما ذكروا أن الله أرسلهم به، وإن كان ذلك القول قد علم * أنه حق من جهة أخرى، فإنه قد علم بكذبهم أن الله لم يرسلهم، فأي شيء قالوا إن الله أنزله[5] عليهم كانوا[6] كاذبين فيه، ومتى[7] علم أنه كاذب في نفس الخبر المعين لم يجز أن يحتج بجنس الذي علم أنه كذب فيه.

وكذلك[8] لو قال رجل عندي أن موسى أو داود أو المسيح (كذبوا على الله في بعض ما يخبرون به عن الله، كانوا بمنزلة)[9] من لم يرسلهم الله بشيء. لكن كذبوا في قولهم إن الله أرسلهم، فإذا أراد مع هذا أن يحتج بما ينقل من التوراة والزبور والإنجيل عن الله كان متناقضاً، وكان احتجاجه باطلاً غير مقبول، بل لو قال: أنا أشك في بعض ما أخبروا به عن الله، هل كذبوا فيه أم لا؟ كان كذلك شكاً في أن الله أرسلهم، فإن من أرسله الله[10] لا يكذب في شيء لا خطأ ولا عمداً، ومع شكه في

وصنعاء واتسع سلطانه إلى ما بين حضرموت والطائف والبحرين والإحساء وعدن، وكان مقتله قبل وفاة النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ بشهر واحد.

انظر: والبداية والنهاية ٦/٣٠٧؛ والأعلام للزركلي ٥/٢٩٩.

(١) سبقت ترجمته.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) بابا الرومي: لم نقف له على ترجمة.

(٥) في ط (أنزل).

(٦) (كانوا) ساقطة من ط.

(٧) في س (من).

(٨) في ط (كذلك) بسقوط الواو.

(٩) ما بين القوسين ساقط من ط، س.

(١٠) سقط من ط لفظ الجلالة (الله).

ذلك لا يجوز أن يحتج بشيء مما ينقلونه عن الله لتجويز أن يكونوا كاذبين في نفس ذلك الذي نقلوه عن الله، وليس هذا مثل رسول الواحد من الآدميين، فإنه قد يكون أرسله، ثم أن الرسول صدق في بعض ما بلغه عن[1] مرسله، وكذب في البعض.

ويجوز على الآدمي أن يرسل من يكذب عليه لعدم علمه بكذبه، أو عدم[2] حكمته في إرساله.

وأما الرب ــ تعالى ــ: فلا يجوز أن يرسل نبياً[3] يكذب عليه لا عمداً، ولا خطأ، وكذلك الشاهد والمخبر الذي قد علم أنه تارة يصدق وتارة يكذب[4] يمكن أن يستدل ببعض أخباره الذي يظهر فيها صدقه لدلالات تقترن بذلك، بخلاف الرسول فإنه إذا كذب كذبة واحدة امتنع أن يكون الله أرسله، فصار جميع ما يبلغه عن الله[5] هو كاذب في أن[6] الله أرسله به، فكذبه في كلمة واحدة يوجب أنه كاذب في جميع ما بلغه عن الله، وأن جميع ما حكاه ورواه عن الله قد كذب فيه، وإن قدر أن ذلك الكلام في نفسه حق، لكن تبليغه عن الله ونقله وروايته وحكايته عن الله كذب على الله *[7].

---

(١) في ط (من).

(٢) في أ (لعدم).

(٣) في ط (من).
وفي س، أ (نبي) بدلاً من (نبياً).

(٤) في س تقديم وتأخير (تارة يكذب وتارة يصدق).

(٥) في ط (قدر) بدلاً من (الله).

(٦) (أن) ساقطة من س.

(٧) ما بين النجمة والنجمة الأخرى التي في الصفحة السابقة سقطت ورقتها من المخطوطة (ك) بالرغم من سلامة الترقيم إلا أن هناك إشارة إلى وريقة لعل فيها هذا الكلام الناقص ولم نجدها.

وقد أخبر الله أنه ينسخ ما يلقيه الشيطان، مما يناقض مقصود التبليغ بقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾[1].

وإن قالوا: خبره يناقض بعضه بعضاً، كان الجواب من وجهين:

أحدهما: أن هذا أيضاً إن كان حقاً، فإنه[2] يقدح في رسالته، فإن الرسول لا يناقض بعض خبره بعضاً، ومن كان كذلك لم يصح لكم أن تحتجوا بشيء مما جاء به، وإن كان باطلاً لم يرد عليه.

فعلم أن استدلالهم بما في هذا الكتاب على صحة دينهم الذي خالفوا به هذا الكتاب في غاية الفساد، وهو جمع بين النقيضين[3] واستدلال بما في الكتاب على ما يوجب بطلان الاستدلال بشيء مما في الكتاب.

وإذا كانت النتيجة تستلزم فساد بعض مقدمات الدليل، بطل

---

(١) سورة الحج: الآيات ٥٢ ـ ٥٥.
في أ في آخر الآية (عظيم) بدلاً من (عقيم) وهو خطأ.

(٢) (فإنه) ساقطة من س، ك.

(٣) في ط (النقضين) بدلاً من (النقيضين).

الاستدلال بذلك الدليل، الذي لا يصح إلاَّ بصحة مقدماته، فإذا كانت مقدمته لا تصح إلاَّ مع فساد نتيجته، ونتيجته مستلزمة لفساد مقدمته كان الجمع بين صحة المقدمة والنتيجة جمعاً بين النقيضين[1].

وكذلك من استدل بشيء من الكتاب على ما يناقض ما في الكتاب، كاستدلال النصارى بآيات فيه على صحة دينهم، كان تناقضاً[2]، فإنه إن صح ذلك الدليل، بأن مدح[3] دينهم مع ذمه كان متناقضاً، والكتاب[4] المتناقض لا يكون كتاب الله.

وإن فسد أحدهما، إما فساد دينهم، وإما فساد مدحه. فالكتاب الذي فيه فساد لا يكون كتاب الله، فيلزم أن لا يكون كتاب الله على التقديرين، فلا يصح الاستدلال به من جهة كونه خبر الله، وأما الاستدلال به من جهة كون المتكلم به رجلاً عالماً حكيماً، وهذا لا يفيد العلم، إذ ليس معصوماً إلاَّ الأنبياء ــ عليهم السلام ــ.

والنصارى يجوزون أن يكون معصوماً غير الأنبياء، فبتقدير أن يكون كذلك فهو حجة عليهم، وإن قالوا: هو رجل عالم ليس برسول من الله، قيل لهم: فهذا قوله ليس بحجة لجواز أن يخطىء، ولكن يعتضد بقوله، وأما إذا ادعى أن الله أرسله وهو لم يرسله بهذا الكتاب كله، فهذا كذاب لا يحتج بشيء من كلامه، ولا يكون مثل هذا عدلاً

---

(١) في أ (المتناقضين) بدلاً من (النقيضين).

(٢) في أ (متناقضاً).

(٣) في أ (يمدح) بزيادة (ي).

(٤) في س (فالكتاب).

فضلاً عن أن يكون حكيماً، بل هو من الذين افتروا على الله كذباً:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾[1].

والجواب الثاني: أنا قد بينا أن ما ذكروه لا يناقض شيئاً مما أخبر به، وأنه ليس في هذا الكتاب تناقض يحتجون به بوجه من الوجوه.

وأما قولهم: وأعظم حجتنا ما وجدناه فيه من الشهادة لنا بأن الله جعلنا فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة.

فيقال: بل ما ذكروه حجة عليهم لا لهم، فإن الله أخبر المسيح أنه جاعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، وخبر الله حق، ووعد الله صدق، والله[2] لا يخلف الميعاد، فلما اتبع المسيح من آمن به جعلهم الله فوق الذين كفروا به من اليهود وغيرهم.

ثم لما بعث الله محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بالدين الذي بعث به المسيح، وسائر الأنبياء قبله، وكان محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[3] ـ، مصدقاً لما جاء به المسيح، وكان المسيح[4] مبشراً برسول يأتي من بعده اسمه «أحمد» صارت أمة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أتبع للمسيح ـ عليه السلام ـ من النصارى الذين[5] غيروا شريعته، وكذبوه فيما بشر به، فجعل الله أمة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[6] ـ فوق النصارى إلى يوم القيامة.

---

(١) سورة الأنعام: من الآية ٩٣.

(٢) سقط من س، ك لفظ الجلالة (الله).

(٣) (صلَّى الله عليه وسلَّم) ساقطة من أ.

(٤) (وكان المسيح) ساقطة من ط.

(٥) في أ (الذي) بدلاً من (الذين).

(٦) (صلَّى الله عليه سلَّم) ساقطة من أ.

كما جعلهم ـ أيضاً ـ فوق اليهود إلى يوم القيامة، والنصارى بعد النسخ والتبديل ليسوا متبعين المسيح، لكنهم أتبع له من اليهود الذين بالغوا في تكذيبه وسبّه، فإنهم كذبوه أولاً، وكذبوا محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[1] ـ ثانياً، فصاروا أبعد عن متابعة[2] المسيح من النصارى[3] فكانوا مجعولين فوق اليهود.

والمؤمنون[4] أمة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، هم المتبعون للمسيح ـ عليه السلام ـ، ومن سواهم كافر به[5]، فأمة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فوق اليهود والنصارى إلى يوم القيامة.

ولهذا لما جاء المسلمون يقاتلون[6] النصارى غلبوهم، وأخذوا منهم خيار الأرض: الأرض[7] المقدسة، وما حولها من مصر والجزيرة، وأرض المغرب[8] ولم يزل المسلمون منتصرين على النصارى، ولا يزالون إلى يوم القيامة لم تنتصر النصارى قط على جميع المسلمين،

---

(١) (صلَّى الله عليه سلَّم) ساقطة من س، أ، ك.
(٢) (متابعة) ساقطة من ط.
(٣) في ط (اليهود) بدلاً من (النصارى).
(٤) في ط (والمؤملون) بدلاً من (المؤمنون).
(٥) (به) ساقطة من أ.
(٦) في س (يقاتلوا) بدلاً من (يقاتلون).
(٧) (الأرض) ساقطة من أ.
(٨) في ط، س، ك (العرب) بدلاً من (المغرب).
أرض المغرب: هي بلاد واسعة كثيرة ووعثاء شاسعة، حدها من مدينة مليانة وهي آخر حدود أفريقية إلى آخر جبال السوس التي وراءها البحر المحيط وتدخل فيه جزيرة الأندلس.
انظر: معجم البلدان ١٦١/٥.

وإنما تنتصر على طائفة من المسلمين بسبب ذنوبهم، ثم يؤيد الله المؤمنين عليهم.

ولو كان النصارى هم المتبعين للمسيح ـ عليه السلام ـ ، والمسلمون كفاراً به لوجب أن ينتصروا على جميع المسلمين، لأن جميع المسلمين ينكرون إلٰهية المسيح ويكفرون النصارى، فعلم أن المتبعين للمسيح هم المسلمون دون النصارى.

• • •

انتهى المجلد الثالث

ويليه المجلد الرابع وأوله :

فصل [تفسيرهم لتجسيم كلمة الله]

فهرس موضوعات

الموضوع	الصفحة

● ● ●